نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

المتوفى ٧٣٣ هـ

الجزء الثالث

تحقيق

الدكتور حسن نور الدين

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القسم الثاني

من الفن الثاني في الأمثال المشهورة عن رسول الله ﷺ، وعن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، والمشهور من أمثال العرب، وأوابد[1] العرب، وأخبار الكهنة، والزّجر، والفأل، والطّيرة، والفراسة، والذكاء، والكنايات، والتعريض، والأحاجي، والألغاز

وفيه خمسة أبواب.

الباب الأوّل
من هذا القسم في الأمثال

ضرب الله عزَّ وجلّ الأمثال في كتابه العزيز في آيٍ كثيرة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ [الحج: الآية ٧٣] وتكرر ذكر الأمثال.

وقال رسول الله ﷺ: «ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلى جَنْبَى الصراط أبواب مفتَّحة، وعلى الأبواب ستورٌ مرخاة، وعلى رأس الصراطِ داعٍ يقول ادخلوا الصراط ولا تعرّجوا» فالصراط: الإسلام، والستور: حدود الله تعالى، والأبواب: محارم الله، والداعي: القرآن.

قال المبرّد[2]: المثل مأخوذٌ من المثالِ وهو قولٌ سائر، شبّه به حالَ الثاني بالأوّل والأصلُ فيه التشبيه. قال: وقولُهم مَثَلٌ بين يديه، إذا انتصبَ؛ معناه أشبه الصورة المنتصبة. وفلانٌ أمثلُ من فلان، أي أشبه.

(١) الأوابد: معناها هنا: الدواهي مفردها الآبدة. «لسان العرب ٣/٦٨ و٦٩».

(٢) المبرّد: أبو العباس محمد بن يزيد النحوي، (٢١٠ ـ ٢٨٦ هـ = ٨٢٦ ـ ٨٩٩ م) إمام العربية ببغداد في زمانه، وأحد أئمة الأدب والأخبار مولده بالبصرة ووفاته ببغداد. «الأعلام للزركلي ٧/ ١٤٤».

والمثالُ: القصاصُ، لتشبيه حالِ المقتصِّ منه بحال الأوّل.

وقال ابن السِّكِّيت(١): المثلُ لفظٌ يخالف لفظَ المضروب له ويوافقُ معناه.

وقال إبراهيم النظَّام(٢): يجتمع في المثل أربع لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودةُ الكناية فهو نهايةُ البلاغة.

وقال ابن المقفَّع: إذا جُعل الكلامُ مثلًا كان أوضحَ للمنطق، وآنقَ للسمع، وأوسعَ لشعوب الحديث.

وأوّل ما نبدأ به من ذلك:

ما تُمُثِّل به من أقوال سيّدنا رسول الله ﷺ

فمن ذلك قوله ﷺ وهو مما لم يسبق إليه:

«إيَّاكم وخضراءَ الدِّمَن» فقيل له: وما ذاك يا رسول الله؟ فقال: «المرأةُ الحَسْنَاءُ في مَنْبِتِ السُّوء!».

«كلُّ الصيدِ في جَوْف الفَرَا» قاله لأبي سفيان يتألّفه على الإسلام.

«مات فلان حَتْفَ أنفه».

«لا ينتطح فيه عَنْزَان».

«إن المُنْبَتَّ لا أرْضًا قَطَعَ ولا ظَهْرًا أَبْقَى» المنبتُّ: المنقطع عن أصحابه في السفر؛ والظهر: الدابّة، قاله في الغلوّ في العبادة.

«الآنَ حَمِيَ الْوَطِيس»: ضربه في الحرب.

«يَا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِي».

«اشْتَدِّي أَزْمَةُ تَنْفَرِجِي».

---

(١) ابن السكيت: يعقوب بن إسحٰق، (١٨٦ ـ ٢٤٤ هـ = ٨٠٢ ـ ٨٥٨ م) أبو يوسف، إمام في اللغة والأدب، أصله من خوزستان، تعلم ببغداد واتصل بالمتوكل العباسي فعهد إليه بتعليم أولاده، وجعله في عداد ندمائه، ثم قتله لسبب مجهول. قيل سأله عن ابنيه المعتز والمؤيد أهما أحب إليه أم الحسن والحسين فقال ابن السكيت: والله إن قنبرًا خادم علي خير منك ومن ابنيك، فأمر الأتراك فداسوا بطنه أو سلوا لسانه، وحمل إلى داره فمات ببغداد، له كتب كثيرة «الفهرست لابن النديم ص ١١٦ والأعلام للزركلي ٨/ ١٩٥».

(٢) إبراهيم النظام: إبراهيم بن يسار بن هانىء النظام المعتزلي توفي سنة ٢٣١ هـ، «الملل والنحل ١/ ٥٧».

وقوله ﷺ: «الناسُ كأسنان المُشْطِ وإنما يتفاضلون بالعافية».

«الناس كمعادن الذهب والفضة، خيارُهم في الجاهلية خيارُهم في الإسلام إذا فقِهوا».

«النَّاسُ كَإِبِلٍ، مِائَةٌ لا تَجِدُ فيها راحِلَةً».

«المؤمن هيّنٌ ليّن، كالجمل الأَنِفِ إن اقتيد انقاد، وإن أُنِيخ على صخرة استناخ».

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشُدّ بعضه بعضًا».

«أصحابي كالنجوم، بأيّهم اقتديتم اهتديتم».

«مثل أصحابي كالملح لا يصلح الطعام إلا به».

«أُمَّتي كالمطر، لا يُدْرَى أوّله خيرٌ أم آخرُهُ».

«مثلُ أبي بكر كالقَطْر أين وقع نفع».

«عُمَّالُكم كأعمالكم وكما تكونوا يُولّى عليكم».

وقال لما كتب المهادنة بينه وبين سهيل بن عمرو: «والعقد بيننا كشَرْج العَيْبَة»[١] يعني إذا انحلّ بعضه انحلّ جميعه.

«المرأة كالضِّلَعِ العوجاء إن قوّمتها كسرتها، وإن داريتها استمتعت بها».

«المتشبّعُ بما لم يُعْطَهُ كلابس ثَوْبَيْ زُور».

«الدَّالُّ على الخير كفاعله».

«لو توكلتم على الله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خِمَاصًا وتروح بطانًا».

«وعدُ المؤمن كالأخذ باليد».

«مَثَلُ المؤمن كالنحلة، لا تأكلُ إلا طيّبًا ولا تُطعِم إلا طيّبًا».

«مَثَل المؤمن كالسُّنْبُلَةِ تميلُ أحيانًا، وتعتدِلُ أحيانًا».

«مَثَل الجليس الصالح كالعطّار، إن لم تصبْ من عطرِهِ أصبتَ من ريحه، ومثل الجليس السوء كالكِير[٢] إن لم يحرق ثوبك آذاك بدُخَانه».

(١) الشرج: من شرج الشيء: أي أدخل بعض عُراه في بعض والعيبة: الوعاء في جلد.
(٢) الكير: كير الحداد، وهو عبارة عن زق أو جلد غليظ ذو حافات، ينفخ فيه الحداد. «لسان=

«علمٌ لا ينفع كنز لا ينفق منه».

وقال: «المؤمن مِرْآةُ أخيه».

«قد جَدَعَ الْحَلالُ أنْفَ الغَيْرَة».

«الأعمال بالنيّات ولكل امرىء ما نوى».

«نيّة المرء خيرٌ من عمله».

«إن من الشِّعْر لحكمةً وإن من البيان لَسحْرًا».

«من كثّر سوادَ قومٍ فهو منهم».

«الأعمال بخواتمها».

«ساقي القوم آخرهم شربًا».

«المرء على دِين خليله فلينظر امرؤ مَنْ يَخَالّ».

«المستشير معان والمستشار مؤتمن».

ومن كلام أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه

إن الله قرنَ وعده بوعيده.

ليست مع العَزاء مصيبة.

الموت أهون مما بعده وأشدّ مما قبله.

ثلاث مَن كنّ فيه كنّ عليه: البغي، والنَّكْثُ، والمَكْر.

ذلَّ قومٌ أسندوا أمرهم إلى امرأة.

احرصْ على الموت توهبْ لك الحياة؛ قاله لخالد بن الوليد حين بعثه إلى أهل الرّدّة.

كثيرُ القولِ يُنسي بعضُه بعضًا، وإنما لك ما وعى عنك.

لا تكتم المستشارَ خبرًا فتُؤتَى من قِبَل نفسك.

خير الخَصْلتين لك أبغضهما إليك.

صنائِعُ المعروفِ تقي مَصارِعَ السوءِ.

= العرب ٥/ ١٥٧».

ومن كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

مَنْ كتم سِرَّه كان الخِيارُ في يده.

أشقى الوُلَاة من شَقِيتْ به رَعِيَّته.

اتقوا مَنْ تَبْغَضُه قلوبُكم.

أعقلُ الناس أعذَرُهُم للناسِ.

اجعلوا الرأسَ رأسين.

أخيفوا الهوامّ قبل أن تخيفكم.

لو أن الشكرَ والصبْرَ بِعَيران لما باليت أيهما رَكِبتُ.

مَنْ لم يعرِف الشرّ كان أجدَرَ أن يقع فيه.

ما الخمرُ صِرْفًا بأذهبَ للعقول من الطمع.

إلى الله أشكو ضعف الأمين وخيانة القويّ.

اقتصاد في سُنَّة خيرٌ ما اجْتهادٍ في بِدْعة.

لا يكن حبُّك كَلَفًا، ولا بُغْضُك تَلَفًا.

ومن كلام عثمان بن عفان رضي الله عنه

ما يزَعُ[1] اللهُ بالسلطان أكثرُ مما يَزَعُ بالقرآن.

الهدية من العامل إذا عُزِل، مثلها منه إذا عُمِل.

أنتم إلى إمام فعَّال، أحوجُ منكم إلى إمام قوّال؛ قاله يوم صعد المنبر فأرْتَج عليه.

وقال يوم قُتل: لأن أُقْتَل قبل الدماء، أحبُّ إليّ من أن أُقْتَل بعد الدماء.

ومن كلام عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه

مَن رضي عن نفسه كثرَ الساخطُ عليه؛ ومن ضيَّعهُ الأقربُ أُتِيحَ له الأبعدُ؛ ومن بالغَ في الخصومةِ أَثِمَ، ومن قصَّرَ فيها ظَلَم.

---

(١) يزع: يقال: وزع يزع وزعًا: كفّ ومنع.

رأيُ الشيخِ خيرٌ من مشهدِ الغلام.

الناس من خوف الذلّ في الذلّ.

إن من السكوت ما هو أبلغُ من الجواب.

ومن كلام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

لكلِّ داخلٍ دهشةٌ فابدؤوه بالتحية؛ ولكل طاعمٍ حشمةٌ فابدؤوه باليمين.

ومن أمثال العرب ما نقلته من كتاب «الأمثال» للميدانيّ. والميداني: هو أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميدانيّ النيسابوريّ ـ والميدانيّ: بفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الدال المهملة نسبة إلى ميدانِ زياد، وهي محلةٌ بنيسابور؛ توفي سنة تسعٍ وثلاثينَ وخمسمائة ووضعتهُ على حروف المعجم.

فمن ذلك ما جاء منها على حرف الهمزة:

حرف الهمزة

تقول العرب: «إنَّ المُوَصَّيْنَ بَنُو سَهْوَان» قال الميدانيّ: يُضرَب لمن يسهو عن طلب شيء أُمِرَ به، وبنو سهوان: بنو آدم عليه السلام حين عهد إليه فسَها ونسي.

وقولهم: «إنَّ الرَّثِيئَةَ تَفْثَأُ الغضبَ» قال: الرثيئة: اللبنُ الحامضُ يخلط بالحلو؛ والفَثْءُ: التسكين؛ وزعموا أن رجلًا نزل بقوم وكان ساخطًا عليهم، وكان جائعًا فسقوه الرثيئة فسكن غضبُه، فقال هذا المثلَ: يُضرب في الهدية تورثُ الوفاقَ.

وقولهم: «إن الحديدَ بالحديد يُفْلَح» أي يستعانُ في الأمر الشديد بما يشاكله ويقاويه.

وقولهم: «إن السلامةَ منها تَرْكُ ما فيها» في اللُّقَطَة وذمّ الدنيا.

[من مخلع البسيط]

والنفس تَكْلَفُ بالدنيا وقد علمتْ أن السلامةَ منها تركُ ما فيها

وقولهم: «إن العَصَا من العُصَيَّةِ» يقال: إن أوّلَ من قال ذلك الأفعَى الجرهميّ[1]، ذلك أن نزارًا لما حضرته الوفاة جمع بنيه: مضر، وإيادًا، وربيعة،

---

(١) الأفعى الجرهمي: حكيم جاهلي قديم كان معاصرًا لنزار (أبي ربيعة ومضر) وكان منزله بنجران، =

وأنمارًا، فقال: يا بنيّ! هذه القبة الحمراء ـ وكانت من أدم[١] ـ لمضر؛ وهذه الفرس الأدهم والخباء الأسود لربيعة؛ وهذه الخادم ـ وكانت شمطاء ـ لإياد؛ وهذه البدرة والمجلس لأنمار، فإن أشكل عليكم كيف تقسمون، فأتوا الأفعَى الجرهميّ ومنزلُه بنجران[٢]؛ فتشاجروا في ميراثه، فتوجهوا إليه، فبينما هم في سيرهم إذ رأى مضرُ أثر كلأٍ قد رعى، فقال: إن البعيرَ الذي رعى هذا أعور؛ وقال ربيعةُ: إنه لأزور[٣]، وقال إياد: إنه لأبتر[٤]، وقال أنمار: إنه لشرودٌ، فساروا قليلًا، فإذا هم برجل يوضع حملهُ فسألهم عن البعير، فقال مضر: أهو أعور؟ قال: نعم، وقال ربيعة: أهو أزور؟ قال: نعم، وقال إياد: أهو أبتر؟ قال: نعم، وقال أنمار: أهو شرود؟ قال: نعم، هذه والله صفة بعيري، فدلوني عليه، فقالوا: والله ما رأيناه، فقال: هذا واللهِ الكذبُ كيف أصدّقكم وأنتم تصفونَه بصفته؟ فساروا حتى قدموا نجرانُ؛ فلما نزلوا، نادى صاحب البعير، هؤلاء أصحاب جملي وصفوا لي صفته ثم قالوا: لم نره؛ فاختصموا إلى الأفعى، فقال لهم: كيف وصفتموه وأنتم لم تروْه؟ فقال مضر: رأيته قد رعى جانبًا وترك جانبًا، فعلمت أنه أعور؛ وقال ربيعة: رأيت إحدى يديه ثابتة والثانية فاسدة، فعلمت أنه أزور لأنه أفسدها بشدّة وطئه؛ وقال إياد: عَرَفت أنه أبتر باجتماعِ بعره ولو كان ذيّالًا[٥] لمصع به؛ وقال أنمار: عَرفت أنه شرود، لأنه يرى في المَكان الملتفّ نبتُه ثم يجوزه إلى مكان أرقّ منه؛ فقال الأفعى: ليسوا بأصحاب جملك فاطلبه، ثم سألهم: من أنتم؟ فأخبروه بخبرهم، وبما جاؤوا له، فأكرمهم، وقال: أتحتاجون إليّ وأنتم كما أرى؟ ثم أنزلهم وذبح لهم شاة، وأتاهم بخمر؛ وجلس لهم الأفعى بحيث لا يُرى؛ فقال ربيعة: لم أرَكَ اليوم أطيب لحمًا لولا أن شاتَه غذيت بلبن كلبة؛ وقال مضر: لم أر كاليوم أطيب خمرًا لولا أن حَبَلته نبتت على قبر؛ فقال إياد: لم أرَ كاليوم رجلًا

= تقصده العرب في قضاياها فيحكم بينها ولا يُرد حكمه. «الأعلام للزركلي ٢/ ٥، والكامل في التاريخ ١/ ٣١ و٣٢».

(١) الأدم: الجلد المدبوغ، وقيل: الجلد الأحمر. «لسان العرب ١٢/ ٩».

(٢) نجران: في مخاليف اليمن من ناحية مكة. «معجم البلدان ٥/ ٢٦٨».

(٣) أزور: من «زور»: مال، وعنق أزور: مائل. «لسان العرب ٤/ ٣٣٤».

(٤) أبتر: البتر: استئصال الشيء قطعًا والانبتار: الانقطاع ـ والأبتر: المقطوع الذنب من أي موضع كان من جميع الدواب. «لسان العرب ٤/ ٣٧».

(٥) ذيالاً: الذيال من الخيل: المتبختر في مشيه كأنه يسحب ذيل ذنبه. «لسان العرب ١١/ ٢٦٠». مصع: المصْع: التحريك ـ وقيل هو عدْوٌ شديد يحرك فيه الذنب ـ ومرَّ يمصع: أي يسرع. «لسان العرب ٨/ ٣٣٧».

أسرَى لولا أنه ليس لأبيه الذي يدعى له؛ فقال أنمار: لم أر كاليوم كلامًا أنفع في حاجتنا من كلامنا، وكلامهم بإذنه، فدعا قهرمانة، فقال: ما هذه الخمر، وما أمرها؟ قال: هي من حُبْلة غرستها على قبر أبيك؛ وقال للراعي: ما هذه الشاة؟ فقال: هي عناق[1] أرضعتها بلبن كلبة وكانت أمّها ماتت؛ ثم أتى أمّه، فقال: اصدقيني، مَنْ أبي؟ فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال وكان لا يولد له، فخفتُ أن يموت وليس له ولد، فأمكنت من نفسي ابن عمّ له كان نازلًا عليه فولدتك، فرجع إليهم وقال: ما أشبه القبةَ الحمراءَ من مال نزار فهو لمضر، فذهب بالإبل الحمر والدنانير، فسمّيت: مضر الحمراء، وأما صاحبُ الفرس الأدهم والخباء الأسود فله كل شيء أسود، فصار لربيعة الخيلُ الدُّهْمُ وما شاكلها، فقيل: ربيعة الفرس. وأما الخادم الشمطاء فلصاحبها الخيلُ البُلْق[2] والماشية، فسميت: إياد الشمطاء، وقضى لأنمارَ بالدراهم والأرض فصدروا من عنده على ذلك، فقال الأفعى: إن العصا من العصيّة، وإنّ خُشَينًا من أخشن؛ فأرسلهما مثلًا.

وقولهم: «إن العَوانَ[3] لا تُعَلَّم الْخِمرة»: يضرب للرجل المجرّب.

وقولهم: «إني لآكلُ الرأسَ وأنا أعلمُ بما فيه»: يضرب للأمر تأتيه وأنت تعلم ما فيه مما تكره.

وقولهم: «أنفٌ في السماء، وأستٌ في الماء»: يضرب للمتكبر الصغير الشأن.

وقولهم: «إن الذليل الذي ليست له عَضُد» أي أنصار وأعوان: يضرب لمن يخذُلُه ناصرُه.

وقولهم: «إنْ يَدْمَ أَظَلُّكَ فقد نَقِبَ خُفيّ» الأظل: ما تحت مَنْسِم البعير: والخفّ: قائمته: يضربه المشكو إليه للشاكي أي أنا منه في مثل ما تشكوه.

وقولهم: «إن تسلم الجِلَّةُ فالنِّيبُ هَدَر» الجِلَّةُ: جمع جليل يعني العظام من الإبل، والنهب: جمع ناب وهي الناقة المسنّة؛ معناه إذا سلم ما ينتفع به هان ما لا ينتفع به.

---

(١) عَناق: الأنثى من المعز ـ والجمع أعنق وعنق وعنوق. «لسان العرب ١٠/ ٢٧٤».
(٢) الخيل البلق: الفعل بلِق يبلَق بلَقًا ـ والبلق: سواد وبياض. «لسان العرب ١٠/ ٢٥».
(٣) العوان: من البقر وغيرها، النصف في سنها ـ وقيل العوان: من البقر والخيل التي نتجت بعد بطنها البكر. «لسان العرب ١٣/ ٢٩٩».

وقولهم: «إنْ يَبْغِ عليك قومُك لا يبغِ عليك القمر» يقال: إن بني ثعلبة بن سعد في الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر ليلَةَ أربع عشرة، فقالت طائفة: تطلعُ الشمس والقمر يُرى، وقالت طائفة: بل يغيب قبل طلوعها، فتراضوا برجل جعلوه بينهم، فقال رجلٌ منهم: إن قومي يبغون عليّ، فقال العدل: إن يبغِ عليك قومك لا يبغِ عليك القمرُ؛ فذهبت مثلًا: يضرب للأمر المشهور.

وقولهم: «إنْ كنتَ رِيحًا فقد لَاقَيْتَ إِعْصَارًا» الإعصار: ريح شديدةٌ تهبّ فيما بين السماء والأرض: يضرب للمدل بنفسه إذا صُلِيَ بمن هو أدهى منه وأشد.

وقولهم: «إنَّكَ خيرٌ من تَفَارِيقِ العَصَا» قالوا: قالته غُنَيَّة الأعرابية لابنها، وكان عارمًا مع ضعفه، فواثب يومًا فتى فقطع أذنه فأخذت ديَّتها، فزادت حُسنَ حلٍ ثم واثب آخر فقطع شفته فأخذت الديَّةَ فذكرته في أرجوزتها فقالت: [من المجتث]

أَحْـلِفُ بـالْمَـرْوَةِ حـقًّـا والـصَّـفَـا إنـك أجـدى مـن تَـفَـاريـق الـعَـصَـا

فقيل لأعرابي: ما تفاريقُ العصا؟ فقال: العصا تقطع ساجورًا[1] والسواجير للكلاب والأسرى من الناس ثم تقطع عصا الساجور فتصير أوتادًا ويقطع الوتد فيصير كلُّ قطعةٍ شِظِاظًا وإن جعل لرأس الشظاظا كالفَلْكة صار للبُختي[2] مِهَارًا وهو العود الذي يدخل في أنفه، وإذا فرق المهار جاءت منه تَوَادٍ وهي الخشبةُ التي تشدّ على خِلْف الناقة.

وقولهم: «إنَّهُ لَيَعلَمُ من أينَ تُؤْكَلُ الكَتِفُ»: يضرب للرجل الداهي؛ قال بعضهم: لِمَ تُؤكلُ الكتف من أسفلها؟ قال: لأنها تنقشر عن عظمها وتبقى المرقة مكانها ثابتة.

وقولهم: «إنَّكَ لا تَجْنِي من الشَّوْكِ العِنَب» أي لا تجد عند ذي الْمَنبِت السوء جميلًا؛ والمثل من قول أكثم[3] قال: إذا ظلمت فاحذرِ الانتصار، فإن الظلمَ لا يكسبك إلا مثلُ فعلك.

---

(١) ساجورًا: الساجور هو الخشبة التي توضع في عنق الكلب. «لسان العرب ٤/٣٤٧».

(٢) البختي: أعجمي معزب، وهي الإبل الخراسانية، والبختية: الأنثى من الجمال البُخت، وهي جمال طوال الأعناق. «لسان العرب ٢/٩».

(٣) أكثم بن صيفي التميمي: حكيم العرب في الجاهلية، وأحد المعمرين، أدرك الإسلام، وقصد المدينة المنورة في مئة من قومه يريدون الإسلام، فمات في الطريق سنة ٥٩ ـ ٦٣٠ م، ولم ير النبي. «الأعلام للزركلي ٢/٦».

وقولهم: «أَخُو الظَّلْمَاء أعْشَى بالليل»: يضرب لمن يخطىء حجتَه ولا يبصر المخرجَ مما وقع فيه.

وقولهم: «إنَّكَ لَتُكْثِرُ الحَزَّ وتُخْطِىء الْمَفْصِل»: يضرب لمن يجتهد في السعي ثم لا يظفر بالمراد.

وقولهم: «أوّل الشجرة النّواة»: يُضرب للأمر الصغير يتولد منه الكبير.

وقولهم: «إذا صاحت الدّجاجة صِياح الدِّيك فلْتُذْبَح» قاله الفرزدق في امرأة قالت الشعر.

وقولهم: «إذا رآني رأى السِّكين في الماء»: يضرب لمن يخافك جدًّا.

وقولهم: «إنك ريّان فلا تعجلْ بشربك»: يضرب لمن أشرف على إدراك بغيته فيؤمر بالرفق.

وقولهم: «أبْطَشُ مِنْ دَوْسَر» هي إحدى كتائب النعمان أشدُّها بطشًا ونكاية؛ قال بعض الشعراء: [من الرمل]

ضَرَبَتْ دَوْسَرُ فيهم ضَرْبَةً ... أثبتتْ أوتادَ مُلْكٍ فاستَقَرْ

وقولهم: «أَبَرَمًا قَرُونًا» البَرَمُ: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر لبخله، والقَرُون: الذي يقرن بين الشيئين؛ وأصله أن رجلًا كان لا يدخل في الميسر ولا يرى اللحمَ فجاء إلى امرأته وبين يديها لحمٌ تأكله فأقبل يأكل معها بضعتين يقرنُ بينهما فقالت له: أَبَرَمًا قَرُونًا: يضرب لمن يجمع بين خَصْلَتين مكروهتين.

وقولهم: «الثَّيِّبُ عُجَالة الراكب»: يضرب في الحث على الرضا بيسير الحاجة عند إعواز جليلها:

وقولهم: [من الرّجز]

اِلْبَسْ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا ... إمّا نَعِيمَهَا وإمَّا بُوسَهَا

أوّل من قال ذلك بَيْهس: وهو رجل من بني غراب بن فَزارة، كان سابع سبعة إخوة، فأغار عليهم أناس من بني أشجع، وهم في إبلهم فقتلوا منهم ستة وتركوا بيهسًا لحمقه فقال: دعوني أتوصلُ معكم إلى أهلي فأقبل معهم، فلما كان من الغد نحروا جزورًا في يوم شديد الحرّ، فقال بعضهم: أظلّوا لحمكم لا تفسدُه الضِّح[1]،

(١) الضّح: الشمس، وقيل هو ضوؤها ـ وفي الحديث الشريف: «لا يقعدنَّ أحدكم بين الضح=

فقال بيهس: لكن بالأَثَلَاث[١] لحم لا يُظلَّل، فأرسلها مثلًا؛ ثم فارقهم وأتى أمه فأخبرها الخبر فقالت: ما جاء بك من بين إخوتك وأنت أخبثُهم، فقال: ما خَيَّرِك القومُ فتختاري، فأرسلها مثلًا؛ ثم أعطته ثيابَ إخوته ومتاعَهم، فقال: يا حبذا التراثُ لولا الذِّلة، فأرسلها مثلًا؛ وأخذ يومًا يَبْرِمُ سكينًا، فقيل له: ما تصنع بها؟ فقال: أقتل بها قتلةَ إخوتي، فقيل له: إنك لأحمقُ، فقال: ما يؤمنك من أحمقٍ في يده سكينُ، فأرسلها مثلًا؛ ثم إنه مرّ بنسوة من قومه يصلحن امرأة يردن أن يهدينَها لبعض قتلة إخوته فكشف ثوبَه عن استه وغطى به رأسه، فقيل له: ما تصنع؟ فقال: [من الرّجز]

الْبَسْ لكلِّ حالةٍ لبوسَها إمّا نعيمَها وإمّا بُوسَها

وقولهم: «الصيفَ ضيَّعْتِ اللبن» قال الأصمَعيّ[٢]: معناه تركت الشيء في وقته؛ وقال غيره: تركت الشيء وهو ممكن، وقال أبو عبيدة[٣]: أوّل من قاله عمرو بن عُدَس، وكان قد تزوّج دَخْتَنُوس بعدما كبر، فكان ذات يوم نائمًا في حجرها فجَخَفَ[٤] وسال لعابه فتأفقته فانتبهَ وهي تتأففُ منه، فقال: أتحبين أن أطلّقك؟ قالت: نعم، فطلقها، وتزوّجها فتى ضريرٌ حسنُ الوجه، ففجأتهم ذات يوم غارةٌ والفتى نائم فجاءت دَخْتَنوس فأنبهته وقالت له: الخيلُ، فجعل يقول: الخيلُ الخيلُ، من الخوف حتى مات فَرَقًا وسُبِيتْ دختنوسُ فبلغ عمرو الخبرَ فركب ولحقهم وقاتل حتى استنقذَ جميعَ ما أخذوا واستنقذها فوضعها قدّامهُ على السرج وردّها إلى أهلها، ثم أصابتهم سنةٌ فبعثت إليه تقول: نحتاج اللبنَ فبعث إليها بلقحة[٥] وقال: الصيف ضيّعت اللبن.

= والظل فإنه مقعد الشيطان». «لسان العرب ٢/ ٥٢٤».

(١) الأثلاث: صنف من الطرفاء كبير يظلل بفيئه مائة نفس ـ والطرفاء نوع من الشجر. «اللسان ٩/ ٢٢٠، ومعجم البلدان ١/ ٩١».

(٢) الأصمعي: عبد الملك بن قريب بن أصمع الباهلي، عالم بالشعر والمعاني وعلم الأنساب والنحو، كان يكنى أبا سعيد، توفي بالبصرة سنة ٢١٧ هـ، وقيل ٢١٣ هـ، من كتبه خلق الإنسان، كتاب الأجناس، الصفات، السلاح، كتاب معاني الشعر، كتاب الألفاظ، كتاب النبات والشجر الخ. «الفهرست لابن النديم ص ٨٢».

(٣) أبو عبيدة: معمر بن المثنى التيمي، كان يرى رأي الخوارج، ولما مات لم يحضر جنازته أحد لأنه لم يسلم منه شريف ولا غيره، له كتاب المثالب، كان غليظ اللثغة وله علم الإسلام والجاهلية وهو أعجمي الأصل ولد سنة ١١٤ هـ وتوفي ٢١٠ هـ، وله من الكتب مجاز القرآن، كتاب معاني القرآن وكتاب الديباج وغير ذلك. «الفهرست لابن النديم ص ٧٩».

(٤) جخف: تكبر ـ وجخيفه: غطيطه في النوم ـ وجخف النائم: نفخ. «لسان العرب ٩/ ٢٢».

(٥) اللقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن.

وقولهم: «اضْطَرَّهُ السَّيْلُ إلى مَعْطَشِه» وهو أن رجلًا عطش وكان قد أتى واديًا له غور وماءٌ شديدُ الجرية، فبقي في أصل شجرة لا يقدر أن ينزل فيأخذ به الماء، ولم يجد ماء فمات عطشًا: يضرب لمن ألقاه الخير الذي كان فيه إلى شرّ.

وقولهم: [من الرّجز]

إنّ الـحَـمَـاةَ أُولِعَـتْ بـالـكَـنَّـهْ وأُولِعَـتْ كَـنَّـتُـهـا بـالـظِّـنَّـهْ

الحماة: أمُّ الزوج؛ والكَنّة: امرأة الابن والأخ؛ والظِّنّة: التهمة؛ وبين الحماة والكنة عداوةٌ مُستحكِمَةٌ: يُضرب بها المثل في الشر يقع بين قوم هم أهلٌ لذلك.

وقولهم: «إن لله جنودًا منها العَسَل» قاله معاوية: لما بلغه أن الأشتر[(١)] سُقي عسلًا فيه سمٌّ فمات: يضرب عند الشماتة بمصاب العدوّ.

وقولهم: «إن الهوى لَيميلُ بأَسْتِ الراكِب» أي من هوى شيئًا مال نحوه قبيحًا أو جميلًا، كما قيل: [من الطويل]

وما زُرْتكم عَمْدًا ولكنَّ ذا الهوى إلى حيثُ يَهْوى القلبُ تهوِي به الرِّجْلُ

وقولهم: «إن الجَوَادَ قَدْ يَعْثُر»: يُضرب لمن يكون الغالبَ عليه فعلُ الجميل ثم تكون منه الزلَّة.

وقولهم: «إن الشفيقَ بسوء ظنّ مُولَع»: يُضرب للمعنيّ بشأن صاحبه لأنه لا يكاد يظن به غير وقوع الحوادث كظنون الوالداتِ بالأولاد.

وقولهم: «إن خَصْلتين خيرُهما الكذب لَخَصْلَتَا سُوءٍ»: يضرب للرجل يعتذر من شيءٍ فعله بالكذب.

وقولهم: «أحاديثُ طَسْمٍ[(٢)] وأحلَامُها»: يضرب لمن يخبرك بما لا أصل له.

وقولهم: «أحَشَفًا[(٣)] وسُوءَ كِيلَةٍ»: يضرب لمن يجمع بين خَصْلتين مكروهتين.

---

(١) الأشتر: مالك بن الحارث النخعي المعروف بالأشتر، أمير من كبار الشجعان، كان رئيس قومه، أدرك الجاهلية، سكن الكوفة، وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها، شهد يوم الجمل وأيام صفين قائدًا في جيش علي، ولاه الإمام علي «مصر» فقصدها، إلا أنه توفي على الطريق بسم دس له، له شعر جيد، توفي سنة ٣٧ هـ ـ ٦٥٧ م ـ «الأعلام للزركلي ٥/ ٢٥٩».

(٢) طسم: قبيلة من عاد كانوا فانقرضوا، وقيل: طسم وجديس: وهما قومٌ من أهل الزمان الأوّل. «اللسان مادة طسم».

(٣) الحشف: اليابس الفاسد من التمر، وقيل الضعيف الذي لا نوى له. «لسان العرب ٩/ ٤٧».

وقولهم: «الحق أبْلَج، والباطلُ لَجْلَج»: معناه أن الحق واضح بيّنٌ والباطل يتلجلج فيه أي يتردّد فلا يجدُ صاحِبُه مخرجًا.

وقولهم: «الحزمُ سُوءُ الظَّنّ بالناس»: هذا المثل قاله أكثم بن صيفيّ.

وقولهم: «اختلط الخاثِرُ بالزُّبّادِ». الخاثر: ما خثر من اللبن، والزُّبّاد: الزّبد: يضرب للقوم يقعون في التخليط من أمرهم.

وقولهم: «أخطأتِ اسْتُه الحُفْرة»: يضرب لمن رامَ شيئًا فلم ينله.

وقولهم: «ادعُ إلى طِعَانِكَ، مَن تدعوه إلى جِفَانِك» أي استعمل في حوائجك من تخصّه بمعروفك.

وقولهم: «أَرَوَغانًا يا ثُعالُ، وقد عَلِقتَ بالحبالِ» ثعالة: الثعلب: يضرب لمن يراوغ وقد وجب عليه الحقُّ.

وقولهم: «إرْمِ فَقَدْ أَفَقْتَهُ مَرِيشًا» يقال: أفقتُ السهمَ إذا وضعت فُوقَه في الوتر: يضرب لمن تمكّن من طَلِبَته.

وقولهم: «أَضَرِطًا وأنت الأعلى؟» قاله سُلَيك بن سُلَكة السعديّ[(١)]، وذلك أنه بينا هو نائم إذ جثم عليه رجل من الليل وقال: استأسِر فقال له سليك: الليلُ طويل وأنت مقمرٌ، فأرسلها مثلًا: ثم ضمه سليك بيديه ضمَّة أضرطته، فقال له: أَضَرِطًا وأنت الأعلى فأرسلها مثلًا: يضرب لمن يشكو في غير موضع الشكوى.

وقولهم: «أضْلَلْتَ من عَشْرٍ ثَمَانِيًا»: يضرب لمن يفسدُ أكثرَ ما يليه من الأمر.

وقولهم: «أَعْطِ أخاكَ تمرة، فإن أبَى فجمرة»: يضرب لمن يختارُ الهوان على الكرامة.

وقولهم: «أَكْذِبِ النَّفْسَ إذا حَدَّثْتَها» معناه لا تحدّثْ نفسك بأنك لا تظفر، فإن ذلك يثبّطك. قال لبيد: [من الرّمل]

أَكْـذِبِ الـنـفـسَ إذا حـدَّثـتـهـا ... إنّ صدقَ النفسِ يُزْرِي بـالأَمَـلْ

وقولهم: «أَكِبْرًا وإِمْعَارًا؟» أي أتجمع بين الكِبر والفقر.

(١) سليك بن سلكة السعدي: والسلكة أمه، فاتك عداء، شاعر أسود، من شياطين الجاهلية، يلقب بالرئبال، كان أدل الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها، وهو من كبار الصعاليك، له وقائع وأخبار كثيرة، توفي سنة ١٧ ق.هـ = ٦٠٥ م. «الأعلام للزركلي ٣/ ١١٥».

وقولهم: «أَمَكْرًا وأنت في الحَدِيد؟» هذا المثل قاله عبد الملك بن مروان لعمرو بن سعيد لما قبض عليه وكبّله، فقال: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن لا تفضَحني بأن تخرجني للناس فتقتلني بحضرتهم فافعلْ، وإنما أراد عمرو بهذه المقالة أن يخالفه عبد الملك فيخرجُه فيمنعه منه أصحابُه، فقال: أبا أمية! أمكرًا وأنت في الحديد: يضرب لمن أراد أن يمكر وهو مقهور.

وقولهم: «أَهْوَنُ هَالِكٍ عَجُوزٌ في هام سَنَةٍ»: يضرب للشيء يُستخفُّ به وبهلاكه.

قال الشاعر: [من الطويل]

وأهونُ مفقودٍ إذا الموتُ نابه على المرء من أصحابه مَن تَقَنَّعا

وقولهم: «أوسعتُهم سبًّا وأودَوْا بالإبل» أصله أن رجلًا من العرب أُغيرَ على إبله فأُخِذَتْ، فلما تواروا صعد أَكَمَةً وجعل يسُبُّهم ثم رجع إلى قومه فسألوه عن إبله، فقال هذا المثل.

ويقال: إن أوّل من قاله كعب بن زهير بن أبي سُلْمَى، وذلك أن الحارث بن ورقاء الصيداويّ أغار على بني عبد الله بن غطفان واستاق إبل زهير وراعيَه، فقال زهير في ذلك قصيدته التي أوّلها: [من البسيط]

بان الخليطُ ولم يأووا لمن تركوا وزوّدوك اشتياقًا أيَّةَ سلكوا

وبعث بها إلى الحارث فلم يردّ الإبل، فهجاه، فقال كعب ابنه: أوسعتهم سبًّا وأودوا بالإبل، فذهبت مثلًا: يضرب لمن لم يكن عندَه إلا الكلامُ.

وقولهم: «أَوْرَدَها سَعْدٌ وسَعْدٌ مشْتَمِل»: هو سعد بن زيد[1] مناة أخو مالك الذي يقال فيه: إنّك آبلُ من مالك، وذلك أن مالكًا تزوّج بامرأة وبنى بها فأورد الإبل أخوه سعدٌ ولم يحسن القيامَ عليها والرفق بها، فقال مالك: [من الرجز]

أَوْرَدَها سَعْدٌ وسَعْدٌ مشتمِل ما هكذا تورَد يا سَعْدُ الإبل

فضرب مثلًا لمن قصّرَ في طلب الأمر.

---

(١) سعد بن زيد: بن تميم، من عدنان، جد جاهلي، كانت منازل بنيه في يبرين ورمالها، ثم تفرقت بطون منهم بين قطر وعمان وأطراف البحرين إلى ما يلي البصرة، ونزل بعضهم في العراق. «الأعلام للزركلي ٣/ ٨٥».

وقولهم: «إن الشَّقيّ وَافِدُ البَراجم[١]» قاله عمرو[٢] بن هند الملك. وذلك أن سُوَيْد بن ربيعة التميميّ[٣] قتل أخاه سعد بن هند وهرب فنذر عمرو ليقتلنَّ بأخيه مائة من بني تميم، فسار إليهم بجمعه فلقيهم الخبر فتفرّقوا في نواحي بلادهم فلم يجد إلا عجوزًا كبيرة وهي حمراءُ بنت ضَمْرة، فلما نظر إليها قال: إني لأحسبُكِ أعجميةً، قالت: لا والذي أسأله أن يخفِض جَناحك، ويهدَّ عِمادك، ويضعَ وسادَك، ويسلبَكَ بلادك، ما أنا بأعجميةٍ، قال: فمن أنتِ؟ قالت: أنا بنت ضمرة بن جابر، ساد مَعدًّا كابرًا عن كابرٍ، وأنا أختُ ضمرةَ بن ضمرة، قال: فمن زوجُكِ؟ قالت: هَوْذَة بن جَرْوَل، قال: وأين هو الآن؟ أما تعرفين مكانه؟ قالت: لو كنتُ أعلمُ مكانه حال بيني وبينك، فقال عمرو: أما والله لولا أني أخاف أن تلدي مثل أبيك وأخيك وزوجك لاستبقيتك، فقالت: والله ما أدركتَ ثارًا، ولا مَحوتَ عارًا، مع كلام كثير كلّمته به فأمر بإحراقها، فلما نظرت إلى النار، قالت: ألا فَتًى مَكَانَ عَجوز! فذهبت مثلًا، ثم مكثت ساعة فلم يفِدها أحد، فقالت: هيهات صارتِ الفتيانُ حُمَمًا، فذهبت مثلًا ثم أُلقِيت في النار ولبث عمرو عامَّةَ يومه لا يقدر على أحد، حتَّى إذا كان آخر النهار أقبل راكبٌ يسمى عَمّارًا تُوضعُ به راحلته حتى أناخ إليه، فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا رجلٌ من البراجم، قال: فما جاء بك إلينا؟ قال: سطع الدُّخان وكنت طَوِيت منذ أيام وظننته طعامًا، فقال عمرو: إن الشقيّ وافدُ البراجم، فذهبت مثلًا وأمر به فَأُلقي في النار، قيل: إنه أحرق مائة من بني تميم: تسعة وتسعين من بني دارم، وواحدًا من البراجم.

وقال بعضهم: ما بلغنا أنه أصاب من بني تميم غير وافدِ البراجم وإنما أحرق النساءَ والصبيان؛ قال جرير: [من الطويل]

وأخزاكُم عمروٌ كما قد خُزيتُمُ وأدرك عَمّارًا شقيّ البَراجِمِ

---

(١) البراجم: مفاصل الأصابع، والبراجم هنا: أحياء من بني تميم تحالفوا على أن يكونوا كبراجم الأصابع في الاجتماع. «لسان العرب ١٢/٤٦».

(٢) عَمرو بن هند: ملك الحيرة في الجاهلية، عرف بنسبه إلى أمه هند عمة امرىء القيس الشاعر، تمييزًا له عن أخيه عمرو الأصغر، كان شديد البأس كثير الفتك، وفي أيامه ولد النبي محمد ﷺ واستمر ملكه خمسة عشر عامًا، قتله عمرو بن كلثوم الشاعر صاحب المعلقة أنفة وغضبًا لأمه وذلك سنة ٤٥ ق.هـ - ٥٧٨ م. «الأعلام للزركلي ٥/٨٦».

(٣) سويد بن ربيعة التميمي: فاتك جاهلي، قتل أخًا للملك عمرو بن هند، فأحرق الملك فئة من بني تميم انتقامًا. «الزركلي ٣/ ١٤٥».

ولذلك عُيِّرت بنو تميم بحب الطعام؛ قال الشاعر: [من الوافر]

إذا ما مات مَيْتٌ من تميمٍ وسرّكَ أن يعيشَ، فجيء بزادِ
بخُبْزٍ أو بلحمٍ أو بتمرٍ أو الشَّيءِ المُلفّف في البِجادِ[1]
تراه يُنَقِّب الآفاقَ حولًا ليأكلَ رأسَ لقمانَ بن عادِ

وهذا المثل يضرب لمن يوقع نفسه في هَلَكَة طمعًا.

حرف الباء

تقول العرب: «بلغَ السيلُ الزُّبَى» هي جمع زُبية وهي حفرةُ تُحفر للأسد إذا أرادوا صيدَه لا يعلوها الماء فإذا بلغَها السيلُ كان مجحفًا: يضرب لمن جاوز الحدّ.

وقولهم: «بَيْنَ العَصَا ولِحَائِها» اللحاء: القشر: يضرب للمتخالّلين المتفقين؛ ويروى: لا مدخلَ بين العصا ولحائها.

وقولهم: «بينهم داءُ الضرائر» هي جمع ضَرَّة يضرب للعداوة إذا رسخت بين قوم.

وقولهم: «بينهم عِطْرُ مَنْشِم» قال الأصمعِيّ: مَنْشِم كانت عطارة بمكةَ وكانت خُزاعة وجُرْهُم إذا أرادوا القتّال تَطَيّبوا من طِيبها فإذا فعلوا ذلك كثرت بينهم القتلى فكان يقال: أشأمُ من عطر منشم: يضرب في الشرّ العظيم، وفيه يقول زهير: [من الطويل]

تَدَارَكْتُما عَبْسًا وذُبيَان بعد ما تَفَانَوْا ودَقُّوا بينهم عِطْرَ مَنْشِم

وقولهم: «به داءُ ظَبْيٍ»: أي أنه لا داءَ به كما أن الظبي لا داءَ به، وقيل: ربما يكون بالظبي داءٌ لا يعرف مكانهُ معناه أنّ به داءً لا يُعرف.

وقولهم: «بلغتِ الدِّمَاءُ الثُّنَنَ» الثُّنَةُ، الشعَرَاتُ التي في مؤخّر رُسغ الدابّة: يضرب عند بلوغ الشرّ النهاية.

وقولهم: «بَرِحَ الخَفَاءُ» أي زال من قولهم ما برح، والمعنى زال الشرُّ فوضحَ الأمرُ، ويقال: الخفاءُ المتطأطىء من الأرض، والبَراح المرتفع أي صار الخفاء بَراحًا.

---

(١) البجاد: كساء مخطط من أكسية الأعراب والجمع بُجد. «لسان العرب ٣/ ٧٧».

وقولهم: «بَنَانُ كفٍّ لَيْسَ فيها ساعِدُ»: يضرب لمن له هِمةٌ ولا مقدرةَ له على ما في نفسه.

وقولهم: «بات فلانٌ يَشْوِي القَرَاح»: يعني الماء الخالص لا يخالطه شيء: يُضرب لمن ساءت حالُه، وفقد مالَه بحيثُ يشوي الماء شهوةً للطبيخ.

وقولهم: «بَخٍ بَخٍ ساقٌ بخَلْخَالٍ» هي كلمة يقولها المتعجب من حسن الشيء وكماله. وأوّل منَ قالَ ذلك الوِرْثَةُ بنتُ ثعلبة، وذلك أنّ ذُهل بن شيبان[1] كان زوجَ الوِرثة وكانت لا تتركُ له امرأة إلا ضربتها فتزوّج رَقَاشَ بنت عمرو بن عثمان من بني ثعلبة، فخرجت رقاشُ يومًا وعليها خَلْخَالان، فقالت الوِرْثَةُ ذلك، فذهبت مثلًا.

حرف التاء

قولهم: «تَرَكَ الظَّبْيُ ظِلَّه» أي كناسه الذي يستظلّ به: يضرب لمن نفر من شيء فتركه تركًا لا يعودُ له.

وقولهم: «تركتُه على مثلِ ليلة الصَّدَرِ» وهي ليلةَ ينفرُ الناسُ من مِنًى فلا يبقى منهم أحد.

وقولهم: «تركتُه أنقى من الرَّاحَة»: أي على حال لا خيرَ فيه كما لا شعرَ على الراحة: يضرب في اصطلام الدهر.

وقولهم: «تَجُوعُ الحُرّةُ ولا تأكلُ بثَدْيَيْهَا»: أي لا تكون ظِئرًا[2] وإن آذاها الجوع.

أوّل من قاله الحارث بن سليل الأسديّ وكان حليفًا لعلقمةَ بن حصفة الطائيّ فزاره فنظر إلى ابنته الزَّبّاء وكانت من أجملِ أهل دهرها، فقال: أتيتُكِ خاطبًا وقد يُنْكَح الخاطبُ، ويُدْرَك الطالبُ، ويُمْنَح الراغبُ، فقال له علقمة: أنت كُفءٌ كريمٌ يُقْبَلُ منك الصفوُ، ويؤخَذُ منك العفوُ، فأقِمْ نَنظرْ في أمرك، ثم انكفأ إلى أمها، فقال: إن الحارثَ سيّدُ قومه حسبًا ومنصِبًا وبيتًا، وقد خطب إلينا الزبّاء فلا ينصرفَنّ

---

(١) ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة، جد جاهلي، بنوه بطن من بكر بن وائل. «الأعلام للزركلي ٣/٨».

(٢) الظئر: العاطفة على غير ولدها المرضعة له من الناس والإبل، الذكر والأنثى في ذلك سواء. «لسان العرب ٤/ ٥١٤».

إلا بحاجته، فقالت المرأة لابنتها: أيُّ الرجالِ أحبُّ إليك الكَهْل الجَحْجَاح[١]، الواصل المناح، أم الفتى الوضاح؟ قالت: بل الفتى الوضّاح، فقالت: إن الفتى يُغِيرِك، وإن الشيخ يُمِيرِك[٢]، وليس الكهلُ الفاضلُ، الكثيرُ النائلُ، كالحديثِ السنّ، الكثيرِ المَنّ، قالت يا أماه: إن الفتاةَ تحبُّ الفتى، كحُبّ الرّعاء أنيق الكلا، قالت: أي بُنية! إن الفتى شديدُ الحجاب، كثير العتاب، قالت: إن الشيخ يُبْلي شبَابي، ويدنّس ثيابي، ويُشْمِت بي أترابي. فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها، فتزوّجها الحارث على مائة وخمسين من الإبل وخادمٍ وألف درهم، فابتنى بها، ثم رحل بها إلى قومه فبينا هو ذات يوم جالسٌ بفناء قومه وهي إلى جانبه، إذ أقبل شباب من بني أسد يعتلجون[٣] فتنفّست الصُّعَدَاءَ، ثم أرخت عينيها بالبكاء، فقال: ما يبكيك؟ قالت: ما لي وللشيوخ، الناهضين كالفروخ، فقال لها: ثَكِلَتْكِ أُمّك! تجوع الحرّة ولا تأكل بثدييها، ثم قال لها: وأبيك، لرب غارةٍ شهدتُها، وسبِيَّة أردفتُها، وخمرة شربتُها، فالحقي بأهلك فلا حاجةَ لي فيك، وهذا المثلُ يضرب في صيانة الرجل نفسَه عن خسيس المكاسب.

وقولهم: «تَجَشّأ لُقْمانُ من غير شِبعِ»: يضرب لمن يدّعي ما ليس يملك.

وقولهم: «تُخْبِر عن مجهوله مَرْآتُه»: أي منظرُه يخبرُ عن مَخبره.

وقولهم: «تشكو إلى غير مُصَمِّتٍ»: أي إلى من لم يهتم بشأنك. قال الشاعر: [من الرجز]

إنك لا تشكو إلى مُصَمِّتِ   فاصْبِر على الحِمْلِ الثقيل أَو مُتِ

وقولهم: «تجاوز الرَّوضَ إلى القاع القَرِق»: يضرب لمن يعدل بحاجته من الكريم إلى اللئيم، والقَرِق: المستوي.

وقولهم: «تسمع بالمُعَيْدِيّ خيرٌ من أن تَراه» ويروى: لا أن تراه: يضرب لمن خبره خيرٌ من مرآه، أوّل من قاله: المنذر بن ماء السماء[٤].

---

(١) الجحجاح: السيد السمح الكريم، ولا توصف به المرأة، وجحجحت المرأة: أي جاءت بجحجاح. «لسان العرب ٢/ ٤٢٠».

(٢) يميرك: من مار يميرُ ميرًا، يقال: يمير عياله: أي يأتيهم بالميرة أي الطعام والمؤونة.

(٣) يعتلجون: يقال: المتلج القوم: اقتتلوا وامطرعوا.

(٤) المنذر بن ماء السماء: ثالث المناذرة ملوك الحيرة، وما يليها من جهات العراق في الجاهلية، ومن أرفعهم شأنًا وأشدهم بأسًا، وماء السماء أمه، غَلَبَ «بليزار» أحد أبطال الروم في عهده، =

وقولهم: «تُقَطِّعُ أعناقَ الرجالِ المطامعُ»: يضرب في ذمّ الطمع.

وقولهم: «تَقَلّدها طَوْقَ الحمامة» كناية عن الخَصْلةِ القبيحةِ التي لا تُزايله ولا تفارقه.

حرف الثاء

قولهم: «ثارَ حابِلُهُم على نابلهم» الحابل: صاحب الحبالة، والنابل: صاحب النبل أي اختلط أمرهم: يُضرَب في فساد ذات البَيْن وتأريث الشرّ في القوم.

وقولهم: «ثَوْرُ كِلَابٍ في الرِّهان أَقْعَدُ»: هو كِلابُ بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة القيسي[١] كان يحمق، وذلك أنه ارتبط عجلَ ثورٍ ليسابق عليه، والأقعدُ من القَعِيد وهو المتخلف المتباطىء: يُضرَب لمن يروم ما لا يكون.

حرف الجيم

قولهم: «جَرْيُ المُذَكِّيَاتِ غِلَاب» المُذَكِّيَة من الخيل التي أتى عليها بعد قُروحها سَنَةٌ أو سنتان والغلَاب المغالبة: يضرب لمن يُوصف بالتبريز على أقرانه في حلبة الفضل؛ وأوّل من قاله نذكره إن شاء الله تعالى في حرب داحس والغبراء.

وقولهم: «جَزَاء سِنِمّار» وهو الذي بنى الخَوَرْنق وتقدّم خبره في مباني العرب.

وقولهم: «جَرَحَه حيث لا يَضَعُ الراقي أَنْفَه» قالته جندلةُ بِنتُ الحارث، وكانت تحت حنظلةَ بن مالك وهي عذراء، وكان حنظلةُ شيخًا كبيرًا فخرجت في ليلة مطيرة فبصرَ بها رجلٌ فوثب عليها وافتضّها، فصاحت وقالت: لُسِعْتُ. قيل أين؟ قالت: حيث لا يضعُ الراقي أنفه: يضرب لمن يقع في أمر لا حيلةَ له في الخروج منه.

= وكان له خيزتان من شعره، ويلقب بذي القرنين بهما، انتهى إليه ملك الميرة بعد أبيه سنة ٥١٤ هـ، وهو باني قصر الزوراء في الحيرة، وقيل هو صاحب يومي البؤس والنعيم، قتل سنة ٦٠ ق.هـ - ٥٦٤ م بعد معركة مع الحارث ابن أبي شمر الغساني في موضع يقال له «أباغ» وراء الأنبار. «الأعلام للزركلي ٧/ ٢٩٢».

(١) كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة القيسي، من قيس عيلان، من عدنان، جَدٌّ جاهلي كانت منازل بنيه قرب المدينة، ملكوا حب ونواحيها وكثيرًا من مدن الشام، وكان لهم في الجزيرة الفراتية شأن، أول من ملك منهم صالح بن مرداس، وكلاب أخو كعب وهما المعنيان بقول جرير:

فلا كعبًا بلغت ولا كلابا

«الأعلام للزركلي ٥/ ٢٢٩».

وقولهم: «جَعْجَعَةٌ ولا أَرَى طِحْنًا»: يضرب لمن يعد ولا يفي.

وقولهم: «جَرَى منه مَجْرَى اللَّدُود» وهو ما يُصبّ في أحد شِقَّي الفم من الدواء، يضرب لمن يُبْغَض ويُكْره.

وقولهم: «جَمَاعةٌ على أَقْذَاء». معناه اجتماعٌ بالأبدان، وافتراق بالقلوب، وهو بمعنى قوله ﷺ: «هُدْنَةٌ على دَخَن»: يضرب لمن يُضمِر أذى ويُظْهِر صفاء.

وقولهم: «جَارٌ كجارِ أبي دُؤَاد» يعنون كعب بن مامة[1] فإنه كان إذا جاوره رجل فإن مات وداه، وإن هلك له بعيرٌ أو شاة أخلفَ عليه، فضربت به العرب المثل في حسن الجوار، قال طرفة: [من البسيط]

إنِّي كفاني من أمر هممتُ به ... جَارٌ كجارِ الحُذَاقِيّ الذي اتَّصَفَا

والحذاقيّ هو أبو دؤاد.

وقولهم: «جَدَعَ الحَلالُ أَنْفَ الْغَيْرَة»، قاله رسول الله ﷺ ليلة زُفت فاطمةُ إلى عليّ رضي الله عنهما.

وقولهم: «جوِّع كلبَك يتبعْكَ». أوّل من قال ذلك ملِكٌ من ملوك حِمْير كان جائرًا على أهل مملكته يسلبُهم ما في أيديهم وإن امرأته سمعت صوت السّؤال فقالت: إني لأرحمُ هؤلاء وإني لأخافُ أن يكونوا عليك سباعًا، بعدما كانوا لك أتباعًا، فقال: جوّعْ كلبك يتبعْكَ، ثم إنه غزا بهم ولم يقسِّمْ عليهم شيئًا فقالوا لأخٍ له: قد ترى ما نحن فيه من الجهد ونحن نكره خروجَ الملك عنكم إلى غيركم فساعدنا على قتل أخيك واجلسْ مكانه، فوافقهم على ذلك، ثم وثبوا على الملك فقتلوه، فمرّ به عامر بن جَذِيمة وهو مقتول، فقال: ربما أكل الكلب مؤدّبه إذا لم ينل شبعه، فأرسلها مثلًا، والمثل يضرب في اللئام وما ينبغي أن يعاملوا به.

وقولهم: «جاءتْهم عَوانًا غيرَ بِكْر» أيْ مستحكمةً غير ضعيفة يريدون حَرْبًا أو داهيةً عظيمةً.

---

(١) كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الإيادي، أبو دؤاد، كريم، جاهلي، يضرب به المثل في حسن الجوار، فيقال: أجود من كعب بن مامة وجار كجار أبي دؤاد، وهو صاحب القصة المشهورة في الإيثار:

«إسـقِ أخـاك الـنـمـري»

«الأعلام للزركلي ٥/٢٢٩».

وقولهم: «جاء بصحيفةِ المتلمّس» إذا جاء بالداهية؛ وكان من خبر صحيفة المتلمس[١] أن المتلمس وطرفة قَدِما على عمرو بن المنذر بن امرىء[٢] القيس فجعلهما في صحابة قابوس بن المنذر أخيه وأمرهما بلزومه، وكان قابوس شابًا يعجبه اللهو، فطال بقاؤهما عنده، فهجا طرفة عمرًا بأبيات فبلغته فاستدعاهما فحباهما بحباء وكتب معهما إلى أبي كَرِب عامله على هَجَر أن يقتلهما، وقال: قد كتبت لكما بحباء ومعروف، فلما صدرا من عنده، قال المتلمس لطرفة: هل لك في كتابينا، فإن كان فيهما خير مضينا له، وإن كان شرًا اتقيناه، فأبى طرفة وقرأ المتلمس كتابه فإذا فيه السوءة فألقاه في الماء وقال لطرفة: ألقِ كتابك فأبى ومضى بكتابه، قال: ومضى المتلمس حتى لحق بملوك بني جَفْنَةَ بالشام وسار طرفة بكتابه، فلما انتهى إلى العامل قتله.

وقولهم: «جَنْدلَتَانِ[٣] اصْطَكَّتَا»: يضرب لِقِرْنَيْن يتصاولان.

وقولهم: «جَزَيْتُه حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْل»: للمكافأة.

وقولهم: «جاؤوا على بَكْرَةِ أبيهم» أي جاؤوا جميعًا لم يتخلَّفْ منهم أحد. وقيل: بل البَكرة تأنيث البَكر. يصفهم بالقلة أي بحيث تحملهم بكرة أبيهم. وقيل بل البكرة التي يُستقي عليها، معناه جاؤوا بعضهم يتلو بعضًا كدوران البَكرة على نسقٍ واحد؛ وقيل: المراد بالبكرة الطريقة كأنهم جاؤوا على طريقةِ أبيهم، وقال ابن الأعرابيّ[٤]: البكرة: جماعة من الناس أي بأجمعهم.

وقولهم: «جَاوَزَ الحِزَامُ الطُّبْيَيْنِ»: يضرب في تجاوز الحدّ.

---

(١) المتلمس: جرير بن عبد المسيح من بني ضبيعة، كان ينادم عمرو بن هند ملك الحيرة، وهو الذي كان كتب له إلى عامل البحرين مع طرفة بقتله، وكان يدفع كتابه إلى غلام بالحيرة ليقرأه، فقال له أنت المتلمس؟ قال: نعم، قال: فالنجاء، فقد أمر بقتلك، فنبذ المتلمس الصحيفة في نهر الحيرة. والشاعر المتلمس هو خال طرفة بن العبد، من أهل البحرين، مات ببصرى من أعمال حوران في سورية نحو ٥٠ ق.هـ ـ ٥٦٩ م. «الشعر والشعراء ص ١٠٤ والأعلام للزركلي ٢/١١٩».

(٢) عمرو بن المنذر بن امرىء القيس هو ملك الحيرة في الجاهلية عمرو بن هند وقد تقدم ذكره.

(٣) الجندلة: الصخرة الضخمة.

(٤) ابن الأعرابي: أبو عبد الله، محمد بن زياد الأعرابي، عالم بالشعر، لم ير أحد في الشعر أغزر منه، وكان يحضر مجلسه زهاء مائة إنسان، يسأل ويقرأ عليه فيجيب من غير كتاب، من أهل الكوفة، ولد سنة ١٥٠ هـ ـ ٧٦٧ م وتوفي بسامراء سنة ٢٣١ هـ ـ ٨٤٥ م. من كتبه: تاريخ القبائل، النوادر، تفسير الأمثال. «الفهرست ابن النديم ص ١٠٢ والأعلام للزركلي ٦/١٣١».

حرف الحاء

قولهم: «حرِّكْ لَهَا حُوَارَهَا تَحِنّ» الحوار: ولد الناقة، والجمعُ القليل أحْورة والكثير حُورَان وحِيران، معناه ذكِّرْهُ بعضَ أشْجَانِه يهجْ له، قاله عمرو بن العاص لمعاوية حين أراد أن يستنصرَ أهل الشام، أي أَرِهِم دَمَ عثمان على قميصه.

وقولهم: «حلبتُها بالساعِد الأَشدّ» أي أخذتها بالقوّة إذ لم يتأتّ بالرفق.

وقولهم: «حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّة» أي مِثْلًا بمثْل: يضرب في التسوية بين الشيئين؛ ومثله: حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْل، وقد تقدّم.

وقولهم: «حَلَبَ الدهرَ أَشْطُرَه» معناه أنه اختبرَ الدَّهرَ شَطْرَي خيرِهِ وشرِّهِ فعرف ما فيه.

وقولهم: «حَسْبُك من غِنًى شِبَعٌ ورِيٌّ»؛ قال امرؤ القيس: [من الوافر]

إذا ما لم تكن إبلٌ فَمِعْزى ... كأنّ قُرونَ جِلَّتِها العِصِيُّ
فتملا بيتنا أَقِطًا وسَمْنًا ... وحَسْبُك من غِنًى شِبَعٌ ورِيُّ[(١)]

قال أبو عبيدة: يحتمل معنيين أحدهما أعطِ كلَّ ما كان لك وراءَ شِبَعك وريِّك، والآخر القناعةُ باليسير.

وقولهم: «حَسْبُك من القِلَادةِ ما أحاط بالعُنُق» أي اكتفِ بالقليل عن الكثير.

وقولهم: «حَسْبُكَ من شَرٍّ سَمَاعُه» أي اكتفِ بسماعه ولا تعاينه، قال: ويجوز أن يريد يكفيك سماعُ الشرّ وإن لم تقدِمْ عليه ولم تُنسبْ إليه، والمثل قالته فاطمة بنت الخُرْشُب من بني أنمار بن بغيض أمّ الربيع بن «زياد، وذلك أن ابنها الربيعَ كان أخذ من قيس بن زهير[(٢)] بن جذيمة دِرْعًا، فتعرّض قيسٌ لأمّ الربيع وهي على راحلتها فأراد أن يذهب بها ليرتهنَها بالدرع، فقالت له: أين عزُب عنك عقلك يا

(١) أقطًا: الأَقِطُ والإِقْطُ والأَقْطُ والأُقْطُ: شيء يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل، والقطعة منه «أقِطة»، وقال ابن الأعرابي هو ألبان الإبل خاصة. «لسان العرب ٧/ ٢٥٧».

(٢) قيس بن زهير: بن جذيمة بن رواحة العبسي، أمير عبس، وداهيتها وأحد السادة القادة في عرب العراق، كان يلقب بقيس الرأي لجودة رأيه، ويكنى أبا هند، وهو معدود في الأمراء والدهاة والشجعان والخطباء والشعراء، ورث الإمارة عن أبيه، وشعره جيد فحل، زهد في أواخر عمره ورحل إلى عُمان، وعف عن المآكل حتى أكل الحنظل، وما زال في عُمان إلى أن مات. «الأعلام للزركلي ٥/ ٢٠٦».

قيس؟ أترى بني زياد مصالحيك! وقد ذهبتَ بأمّهم يمينًا وشمالًا وقال الناسُ ما قالوا وشاؤوا، وإن حسبَك من شرٍّ سماعه، فذهبت كلمتها مثلًا تقول: كفى بالمقالة عارًا وإن كان باطلًا.

وقولهم: «حَلَّقَتْ به عَنْقَاءُ مُغْرِب»: يضرب لما يَئِس منه؛ قال الشاعر: [من الطويل]

إذا ما ابنُ عبد الله خلّى مكانه فقد حَلَّقَتْ بالجود عنقاءُ مُغرِبُ

قال الميدانيّ: والعنقاءُ طائرٌ عظيم معروفُ الاسْم مجهولُ الجسم يُقال: كان بأرض الرَّسِّ جبلٌ يقال له: دَمْخٌ مصعّدٌ في السماء، وكان يأتيه طائرٌ عظيم لها عنقٌ طويلة؛ وهي من أحسنِ الطير؛ فيها من كل لون، وكانت تقع منتصبةً وتنقضُّ على الطير فتأكلها، فجاعت يومًا وأعوزَها الطير فانقضّت على صبيّ فذهبت به فسميت عنقاءُ مغرب: لأنها تغربُ بكل ما تأخذُه، ثم انقضّت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضمتها إلى جناحين لها صغيرين سوى جناحيها الكبيرين ثم طارت، فشكوا ذلك إلى نبيّهم: خالد بن صفوان[1]، فقال: اللّهم خذها واقطعْ نسلها وسلِّطْ عليها آفةً! فأصابتها صاعقةٌ فاحترقت فضربتها العرب مثلًا.

قال عنترةُ بن الأخرس الطائيّ في مرثية خالد[2] بن زيد: [من الطويل]

لقد حَلّقتْ بالجود عنقاءُ كاسرٌ كَفَتْخَاءِ دمخٍ حلّقت بالحَزَوَّرِ[3]
فما إنْ لها بيضٌ فيُعرفُ بيضُها ولا شِبهُ طيرٍ منجدٍ أو مُغَوِّرِ

وقولهم: «حتَّام تَكْرَع ولا تُنْقَع» كرع إذا تناول الماء بفيه من موضعه: يضرب للحريص في جمع الشيء.

---

(١) خالد بن صفوان: خالد بن صفوان القناص، شاعر مغمور اشتهرت له قصيدة باسم «العروس» حتى قال أهل الأدب: كفى غنى بمن حفظ قصيدة خالد بن صفوان. «الأعلام للزركلي ٢/ ٢٩٦».

(٢) خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة، أبو أيوب الأنصاري، من بني النجار، صحابي، شهد العقبة وبدرًا وأحدًا والخندق وسائر المشاهد، وكان شجاعًا تقيًا، عاش إلى أيام بني أمية وكان يسكن بالمدينة، توفي سنة ٥٢ هـ ـ ٦٧٢ م. «الأعلام للزركلي ٢/ ٢٩٥».

(٣) الفتخاء: العقاب. «لسان العرب ٣/ ٤٠». ودمخ: جبل بين أجبال ضخام في ناحية ضريَّة، يقال: أثقل من دمخ الدّماخ. «اللسان مادة دمخ»، والحزوَّر: الغلام القوي. «لسان العرب ٤/ ١٨٦».

وقولهم: «حَسْبُكَ من إنْضَاجِه أن تقتلَه»: يضرب لطالب الثأر فيقول: لأقتلنّ فلانًا وقومَه أجمعين فيقال: لا تعدّ، حسبك أن تدركَ ثأركَ وطلبتَكَ: ويضرب لمتجاوز الحدّ.

حرف الخاء

قولهم: «خَيْرَ حالِبَيْكِ تَنْطَحِين»: يضرب لمن يكافىءُ المحسنَ بالإساءةِ، ومثله: خيْرَ إناءيك تكفئين.

وقولهم: «خامِري أمَّ عَامِر» معناه استتري؛ وأمّ عامر: الضبع، يشبه بها الأحمق، ومثله: خامِري حَضاجِر، أتاك ما تحاذِر: وهو اسم للذكر والأنثى من الضباع.

وقولهم: «خلا لكِ الجوُّ فبيضِي واصْفِري» قاله طرفة بن العبد، وكان في سفر مع عمّه فنصب فخًّا للقنابر ونثر حَبًّا فلم يصدْ شيئًا، فلما تحملوا رأى القنابرَ يلقطنَّ الحبَّ الذي نثره لهنّ، فقال في ذلك: [من الرّجز]

يا لك من قنبرةٍ بمعمرِ! خلا لك الجوّ فبيضي واصفِري
ونقّري ما شئتِ أن تنقّري قد رحل الصيّاد عنك فابشِري
ورفَع الفخَّ فماذا تحذري؟ لا بدّ من صيدك يومًا فاصبِري!

يضرب في الحاجة يتمكّن منها صاحبها.

وقولهم: «خَلْعُ الدّرْعِ بِيدِ الزَّوْجِ» المثل لرَقَاش بنت عمرو بن تغلب بن وائل، وكان زوجُها كعبَ بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة، فقال لها: اخلعي؛ فقالت: خَلْعُ الدِّرعِ بيدِ الزَّوجِ، فقال: اخلعيه لأنظرَ إليك، فقالت: التجرُّدُ لغير النكاح مُثْلةٌ، فذهبت كلمتاها مثلين يُضربان في وضع الشيء في غير موضعه.

وقولهم: [من الرّجز]

خَلِّ سبيلَ مَنْ وَهَى سِقاؤُهُ ومَنْ هُرِيق بالفَلاة ماؤُهُ

يُضرَب لمن كره صحبتك وزهِد فيك.

وقولهم: «خَمْرُ أبي الرَّوْقاء لَيْسَتْ تُسكِرُ»: يُضرَب للغنيّ الذي لا فضلَ له على أحد.

حرف الدال

قولهم: «دَمِّثْ لجَنْبك قبل النَّوم مُضْطَجَعًا» أي استعدَّ للنوائبِ قبل حلولها؛ والتدميث: التليين.

وقولهم: «دَعِ امرءًا وما اخْتَار»: يُضرَب لمن لا يقبل النصح.

قال الشاعر: [من المتقارب]

إذا المرءُ لم يدرِ ما أَمكنَهْ ولم يأتِ من أمرِهِ أَزينَهْ!
وأَعجبَهُ العُجبُ فاقتادَهُ وتاهَ به التِّيهُ فاستحسنَهْ
فدعْهُ فقد ساءَ تدبيرُهُ سيضحَكُ يومًا ويبكي سنَهْ!

حرف الذال

قولهم: «ذَكَّرَنِي فُوكِ حِمَارَيْ أَهلِي» أصله أن رجلًا خرج يطلب حمارين ضلّا له، فرأى امرأةً فأعجبته فنسي الحمارين، فلما أسفرت عن وجهها رآها فَوْهاء[1] فقال: ذكّرني فُوكِ حمارَيْ أهلي، وقال: [من البسيط]

ليت النِّقابَ على النساء مُحرَّمٌ كي لا تَغُرَّ قبيحةٌ إنسانا

وقولهم: «ذهبوا أيدِي سَبَا» ويقال: تفرقوا، أي تفرّقوا تفريقًا لا اجتماعَ معه.

وقصة سبأ لمّا تفرقوا بسبب سَيْل العرَم مشهورة؛ وسنذكرها إن شاء الله تعالى في التاريخ.

وقولهم: «ذهبوا شَغَرَ بَغَرَ، وشَذَرَ مَذَرَ، وخِذَعَ مِذَعَ» أي في كل وجه.

وقولهم: «ذَلَّ بعد شِمَاسِه[2] الْيَعْفُورُ»: يضرب لمن انقاد بعد جماحه؛ واليعفور: فرس.

وقولهم: «ذَهَبْتَ طُولًا، وعَدِمْتَ معقولًا»: يضرب للطويل بلا طائل.

---

(١) الفوهاء: رجل أفوه: عظيم الفم طويل الأسنان، وبئر فوهاء: واسعة، والفوه: خروج الثنايا العليا وطولها، وهو أيضًا سعة الفم وعظمه، وخروج الأسنان من الشفتين وطولها. «لسان العرب ١٣/ ٥٢٧ و٥٢٨».

(٢) الشماس: الشمِسُ والشموس من الدواب، الذي إذا نُخِس لم يستقر، وشمست الدابة: شردت وجمحت. «لسان العرب ٦/ ١١٣».

حرف الراء

قولهم: «رمتْني بدَائِها وانسَلَّت» أصل هذا المثل: أن سعد بن زيد مناة تزوّج رُهْمَ ابنة الخزْرج، وكانت من أجمل النساء، وكان ضرائرها إذا سابَبْنَها يقلْن لها: يا عفلاء[١]، فقالت لها أمّها: إذا سابَبْنَكِ فابدئيهنّ بذلك، ففعلت رُهْم ذلك مع ضرّتها، فقالت: رمتني بدائها وانسلّت، فذهبت مثلًا: يضرب لمن يُعَيِّر الآخر بما هو يُعَيَّر به.

وقولهم: «رماه بثالثة الأَثَافِي» وهي قطعة من الجبل يوضع إلى جنبها حَجَران ويُنصب عليها القدر: يضرب لمن رُمِي بداهية عظيمة.

وقولهم: «رُبَّ صَلَفٍ تحت الراعِدة» الصَّلَف: قلّةُ الخيرة، والراعدة: السحابةُ ذاتُ الرعد: يضرب للبخيل مع السّعة.

وقولهم: «رَجَع بِخُفَّيْ حُنَيْن» أصلُه أن حُنَيْنا كان إسكافًا بالحِيرة[٢] وساومه أعرابيّ بخفّيْن فاختلفا حتى أغضبه، فلما ارتحل الأعرابيُّ أخذ حنين الخفين فألقى أحدهما على طريق الأعرابيّ، ثم ألقى الآخر بموضع آخر على طريقه، فلما مرّ الأعرابيّ بالخف الأوّل قال: ما أشبه هذا بخف حنين ولو كانا خفين لأخذتُهما، ثم مرّ بالآخر فندم على ترك الأوّل فأناخ راحلته وانصرف إلى الأوّل وقد كَمَنَ له حنين، فأخذ الراحلة وذهب بها وأقبل الأعرابيّ إلى أهله ليس معه غير خفّي حنين، فذهبت مثلًا: يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة.

وقولهم: «رُبَّ ساعٍ لقاعد، وآكِلٍ غير حامِد» أوّل من قاله النابغةُ الذُّبياني، وكان سببُ ذلك أن وفدًا وفدَ إلى النعمان وفيهم رجلٌ من بني عَبْس يقال له: شَقِيق، فمات عنده، فلما حبا النعمان الوفود بعث بحبائه إلى أهله، فقال النابغة في ذلك: [من الطويل]

أتـى أهـلَه مـنـه حِـبـاءٌ ونـعـمـةٌ ورُبَّ امرِىءٍ يسعى لآخرَ قاعِدِ

---

(١) العفلاء: العفلة: بظارة المرأة. والعفل لا يصيب الأبكار ولا يصيب المرأة إلا بعد أن تلد. «لسان العرب ١١/٤٥٧».

(٢) الحيرة: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة، وبالقرب من الحيرة «الخورنق»، كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية. «معجم البلدان ٢/٣٢٨».

وقولهم: «رُبَّ مَلوم لَا ذَنْبَ لَه» قاله أكثم بن صيفيّ، معناه قد ظهر للناس منه أمرٌ أنكروه عليه وهم لا يعرفون عذرَه؛ وقيل: إن رجلًا قال للأحنف[١] بن قيس: أنا أبغض التمرَ والزّبد، فقال: ربَّ ملومٍ لا ذنبَ له.

وقولهم: «رُبَّ كَلِمةٍ تقول لصاحبِها دَعْنِي»: يضرب في النهي عن الإكثار مخافةَ الإهجار؛ ذكروا أن ملكًا من ملوك حِمْير خرج إلى الصيد ومعه نديم له فوقفا على صخرةٍ ملساءَ، فقال النديم: لو أن إنسانًا ذُبح على هذه الصخرة إلى أين كان يبلغ دمه، فأمر بذبحه، وقال: ربَّ كلمة تقول لصاحبها دعني.

ومثله قولهم: «رُبَّ رَأسٍ حَصِيدُ لِسَانٍ»: يضرب للأمر بالسكوت.

وقولهم: «رُدَّ الحِجَرَ من حيث جاءك»: أي لا تقبل الضَّيْمَ ورامِ مَن رماك.

حرف الزاي

قولهم: «زُيِّنَ فيْ عَيْنِ والِدٍ وَلَدُه»: يضرب في عجب الرجل برهطه.

وقولهم: «زَاحِم بعَوْد أَوْدعْ» أي لا تستعنْ إلا بأهل السنّ والتجرِبة.

وقولهم: «زَوْجٌ مِنْ عُود، خير من قُعُود»، قالته بعضُ نساء العرب، قالوا: كان ذو الإصبَع العَدْوانِيّ غيورًا، وله بنات أربع، وكان لا يزوّجهنّ غَيرة عليهنّ، فاستمع عليهنّ يومًا وقد خلَوْن يتحدّثن، فقالت إحداهنّ: لتقل كلُّ واحدة منا ما في نفسها، ولنصدقنّ جميعًا، فاشتهت كلُّ واحدة من الثلاثة زوجًا وصفتْ من جماله وكماله وسِعَةِ حاله، ثم أبت الصغرى أن تتكلّم، فقالوا: لا بدّ أن تقولي، وألحّوا عليها، فقالت: زَوجٌ من عُود، خيرٌ من قُعُود، فزوّجهنّ.

وقولهم: «زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا» قاله مَعاذ بن صَرم الخزاعيّ[٢]، وكانت أمّه من عَكّ[٣]، وكان يكثر من زيارة أخواله، فأقام فيهم زمانًا، ثم خرج يتصيّد مع بني

---

(١) الأحنف بن قيس: (٣ ق.هـ ـ ٧٢ هـ = ٦١٩ ـ ٦٩١ م). الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري السعدي التميمي، أبو بحر، سيد تميم وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين، يضرب به المثل في الحلم، ولد في البصرة وأدرك النبي ﷺ ولم يسره، ووفد على عمر حين آلت الخلافة إليه، فمكث عامًا وأذن له فعاد إلى البصرة، شهد صفين مع الإمام علي، كان صديقًا لمصعب بن الزبير أمير العراق آنذاك، فوفد عليه بالكوفة وتوفي فيها وهو عنده. «الأعلام للزركلي ١/ ٢٧٦».

(٢) معاذ بن صرم الخزاعي: فارس خزاعة في الجاهلية، كان شاعرًا. «الأعلام للزركلي ٧/ ٢٥٨».

(٣) عك: قبيلة باليمن، سميت بعك حين نزولها، واشتقاقها في اللغة جائز أن يكون من العك وهو=

أخواله، فحمل على عير، فلحقه ابن خال له يقال له: الغضبان فتخاصما، فقال له الغضبان: والله! لو كان فيك خيرٌ لما تركت قومك، فقال: زُرْ غِبًّا، تزددْ حبًّا، فأرسلها مثلًا، وفي ذلك يقول الشاعر: [من الكامل]

إذا شئتَ أن تُقلَى فَزُرْ متواليًا وإن شئتَ أن تَزداد حُبًّا فزرْ غِبًّا[1]

وقال آخر: [من الطويل]

عليك بإغبابِ الزيارةِ إنها إذا كَثُرتْ كانت إلى الهجر مَسْلَكا
ألم تَر أَنَّ القَطْرَ يُسْأم دائمًا ويُسْأل بالأيدي إذا هو أمسكا

حرف السين

قولهم: «سَبَقَ السيفُ العذَل» قاله ضبّةُ بن أدّ لمّا لامه الناس على قتل قاتل ابنه في الحرم، ويقال: إنه لِخُزَيْم بن نوفل الهمدانيّ.

وقولهم: «سَقَطَ العَشَاء به على سِرْحان» أصله أن رجلًا خرج يلتمس العَشَاء، فوقع على ذئب فأكله، وقال ابن الأعرابيّ: أصله أن رجلًا من بني غَنيّ يقال له: سِرْحانُ بنُ هزلة كان بطلًا فاتكًا فقال رجل! والله لأرعينَّ إبلي هذا الوادي، فورد بإبله، فوجد سرحانَ فقتله، وأخذ إبله وقال: [من الكامل]

أبْلِغْ نصيحةَ: أنَّ رَاعِيَ أهْلِها سقط العَشَاء به على سِرْحانِ
سَقَط العَشَاءُ به على مُتَقَمِّرٍ طَلْقِ اليدين مُعَاوِدٍ لِطِعانِ

يضرب في طلب الحاجة يؤدّي صاحبها إلى التلف.

ومثله قولهم: «سقط العَشَاءُ به على مُتَقَمِّرٍ» وهو الأسد.

وقولهم: «سَكتَ أَلْفًا، ونَطَق خَلْفًا» الخَلْفُ: الرديء من القول وغيره.

وقولهم: «سَاءَ سَمْعًا فأساء جَابة» أوّل من قاله سُهَيل[2] ابن عمرو أخو بني عامر، وكان قد خرج بابنه أَنَس، فوقف بحَزْورة[3] مكة، فأقبل الأخنس بن شَريق

= شدة الحر، والعك: الصلب الشديد المجتمع، «لسان العرب ١٠/٤١٩ ومعجم البلدان ٤/ ١٤٢».

(١) زار غبًا: أي يومًا بعد يوم.

(٢) سهيل بن عمرو: سهيل بن عمرو بن عبد شمس، القرشي العامري، من لؤي، خطيب قريش وأحد سادتها في الجاهلية، أسره المسلمون يوم بدر، وافتدي، فأقام على دينه إلى يوم الفتح بمكة، فأسلم وسكنها ثم سكن المدينة، وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية، مات بالطاعون في الشام سنة ١٨ هـ ـ ٦٣٩ م. «الأعلام للزركي ٣/ ١٤٤».

(٣) الحزورة: كانت الحزورة سوق مكة وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه، وفي الحديث=

الثَّقفيّ فقال له: من هذا؟ فقال: ابني! فقال: حياك الله يا فتى أين أَمُّك؟ فقال: لا واللهِ ما أُمّي في البيت، ولكنها انطلقت إلى أمّ حنظلةَ تطحن دقيقًا، فقال أبوه: ساء سمعًا فأساء جابةً، فأرسلها مثلًا.

وقولهم: «سحابُ نَوْءٍ ماؤُه حَمِيم»: يضرب لمن له لسان لطيف وليس وراءه خير.

وقولهم: «سوءُ الاستمساكِ خيرٌ من حُسْن الصَّرْعة»: معناه حصول البعض مع الاحتياط خيرٌ من الكلّ مع التهوّر.

حرف الشين

قولهم: «شُخْبٌ في الإناء وشُخْبٌ في الأرض»: يضرب لمن يتكلّم فيصيب مرة ويخطىء أخرى.

وقولهم: «شَرِقَ بالرِّيق»: أي ضرّه أقرب الأشياء إلى نفعه.

وقولهم: «شِنْشِنَةٌ أعرفها من أخزَم» قاله أبو أخزم الطائيّ: وكان له ابن يقال له: أخزم، فمات وترك بنين، فوثبوا على جدّهم يومًا فأدموه، وكان أبوهم عاقًّا له فقال: [من الرجز]

إنّ بَـنِـيّ ضـرَّجُـونـي بـالـدَّمِ　　شِـنْـشِـنَـةٌ أعـرفـهـا مـن أخـزم

والشنشنة: الطبيعة والعادة: يضرب في قرب الشبه.

وقولهم: «شَمِّرْ ذَيْلًا، وادَّرِعْ ليْلًا»: يضرب على الحثّ في الجدّ والطلب.

وقولهم: «شَنُوءة بين يتامى رُضَّع» الشنوءة: ما يستقذر من القول والفعل: يضرب لقوم اجتمعوا على فجور وفاحشةٍ ليس فيهم مرشدٌ ولا ناهٍ.

وقولهم: «شَيخٌ بحَوْرانَ له ألقاب» وبعده: [من المجتث]

* الـذئـب والـعـقـعـق والـغـراب *

حَوْران بأرض الشام: يضرب لمن يُظهر للناس العفاف، ومن حقّه أن يُحتَرز منه.

= الشريف: وقف النبي ﷺ بالحزورة فقال: يا بطحاء مكة ما أطيبك من بلدة وأحبك إلي ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك. «معجم البلدان ٢/٢٥٥».

وقولهم: «شَغَلَ الْحَلْيُ أهلَه أن يُعارا»: يضرب للمسؤول شيئًا هو إليه أحوج من السائل.

وقولهم: «شَبَّ عَمْرٌو عن الطَّوْق» قاله جَذيمة الأبرش، وعمرو هذا هو ابن أخته وهو عمرو بن عديّ بن نَصْر.

حرف الصاد

قولهم: «صَبرًا على مَجامِر الكِرام» قال ذلك يَسَارُ الكواعب، وكان عبدًا أسودَ يَرْعَى لأهله إبلًا هجمة، وكان معه عبد يراعيه، فمرّ أهله يومًا سائرين بحذاء الإبل التي يرعاها، فعَمَد إلى لَقُوح[(١)] فحلبها في علبة، حتَّى ملأها ثم مشى بها، وكان أفْحج[(٢)] الرِّجْلين، حتى أتى بها ابنة مولاه يسقيها، وهي راكبة على جملها، فنظرت إلى رِجْليه فتبسمت، ثم شربت اللبن وجزَتْه خيرًا، فانطلق فرِحًا حتَّى أتى صاحبه، فقصّ عليه القصة، فقال: اسخرْ بنفسك ولا تسخر ببنات الأحرار؛ فقال: والله لقد دَحِكت إليّ دِحْكةً لا أُخَيِّبُها، يريد: ضحِكت، وكان أعجميّ اللسان، ثم باتا فقام فحلب في علبة فملأها، ثم أتى ابنة مولاه، فنبّهها من نومها فاستيقظت وشربت، ثم اضطجعت وجلس يسار حِيالَها، فقالت: ما حاجتك؟ فقال: ما أعلَمَكِ بحاجتي! فقالت: لا واللهِ! فما هي؟ قال: ذاك الرجل الذي دحكتِ إليّ. فقالت: حيّاك الله، وقامت إلى سَفَطٍ[(٣)] لها فأخرجت منه بَخورًا ودُهنًا طيبًا، وعمدت إلى موسى كانت تحفُّ به الشعر، وأخذت مِجْمرةً فيها نار، فوضعت عليها البخور ووضعتها تحته، وطأطأت كأنها تصلح البخور، فعمدت إلى مذاكيره[(٤)] فمسحتها بالموسى، فلما أحس بحرارة الحديد. قال: صبْرًا على مجامر الكِرام، ثم أومأت إلى أنها تدهنه وقالت: إن هذا دهن طيب، إلا أن فيه حرارةً

---

(١) اللقوح: الحلوبة ـ واللقوح: اللبون، وإنما تكون لقوحًا أول نتاجها شهرين ثم ثلاثة أشهر. «الأعلام للزركلي ٢/ ٥٧٩».

(٢) الأفحج: الفحج تباعد بين أوساط الساقين في الإنسان والدابة، وقيل تباعد ما بين الفخذين، والنعت أفحج والأنثى فحجاء. «لسان العرب ٢/ ٣٤٠».

(٣) السَّفط: الذي يعبأ فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء ـ والجمع أسفاط. «لسان العرب ٧/ ٣١٥».

(٤) المذاكير: منسوبة إلى الذكر، ويأتي الجمع أيضًا على ذكور، كأنهم فرقوا بين الذكَر الذي هو الفحل وبين الذكر الذي هو العضو. وفي الحديث: أن عبدًا أبصر جارية لسيده فغار السيدُ فجبَّ مذاكيره، وهي جمع الذكر على غير قياس. «لسان العرب ٤/ ٣١١».

فتصبّر عليه، فإن ريحك ريح الإبل وأنا أعافُك، ثم أشمَّته الدهن على الموسى، ورفعته فوضعته بين عينيه فاسْتَلَتَتْ بها أنفَه. وقالت: قمْ إلى إبلك يابن الخبيثة، فأتى صاحبه، فلما رآه. قال: أمقبل أنت أم مدبر؟ قال: أخزاك الله، أوَ قد عميَ بصرُك؟ [من الكامل]

إذْ لا تــرى أنــفًــا ولا أذنـيْــنِ أمـا تـرى وبَّـاصـةَ[1] الـعـيـنـيْـنِ

هذا أحد الأقوال في هذا المثل: يضرب لمن يؤمر بالصبر على ما يكره.

ويقال: إن أعرابيًا قدم الحضر بإبل، فباعها بمال كثير وأقام لحوائجَ له، ففطن قومٌ من جيرته لما معه من المال، فعرضوا عليه تزويج جارية وصفوها بالجمال والحسب طمعًا في ماله، فرغب فيها فزوّجوه إياها، ثم اتخذوا طعامًا وجمعوا الحيّ، وجلس الأعرابيُّ في صدر المجلس، فأكلوا الطعام وأداروا الكؤوس وشرب الأعرابيّ، ثم أتوه بكسوة فاخرة، فلبسها وقدّموا له مِجْمرة فيهَا بخورٌ لا عهد له به، وكان لا يلبسُ السراويلَ، فلما جلس على المجمرة، سقطت مذاكيرهُ في النار، فظن أن ذلك سُنّةٌ لا بدَّ منها، واستحيا أن يكشف ثوبه. فقال: صبرًا على مجامر الكرام، فذهبت مثلًا واحترقت مذاكيره، وتفرّق القوم، وارتحل إلى البادية وترك المرأة والمال، فلما وصل إلى قومه وقصّ عليهم القصة. قالوا: استُ لم تُعَوَّد المِجْمَر، فذهبت مثلًا: يضرب لمن لا قديم له.

وقولهم: «صار الزُّجُ[2] قُدَّامَ السِّنَانِ»: يضرب في سبق المأَخّرِ المتقدِّمَ من غير استحقاق لذلك.

وقولهم: «صَرَّحَ المَحْضُ عن الزُّبْد»: يضرب للأمر إذا انكشف وتبيّن.

وقولهم: «صَفْقَةٌ لم يَشْهَدْها حاطِب» هو حاطبُ بن أبي بلتعة كان حازمًا، فباع بعض أهله بيعةَ غُبِنِ فيها حين لم يشهدها حاطب، فسارت مثلًا لكلّ أمر ينبرم دون صاحبه.

(١) الوبَّاصة: الوبيص: البريق ـ وبص الشيء يبص. برق ولمع ـ والوباص: البراق ـ وأوبصت ناري: أضاءت. «لسان العرب ٧/ ١٠٤».

(٢) الزج: الحديدة التي تُركب في أسفل الرمح، والزج: تركز به الرمح في الأرض، والسِّنان يطعن به. والجمع أزجاج وأزِجة، والزُجج: الحراب المنَصَّلة. «لسان العرب ٢/ ٢٨٥ و٢٨٦».

حرف الضاد

قولهم: «ضَرَبَهُ ضَرْبَ غرائب الإبل» وذلك أين الغريبة تزدحم على الحياض عند الورود، وصاحب الحوض يطردها ويضربها بسبب إبله: يضرب في دفع الظالم عن ظلمه بأشدّ ما يمكن.

وقولهم: «ضَلَّ الدُّرَيْصُ نَفَقَه» الدُّرَيص: ولد الفأرة واليربوع والهرّة وأشباه ذلك، ونفقه: حجره: يضرب لمن يُعْنى بأمره ويُعدّ حُجَّةً لخَصْمه، فَيَنْسَى عند الحاجة.

وقولهم: «ضَلَّ حِلْمُ امرأةٍ فأين عيناها؟» أي هَبْ أنّ عقلها ذهب فأين ذهب بصرها؟: يضرب في استبعاد عقل الحليم.

وقولهم: «ضَائفُ اللَّيْث قتيلُ الْمَحْل»: يضرب لمن اضطرّ لشيءٍ فغرّر بنفسه في طلبه.

حرف الطاء

قولهم: «طويتُه على بِلَالِه وعلى بُلُلَتِهِ» قال الشاعر: [من الرّجز]

وصاحبِ مُرَامِقٍ داجيتُهُ ... على بِلَال نفسِه طويتُه

ويقال: طويت السقاء على بُلُلَته إذا طويته وهو نَدٌ لأنه إن طُوِي يابسًا تكسّر، وإن طُويَ ندِيًّا عَفِن: يضرب للرجل يحمل على ما فيه من العيب؛ قال الشاعر: [من الكامل]

ولقد طويتُكُمُ على بُلُلَاتِكم ... وعلِمتُ ما فيكم من الأذرابِ[1]

فإذا القرابةُ لا تُقَرِّبُ قاطعًا ... وإذا المودّة أقربُ الأنسابِ

والأذراب: جمع ذَرَبٍ وهو الفساد.

وقولهم: «طويتُه على غَرِّهِ»: غَرُّ الثوبِ: أَثَرُ كسرِهِ الأوّل: يضرب لمن يُوكَل إلى رأيه وما انطوى عليه.

(١) الأذراب: مفردها «الذَّرب: أي السليط اللّسان».

حرف الظاء

قولهم: «ظالِعٌ[١] يُعودُ كَسِيرًا»: يضرب للضعيف يَنصُرُ من هو أضعف منه.

وقولهم: «ظِئْرٌ رَؤوم، خيرٌ من أمٍّ سؤوم»: الظئر؛ الحاضنة، والرؤوم: العطوف، والسؤوم: الملول: يُضرب في عدم الشفقة وقلة الاهتمام.

وقولهم: «ظاهِرُ العِتاب خيرٌ من باطن الحِقْد» معناه ظاهر.

وقولهم: «ظِلَالُ صيفٍ ما لها قِطار»: يضرب لمن له ثروةٌ ولا يُجدي على أحد.

حرف العين

قولهم: «عند الصباح يَحْمَدُ القومُ السُّرَى» أوّل من قاله خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر رضي الله عنه، وكان باليمامة[٢] أن يسير إلى العراق، ونالته مشقة بسبب العطش، فأسري حتى أدركَ الماءَ فقال: عند الصباح يحمدُ القومُ السُّرى: يضرب لمن يحمل المشقة رجاء الراحة.

وقولهم: «عن جُهَيْنَةَ الخَبَرُ اليقين»: يضرب في معرفة الشيء حقيقةً.

وقولهم: «عَيْرٌ عَارَهُ وَتِدُه» أي أهلكه؛ وأصله أن رجلًا أشفق على حماره فربطه إلى وتد، فهجم عليه السبع فلم يمكنه الفرار فأهلكه.

وقولهم: «عند النِّطاح يُغْلَبُ الكبْشُ الأَجَمُّ» وهو الذي لا قرن له: يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعدّ له.

وقولهم: «على أهلها تَجْنِي بَرَاقِشُ» قالوا: كانت براقشُ كلبةً لقوم من العرب، فأُغير عليهم فهربوا وهي معهم، فنبحت فاتبع القوم آثارهم بِنُباحها، فأدركوهم

---

(١) الضالع: الضَّلع: الميل، والضالع: المائل، والضلع: الإعوجاج، رمح ضلع: معوج لم يقوم. «لسان العرب ٨/ ٢٢٧ و٢٢٨».

(٢) اليمامة: كان اسمها قديمًا «جوًا» فسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم، كانت منازل طسم وجديس وهي معدودة من نجد، بينها وبين البحرين عشرة أيام، كان فتحها وقتل مسيلمة الكذاب في أيام أبي بكر الصديق سنة ١٢ هـ ـ قاعدتها حجر. «معجم البلدان ٥/ ٤٤٢».

فقتلوهم، ففيها يقول حمزة بن بَيْض[١]: [من الخفيف]

بَـلْ جـنـاهـا أخٌ عـلـيّ كـريـمٌ وعـلـى أهـلـهـا بَـرَاقِـشُ تَـجْـنِـي

وقيل في هذا المثل غير ذلك.

وقولهم: «عسى الغُوَيْر أَبْؤُسَا» الغُوَيْر: تصغير غارٍ، والأبؤس: جمع بؤس وهو الشدّة، قالته الزَّبَّاء[٢] عند رجوع قَصِير من العراق، ومعه الرجال، وكان الغوير على طريقه، ومعناه لعل الشرَّ يأتيكم من قبل الغار: يضرب للرجل يقال له: لعل الشرّ جاء من قبلك.

وقولهم: «عُشْبٌ ولا بَعِير»: يضرب للرجل له مالٌ كثير ولا ينفقه على نفسه ولا على غيره.

وقولهم: «عَادَ غَيثٌ على مَا أَفْسَد»: يضرب للرجل فيه فساد، وصلاحُهُ أكثر.

وقولهم: «عاد السهمُ إلى النَّزَعة»: أي رجع الحق إلى أهله.

وقولهم: «عصا الجبانِ أطولُ» لأنه يفعل ذلك من فشله، يرى أن طولها أشدُّ ترهيبًا لعدوّه من قِصَرها.

وقولهم: «على الخبير سَقَطْتَ» المثل لمالك بن جُبَير العامريّ، وتمثّل به الفرزدق حين لقي الحسينَ بن عليّ رضي الله عنهما، عند مقدمه من العراق وخروج الحسين إليه وقد قال له: ما وراءك؟ فقال: على الخبير سقطْتَ؛ قلوبُ الناس معك، وسيوفهم مع بني أميّة، والنصر من السماء.

وقولهم: «عادة السُّوءِ شَرٌّ من المَغْرَم معناه أين المَغْرَم إذا أدّيته فارقك، وعادة السوء لا تفارق صاحبها.

---

(١) حمزة بن بيض: حمزة بن بيض بن نمر بن عبد الله الحنفي، من بني بكر بن وائل، شاعر مجيد، سائر القول، كثير المجون، من أهل الكوفة، كان منقطعًا إلى المهلب بن أبي صفرة وولده، حصلت له أموال كثيرة، وأخباره مع عبد الملك بن مروان كلها طرف، توفي سنة ١٢٠ هـ - ٧٣٨ م. «فوات الوفيات ١/٣٩٦، والأعلام للزركلي ٢/٢٧٧».

(٢) الزَّباء: بنت عمرو بن الضرب بن السميدع، الملكة المشهورة في العصر الجاهلي، صاحبة تدمر وملكة الشام والجزيرة يسميها الإفرنج Zenobie، كانت غزيرة المعارف بديعة الجمال، مولعة بالصيد والقنص، تحسن أكثر اللغات الشائعة في عصرها، كتبت تاريخًا للشرق، وليت تدمر وكانت تابعة للرومان، وما لبثت أن طردت الرومان وحاربتهم، توفيت سنة ٣٥٨ ق.هـ - ٢٨٥ م. «الأعلام للزركلي ٣/٤١».

وقولهم: «عَجْعَجَ لمّا عَضّهُ الظِّعَان» أي صاح، والظعان: يُسْعٌ يُشدّ به الهَوْدَجُ: يُضرَب لمن يَضِجّ إذا لَزِمَهُ الحقّ.

وقولهم: «عندَ الرِّهان تُعرَف السّوابق»: يُضرَب لمن يدّعي ما ليس فيه.

وقولهم: «عادَ الأمرُ إلى نِصابه»: يُضرَب في الأمر يتولّاه أربابُه.

وقولهم: «عَيْنُكَ عَبْرَى والفُؤادُ في دَد» الدَّدُ والدَّدَنُ والدَّدَا: اللعبُ واللهوُ: يُضرَب لمن يُظهر حُزْنًا لحزنك وفي قلبه خلاف ذلك.

وقولهم: «عَرْفُطَةٌ تُسْقَى مِنَ الغَوَادق» ويروى: الغوابق؛ العُرفُطة: شجرةٌ خَشنَةُ المسّ، والغَوَادقُ: السحابُ الكثير الماء: يُضرَب للشِّرِّير يُكَرَّمُ ويُبَجَّلُ.

حرف الغين

قولهم: «غُدَّةٌ كغُدّة البَعير ومَوْتٌ في بَيْت سَلُولِيَّة» قاله عامر بن الطُّفَيل[1]؛ وذلك أنه لما قَدم على النبيّ ﷺ! وقدم معه أَرْبَد بن قَيْس أخو لَبيد بن رَبيعة العامريّ الشاعر لأمّه، فقال رجل: يا رسول الله، هذا عامر بن الطُّفَيل قد أقبل، قال: «دعهُ، فإن يُرد اللهُ به خيرًا يهدِه» فأقبل حتى قام عليه، فقال: يا محمد، مالي إن أسلمتُ؟ قال: «لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم» قال: تجعلْ لي الأمر بعدك، قال: «ليس ذاك إليّ، إنما ذاك إلى الله تعالى يجعله حيث يشاء» قال: فتجعلني على الوَبَر وأنت على المَدَر، قال: «لا» قال: فماذا تجعلُ لي؟ قال: «أجعل لك أعنَّة الخيل تغزو عليها»، قال: أو ليس ذلك إليّ اليوم؟ وكان قد أوصى إلى أَرْبَد بن قَيْس: «إذا رأيتني أُكلِّمه فدُر من خلفه فاضربه بالسيف» فاخترط أَرْبَد سيفه شبرًا فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سَلِّه، فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أَرْبَد وما يصنع بسيفه، فقال: «اللهمَّ اكفِنيهما بما شئت» فأرسل الله تعالى على أَرْبَد صاعقةً في يوم صائفٍ صاح فأحرقته، وولّى عامر بن الطُّفَيل هاربًا وقال: يا محمد، دعوتَ ربَّك فقَتَل أَرْبَد، واللهِ لأَملأَنَّها عليك خيلًا جُرْدًا وفتيانًا مُرْدًا، فقال رسول الله ﷺ: «يمنعُكَ اللهُ من ذلك» فسار عامر حتى نَزَل ببيت امرأة سَلُولِيَّة، فخرجت على ركبته غُدَّةٌ عظيمة، فقال: غدّة كغُدَّة

---

(١) عامر بن الطفيل: (٧٠ ق.هـ ـ ١١ هـ = ٥٥٤ ـ ٦٣٢ م) العامري من بني عامر بن صعصعة، فارس قومه وأحد فتاك العرب وشعرائهم وسادتهم في الجاهلية، كنيته أبو علي، ولد ونشأ بنجد، أدرك الإسلام شيخًا، وفد على الرسول وهو في المدينة بعد فتح مكة يريد الغدر به، فلم يجرؤ عليه، فدعاه إلى الإسلام، فاشترط أن يجعل له نصف ثمار المدينة، فرده، فمات في طريقه قبل أن يبلغ قومه. «الأعلام للزركلي ٣/ ٢٥٢».

البعير ومَوْتٌ في بَيْت سَلُولِيّة، ثم مات على ظهر فرسه؛ وسَلُول أقلّ العرب وأذلّهم، فسار كلامه مثلًا: يُضرَب في خَصْلتين إحداهما شرٌّ من الأخرى.

وقولهم: «غَرَّني بُرِدَاكِ من خَدَافِلي» ويروى: من غدافلي؛ أصل المثل أن رجلًا استعار بُردَي امرأة فلبسهما، ورَمَى بخُلْقَانٍ كانت عليه، فاسترجعت المرأة بُرديها فقاله: يُضرَب لمن ضَيّع ماله طمعًا في مال غيره.

حرف الفاء

قولهم: «في وَجْه المالِ تَعرِفُ أَمْرَتَه» أي نماءَه وخيرَه؛ ويقال: أمِرَتْ أموالُ بنِي فلان إذا نَمَتْ وكثُرت: يضرَب لمن يُستدلّ بحسن ظاهره على حسن باطنه.

وقولهم: «في بَيْته يُؤتَى الحَكَم» زعمت العرب أنّ الأرنبَ التقطت تمرةً فاختلسها الثعلب فأكلها، فانطلقا يختصمان إلى الضبّ، فقالت الأرنب: يا أبا الحِسْل، قال: سميعًا دعوتِ، قالت: أتيناكَ لنختصم إليك، قال: عادلًا حكَّمتما، قالت: فاخرج إلينا، قال: في بيته يُؤتى الحَكَم، قالت: إني وجدتُ تمرةً، قال: حُلوةٌ فكُليها، قالت: فاختلسها الثعلب، قال: لنفسه بغَى الخير، قالت: لطمتُه، قال: بحقّك أخذتِ، قالت: لطمَنِي، قال: حرٌّ انتصر، قالت: فاقضِ بيننا، قال: حَدِّث حديثين امرأةً، فإن أبَتْ فأربعةً؛ فذهبتْ أقوالُه كلُّها أمثالًا.

وقولهم: «فتًى ولا كمالِك» قاله مُتَمِّم بن نُوَيرة[1] في أخيه مالِك لمّا قُتل.

وقولهم: «في دُون هذا ما تُنكِرُ المرأةُ صاحبَها» أوّل من قاله جارية من مُزَيْنة، قال الحَكَم بن صَخْر الثَّقَفِيّ: خرجتُ منفردًا فرأيتُ بإمَّرَة (وإمّرة موضع)، جاريتين أُختين لم أَرَ كجمالهما، فكسوتُهما وأحسنتُ إليهما، قال: ثم حججتُ من قابلٍ ومعِي أهلِي، وقد اعتللتُ ونصَل خضابي، فلمّا صرتُ بإمّرة، إذا إحداهما قد جاءت، فسألت سؤال مُنْكِرة، قال فقلت: فلانة؟ قالت: فِدًى لك أبي وأمّي، أَنَّى تعرِفُنِي وأُنكرك؟ قال فقلتُ: أنا الحَكَم بن صَخْر، قالت: رأيتُك عامَ أوّل شابًّا سُوقَةً، وأراك العام شيخًا ملِكًا، وفي دُون هذا ما تُنكِرُ المرأةُ صاحبَها، فذهبت مثلًا، قال قلت: ما

(١) متمم بن نويرة: متمم بن نويرة بن حمزة بن شداد اليربوعي التميمي، أبو نهشل، شاعر فحل، صحابي، من أشراف قومه، اشتهر في الجاهلية والإسلام، وكان قصيرًا أعور، أشهر شعره رثاؤه لأخيه مالك. سكن المدينة في أيام عمر. توفي سنة ٣٠ هـ ـ ٦٥٠ م. «الأعلام للزركلي ٥/ ٢٧٤».

فعلتْ أختك؟ قال: فتنفَّست الصُّعَداءَ، وقالت: تزوجَها ابن عمّ لها وذهب بها، فذاك حيث تقول: [من الطويل]

إذا ما قَفَلنا نحوَ نَجْد وأهلِها　　　فحسبي من الدنيا قُفولٌ إلى نجدِ

قال: قلت: أَمَا إني لو أدركتُها لتزوّجتُها، قالت: وما يمنعك من شريكتها في حسنها وجمالها وشقيقتها؟ قال قلت: يمنعني من ذلك قول كُثَيِّر(١) حيث يقول: [من الطويل]

إذا وصلتنا خُلة كي تزيلَنا　　　أَبينا وقلنا الحاجبيّةُ أوّلُ

فقالت: كُثيّرٌ بيني وبينك، أليس الذي يقول: [من البسيط]

هل وَصْلُ عَزّةَ إلا وصلُ غانيةٍ؟　　　في وصلِ غانيةٍ من وصلها خَلَفُ

قال: فتركت جوابها عيًّا.

وقولهم: «فاتكةٌ واثقةٌ بِرِيّ» زعموا أن امرأة كَثُر لبنُها وطفقت تُهريقه، فقال لها زوجها: لِمَ تهرِيقينه؟ فقالت: فاتكة واثقة بريّ: يضرب للمفسد الذي وراء ظهره مَيسرة.

حرف القاف

قولهم: «قطعتْ جَهِيزَةُ قولَ كلّ خَطيب» أصله أن قومًا اجتمعوا يخطبون في صلح بين حيّين، قَتل أحدُهما من الآخر قتيلًا ليرضَوا بالدية، فبينما هم في ذلك، إذ جاءت أَمَةٌ يقال لها: جَهيزة، فقالت: إن القاتلَ قد ظَفرَ به بعضُ أولياء المقتول فقتله، فقالوا: قطعت جهيزة قول كلّ خطيب: يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه بجهله.

وقولهم: «قَبْلَ البكاء كان وجهك عابسًا»: يضرب للبخيل يعتَلُّ بالإعدام(٢). ومثله: «قَبْل النِّفَاسِ كنتِ مُصْفَرَّة».

---

(١) كُثَيِّر عَزَّة: كثير بن عبد الرحمٰن بن الأسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر، شاعر متيم مشهور، من أهل المدينة، أكثر إقامته بمصر، كان شاعر أهل المجاز في الإسلام، لا يقدمون عليه أحدًا، أخباره مع عزة بنت جميل الضمرية كثيرة، وكان عفيفًا في حبه، توفي بالمدينة في السنة ١٠٥ هـ ـ ٧٢٣ م. «الشعر والشعراء ص ٣٤٠، والأعلام للزركلي ٥/٢١٩».

(٢) الإعدام: الفقر، يقال: هو رجل معدم: أي فقير لا يملك شيئًا.

وقولهم: «قَلَب الأمرَ ظَهرًا لبطن»: يضرب في حسن التدبير.

وقولهم: «قد شَمّرتْ عن ساقها فشَمِّري»: يضرب في الحثّ على الجدّ في الأمر.

وقولهم: «قد يَضرِط العَيْر والمِكواةُ في النار» قاله عُرفُطة بن عَرفَجة سيّد بني هِزّان، وكان بينه وبين الحُصَين بن نَبيت العُكْليّ حروب ووقائع، فقتلت عُكْل[1] رجلًا من بني هِزّان، وأسر عُرفُطة بن عُكْل رجلين، فقال لهما: أيّكم أفضل لأقتله بصاحبنا؟ فجعل كلّ واحد منهما يخبر أنّ صاحبه أكرم منه، فأمر بقتلهما جميعًا، فقُدّم أحدهما للقتل، فجعل الآخر يَضرِط، فقال عُرفُطة: قد يضرط العير والمكواة في النار، فأرسلها مثلًا: يضرب للرجل يخوَّف بالأمر فيجزع قبل وقوعه. وهذا أحد الأقوال فيه؛ وقيل غير ذلك.

وقولهم: «قد بَيّن الصبحُ لذي عَينين»: يضرب في ظهور الأمر كلّ الظهور.

وقولهم: «قد أنصَف القارَةَ من راماها» القارةُ: قبيلةٌ قد تقدّم ذكرها في الأنساب.

وقولهم: «قبل الرِّماء تُملأُ الكائنَ» أي تؤخذ أهبّة الأمر قبل وقوعه. ومثله: «قبلَ الرَّميِ يُراش السهم»: يضرب في تهيئة الآلة قبل الحاجة إليها.

وقولهم: «قَلَب له ظَهر المِجَنّ»[2]: يضرب لمن كان لصاحبه على مودّة، ثم حال عن عهده.

وقولهم: «قد ألقَى عصاه» إذا استقرّ من سفر أو غيره؛ يقال: إنه لما بويع لأبي العباس السفّاح، قام خطيبًا فسقط القضيب من يده، فقام رجل من القوم وأنشد: [من البسيط]

فألقتْ عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عينًا بالإيابِ المسافرُ

وقولهم: «قد ونَى طَرَفاه»: يضرب لمن ذلّ وضعُف عن أن يتمّ له أمر؛ قال النجاشي: [من الطويل]

وإنّ فلانًا والإمارة كالذي وَنَى طَرَفاه بعْد ما كان أجدعا

(١) عكل: بلد، وعكل قبيلة عربية، في أفرادها غباوة وقلة فهم، ولذلك يقال لكل من فيه غفلة ويستحمق: عكلي. «لسان العرب ١١/ ٤٦٧».

(٢) المجن: الترس، ومجن يمجن إذا صلب وغلظ. «لسان العرب ١٣/ ٤٠٠».

وقولهم: «قُدَّتْ سيورُهم[١] من أَدِيمك»: يضرب للشيئين يستويان في الشبه قال الشاعر: [من الوافر]

* وقُـدّت مـن أديـمِـهـم سـيـورى *

وقولهم: «قد بَلَغ الشُظاظ الورِكَين» الشظاظ: عُوَيد يُجعل في عروة الجوالق[٢]: يضرب فيما جاوز الحدّ، وهو كقولهم: جاوز الحزامُ الطِّبْيَين.

حرف الكاف

قولهم: «كان كُراعًا، فصار ذراعًا»: يضرب للذليل الضعيف صار عزيزًا قويًّا.

وقولهم: «كلامٌ كالعسَل، وفعلٌ كالأسَل»: يضرب في اختلاف القول والفعل.

وقولهم: «كنتَ تبكِي من الأثر العافِي فقد لاقيتَ أُخدودًا»: يضرب لمن يشكو القليل من الشرّ ثم يقع في الكثير.

وقولهم: «كلّ ذات بعلٍ ستَئيم» هذا من أمثال أكثم بن صيفيّ؛ قال الشاعر: [من الطويل]

أفـاطـم إنـي هـالـك فـتـثَـبّـتـي ... ولا تـجـزعي، كـلُّ الـنـسـاء تـئـيـمُ

أي ستفارق زوجها.

وقولهم: «كلُّ أزَبَّ[٣] نَفور» قاله زُهَير بن جذِيمة[٤] لأخيه أُسيد، ونذكر الخبر في وقائع العرب.

وقولهم: «كلّ فتاة بأبيها مُعجَبة»: يضرب في عجب الرجل بعشيرته ورهطه.

وقولهم: «كلّ الصيْد في جوف الفرا» الفرا: الحمار الوحشيّ؛ أصل المثل أن ثلاثة نفر خرجوا متصيّدين، فاصطاد أحدهم أرنبًا، والآخر ظبيًا، والثالث حمارًا،

---

(١) السّيور: السَّيْرُ: ما يُقد من الجلد طولًا، والجمع السيور، والسير: ما قد من الأديم طولًا، والسير: الشِّراكِ والجمع أسيار وسيور. «لسان العرب ٤/ ٣٩٠».

(٢) الجوالق: الجُوالِق والجوالَق: وعاء من الأوعية معرب. «لسان العرب ١٠/ ٣٦».

(٣) الإزب: اللئيم، والإزب الدقيق المفاصل، والإزب من الرجال: القصير الغليظ. والأزَبُّ في اللغة: الكثير الشعر. «لسان العرب ١/ ٢١٣».

(٤) زهير بن جذيمة: بن رواحة العبسي، أمير عبس، وأحد سادات العرب المعدودين في الجاهلية، كانت هوزان تهابه، حتى تكاد تعبده، وتحمل إليه الأتاوة في كل عام، تأتيه بها من عكاظ، قتله خالد بن جعفر العامري في السنة ٥٠ ق.هـ ـ ٥٧٤ م.

فتطاولا عليه بصيدهما، فقال: كلُّ الصيدِ في جوف الفرا: يضرب لمن يفضّلُ على أقرانه، وقد تمثّل به رسول الله ﷺ.

وقولهم: «كَدَمْتَ غير مَكْدَم»: يضرب لمن يطلب شيئًا في غير مطلبه.

وقولهم: «كالثور يُضرب لمّا عافت البقر»: يضرب في عقوبة البريء بذنب المجرم، ويأتي ذكر ذلك في أوابد العرب.

وقولهم: «كالكبش يحمل شَفْرةً وزنادًا»: يضرب لمن يتعرّض للهلاك.

وقولهم: «كالمستغيث من الرمضاء بالنار»: يضرب في الخَلّتين يجتمعان على الرجل.

وقولهم: «كالقابس[١] العَجلان»: يضرب لمن عجّل في طلب حاجته.

وقولهم: «كلاهما وتمرًا»: أوّل من قاله عمرو بن حُمران الجعديّ، وذلك أنه مرّ برجل وبين يديه زُبد وسَنام وتمر، فقال: أنلني ممّا بين يديك، فقال: أيّما أحبّ إليك أزُبدٌ أم سَنام؟ فقال: كلاهما وتمرًا، فسارت مثلًا.

وقولهم: «كالباحث عن المُدْيَة» يقال: إن رجلًا وجد صيدًا، ولم يكن معه ما يذبحه به، فبحث الصيد بأظلافه في الأرض، فسقط على شفرة فذبحه بها: يضرب في طلب الشيء يؤدّي صاحبه إلى تلف النفس.

وقولهم: «كذي العُرّ يُكوَى غيرُه وهو راتع»: يُضرب في أخذ البريء بذنب الجاني، ويأتي ذكره في أوابد العرب.

وقولهم: «كالمحتاض على عَرْض السراب»: يُضرب لمن يطمع في محال.

وقولهم: «كلّ لياليه لنا حَنادس[٢]: يُضرب لمن لا يصل إليك منه إلا ما تكره.

---

(١) القابس: القبس: النار، أو الشعلة من النار، والقابس: طالب النار، والجمع أقباس. «لسان العرب ٦/١٦٧».

(٢) الحنادس: الحندس: الظلمة، الليل الشديد الظلمة، والحنادس: ثلاث ليال من الشهر لظلمتهن. «لسان العرب ٦/٥٨».

حرف اللام

وقولهم: «لو ذاتُ سِوار لطمَتني» معناه لو ظلمني من كان كفؤًا لي لهان عليّ، ولكن ظلمني من هو دوني، وهو كقول بعضهم: [من الوافر]

فلو أني بُليتُ بهاشميّ خؤولته بنو عبد المَدانِ
لهان عليّ ما ألقى ولكن تعالَيْ فانظري بمن ابتلاني

وقولهم: «لو غير ذاتِ سِوارٍ لطمَتني» روى الأصمعيّ: أن حاتمًا الطائيّ مرَّ ببلادِ عَنزة في بعض الأشهر الحُرُم فناداه أسيرٌ لهم: يا أبا سَفانة: أكلني الإسار[1] والقمل، فقال: ويحك، أسأتَ إذ نوَّهت باسمي في غير بلاد قومي، فساوم القومَ به ثم قال: أطلقوه واجعلوا يديَّ في القِدّ مكانه، ففعلوا ذلك؛ ثم جاءته امرأة ببعير ليفصده فنحره فلطمته فقال: لو غير ذات سوارٍ لطمتني، يعني أني لا أقتصُّ من النساء، ثم عُرِف، ففدى نفسه فداءً عظيمًا.

وقولهم: «لو تُرِكَ القَطا ليلًا لَنام» قالته امرأة عمرو بن مامة، وقد نزل عليه قوم من مُرادٍ، فطرقوه ليلًا، فأثاروا القطا، فرأته امرأته فنبّهتْه فقال: إنما هذا القطا، فقالت: لو تُرِكَ القطا ليلًا لنام؛ فسار مثلًا: يُضرب لمن حُملَ على مكروه من غير إرادته؛ وقيل: إن التي قالته له حَذامِ بنت الريّان[2].

وقولهم: «لبِسَ له جِلْدَ النَّمر»: يضرب في إظهار العداوة وكشفها.

وقولهم: «لقد ذَلّ من بالت عليه الثعالب» أصله أن رجلًا من العرب كان يعبد صنمًا، فجاء ثعلب فبال عليه، فقال في ذلك: [من الطويل]

أَرَبٌّ يبول الثُّعلُبانُ برأسهِ؟ لقد ذلّ من بالت عليه الثعالبُ

وقولهم: «ليس هذا بعُشّكِ فادرُجي»: يُضرب لمن يرفع نفسه فوق قدره.

وقولهم: «لم أجدْ لشَفْرتي مَحَزًّا»: يُضرب عذرًا في تعذّر الحاجة.

---

(١) الإسار: القيد ومنه سمي الأسير. «لسان العرب ٤/ ١٩».

(٢) حذام بنت الريان: جاهلية يمانية، يضرب بها المثل في صدق الخبر، وفيها قال زوجها لجيم بن صعب هذا البيت المشهور:

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

«الأعلام للزركلي ٢/ ١٧١».

وقولهم: «لو سئلت العاريةُ أين تذهبين لقالت أُكسبُ أهلي ذمًّا» هذا من كلام أكثم بن صيفيّ: يُضرب في سوء الجزاء للمنعم.

وقولهم: «ليس من العَذْل، سرعة العذْل» أي لا ينبغي أن تعجِّلَ بالعذل قبل أن تعرفَ العذرَ.

وقولهم: «ليس القُدامَى[١] كالخَوافي»: يُضربَ عند التفضيل.

وقولهم: «لو كُويتُ على داءٍ لم أكرهْ» أي لو عوتبتُ على ذنب ما امتعضتُ.

وقولهم: «ليس على الشَّرْق طَخَاءٌ يَحجُب» أي ليس على الشمس سحاب: يُضرب في الأمر المشهور الذي لا يخفى على أحد.

وقولهم: «لأكوينّه كيّةَ المتلوِّم» أي كَيًّا بليغًا؛ والمتلوِّم: الذي يتتبّع الداء حتى يعلم مكانه: يُضرب في التهديد الشديد.

وقولهم: «لأمرٍ ما جدَع قَصِيرٌ أنفه» قالته الزَّبّاء لما رأت قَصيرًا مجدوعًا؛ وخبره يأتي في باب المكايد.

حرف الميم

قولهم: «ما تَنفع الشَّفْعةُ في الوادي الرُّغُب» الشَّفْعة: المطرة الهيّنة، والرُّغُب: الواسع: يضرب للذي يعطيك قليلًا لا يقع منك مَوقعًا.

وقولهم: «ما وراءكِ يا عِصام؟» يقال: أوّل من قال ذلك الحارث بن عمرو[٢] ملك عنده، وذلك أنه بلغه جمالُ ابنة عَوف بن مُحَلِّم فأرسل إليها امرأة ذاتَ عقل ولسان، يقال لها: عِصام، وقال: اذهبي لتعلميني بحالها، فلما انتهت إليها ونظرتها خرجت وهي تقول: «تَرَكَ الخِداع، مَن كشَف القِناع» فذهبت مثلًا، ثم عادت إليه، فقال لها: ما وراءكِ يا عصام؟ فقالت: «صرَّحَ المَحْضُ عن الزُّبد» فأرسلتها مثلًا؛ وساق الميدانيّ على هذا المثل كلامًا طويلًا قالته عِصام في وصف أعضاء المخطوبة.

---

(١) القدامى: ريش مقدّم الجناح، والخوافي: ريش مؤخّر الجناح.

(٢) الحارث بن عمرو: بن عدي بن نصر اللخمي، من ملوك الدولة اللخمية في الحيرة، ولي بعد موت أخيه امرىء القيس، وطالت مدته. «الأعلام للزركلي ٢/١٥٦».

وقولهم: «ما يومُ حَليمةَ بسرٍّ» هي حليمةُ بنتُ الحارثِ بن أبي شَمِر[١]، كان أبوها وجّه جيشًا إلى المنذر بن ماء السماء فأخرجتْ لهم طيبًا في مِرْكَنٍ[٢] فطيّبتهم؛ فلما انتهت إلى لَبيد بن عمرو وذهبت لتخلقه[٣]، قبّلها، فلطمته وأتت أباها، فقال لها: ويلكِ اسكتي عنه، فهو أرجاهم عندي ذكاءَ فؤادٍ، وإني مرسلهُ، فإن قُتل فقد كفى الله شرّه؛ فسار إلى المنذر بالجيش، فقتلوا المنذر وكان يومًا مشهورًا، فقيل فيه: ما يوم حليمةَ بسرٍّ.

وقولهم: «ما أشبهَ الليلةَ بالبارحة» أي ما أشبهَ بعض القوم ببعض.

وقولهم: «مرْعًى ولا كالسَّعدان» قالوا: السَّعدان أختر العُشبِ لبنًا، ومنابته السهول: يُضرب مثلًا للشيء يفضَّل على أقرانه وأشكاله؛ وأوّل من قال المثل: خنساء بنت عمرو بن الشريد، وقيل: بل قالته امرأة من طيىء تزوّجها امرؤ القيس بن حُجْر الكَنديّ فقال لها: أين أنا من زوجك الأوّل؟ فقالت: مرعًى ولا كالسّعدان، أي إنك إن كنت رضًا فلست كَفُلانٍ.

وقولهم: «ماءٌ ولا كصَدَّاء» صَدَّاءُ: ركيّة[٤] عذبة؛ قال ضِرار السعديّ: [من الطويل]

وإني وتَهيامي بزينبَ كالذي   تطلَّبَ من أحواضِ صَدَّاءَ مَشرَبا

معناه أنه لا يصل إليها إلا بالمزاحمة لفرطِ حسنها، كالذي يرِدُ الماءَ فإنه يزاحم عليه لفرط عذوبته.

وقولهم: «محا السيفُ ما قال ابنُ دارةَ أجمعا» هو سالم بن دارة الغطفانيّ[٥]، ودارةُ: أمُّه، وكان قد هجا بعض بني فزارة فاغتالهُ زُمَيْل فقتله، ففيه

(١) الحارث بن أبي شمر: الغساني، من أمراء غسان في أطراف الشام، كانت إقامته بغوطة دمشق، وأدرك الإسلام، مات في عام فتح مكة سنة ٨ هـ ـ ٦٣٠ م. «الأعلام للزركلي ٢/ ١٥٥».

(٢) المركن: الإجّانة أو الوعاء الكبير الذي تغسل فيه الثياب، والمِركن: الإجانة. «اللسان ١٣/ ١٨٦».

(٣) تخلقه: تطليه بالخلوق، والخلوق: طيب معروف يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب. «اللسان ١٠/ ٩١».

(٤) الركية: البئر والجمع ركي وركايا. «لسان العرب ١٤/ ٣٣٤».

(٥) سالم بن دارة الغطفاني: بن مسافع بن عقبة الجشمي، المعروف بابن دارة نسبة إلى أمه، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، له ديوان شعر، وكان هجاءً، وبسبب ذلك ضربه زميل بن أم دينار الفزاري قرب المدينة، ومات من جرحه في المدينة في خلافة عثمان نحو ٣٠ هـ ـ ٦٥٠ م. «الأعلام للزركلي ٣/ ٧٣».

يقول الكميت: [من الطويل]

فلا تُكثروا فيه الضِّجاجَ فإنه محا السيفُ ما قال ابنُ دارة أجمعا

وقولهم: «مَلكتَ فأسجِحْ» الإسجاح: حسن العفو، أيْ ملكتَ الأمر فأحسنِ العفو؛ وقد تمثّل به رسول الله ﷺ في بعض غزواته؛ ونذكر الخبر في ذلك في المغازي.

وقولهم: «من ينكح الحسناءَ يُعطِ مَهرَها» أي من طلب حاجة بذل ماله فيها.

وقولهم: «من سرّه بنوه ساءته نفسه» قاله ضِرار بن عمرو الضبيّ(١): وكان ولده ثلاثة عشر رجلًا، كلّهم قد غزا ورأس، فرآهم يومًا وأولادَهم، فعلم أنهم لم يبلغوا هذه الأسنانَ إلا مع كبرِ سنّه، فقال: من سرّهُ بنوه ساءته نفسه، فأرسلها مثلًا.

وقولهم: «من أشبه أباه فما ظلم» معناه ظاهر.

وقولهم: «من يُرِ يومًا يُرَ به» قاله كَلْحَب بن شُؤبوب الأسديّ، وكان يُغير على طيىء وحده، فدعا حارثةُ بن لأم رجلًا من قومه يقال له: عترم، فقال له: أما تستطيع أن تكفيَني مؤونة هذا الخبيث؟ فقال: بلى، فأرسل عشرةَ عيون عليه، فعلموا مكانه فانطلق إليه عترم فوجده نائمًا في ظلّ أراكةٍ فنزل ومعه آخر فأخذ كلّ واحد منهما بإحدى يديه فانتبه فنزع يده اليمنى من مُمْسكها وقبض على حَلْق الآخر فقتله وبادر الباقون فأخذوه وشدّوه وثاقًا وأتوا به حارثةَ، فقال له: يا كلحب، إن كنتَ أسيرًا فطالما أَسرتَ، فقال: من يُرِ يومًا يُرَ به، فأرسلها مثلًا، وقال حَوذة وهو ابن المقتول لحارثة: أعطنيه أقتلْه بأبي، فقال: دونكه! وجعلوا يتكلّمون وهو يعالج كتافَه حتى انحلّ، ثم وثب على رجليه فاتبعوه بالخيل فأعجزهم.

وقولهم: «مَنْ سلَك الجَدَدَ أمِن العثار» الجَدَدُ: الأرض المستوية: يُضرب في طلب العافية.

وقولهم: «مَن يشرتي سيفي وهذا أثره؟» قاله الحارث بن ظالم(٢)، وذلك أنه

---

(١) ضرار بن عمرو الظبي، سيد بني ظبة في الجاهلية، هو أول من لقب عامرًا بن مالك بملاعب الأسنة، مات قبيل الإسلام، وهو والد «الحصين بن ضرار» قتيل وقعة الجمل. «الأعلام للزركلي ٣/ ٢١٥».

(٢) الحارث بن ظالم: أبو ليلى، أشهر فُتاك العرب في الجاهلية، نشأ يتيمًا، آلت إليه سيادة عطفان بعد مقتل زهير بن جذيمة، وفد على النعمان بن المنذر ملك الحيرة فالتقى بقاتل أبيه جعفر بن=

لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب بزهير بن جذيمة العبسيّ على ما نذكره إن شاء الله في وقائع العرب وهرب، فوجّه النعمانُ فوارسَ في طلبه فأدركوه سحرًا فعطف عليهم وقتلَ منهم جماعة وكرّوا عليه فجعل لا يقصد لجماعة إلا فرّقها وهو يقول: من يشتري سيفي وهذا أثره، فارتدعوا عنه وانصرفوا إلى النعمان.

وقولهم: «مِنْ مالِ جَعْدٍ وجعدٌ غير محمودِ» قاله جعد بن الحُصين أبو صخر بن جعد الشاعر، وكان قد كبِر فتفرّق عنه بنوه وأهله، وبقيت له جاريةٌ سوداءُ تخدمه، فعلقت بفتى من الحيّ يقال له: عَرابة، فجعلت تنقل إليه ما في بيت جعد، ففطن جعد لذلك، فقال في ذلك: [من البسيط]

أبلغْ لديك بني عمرٍو مُغلغلةً ... عمرًا وعَوفًا وما قولي بمردودِ[1]

بأنّ بيتيَ أمسى فوق داهيةٍ ... سوداءَ قد وعدتْني شرّ موعودِ

تُعطِي عَرابةَ بالكفّين مُجتَنحًا ... من الخَلوق وتُعطيني على العودِ

أمسى عَرابةُ ذا مالٍ يُسرّ به ... من مالِ جعدٍ، وجعدٌ غير محمودِ

يُضرب للرجل يصاب من ماله ويذمّ.

وقولهم: «من مأمنه يؤتَى الحذِر» قاله أكثم بن صيفيّ.

وقولهم: «من يمشِ يرضَ بما ركب»: يضرب للذي يضطرّ إلى ما كان يرغب عنه.

وقولهم: «من يلقَ أبطالَ الرجالِ يُكلَم» قاله عُقيل بن علقمة المُرّي، وقد رماه عَملّس ابنه بسهم فحلّ فخذيه، فقال أبياتًا منها: [من الرجز]

إنّ بَنِيّ زمّلوني بالدمِ ... شِنشِنةٌ أعرفُها من أَخزمِ

* من يَلْقَ أبطالَ الرجالِ يُكلَمِ *

وقولهم: «من لا يذُدْ عن حوضه يُهدَّم» أي من لم يدفع عن نفسه يُظلم، قاله زُهَير بن أبي سُلمى.

وقولهم: «مكْرَهٌ أخوك لا بَطَلٌ» قاله أبو حَنَش خال بَيْهس: يُضرب لمن يُحمل على ما ليس من شأنه.

= خالد، وما لبث أن قتله، فجد أخصامه في طلبه، وظل متنقلًا من قبيلة إلى أخرى حتى قتل في حوران نحو ٢٢ ق.هـ ـ ٦٠٠ م. «الأعلام للزركلي ٢/ ١٥٥».

(١) المغلغلة: الرّسالة.

وقولهم: «من نام لا يَشعُر بشجو الأرِق»: يُضْرب لمن غفل عما يعانيه صاحبه من المشقّة.

حرف النون

قولهم: «نفْسُ عِصامٍ سوّدتْ عِصامًا» هو عصام بن شَهْبَر حاجب النعمان بن المنذر: يُضرب في نباهة الرَّجل من غير قديم؛ وقيل في هذا: [من الرجز]

نفْسُ عصامٍ سوّدت عصاما وعلّمتْه الكرَّ والإقداما
* وصيّرتْه مَلِكًا هُماما *

وقولهم: «نظرةٌ مِن ذي عَلَق» أي من ذي هوًى: يُضرب لمن ينظر بودّ.

وقولهم: «نَزَت به البِطنة»: يُضرب لمن لا يحتمل النِّعمة.

قال الشاعر: [من البسيط]

فلا تكونَنّ كالنازي ببِطنته بين القرينيْن حتى ظلّ مقرونا

وقولهم: «نجوتُ وأرهنتُهم مالكًا» قال عبد الله بن هَمّام السَّلوليّ[1]: [من المتقارب]

فلمّا خَشِيتُ أظافيرَهم نجوتُ وأرهنتُهم مالكا

يُضرب لمن ينجو من هَلَكة نَشَبَ فيها شركاؤه وأصحابه.

وقولهم: «نامِ عصام ساعةَ الرحيل»: يُضرب لمن طلب الأمر بعدما ولّى.

حرف الهاء

قولهم: «هُدْنةٌ على دَخَن».

وقولهم: «هذا أوانُ شدّكم فشُدّوا».

ومثله قولهم: «هذا أوانُ الشدّ فاشتدّي زِيَم» قال الأصمعيّ: زيم: اسم فرس: يُضرب للرجل يؤمر بالجِدّ.

---

(١) عبد الله بن همام السلولي: من بني مرة بن صعصعة، شاعر إسلامي، أدرك معاوية وبقي إلى أيام سليمان بن عبد الملك أو بعده، له أخبار، كان يُقال له العطار لحسن شعره. «الأعلام للزركلي ٤/١٤٣».

وقولهم: «هو على حَبْلِ ذراعك» أي الأمر فيه إليك: يُضرب في قرب المتناوَل؛ وحبْل الذراع: عِرقٌ في اليد.

وقولهم: «هان على الأَملِس ما لاقَى الدَّبِر»: يُضرب في سوء اهتمام الرجل بشأن صاحبه.

وقولهم: «هو بين حاذِف وقاذِف» الحاذفُ بالعصا، والقاذف بالحصى: يُضرب لمن هو بين الشرّين.

وقولهم: «هو على طرَف الثُّمام» الثمامُ: نبت ضعيف سهل المتَناولُ تسدّ به خصاصُ[1] البيوت، وربما حُشيتْ به المَخادُّ؛ قالوا: إنه ينبت على قدر قامة الإنسان: يُضرب في تسهيل الحاجة وقرب النجاح.

وقولهم: «هي الخَمر تُكنَى الطِّلاء»: يضرب للأمر ظاهرُهُ حَسَنٌ وباطنُهُ على خلاف ذلك.

حرف الواو

قولهم: «وافق شَنٌّ طَبَقَة» قال الشرقيّ بن القطامي[2]: كان رجل من دهاة العرب وعقلائهم يقال له: شَنٌّ، فآلى أنه يطوف البلادَ حتى يجدَ امرأةً مثلَهُ فيتزوّجُها، فبينا هو في بعض مسيرهِ إذ وافقَه رجلٌ في الطريق فسارا جميعًا، فقال له شَنٌّ: أتحملُني أم أحملُكَ؟ فقال: أنا راكبٌ وأنت راكب، فكيف تحملني أو أحملك؟! ثم سارا فانتهيا إلى زرع قد استحصد، فقال شَنٌّ: أترى هذا الزرعَ أُكِلَ أم لا؟ فقال: لم أر أجهل منك، نبتًا مستحصدًا فتقول: أُكِلَ أم لا! فسكت؛ ثم سارا حتى دخلا القرية فلقيا جنازة، فقال شنٌّ: أترى صاحب هذا النعش حيًّا أم ميّتًا؟ فقال له الرجل: ترى جنازةً تسأل عنها أميّتٌ صاحِبُها أم حيٌّ! فسكت عنه شَنّ وأراد مفارقتَه فأبى أن يتركَه وسار به إلى منزله، وكان للرجل بنتٌ يقال لها: طبقة، فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه، فقال: ما رأيت أجهل منه، وحدّثها بحديثه، فقالت: يا أبتِ ما هذا

---

(١) الخصاص: التفاريج الضيقة، والخُص: البيت من القصب، وخصاصة الباب أي مزجته. «لسان العرب ٧/ ٢٦».

(٢) الشرقي بن القطامي: الوليد بن حصين بن حبيب بن جمال الكلبي، المعروف بالشرقي بن القطامي، أبو المثنى، عالم بالأدب والنسب، من أهل الكوفة، استقدمه منها أبو جعفر المنصور إلى بغداد ليعلم ولده «المهدي» الأدب، وكان صاحب سمر، وروى نحو عشرة أحاديث ضعيفة. توفي نحو السنة ١٥٥ هـ ـ ٧٧٢ م. «الأعلام للزركلي ٨/ ١٢٠».

بجاهل! قوله: أتحملني أو أحملك؟ أراد أتحدّثني أم أحدّثك، وأما قوله: أترى هذا الزرع أُكل أم لا؟ فأراد هل باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا؟ وأما الجنازة فأراد هل ترك عقبًا يحيا بهم ذكرُهُ أم لا؟ فخرج الرجل فقعد مع شَنٍّ فحادثه، وقال له: أتحبُّ أن أفسر لك ما سألتني؟ قال نعم، ففسره، فقال شَنٌّ: ما هذا من كلامك، فأخبِرْني مَنْ صاحبُه؟ فقال: ابنة لي، فخطبها إليه فزوّجهُ إياها وحملها إلى أهله، فلما رأوها قالوا: وافقَ شَنٌّ طبقة، فذهبتْ مثلًا: يُضرب للمتوافقين؛ وقال الأصمعيّ: هم قومٌ كان لهم وعاءٌ من أَدَم فتشنَّن[1] فجعلوا له طَبَقًا فوافقه فقيل: وافق شَنٌّ طَبَقة، ورواه أبو عبيدةَ في كتابه، وقال ابن الكلبيّ: طبقة: قبيلةٌ من إياد كانت لا تُطاقُ فأوقعت بها شنّ بن أفصى بن دُعْمِيّ فانتصفَتْ منها وأصابت فيها فضُربتا مثلًا وأنشد: [من الرّمل]

لَقِيَتْ شَنٌّ إيادًا بالقنا طَبَقًا، وافق شَنٌّ طَبَقَه

وقولهم: «وجدتُ الناس اخبُرْ تَقْلُه» أصله اخبُر الناس تَقْلُهم: يُضرب في ذمّ الناس وسوءِ معاشرتهم.

وقولهم: «وَلُودُ الوعد عاقرُ الإنجاز»: يُضرب لمن يكثُر وعدُه ويقِلُّ نقدُه.

وقولهم: «وَدِّعَ مالًا مُودِعُه» لأنه إذا استودعه غيره فقد ودّعه وغرّرَ به ولعله لا يرجعُ إليه.

وقولهم: «ومَوْرِد الجهل وَبِيءُ المَنهل»: يُضرب في النَّهْيِ عن استعمال الجهل.

ما جاء في ما أوّله (لا)

قولهم: «لا مَخْبأَ لعِطْرٍ بعد عَروس» ويقال: «لا عِطْرَ بعد عَروس» أوّل من قاله امرأةٌ من عُذْرة، يقال لها: أسماءُ بنتُ عبد الله، وكان لها زوجٌ من بني عمّها يقال له: عَروسٌ، فمات عنها، فتزوّجها رجلٌ من قومها يقال له نَوْفَل، وكان أعسر أبخر[2] بخيلًا ذميمًا، فلما دخل بها قال: ضُمّي إليك عِطرَكِ، فقالت: لا عِطرَ بعد عَروس، فذهبت مثلًا، ويقال: إن رجلًا تزوّج امرأة، فلما أُهدِيَتْ إليه وجدها

(١) تشنَّن: التشنن: التشنج واليُبس في جلد الإنسان عند الهرم. والشَّن: الخلق من كل آنية صنعت من جلد. وتشنن السِّقاء: أخلق، والشن: القربة الخلق. «لسان العرب ٢٤١/١٣».

(٢) الأبخر: الذي تخرج من فمه رائحة كريهة.

تَفِلَة[١] فقال لها: أين الطِّيبُ؟ فقالت: خَبَّأتُه، فقال لها: لا مَخْبَأَ لعِطرٍ بعد عَروس: يُضرب مثلًا لمن لا يُدَّخر عنه نفيسٌ.

وقولهم: «لا يُلدَغ المؤمن من جُحرٍ مرّتين»: يُضرب لمن أُصيبَ ونُكب مرّة بعد أخرى، يقال هذا من أمثال النبيّ ﷺ قاله لأبي عَزّةَ الشاعرَ وكان رسولُ الله ﷺ قد أسره يومَ بدرٍ فمنَّ عليه وأطلقه ثم أتاه يوم أُحُدٍ فأسره، فقال: مُنَّ عليّ، فقال رسول الله ﷺ: «لا يُلدغ المؤمنُ من جُحر مرّتين» أي لو كنتَ مؤمنًا لم تعدْ لقتالنا.

وقولهم: «لا أطلبُ أثرًا بَعدَ عين» أوّلُ من قالَه مالك بن عمرو العامري، وكان من حديثه أن بعضَ ملوكِ غسّانَ كان يطلب في بني عامرَ ذَحْلًا فأخذ منهم مالكًا وسِمَاك ابني عمرو العامريّ فاحتبسهما زمانًا ثم دعا بهما، فقال لهما: إني قاتل أحدكما، فأيكما أقتل؟ فجعل كلُّ واحد منهما يقول: اقتلني مكان أخي، فقتل سِماكًا وخلّى سبيلَ مالك، فقال سِماك حين ظنّ أنه مقتول: [من المتقارب]

فأُقسِمُ لو قَتلوا مالكًا ... لكنتُ لهم حيّةً راصدهْ
برأسِ سبيلٍ على مَرقبٍ ... ويومًا على طُرُقٍ واردهْ
فأُمَّ سِماكٍ فلا تجزعي ... فللموت ما تلد الوالدهْ

وانصرف مالك إلى قومه فأقام فيهم زمانًا ثم إنّ ركبًا مرّوا وواحد منهم يتغنّى بقول سِماكٍ: [من السريع]

* فأُقسِمُ لو قَتلوا مالكا *

فسمعتْه أمّ سِماك، فقالت: يا مالك، قبحَ الله الحياةَ بعد سِماك، اُخرجْ في الطلب فخرج فلقي قاتل أخيه يسير في ناسٍ من قومه فقال: من أحسَّ لي الجملَ الأحمرَ، فقالوا له وقد عرفوه: يا مالك اُكفف ولك مائة من الإبل، فقال: لا أطلب أثرًا بعد عين، فذهبت مثلًا.

وقولهم: «لا يُرسِل الساقَ إلا مُمسِكًا ساقًا» أصله في الحِرباء: يُضرب لمن لا يدع حاجةً إلا سأل أخرى.

---

(١) التفلة: تفل الشيء تفلًا: تغيرت رائحته، والتَّفَل: ترك الطيب، ورجل تَفِل أي غير متطيب. «لسان العرب ١١/ ٧٧».

وقولهم: «لا ماءَكِ أبقيْتِ، ولا حِرَكِ أنقيْت» ويُروى: ولا دَرَنَكِ؛ أصله أنّ رجلًا كان في سفر ومعه امرأته، وكانت عاركًا[١] فطهُرت وكان معها ماءٌ يسير فاغتسلت به فنفدَ ولم يكفها لغسلها فعطشا فقال هذا القول فسار مثلًا، وقيل: إنّ الذي قاله القضبّ بن أروَى الكلاعيّ قاله لامرأته عَمْرة بنت سُبيع؛ قال الرزدق: [من الطويل]

وكنتُ كذات الحيض لم تُبقِ ماءَها ... ولا هي من ماء العَذابة طاهرُ

وقولهم: «لا ناقتي في هذا ولا جَملي» المثل للحارث بن عَبّاد[٢] حين قَتل جَسّاسُ بن مُرّة كُليبًا وهاجت الحربُ بين الفريقين واعتزلهما الحارث؛ قال الراعي: [من البسيط]

وما هجرتُكِ حتى قلتِ مُعلِنةً ... لا ناقةٌ ليَ في هذا ولا جَملُ

يُضرب عند التبرّؤ من الظلم والإساءة.

وقولهم: «لا يَنتطِح فيها عَنْزان» قاله رسول الله ﷺ.

وقولهم: «لا يُنبتُ البَقْلة، إلا الحَقْلة» الحَقْلَةُ: القَرَاحُ، أي لا يلد الوالد. إلا مثلَه: ويُضربُ مثلًا للكلمة الخسيسة تخرج من الرجل الخسيس.

وقولهم: «لا تَدخُلْ بين العصا ولِحائها»: يضرب في المتخالّيْن المتصافيَيْن.

وقولهم: «لا يحزُنْكَ دمٌ هَرَاقه أهلُه» قال هذا المثل جَذيمةُ: يُضرب لمن يُوقِع نفسَه فيما لا مَخلَصَ له منه.

حرف الياء

قولهم: «يَداك أوْكَتا[٣] وفُوك نَفَخ» أصله أن رجلًا كان في جزيرة من جزائر البحر فأراد أن يعبُر على زِقّ قد نَفَخ فيه فلم يُحسن إحكامَه، فلمّا توسّط البحر

---

(١) العارك: من العراك وهو الحيض، وعركت المرأة: حاضت. «لسان العرب ١٠/ ٤٦٧».

(٢) الحارث بن عباد: ابن قيس بن ثعلبة البكري، أبو منذر، حكيم جاهلي، كان شجاعًا، من السادات شاعرًا، انتهت إليه إمرة بني ضبيعة وهو شاب، وفي أيامه كانت حرب البسوس فاعتزل القتال مع قبائل من بكر، ثم إن المهلهل قتل ولدًا له اسمه بجير، فثار الحارث ونادى بالحرب وخاض غمارها حتى انتصر على تغلب. عمر الحارث طويلًا وتوفي نحو السنة ٥٠ ق هـ ـ نحو ٥٧٠ م. «الأعلام للزركلي ٢/ ١٥٦».

(٣) يداك أوكتا: أي يداك شدّتا الوكاء وهو الرّباط.

خرجت منه الريح فغرِق فاستغاث برجل، فقال له: يداك أوْكتا وفوك نفخ، فذهبت مثلًا: يُضرب لمن يجني على نفسه الحَيْن.

وقولهم: «يَشُجُّ ويأسو»: يُضرب لمن يُصيب في التدبير مرّة ويخطىء أخرى؛ قال الشاعر: [من البسيط]

إني لأُكثِرُ ممّا سُمتني عَجَبا ... يَدٌ تشُجُّ وأخرى منك تأسوني

وقولهم: «يُسِرُّ حَسْوًا في ارتغاء» أصله أن الرجل يؤتَى باللبن فيُظهِر أنه يريد الرِّغوةَ خاصَّةً فيشربُها، وهو في ذلك ينال من اللبن: يُضرب لمن يُريك أنه يُعينك وإنما يجرُّ النفعَ إلى نفسه؛ قال الكميت: [من الوافر]

فإني قد رأيتُ لكم صدودًا ... وتَحساءً بعلَّةِ مُرتغينا

وقولهم: «يمشِي رُوَيْدًا ويكون أوّلًا»: يُضرب للرجل يُدرك حاجتَه في تُؤَدةٍ ودَعَةٍ، ويُنشَد فيه: [من الرّجز]

تسألني أمُّ الوليد جملَا ... يمشي رُوَيْدا ويكون أوّلَا

وقولهم: «يُصبح ظمآنَ وفي البحر فَمُه»: يُضرب لمن يعاشر بخيلًا مُثريًا.

وقولهم: «يَمْلأُ الدَّلو إلى عَقْد الكَرَب» مأخوذ من قول عُتْبة بن أبي لَهَب: [من الوافر]

مَن يُساجِلْني يُساجِلْ ماجدًا ... يملأُ الدَّلو إلى عَقْد الكَرب

وهو الحبل الذي يُشدّ في وسط العَرَاقيّ: يُضرب لمن يبالغ فيما يلي من الأمر.

وقولهم: «يُكْوَى البعيرُ مِن يَسيرِ الداء»: يُضرب في حَسْمِ الأمرِ الضائرِ قبل أن يعظُم ويتفاقم.

وقولهم: «يعود على المرء ما يَأتمر» ويُروَى: يَعْدو؛ معناه يعود على الرجل ما تأمرُه به نفسُه فيأتمرُ، أي يمتثله ظنًّا منه أنه رشد، وربما كان هلاكُه فيه، ومنه قول امرىء القيس: [من المتقارب]

أحارِ بنَ عمرو كأنّي خَمِرْ ... ويعدو على المرء ما يأتمرْ[1]

---

(١) أحار: مرخّم يا حارث، والخمر: الذي خالط رأسه الخمار، وعدا عليه: جار.

ومما يُتمثَّلُ به من أشعار الجاهلية

امرؤ القيس بن حُجْر: قد تقدّم من شعره في الاستشهاد على أمثال العربِ ما يُستغنى عن إعادته في هذا المكان.

ومن شعره: [من السريع]

والبِرُّ خيرُ حقيبةِ الرَّجلِ   رضيتُ من الغنيمة بالإيابِ

* إن الشَّقاءَ على الأشقَيْنَ مصبوبُ *

وقال أيضًا: [من الوافر]

وقاهم جدُّهم ببني أبيهم   وبالأشقَيْنَ ما كان العتابُ

وقال: [من الطويل]

فإنّك لم يُفخَرْ عليكَ كفاخرِ   ضعيفِ ولم يغلِبْك مثلُ مُغلَّبِ

زُهير بن أبي سُلمَى يقول: [من الطويل]

ومن يغتربْ يحسِبْ عدوًّا صديقَهُ   ومن لا يُكرِّمْ نفسَهُ لا يُكرَّمِ
ومهما يكن عند امرىءٍ من خَليقةٍ   ولو خالَها تخفَى على الناسِ تُعلَمِ
ومن لا يصانعْ في أمور كثيرةٍ   يُضرَّسْ بأنيابٍ ويُوطأُ بمَنسِمِ(١)
ومن يجعلِ المعروفَ من دون عِرضه   يَفِرْهُ ومن لا يتَّقِ الشتمَ يُشتمِ
ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفضله   على قومه يُستغنَ عنه ويُذمَمِ
ومن لا يذُدْ عن حوضه بسلاحه   يُهدَّمْ ومن لا يَظلم الناسَ يُظلَمِ
ومن يَعْصِ أطرافَ الزِّجاجِ فإنه   مُطيعُ العوالي رُكِّبَتْ كلَّ لَهذَمِ(٢)

وقال أيضًا: [من الطويل]

وهل يُنبِتُ الخَطِّيَّ إلّا وشيجُهُ   وتُغرَس إلّا في مَنابتها النخلُ

---

(١) المنسم: طرف خف البعير والنعامة والفيل، وقيل منسما البعير: ظفراه اللذان في يديه. «اللسان ١٢/٥٧٤».

(٢) لهذم: سيف لهذم: حاد ـ ولهذم الشيء: قطعه ـ واللهذم: كل شيء من سنان أو سيف قاطع. «لسان العرب ١٢/٥٥٦».

وقال أيضًا: [من الكامل]

والسترُ دون الفاحشاتِ وما يلقاكَ دون الخير من سِترِ

وقال أيضًا: [من الوافر]

فإنّ الحقَّ مَقطَعُه ثلاثٌ يمينٌ أو نِفارٌ أو جلاءُ

يقول: إنما الحقوق تصحّ بواحدة من هذه الثلاث: يمينٌ أو محاكمةٌ أو حُجَّةٌ واضحةٌ؛ وكان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يتعجّب من معرفته بمَقاطعِ الحقوق.

النابغة الذُّبياني: اسمه زياد بن عمرو، ويُكنَى أبا أُمامة؛ غلب عليه «النابغةُ» لأنه عبرَ بُرهةً لا يقول الشعرَ ثم نبغ فقاله؛ وكذلك الجعْديّ[1]؛ وقيل: إنما لُقِّب بالنابغة لقوله: [من الوافر]

* فقد نَبَغَتْ لهم منّا شؤونُ *

وقيل في نسبه: زياد بن معاوية بن ضِباب بن جابر بن يَربوع بن غيْظ بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان.

فممّا يُتمثّل به من شعره قوله: [من الطويل]

فإنك كالليل الذي هو مُدركِي فإن مطيّةَ الجهلِ الشبابُ

وقال: [من الطويل]

ولستَ بمُستبقٍ أخًا لا تَلُمُّه على شَعَثٍ، أيُّ الرجالِ المهذَّبُ؟

وقال أيضًا: [من الكامل]

إِستبقِ ودَّك للصديق ولا تكنْ قَتَبًا يُعَضُّ بغاربٍ مِلحاحَا[2]

طرفة بن العبد يقول: [من الطويل]

حَنانَيْك بعضُ الشرّ أهون من بعضِ ما أشبهَ الليلةَ بالبارحَه

---

(١) الجعدي: هو النابغة الجعدي عبد الله بن قيس بن كعب بن ربيعة، جاهليٌّ أدرك الإسلام وأتى النبيّ ومدحه فقال له النبي عليه الصلاة والسّلام: لا يفضض الله فاك، فبقي عمره لم تنقضّ له سن، وهو من المعمّرين. «الشعر والشعراء: ١٧٧».

(٢) القِتْبُ: إكاف البعير، وأقتب البعير إقتابًا: إذا شد عليه القتب. «اللسان ١/ ٦٦٠». والغارب: الكاهل من الخف، وهو ما بين السنام والعنق. «اللسان ١/ ٦٤٤».

وقال أيضًا: [من الطويل]

ستُبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلًا ويأتيك بالأخبارِ من لم تُزوِّدِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

وأَعْلمُ عِلمًا ليس بالشكّ أنّهُ إذا ذلّ مولَى المرء فهو ذليلُ

أَوس بن حَجَرٍ[1] يقول: [من الطويل]

فإنّكما يا ابنَيّ حُبابٍ وُجدتُما كمن دبَّ يستخفِي وفي الكفِّ جُلْجُلُ[2]

وقال أيضًا: [من الطويل]

وما ينهض البازي بغير جَناحهِ ولا يَحمِل الماشِينَ إلّا الحواملُ
إذا أنت لم تعرِضْ عن الجهل والخنا أَصبتَ حليمًا أو أصابك جاهلُ

وقال أيضًا: [من الوافر]

ولستُ بخابيءٍ أبدًا طعامًا حذارَ غدٍ، لكلِّ غدٍ طعامُ

بشر بن أبي خازم[3] يقول: [من الطويل]

* وأيدي النّدى في الصالحين قروضُ *
* كَفى بالموت نأيًا واغترابا *

المتلمس وهو جرير بن عبد المسيح يقول: [من الوافر]

قليلُ المال تُصلحُهُ فيبقَى ولا يبقَى الكثيرُ مع الفسادِ

---

(١) أوس بن حجر: (٩٨ ـ نحو ٢ ق.هـ = ٥٣٠ ـ نحو ٦٢٠ م) ابن مالك التميمي، أبو شُريح، شاعر تميم في الجاهلية، أو من كبار شعرائها، كان كثير الأسفار وأكثر إقامته عند عمرو بن هند في الحيرة، عمر طويلًا ولم يدرك الإسلام، في شعره حكمة ورقة، وكان غزلًا مغرمًا بالنساء، وكانت تميم تقدمه على سائر شعراء العرب.

(٢) الجلجل: جرس صغير يعلّق على الدّواب. «الشعر والشعراء ص ١١٩، والأعلام للزركلي ٢/ ٣١».

(٣) بشر بن أبي خازم: عمرو بن عوف الأسدي، أبو نوفل، شاعر جاهلي فحل، من الشجعان، من أهل نجد، له قصائد في الفخر والحماسة جيدة، توفي قتيلًا في غزوة أغار بها على بني صعصعة بن معاوية، توفي نحو ٢٢ ق.هـ ـ نحو ٥٩٨ م. «الشعر والشعراء ص ١٦٨، والأعلام للزركلي ٢/ ٥٤».

وقال أيضًا: [من الطويل]

لذي الحلمِ قبل اليومِ ما تُقْرَعُ العصا وما عُلِّم الإنسانُ إلا ليَعلَما

ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي جَعلتُ لهم فوق العَرانِينِ مِيْسَما

وما كنتُ إلّا مثلَ قاطعِ كفِّهِ بكفٍّ له أخرى فأصبحَ أجذما

وقال أيضًا: [من البسيط]

ولا يُقيم على ذلٍّ يراقبُهُ إلا الأذلّان عَيرُ السوءِ والوتدُ

هذا على الخسف مربوطٌ برُمّته وذا يُشَجُّ فلا يَرثِي له أحَدُ

الأفوه الأودي[1] يقول: [من الوافر]

إنّما نعمةُ دنْيا مُتعةٌ وحياةُ المرءِ ثوبٌ مستعارُ

وصروفُ الدهرِ في أطباقه حَلْقةٌ فيها ارتفاعٌ وانْحدارُ

بينما الناس على عَليائها إذْ هوَوا في هوّةٍ منها فغاروا

وقال أيضًا: [من البسيط]

والبيت لا يُبتنَى إلّا له عَمَدٌ ولا عِمادَ إذا لم تُرسَ أوتادُ

فإن تجمَّع أوتادٌ وأعمدةٌ وساكنٌ، بلغوا الأمر الذي كادوا

تَهْدا الأمورُ بأهل الرأي ما صلَحتْ وإن تولّت فبالأشرار تنقادُ

لا يَصلحُ الناسُ فَوْضَى لا سَراةَ لهم ولا سَراةَ إذا جُهّالهم سادوا

تميم بن أبي مقبل[2] يقول: [من الطويل]

خليليّ لا تستعجلا وانظرا غدًا عسى أن يكون الرفقُ في الأمر أرشَدا

---

(١) الأفوه الأودي: صلاءة بن عمرو، من بني أُود، من مذحج، شاعر يماني جاهلي، يكنى أبا ربيعة، قالوا: لقب بالأفوه لأنه كان غليظ الشفتين، ظاهر الأسنان، كان سيد قومه وقائدهم في حروبهم، وهو أحد الحكماء والشعراء في عصره، توفي نحو ٥٠ ق.هـ ـ نحو ٥٧٠ م. «الشعر والشعراء ص ١٣٤، والأعلام للزركلي ٣/ ٢٠٦».

(٢) تميم بن أبي مقبل: من بني العجلان، من عامر بن صعصعة، أبو كعب، شاعر جاهلي أدرك الإسلام وأسلم، فكان يبكي أهل الجاهلية، عاش نيفًا ومئة سنة، وعد في المخضرمين، وكان يهاجي النجاشي الشاعر، له ديوان شعر ورد فيه ذكر وقعة صفين سنة ٣٧ هـ ـ توفي بعد ٣٧ هـ ـ ٦٥٧ م. «الأعلام للزركلي ٢/ ٨٧».

وقال أيضًا: [من البسيط]

ما أنعمَ العيشَ! لو أنّ الفتى حَجَرٌ تنبو الحوادثُ عنه وهو ملمومُ

حُمَيد بن ثَوْر[1] يقول: [من الطويل]

أرى بَصَري قد رابني بعد صحّة وحسبك داءً أن تَصحّ وتسلما
ولن يلبثَ العصران يومًا وليلةً ـ إذا طَلَبا ـ أن يُدرِكا ما تيمّما

عدي بن زيد[2] يقول: [من الطويل]

كفى واعظًا للمرء أيامُ دهره تروح له بالواعظاتِ وتغتدي
عن المرء لا تسألْ وسلْ عن قرينه فكلّ قرينٍ بالمقارِنِ يقتدي
وظلمُ ذوي القُربىَ أشدُّ مَضاضةً على المرء من وقع الحسام المهنّدِ
إذا ما رأيت الشرّ يبعث أهلَه وقام جُناة الشرّ للشرّ فاقعدِ

قال أيضًا: [من البسيط]

يا راقدَ الليل مسرورًا بأوّله إنّ الحوادثَ قد يطرُقن أسحارا

وقال: [من السّريع]

قد يُدرك المبطىءُ من حظّه والخيرُ قد يسبقُ جَهدَ الحريص

وقال: [من الرّمل]

لو بغير الماء حَلْقي شرِقٌ كنت كالغَصّانِ بالماء اعتصاري

وقال: [من الوافر]

فهل من خالدٍ إمّا هلكنا وهل بالموت يا لَلنّاس عارُ؟

(١) حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري، أبو المثنى، شاعر مخضرم، عاش زمنًا في الجاهلية، وشهد حنينًا مع المشركين، وأسلم ووفد على النبي ﷺ ومات في خلافة عثمان سنة ٣٠ هـ ـ ٦٥٠ م. «الأعلام للزركلي ٢/ ٢٨٣».

(٢) عدي بن زيد: التميمي، شاعر من دهاة الجاهليين، من أهل الحيرة، فصيحًا، يحسن العربية والفارسية والرمي بالنشاب، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، اتخذه في خاصته وجعله ترجمانًا بينه وبين العرب، تزوج هندًا بنت النعمان بن المنذر، ووشى به أعداء له إلى النعمان بما أوغر صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة نحو سنة ٣٥ ق.هـ ـ نحو ٥٩٠ م. «الأعلام للزركلي ٤/ ٢٢٠، والشعر والشعراء ص ١٣٥».

الأسود بن يعفر[١] يقول: [من الكامل]

ماذا أؤمل بَعدَ آلِ محرّقٍ ... تركوا منازلَهم وبَعدَ إيادِ

أرضٌ تخيَّرها لطيبِ مَقيلها ... كعبُ بنُ مامةَ وابنُ أمّ دؤاد

أهلُ الخوَرنَق والسَّدير وبارقٍ ... والقصرِ ذي الشُّرُفاتِ من سِنداد[٢]

جرت الرِّياح على محلّ ديارهم ... فكأنّهم كانوا على ميعاد

ولقد غَنُوا فيها بأنعَم عيشةٍ ... في ظلّ مُلكٍ ثابتِ الأوتادِ

فإذا النعيمُ وكلُّ ما يُلهى به ... يومًا يصيرُ إلى بِلًى ونَفادِ

علقمة بن عَبَدَة[٣] يقول: [من الطويل]

فإن تسألوني بالنّساء فإنني ... عليمٌ بأدواءِ النّساءِ طبيبُ

إذا شاب رأسُ المرء أو قلّ مالُه ... فليس له في وُدّهنّ نصيبُ

يُرِدْنَ ثَراءَ المال حيث علِمنه ... وشرخُ الشباب عندهنّ عجيبُ

وقال أيضًا: [من البسيط]

وكلُّ حِصنٍ وإنْ طالت إقامتُه ... على دعائمهِ لا بدّ مهدومُ

ومن تَعرّضَ للغِربان يزجرُها ... على سلامته لا بدَّ مشؤومُ

عمرو بن كُلثوم[٤] يقول: [من الوافر]

وما شرُّ الثلاثةِ أمَّ عمروٍ ... بصاحبك الذي لا تَصحبينا

وإنّ غدًا وإنّ اليومَ رهنٌ ... وبَعدَ غد بما لا تَعلَمينا

---

(١) الأسود بن يعفر: من بني حارثة النهشلي الدارمي التميمي، أبو نهشل، ويكنى أبا الجراح، شاعر جاهلي من سادات تميم، من أهل العراق، كان فصيحًا جوادًا، نادم النعمان بن المنذر، ولما أسن كف بصره، ويقال له أعشى بني نهشل. توفي نحو ٢٢ ق.هـ ـ نحو ٦٠٠ م. «الشعر والشعراء ص ١٥٧، والأعلام للزركلي ١/ ٣٣٠».

(٢) سنداد: اسم نهر بين الحيرة والأبلّة، وكان عليه قصر تحجّ إليه العرب، سُمّي باسم صاحبه سنداد. «معجم البلدان ٣/ ٢٦٦».

(٣) علقمة بن عبدة: الفحل، من بني تميم، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان معاصرًا لامرىء القيس وله معه مساجلات، توفي نحو ٢٠ ق.هـ ـ ٦٠٣ م. «الأعلام للزركلي ٤/ ٢٤٧، والشعر والشعراء ص ١٣٠».

(٤) عمرو بن كلثوم: أبو الأسود، من بني تغلب، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، ولد في شمالي جزيرة العرب وتجول فيها وفي الشام والعراق ونجد، وهو من الفتاك الشجعان، ساد قومه تغلب=

الحارث بن حِلِّزة[١] يقول: [من السّريع]

لا تكسع الشَّولَ بأغبارها ... إنك لا تدري مَنِ الناتجُ؟[٢]

واصببْ لأضيافكَ ألبانَها ... فإن شرّ اللبن الوالجُ

حاتم الطائي[٣] يقول: [من الطويل]

أماويَّ ما يُغني الثراءُ عن الفتى ... إذا حَشرَجتْ يومًا وضاق بها الصدر

وقد عَلِم الأقوامُ لو أن حاتمًا ... أراد ثَراءَ المال، كان له وَفْرُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

وأنت إذا أعطيتَ بطنك سؤلَه ... وفرَجَك، نالا منْتَهى الذمّ أجمعا

المرقِّش الأصغر[٤] يقول: [من الطويل]

ومَن يَلقَ خيرًا يَحمَدِ الناسُ أمرَهُ ... ومن يَغوَ لا يعدمْ على الغيّ لائما

النِّمر بن تولَب[٥] يقول: [من الطويل]

يودّ الفتى طولَ السلامة جاهدًا ... فكيف تُرى طولُ السلامةِ يفعلُ

= وهو فتى وعمر طويلًا وهو الذي قتل الملك عمرو بن هند، أشهر شعره معلقته التي مطلعها «ألا هبّي» توفي نحو ٤٠ هـ - ٥٨٤ م. «الأعلام للزركلي ٥/ ٨٤».

(١) الحارث بن حلزة: اليشكري الدائلي، شاعر جاهلي من أهل بادية العراق ومن أصحاب المعلقات، كان أبرص فخورًا، ارتجل معلقته بين يدي عمرو بن هند الملك بالميرة ومطلعها: آذنتنا بينها أسماء جمع بها كثيرًا من أخبار العرب ووقائعهم توفي نحو ٥٠ ق.هـ - نحو ٥٧٠ م. «الشعر والشعراء ص ١١٦، والأعلام للزركلي ٢/ ١٥٤».

(٢) تكسع الشول: تترك في خلف الناقة بقية من لبن، يريد بذلك تغزيرها وهو أشد لها، أغبارها: جمع غبر وهي بقية اللبن في الضرع، والكسع: أن تترك لبنًا في الناقة فلا تحتلبها. «لسان العرب ٨/ ٣١٠».

(٣) حاتم الطائي: ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عدي، فارس، شاعر، جواد، جاهلي، يضرب المثل بجوده، كان من أهل نجد، وزار الشام فتزوج حاوية بنت حجر الغسانية، ومات في عوارض (جبل في بلاد طيّيء) كان شعره كثير، وضاع معظمه. توفي سنة ٤٦ ق.هـ - ٥٧٨ م. «الزركلي ٢/ ١٥١».

(٤) المرقش الأصغر: يقال إنه أخو الأكبر، ويقال إنه ابن أخيه، واختلفوا في اسمه، فقال بعضهم هو عمرو بن حرملة، وقال آخرون هو ربيعة بن سفيان، وهو من بني سعد وأحد عشاق العرب المشهورين، أمه كانت بنت عمرو بن هند، وهو عم طرفة بن العبد كان أجمل الناس وجهًا ومن أحسنهم شعرًا وهو شاعر جاهلي من أهل نجد. توفي نحو ٥٠ ق.هـ - نحو ٥٧٠ م. «الشعر والشعراء ١٢٧، والزركلي ٣/ ١٦».

(٥) النمر بن تولب: شاعر مخضرم، عاش عمرًا طويلًا في الجاهلية، وكان فيها شاعر «الرباب» ولم=

وقال أيضًا: [من الكامل]

ومتى تُصبْك خَصاصةٌ فارجُ الغنَى   وإلى الذي يَهَب الرغائبَ فارغبِ
لا تغضبنَّ على امرئٍ في ماله   وعلى كرائمِ صُلب مالكَ فاغضبِ

وقال: [من المتقارب]

فلا وأبي، الناسُ لا يعلمو   ن، للخير خيرُ وللشرّ شرُّ
فيومًا علينا ويومًا لنا   ويومًا نُساء ويومًا نُسرُّ

مهلهل بن ربيعة[1]، واسمه عديّ يقول: [من المنسرح]

أَعِززْ على تغلبٍ بما لقِيتْ   أختُ بني الأكرمين من جُشَمِ
أنكحها فقدُها الأراقمَ في   جَنْبٍ وكان الخِباء من أدَمِ
لو بأبانين جاء يخطبها   ضُرِّج مما أنفُ خاطبٍ بدمِ
ليسوا بأكفائنا الكرامِ ولا   يغْنُون من ذلّة ولا عَدَمِ

طُفَيل الغنوي[2] يقول: [من البسيط]

إنّ النّساء كأشجارٍ نَبتن معًا   منهن مُرٌّ، وبعضُ المرِّ مأكولُ
إنّ النّساء متى يُنهيْنَ عن خُلُقٍ   فإنه واجب لا بدّ مفعولُ

عُروة بن الورد[3] يقول: [من الطويل]

وما شاب رأسي من سنينَ تتابعتْ   عليّ ولكن شيّبتني الوقائعُ

= يمدح أحدًا ولا هجا، وكان من ذوي النعمة والوجاهة جوادًا وهَّابًا لما له، أدرك الإسلام وهو كبير السن، ووفد على النبي ﷺ فكتب عنه كتابًا لقومه، توفي ١٤ هـ ـ نحو ٦٣٥ م. «الشعر والشعراء ص ١٩٥، والزركلي ٨/٤٨».

(١) مهلهل بن ربيعة: عدي بن ربيعة بن معاوية بن الحارث بن معاوية، من كندة، جد جاهلي من نسله شرحبيل بن السمط. «الأعلام للزركلي ٤/ ٢٢٠».

(٢) طفيل الغنوي: طفيل بن عوف بن كعب، من بني غني، من قيس عيلان، شاعر جاهلي فحل، من الشجعان، وهو أوصف العرب للخيل، وربما سمي طفيل الخيل لكثرة وصفه لها، ويسمى أيضًا المحبّر لتحسينه شعره، عاصر النابغة الجعدي، وزهير بن أبي سلمى، ومات بعد مقتل هرم بن سنان سنة ١٣ ق.هـ ـ ٦١٠ م. «الشعر والشعراء ص ٣٠٠، والأعلام للزركلي ٣/ ٢٢٨».

(٣) عروة بن الورد: بن زيد العبسي، من غطفان، من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجدادها، كان يلقب بعروة الصعاليك، لجمعه إياهم، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا بغزواتهم، توفي نحو ٣٠ ق.هـ ـ نحو ٥٩٤ م. «الشعر والشعراء ص ٤٥٣، والزركلي ٤/٢٢٧».

وقال أيضًا: [من الطويل]

ومن يكُ مثلي ذا عِيالٍ ومُقترًا ... من المال يَطرَحْ نفسَه كلَّ مَطرَحِ
لِيَبلغَ عُذرًا أو يَنالَ رغيبةً ... ومُبْلِغُ نفسٍ عُذرَها مثلُ مُنجِحِ

الأعشى[1]: وهو ميمون بن قيس من بني قيس بن ثعلبة يقول: [من البسيط]

كناطحٍ صخرةً يومًا ليفلقها ... فلم يَضِرْها وأوهى قرنَهُ الوعلُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

تعالَوا فإنّ الحكم عند ذوي النهى ... من النَّاس كالبَلقاء بادٍ حُجولُها

وقال أيضًا: [من الطويل]

ومن يغتربْ عن قومه لم يزلْ يرى ... مصَارعَ مظلومٍ مَجَرًّا ومَسْحَبًا
وتُدفَن منه الصالحاتُ وإن يُسيءْ ... يكنْ ما أثارَ النارَ في رأس كَبكبًا[2]

وقال أيضًا: [من الكامل]

عوَّدتَ كِندةَ عادةً فاصبرْ لها ... إغفرْ لجاهلها ورَوِّ سجالَها

لَقِيط بن معْبَد[3] يقول: [من البسيط]

قوموا قيامًا على أمشاطِ أرجلكم ... ثم افزعوا، قد ينالُ الأمرَ مَنْ فَزِعا
هيهات، ما زالتِ الأموالُ مذْ أبدٍ ... لأهلها - إنْ أُصيبوا مرّة - تَبَعا

---

(١) الأعشى: ميمون بن قيس بن جندل، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات، كان غزير الشعر يسلك فيه كل مسلك، وكان يغني بشعره فسمي صناجة العرب، عاش عمرًا طويلًا وأدرك الإسلام ولم يسلم ولقب بالأعشى لضعف بصره توفي سنة ٧ هـ - ٦٢٩ م. والأعشى ولد وتوفي في قرية منفوحة باليمامة قرب مدينة الرياض. «الشعر والشعراء ص ١٥٩، والأعلام للزركلي ٧/ ٣٤١».

(٢) كبكب: جبل بمكة.

(٣) لقيط بن معبد: والأصح لقيط بن يعمر أو ابن معمر بن خارجة الأيادي، شاعر جاهلي فحل من أهل الحيرة، كان يحسن الفارسية، واتصل بكسرى «سابور» ذي الأكتاف فكان من كتابه والمطلعين على أسرار دولته ومن مقدمي تراجمته وهو صاحب القصيدة التي مطلعها:

يا دار عمرة من محتلها الجرعا ... هاجت لي الهم والأحزان والوجعا

وهي من غرر الشعر، بعث بها إلى قومه ينذرهم بأن كسرى وجه جيشًا لغزوهم، وسقطت القصيدة في يد أوصلتها إلى كسرى، فسخط عليه وقطع لسانه ثم قتله نحو سنة ٢٥٠ ق.هـ - نحو ٣٨٠ م. «الشعر والشعراء ص ١١٧، والأعلام للزركلي ٥/ ٢٤٤».

تأبط شرًّا[١]: وهو ثابت بن جابر يقول: [من البسيط]

لَتقرَعنَّ عَليَّ السنَّ من ندمٍ إذا تذكَّرتَ يومًا بعضَ أخلاقي

المثقِّب العبدي[٢] يقول: [من الوافر]

فإمّا أن تكون أخي بحقٍّ فأعرفُ منك غثّي من سميني
وإلّا فاطّرحني واتّخذني عدوًّا أتّقيك وتتّقيني
فإنّي لو تعاندني شِمالي عنادَك ما وصلتُ بها يميني

المُمزَّق العَبْدِيّ[٣] يقول: [من الطويل]

فإن كنتُ مأكولًا فكن أنت آكلي وإلّا فأدركْني ولمَّا أمزَّقِ

أُفنون التغلِبي[٤] يقول: [من الطويل]

لعمرك ما يدري الفتى كيف يتّقي إذا هو لم يجعلْ له الله واقيا

الأَضْبط بن قُرَيع السعدي[٥] يقول: [من المنسرح]

قد يجمعُ المالَ غيرُ آكلِهِ ويأكلُ المالَ غيرُ من جَمَعَهْ
لا تحقرنَّ الفقير عَلّك أنْ تركعَ يومًا والدهرُ قد رَفعهْ
واقْبَلْ من الدهرِ ما أتاك به من قرَّ عينًا بعَيْشهِ نَفعهْ

---

(١) تأبط شرًا: أبو زهير ثابت بن عمل، كان شاعرًا بائسًا، يغزو على رجليه، وهو من مضر، شاعر عداء من فتاك العرب في الجاهلية، كان من أهل تهامة، شعره فحل، قتل في السنة ٨٠ ق.هـ - ٥٤٠ م. «الشعر والشعراء ص ١٩٧، والأعلام للزركلي صفحة ٢/ ٩٧».

(٢) المثقب العبدي: محصن بن ثعلبة، شاعر جاهلي كان في زمن عمرو بن هند. «الشعر والشعراء ص ٢٥٥».

(٣) الممزق العبدي: شاش بن نهار، شاعر جاهلي قديم، من أهل البحرين، لقب بالممزق لقوله:
فإن كنتَ مأكولًا فكن خير آكل وإلا فأدركني ولما أمزقَ
«الشعر والشعراء ص ٢٥٧، والأعلام للزركلي ٣/ ١٥٢».

(٤) أفنون التغلبي: واسمه صُريم بن معشر، سَمّي أفنون. ببيت قاله، وقال له كاهنٌ في الجاهلية: إنّك تموت بثنيّة يقال لها إلاهة، نهشته، أفعى في ذلك المكان، ومات من ساعته. «انظر الشعر والشعراء: ٢٦٨».

(٥) الأضبط بن قريع السعدي: من بني عوف بن كعب، شاعر جاهلي قديم، أساء قومه إليه فانتقل عنهم إلى آخرين ففعلوا كالأولين فقال بكل واد بنو سعد، يعني قومه. «الشعر والشعراء ص ٢٤٧، والأعلام للزركلي ١/ ٣٣٤».

سُوَيد بن أبي كاهل[١] يقول: [من الرّمل]

رُبّ مَن أَنضَجتُ غَيظًا قلبَهُ قد تمنّى لي موتًا لم يُطَعْ
ويراني كالشَّجَى في حَلقه عَسِرًا مَخرجُه ما يُنتزَعْ
ويُحَيّيني إذا لاقيتُهُ وإذا يَخلو له لَحمِي رَتَعْ

انتهى ما يتمثل به من أشعار الجاهلية.

ومما يتمثل به من أشعار المُخَضْرَمين

المخضرمون: هم الذين أدركوا الجاهليّة والإسلام.

منهم لَبِيد بن ربيعة[٢]، وفاته سنة إحدى وأربعين، وعمره مائة سنة وسبع وخمسون سنة يقول: [من الرّمل]

وإذا رُمتَ رحيلًا فارتحلْ واعصَ ما يأمُرُ تَوصيمُ الكسَلْ[٣]
واكذبِ النفسَ إذا حدّثتَها إنّ صدقَ النفسِ يُزري بالأملْ

وقال أيضًا: [من الطويل]

وما المالُ والأهلون إلّا وَدِيعةٌ ولا بدّ يومًا أن تُردَّ الودائعُ
وما المرءُ إلا كالشّهابِ وضوئِهِ يحورُ رَمادًا بعدُ إذْ هو ساطعُ

وقال أيضًا: [من الكامل]

كانت قَناتي لا تلين لغامزٍ فألانها الإصباحُ والإمساءُ
ودعوتُ ربّي في السّلامة جاهدًا ليُصحّني فإذا السّلامةُ داءُ

---

(١) سويد بن أبي كاهل: سويد بن غُطيف من بني يشكر، أبو سعد، الذبياني الكناني اليشكري، شاعر من مخضرمي الجاهلية والإسلام، كان يسكن بادية العراق، وسجن بالكوفة، لمهاجاتة أحد بني شكر أشهر شعره عينية كانت تسمى في الجاهلية باليتيمة. توفي نحو ٦٠ هـ - ٦٨٠ م. «الشعر والشعراء ص ٢٧٤، والأعلام للزركلي ٣/١٤٦».

(٢) لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، ويكنّى: أبا عقيل، من الشعراء المخضرمين أدرك الإسلام وحسن إسلامه، مات في أوّل خلافه معاوية. «الشعر والشعراء: ١٦٧».

(٣) التوصيم: التكسير والتفتير.

وقال أيضًا: [من الكامل]

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم وبَقيتُ في خَلْفٍ كجلد الأجربِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

إلى الحوْل ثم اسمُ السلامِ عليكما ومن يبكِ حولًا كاملًا فقد اعتذر

كَعْب بن زهير[١] يقول: [من السّريع]

ومن دعا الناسَ إلى ذمّه ذمّوه بالحقّ وبالباطلِ
مقالةُ السوءِ إلى أهلها أسرعُ من منحدرٍ سائلِ

النابغة الجعديّ: وهو قيس بن عبد الله، وقيل حسّان بن قيس بن عبد الله ويكنى النابغة: أبا ليلى، وهو أسنُّ من الذبيانيّ، وطال عمرُه حتى أدركَ أيّام بني أميّة، وهو الذي قال له النبيّ ﷺ: «لا يفضُضِ الله فاك» فما سقطت له سنّ، وفي رواية: فكان أحسن الناس ثغرًا إذا سقطت له سنٌّ تنبت له أخرى، وعاش عشرين ومائة سنة، وقيل أكثر.

ومما يُتمثل به من شعره قوله: [من الطويل]

ولا خيرَ في حلمٍ إذا لم يكن له بوادرُ تحمي صفوَهُ أنْ يُكدَّرا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكنْ له حليمٌ إذا ما أَوْردَ الأمرَ أصْدرا

وقال أيضًا: [من الطويل]

كُليبُ لعمري كان أكثرَ ناصرًا وأيسرَ جرمًا منك ضُرِّج بالدمِ

أميّة بن أبي الصَّلت الثقفيّ[٢] يقول: [من البسيط]

تلك المكارمُ لا قَعبانُ من لبنٍ شيبًا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالًا

---

(١) كعب بن زهير: بن أبي سلمى المازني، أبو المضرَّب، شاعر عالي الطبقة من أهل نجد، كان ممن اشتهر في الجاهلية، ولما ظهر الإسلام هجا النبي ﷺ وأقام يشبب بنساء المسلمين، فهدر النبي دمه، فجاءه كعب مستأمنًا وقد أسلم وأنشده لاميته المشهورة:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

فعفا عنه النبي وخلع عليه بردته. توفي سنة ٢٦ هـ - ٦٤٥ م. «الشعر والشعراء ص ٨٤، والأعلام للزركلي ٥/٢٢٦».

(٢) أمية بن أبي الصلت الثقفي، شاعر جاهلي حكيم من أهل الطائف، قدم دمشق قبل الإسلام، وكان مطلعًا على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبّدًا، وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر=

حسان بن ثابت[1] يقول: [من الطويل]

وإن امرءًا يُمسي ويُصبح سالمًا من الناسِ - إلّا ما جنى - لَسعيدُ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

رُبَّ حِلم أضاعه عَدَمُ الما لِ وجهلٍ غطَّى عليه النعيمُ
ما أبالي أنبَّ بالحَزْنِ تيسٌ أم لحاني بظهرِ غَيبٍ لئيمُ؟

الحُطَيئة: واسمه جرول بن أوس بن مخزوم. وقيل: جرول بن أوس بن مالك بن غطفان بن سعد ويُكنَى: أبا مُلَيكة، والحطيئة لقبٌ غَلب عليه؛ قيل لقب به لقصره وقربه من الأرض؛ وقيل: حبِق[2] في مجلس قومه فقال: إنما هي حَطْأة فسمِّيَ الحطيئةُ.

فمما يتمثّل به من شعره قوله: [من البسيط]

مَنْ يفعلِ الخيرَ لا يَعدَمْ جوازِيَه لا يذهبُ العرفُ بين الله والناسِ
دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتها واقعدْ فإنك أنت الطاعم الكاسي

وقال أيضًا: [من الطويل]

أقِلُّوا عليهمْ لا أبَا لأبيكُمُ من اللومِ أو سُدّوا المكانَ الذي سَدّوا
أولئك قومٌ إن بَنوا أحسنوا البِنَا وإنْ وعدوا أوفوا وإنْ عقدوا شدّوا

متمم بن نويرة يقول: [من الطويل]

وكنا كندمانَيْ جَذِيمةَ حِقبةً من الدهرِ حتى قيل لن يتصدّعَا
فلما تفرّقنا كأني ومالكًا لطول اجتماعٍ لم نبتْ ليلةً معَا

= ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، قال عن النبي عندما سئل عنه: أشهد أنه على الحق، إلا أنه لم يسلم وذلك بعد أن علم بمقتل ابني خالٍ له وأقام في الطائف إلى أن مات سنة ٥ هـ - ٦٢٦ م. «الشعر والشعراء ص ٣٠٥، والأعلام للزركلي ٢/ ٢٣».

(١) حسان بن ثابت الخزرجي الأنصاري. أبو الوليد الصحابي شاعر رسول الله ﷺ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام، وكان من سكان المدينة، واشتهرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام وعمي قبيل وفاته، لم يشهد مع النبي ﷺ مشهدًا لعلة أصابته، توفي سنة ٥٤ هـ - ٦٧٤ م في المدينة. «الشعر والشعراء ص ١٩٢، والأعلام للزركلي ٢/ ١٧٥».

(٢) حبق: خرط، والجمع حباق. «اللسان مادة حبق».

أبو ذؤيب الهذليّ(١) يقول: [من الكامل]

وتـجـلّدي لـلشـامـتـيـن أريـهـمُ ... أني لـريـبِ الـدهـرِ لا أتـضـعـضـعُ
وإذا الـمـنـيّـةُ أنـشـبـتْ أظـفـارَهـا ... ألـفـيـتَ كـلّ تَـمـيـمـةٍ لا تـنـفـعُ
والـنـفـسُ راغـبـةٌ إذا رغّـبـتـهَـا ... وإذا تُـرَدُّ إلـى قـلـيـلٍ تَـقـنـعُ

الخنساء(٢): وهي تُماضِرُ بنت عمرو بن الشريد تقول: [من المتقارب]

ومَنْ ظنّ مِمّنْ يُلاقي الحروبَ ... بـأن لا يـصـابَ فـقـد ظـنَّ عَـجْـزا

وقالت أيضًا: [من المتقارب]

نُـهـيـنُ الـنـفـوسَ، وبـذلُ الـنّـفـو ... سِ عـنـد الـكـريـهـةِ أبـقَـى لـهـا

عمرو بن معديكرِب(٣) يقول: [من الوافر]

إذا لـم تـسـتـطـع أمـرًا فـدعْـهُ ... وجـاوزه إلـى مـا تـسـتـطـيـعُ

وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل المرفّل]

لـيـس الـجَـمـالُ بـمـئـزَرٍ ... فـاعـلـمْ وإن رُدّيـتَ بُـردَا
إن الـجـمـال مـآثـرٌ ... ومـكـارمٌ أو رثْـنَ مـجـدَا

(١) أبو ذؤيب الهذلي: خويلد بن خالد، من مضر، شاعر فحل مخضرم، سكن المدينة واشترك في الغزو والفتوح، وعاش إلى أيام عثمان، شهد فتح إفريقية، أشهر شعره عينية رثى بها خمسة أبناء له أصيبوا بالطاعون في عام واحد، توفي نحو ٢٧ هـ ـ ٦٤٨ م. «الشعر والشعراء ص ٤٤٠، والأعلام للزركلي ٢/ ٣٢٥».

(٢) الخنساء: تماضر بنت عمرو بن الحارث، من بني سليم، من مضر، أشهر شواعر العرب، وأشعرهن على الإطلاق، من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في العصر الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت، ووفدت على رسول الله مع قومها بني سليم، فكان رسول الله ﷺ يستنشدها ويعجبه شعرها. توفيت سنة ٢٤ هـ ـ ٦٤٥ م. «الأعلام للزركلي ٢/ ٨٦».

(٣) عمرو بن معديكرب: فارس اليمن وصاحب الغارات المذكورة، وفد على المدينة سنة ٩ هجرية، في عشرة من بني زبيد فأسلم وأسلموا وعادوا. ولما توفي الرسول ﷺ ارتد عمرو في اليمن، ثم رجع إلى الإسلام، شهد اليرموك وذهبت فيها إحدى عينيه، وشهد القادسية، يكنى أبا ثور، له شعر جيد، توفي على مقربة من الري وقيل قتل عطشًا يوم القادسية. «الأعلام للزركلي ٥/ ٨٦».

معن بن أوس[(١)] يقول: [من الطويل]

وفي الناس - إنْ رثّتْ حبالُك - واصلٌ وفي الأرض عن دار القِلَى متحوَّلُ
إذا انصرفتْ نفسي عن الشيء لم تَكدْ إليه بوجهٍ آخرَ الدهرِ تُقبلُ

وقال أيضًا: [من الوافر]

أُعلِّمه الرماية كلَّ يومٍ فلما اشتدَّ ساعدُهُ رماني

زياد بن زيد يقول: [من الطويل]

ولا أتمنى الشرَّ - والشرُّ تاركي - ولكنْ متى أُحْمَلْ على الشرِّ أركبِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

هل الدهرُ والأيامُ إلّا كما ترى؟ رزيّةُ مالٍ أو فراقُ حبيبِ

أَيْمَن بن خُزَيم بن فاتك الأسدي[(٢)] يقول: [من الرّمل]

إن للفتنة مَيْطًا بيننا فرويدَ المَيْط منها تَعتدلْ[(٣)]
فإذا كان عَطاءٌ فأْتِهِمْ وإذا كان قتالٌ فاعتزلْ

انتهى ما يُتمثل به من أشعار المخضرمين.

ومما يتمثل به من أشعار المتقدّمين في صدر الإسلام

القُطَاميّ[(٤)]: واسمه عُمير بن شُييم يقول: [من الوافر]

ومَعصيةُ الشقيقِ عليك ممّا يَزيدك مرّةً منه استماعَا

---

(١) معن بن أوس: المزني، شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام، له مدائح في جماعة من الصحابة، رحل إلى الشام والبصرة، وكف بصره في أواخر أيامه، كان معاوية يفضله ويقول: أشعر أهل الجاهلية زهير بن أبي سلمى وأشعر أهل الإسلام ابنه كعب ومعن بن أوس، وهو صاحب لامية العجم التي أولها:

لعمرك ما أدري وإني لأوجل على أينا تعدو المَنِيّة أول

مات في المدينة سنة ٦٤هـ - ٦٨٣ م. «الأعلام للزركلي ٧/ ٢٧٣».

(٢) أيمن بن خزيم بن فاتك الأسدي: شاعر، كان من ذوي المكانة عند عبد العزيز بن مروان بمصر، ثم تحول عنه إلى أخيه بشر في العراق، وكان يشارك في الغزو، توفي نحو ٨٠ هـ - ٧٠٠ م. «الأعلام للزركلي ٢/ ٣٥».

(٣) الميط والمياط: الدّفع والزجر. «اللسان ٧/ ٤٠٩».

(٤) القطامي: عمير بن شييم: من بني جشم بن بكر، أبو سعيد، التغلبي الملقب بالقطامي، شاعر=

وخيرُ الأمرِ ما استقبلتَ منه وليس بأن تتبّعه اتّباعَا
أراهم يغمزون من اسْتَرَكُوا ويجتنبون مَن صَدق المِصاعَا[(١)]
كذاك وما رأيتُ الناسَ إلا إلى ما جرّ جانيهم سِراعَا

وقال أيضًا: [من البسيط]

قد يُدرِك المتأنّي بعضَ حاجتهِ وقد يكون مع المستعجل الزللُ
وربما فات بعضَ القومِ أمرُهُمُ مع التأنّي وكان الرأيُ لو عجِلوا
والناسُ من يلقَ خيرًا قائلون له ما يشتهِي ولأمّ المخطىءِ الهَبَلُ

الطِّرِمّاح بن حكيم بن الحكم يقول: [من الطويل]

لقد زادني حبًّا لنفسي أنّني بغيضٌ إلى كلّ امرىءٍ غيرِ طائلِ
وأني شقيٌّ باللئام ولن ترى شقيًّا بهم إلا كريمَ الشمائلِ

الْكميتَ بن زيد الأسديّ[(٢)] يقول: [من الطويل]

إذا لم يكن إلّا الأسنةَ مركبٌ فلا رأى للمضطَرّ إلّا ركوبُها

وقال أيضًا: [من الطويل]

فيا موقدًا نارًا لغيرك ضوؤها ويا حاطبًا في حبلِ غيرِك تحطِبُ

المساور بن هند[(٣)] يقول: [من الكامل]

شَقيتْ بنو أسدٍ بشعر مُساورٍ إن الشقيّ بكل حبلٍ يُخنقُ

= غزل فحل، كان من نصارى تغلب في العراق، وأسلم، جعله ابن سلام في الطبقة الثانية من الإسلاميين، نقل أنه أول من لُقب بصريع الغواني، توفي نحو ١٣٠ هـ - ٧٤٧ م. «الشعر والشعراء ص ٤٨٦، الأعلام للزركلي ٥/ ٨٨».

(١) استركوا: استضعفوا، ويغمزون: يشدّون ويحملون على الضعفاء يقال: غمز القناة: إذا عضّها وعصرها وجسّها، والمصاع: المجالدة والمضاربة، يريد أنّهم يحملون على الضعفاء ويجتنبون الأشداء الأقوياء.

(٢) الكميت بن زيد الأسدي: أبو المستهل، كان معلمًا للصبيان في مسجد بالكوفة، وهو من أهل الكوفة، اشتهر في العصر الأموي وكان عالمًا بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها، ثقة في علمه، وهو شاعر الهاشميين، أشهر شعره الهاشميات وقد ترجمت إلى الألمانية. ولد سنة ٦٠ هـ - ٦٨٠ م. وتوفي سنة ١٢٦ هـ - ٧٤٤ م. «الشعر والشعراء ص ٣٩٠، والأعلام للزركلي ٥/ ٢٣٣».

(٣) المساور بن هند: كنيته أبو الصمعاء، وهو المساور بن هند بن قيس بن زهير، كان يهجو بني أسد، عمر طويلًا. ولد في حرب داحس والغبراء وعاش إلى أيام الحجاج وكان أعور. توفي سنة ٧٥ هـ - ٦٩٥ م. «الشعر والشعراء ص ٢٢٢، والأعلام للزركلي ٧/ ٢١٤».

عديّ بن الرِّقاع[1] يقول: [من الكامل]

وإذا نظرتُ إلى أميري زادني ضنًّا به نظري إلى الأمراءِ
بل ما رأيتُ جبالَ أرضٍ تستوي فيما غشيتُ ولا نجومَ سماءِ
كالبرق منه وابلٌ متتابع جودٌ وآخرُ ما يبضُّ بماءِ
والمرء يورِثُ مجدَه أبناءَه ويموت آخَرُ وهو في الأحياءِ

الفرزدق، واسمه همام بن غالب يقول: [من الطويل]

فوا عجبًا حتى كُليبٌ تسبُّني كأنّ أباها نهشلٌ أو مُجاشعُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

تُرجِّي ربيعُ أن يجيءَ صِغارُها بخيرٍ وقد أعيا عليك كِبارُها

وقال أيضًا: [من الطويل]

فإن تَنجُ منها، تَنجُ من ذي عظيمةٍ وإلّا فإني لا إخالك ناجيا

وقال أيضًا: [من البسيط]

يَمضي أخوك فلا تَلقَى له خَلَفًا والمالُ بعد ذهابِ المال مُكتَسَبُ

وقال أيضًا: [من البسيط]

ليس الشفيعُ الذي يأتيك مؤتزرًا مثلَ الشفيعِ الذي يأتيك عُريانا

وقال أيضًا: [من الخفيف]

قُلْ لنضرٍ، والمرءُ في دولةِ السلـ ـطانِ أعمى ما دام يُدعَى أميرا
فإذا زالت الولايةُ عنهُ واستوى بالرجال، عاد بصيرا

وقال أيضًا: [من البسيط]

ولا تلين لسلطانٍ يُكايدُنا حتى يلينَ لِضرسِ الماضغِ الحجرُ

(١) عدي بن الرقاع: عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع، من عاملة (جبل عامل) شاعر كبير وأحسن من وصف ظبية يكنى أبا داود، كان معاصرًا لجرير مهاجيًا له، لقبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام، مات في دمشق سنة ٩٥ هـ ـ ٧١٤ م. «الشعر والشعراء ص ٤١٥، والأعلام للزركلي ٤/ ٢٢١».

وقال أيضًا: [من الطويل]

هل ابنُك إلّا ابنٌ مِن الناسِ فاصبَرنْ فلن يَرجِعَ الموتى حنينُ المآتمِ

جرير: هو ابن الخَطَفِي تُوفِّي سنة عشر ومائة يقول: [من الكامل]

إن الكريمةَ يَنصُرُ الكرمَ ابنُها وابنُ اللئيمة للّئام نُصورُ

وقال أيضًا: [من الكامل]

زعم الفرزدقُ أن سيقتلُ مَربعا أبشرْ بطولِ سلامةٍ يا مَربعُ

وقال أيضًا: [من الكامل]

وابنُ اللَّبونِ إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ لم يستطع صَولةَ البُزْل القَناعيس(١)

وقال أيضًا: [من الطويل]

رأيتك مثلَ البرق يُحسَبُ ضوؤهُ قريبًا وأدنى ضوئِهِ منك نازحُ

وقال أيضًا: [من البسيط]

أمّا الرجالُ فَجِعْلَانٌ ونِسْوتُهم مثلُ القَنافِذ لا حُسنٌ ولا طِيبُ

الأخطل: واسمه مالك بن غياث بن غوث، وقال أبو الفرج الأصبهاني: اسمه غياث بن غوث بن الصلْت بن طارقة بن سيحان بن عمرو، ورُفعَ نسبُه إلى جُشَم بن بكر ويُكنَى: أبا مالك، قال: وقال المدائني: هو غياث بن غوث بن سلمة بن طارقة.

فمما يُتمثّل به من شعره قوله: [من الكامل]

والناس همُّهُمُ الحياةُ ولا أرى طولَ الحياة يزيد غيرَ خَبالِ
وإذا افتقرتَ إلى الذخائر لم تَجِدْ ذُخرًا يكون كصالحِ الأعمالِ

قال أيضًا: [من البسيط]

إنّ الضغينةَ تلقاها وإن قدُمت كالعَرِّ يكمُنُ حينًا ثم ينتشرُ(٢)
وأقسمَ المجدُ حَقًّا لا يُحالفُهم حتى يحالَف بطنَ الراحةِ الشَّعَرُ

---

(١) القناعيس: القنعاس: الجمل الضخم العظيم، ورجل قنعاس: شديد منيع ورجل قناعس: عظيم الخلق. «اللسان ٦/ ١٨٤».

(٢) العرّ: الشرّ.

وقال أيضًا: [من الكامل]

وإذا دعَـوتَـكَ يـا أُخـيَّ فـإنَّـهُ أحـنـى إلـيـكَ مَـودّةً ووصـالَا
وإذا دعَـونَـكَ عَـمَّـهُـنَّ فـإنـه نـسـبٌ يـزيـدُكَ عـنـدهـنَّ خَـبالَا

وقال أيضًا: [من الطويل]

ضَفادعُ في ظَلماءِ ليلٍ تجاوبتْ فدلَّ عليها صوتُها حيَّةَ البحرِ

وقال أيضًا: [من الرَّجز]

يا مرسلَ الريحَ جَنوبًا وصَبًا إنْ غضِبتْ قَيسٌ فزدها غضَبَا

الصَّلَتانُ العَبْدِيّ[1] يقول: [من الطويل]

وإنْ يكُ بحرُ الحنظَليِّينَ واحدًا فما يستوي حيتانُه والضفادعُ
وما يستوي صدرُ القناة وزُجُّها وما يستوي في الراحتيْن الأصابعُ

كُثَيِّر عَزَّة: وهو كثيّر بن عبد الرحمٰن بن الأسود الخزاعيّ، توفّي سنة خمس ومائة يقول: [من الطويل]

وإنّي وَتهيامِي بعزّةَ بعد ما تخلّيتُ ممّا بيننا وتخلَّتِ
لكالمرتجِي ظلَّ الغمامةِ كلّما تبوَّأَ منها للمقيلِ اضمحلَّتِ
فقلتُ لها يا عزَّ كلُّ مصيبةٍ إذا وُطِّنتْ يومًا لها النفسُ ذلَّتِ
هنيئًا مريئًا غيرَ داءٍ مخامرٍ لعزَّةَ من أعراضِنا ما استحلَّتِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

قضَى كلُّ ذي دَيْنٍ فوفَّى غريمَهُ وعزَّةُ ممطولٌ مُعنًّى غريمُها

وقال أيضًا: [من الطويل]

ومن لا يُغمِّضْ عينَه عن صديقِهِ وعن بعضِ ما فيه يمتْ وهو عاتبُ
ومن يتتبَّعْ جاهدًا كلَّ عثرَةٍ يجدْها ولا يسلَمْ له الدهرَ صاحبُ

(١) الصلتان العبدي: هو قُثم بن خبيثة، من عبد القيس، اجتُمع إليه في الحكم بين الفرزدق وجرير. «انظر الشعر والشعراء: ص ٣٣١».

جميل[١] يقول: [من الكامل]

فإن يكُ حربٌ بين قومي وبينها فإنّي لها في كلّ نائبةٍ سَلْمُ

وقال أيضًا: [من الكامل]

ولربَّ عارضةٍ علينا وصْلَها بالجِدّ تخلطه بقول الهازلِ
فأجبتُها في القول بعدَ تستُّرِ حُبِّي بثينةَ عن وصالِكِ شاغلِي
لو كان في قلب كقَدْر قُلامةٍ وصلًا وصلتُك أو أتتكِ رسائلي

عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة[٢] يقول: [من الرَّمل]

ليت هندًا أنجزَتْنَا ما تعدْ وشفت أكبادَنا ممَّا نجدْ
واستبدّتْ مرَّةً واحدةً إنما العاجزُ من لا يستبِدْ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

لا تلُمني وأنتَ زيَّنتها لي أنتَ مثلُ الشيطانِ للإنسانِ

وممّا يتمثّل به من أشعار المُحدَثين

منهم إبراهيم بن هَرْمة[٣] يقول: [من الكامل]

عجِبَتْ أُثَيْلةُ أَنْ رأتني مُخلِقًا ثَكِلَتْكِ أمُكِ، أيُّ ذاكَ يُروعُ؟
قد يُدرِك الشرفَ الفتى ورداؤه خَلَقٌ وجَيبُ قميصِهِ مرفوعُ

(١) جميل بن معمر: أبو عمرو، شاعر من عشاق العرب، افتتن ببثينة من فتيات قومه فتناقل الناس أخبارهما، شعره يذوب رقة، أقلُّ ما فيه المدح، وأكثره في النسيب والغزل والفخر، قصد جميل مصر وافدًا على عبد العزيز بن مروان فأكرمه وأمر له بمنزل فأقام قليلًا ومات فيه سنة ٨٢ هـ ـ ٧٠١ م. «الأعلام للزركلي ٢/١٣٨».

(٢) عمر بن أبي ربيعة: /٢٣ ـ ٩٣ هـ = ٦٤٤ ـ ٧١٢ م) أبو الخطاب، أرق شعراء عصره، من طبقة جرير والفرزدق، ولد في الليلة التي توفي فيها عمر بن الخطاب، فسمي باسمه، أكثر شعره في الغزل، وكان يتعرض لنساء الحاج ويشبب بهن، فعلم عمر بن عبد العزيز بذلك فنفاه إلى دهلك، ثم غزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه فمات فيها غرقًا. «الأعلام للزركلي ٥/ ٥٢».

(٣) إبراهيم بن هرمة: الكناني القرشي، أبو إسحٰق، شاعر غزل من سكان المدينة، من مخضرمي الدولتين. الأموية والعباسية، رحل إلى دمشق ومدح الوليد بن يزيد فأجازه، ثم وفد على المنصور العباسي في وفد أهل المدينة، فتجهم له، ثم أكرمه، وانقطع إلى الطالبيين وله شعر فيهم، توفي سنة ١٨٣ هـ ـ ٨٠٠ م. «الأعلام للزركلي ١/ ٥٠».

وقال أيضًا: [من المتقارب]

كتاركةٍ بيضَها بالعراءِ ... وملبسةٍ بيضَ أخرى جناحا

بشَّار بن برد[1] يقول: [من الطويل]

إذا كنت في كلّ الأمورِ معاتبًا ... صديقَك لم تلقَ الذي لا تعاتبُهْ
فعشْ واحدًا أو صِلْ أخاك فإنه ... مُقارف ذنب مرةً ومجانِبُهْ
إذا أنت لم تشربْ مِرارًا على القذى ... ظمئتَ وأيُّ الناسِ تصفو مشاربُهْ

وقال أيضًا: [من الكامل]

ولا تجعلِ الشّورى عليك غَضاضةً ... فإن الخوافي عُدَّةٌ للقوادِمِ
وما خيرُ كفٍّ أَمسكَ الغُلُّ أُختَها ... وما خيرُ سيفٍ لم يؤيَّدْ بقائم

وقال أيضًا: [من المتقارب]

كبكرٍ تَشَهَّى لذيذَ النِّكاحِ ... وتَفرَقُ من صَولةِ الناكحِ[2]

وقال أيضًا: [من الخفيف]

أنتَ من قَلبها محلُّ شرابٍ ... يُشتَهى شربُهُ ويُخشَى صُداعُهْ

وقال أيضًا: [من الرَّجز]

الحرُّ يُلحَى والعصا للعبدِ ... وليس للمُلحِفِ مثلُ الردِّ
وصاحبٍ كالدُّمَّلِ الممِدِّ ... حملتُه في رُقعةٍ من جِلْدي

وقال أيضًا: [من الكامل]

وإذا جفوتَ قطعتُ عنك مَنافعي ... والدَّرُّ يقطعُهُ جفاءُ الحالبِ

وقال أيضًا: [من المتقارب]

ولولا الذي خَبَّروا لم أكنْ ... لأمدحَ رَيحانةً قبلَ شَمْ

---

(١) بشار بن برد العقيلي: (٩٥ ـ ١٦٧ هـ = ٧١٤ ـ ٧٨٤ م) أبو معاذ، أشعر المولدين على الإطلاق، أصله من طخارستان، كان ضريرًا، نشأ في البصرة وقدم بغداد، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية، كان شاعرًا راجزًا شجاعًا خطيبًا، اتهم بالزندقة فمات ضربًا بالسياط، ودفن بالبصرة، نسبته العقيلي إلى امرأة قيل إنها اعتقته من الرق. «الأعلام للزركلي ٢/ ٥٢».

(٢) تفرق: تخاف.

وقال أيضًا: [من الكامل]

تأتِي المقيمَ ـ وما سَعَى ـ حاجاته عددَ الحصَى، ويَخيبُ سعيُ الناصبِ(١)

وقال أيضًا: [من الخفيف]

أنا والله أشتهِي سحرَ عينيْـ ـكِ وأخشَى مَصارعَ العشَّاقِ

وقال أيضًا: [من الكامل]

نرجو غدًا، وغدًا كحاملةٍ في الحيِّ لا يدرون ما تلدُ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

تسقطُ الطيرُ حيث ينتثرُ الحَـ ـبُّ وتُغشَى منازلُ الكرماءِ

ليس يُعطيك للرجاءِ ولا الخو فِ ولكنْ يَلذُّ طعمَ العطاءِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

والصعبُ يُمكِنُ بعد ما جُمحا ولن تَبلغَ العليا بغيرِ الدراهمِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

ولا بدّ من شكوى إلى ذي مروءةٍ يواسيك أو يُسْليك أو يتوجَّعُ

أبو العتاهية(٢) يقول: [من الوافر]

* أذلّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ *

[من الطويل]

* وكلُّ غَنيٍّ في العيونِ جَليلُ *

---

(١) الناصب: المجدّ المجتهد.

(٢) أبو العتاهية: (١٣٠ ـ ٢١١ هـ = ٧٤٨ ـ ٨٢٦ م) اسماعيل بن القاسم العنزي، أبو إسحٰق الشهير بأبي العتاهية، شاعر مكثر سريع الخاطر، كان ينظم المئة والمئة والخمسين بيتًا في اليوم وهو يعد من مقدمي المولدين، كان يجيد القول في الزهد والمديح، ولد في عين النمر قرب الكوفة، نشأ في الكوفة وسكن بغداد وكان في بدء أمره يبيع الجرار فقيل له الجرار، ثم اتصل بالخلفاء وعلت مكانته عندهم، وهجر الشعر مدة، فبلغ ذلك المهدي العباسي، فسجنه ثم أحضره إليه وهدده بالقتل أو يقول الشعر، فعاد إلى نظمه، فأطلقه، توفي في بغداد. «الأعلام للزركلي ١/ ٣٢١».

[من المجتث]

* روائـحُ الـجَـنَّـةِ فـي الـشـبـابِ *

[من الوافر]

* وأيُّ الـنـاسِ لـيـس لـه عُـيـوبُ *

وقال أيضًا: [من الرّجز]

إنَّ الـشـبـابَ والـفَـراغَ والـجِـدَهْ　　مَـفْـسَدَةٌ لـلدِّين، أيّ مَـفْـسدَهْ![1]

وقال أيضًا: [من مجزوء الرَّمل]

أنتَ ما استغنيتَ عن صا　　حـبِـكَ الـدهـرَ أخـوهُ

فـإذا احـتـجـتَ إلـيـه　　سـاعـةً مَـجَّـكَ فـوهُ

وقال أيضًا: [من البسيط]

ما يَحرُزُ المرءُ من أطرافِهِ طَرَفا　　إلّا تـخـوَّنَـهُ الـنـقـصانُ من طَـرَفِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

يُصادُ فؤادي حين أَرمي ورَمْيتي　　تعودُ إلى نَحرِي ويسلمُ مَن أَرمِي

وقال أيضًا: [من من مجزوء الكامل المرفّل]

ولـربَّ شـهـوةِ سـاعـةٍ　　قـد أورثـتْ حـزنًـا طـويـلا

سَلْمُ بن عمرو الخاسر: وهو مولى أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، وهو بصريّ لُقِّبَ الخاسر لأنه ورث من أبيه مصحفًا فباعه واشترى بثمنه طُنبورًا، وقيل: بل خلَّف أبوه مالًا فأنفقه في الأدب والشعر، فقال له بعضُ أهله: إنك لخاسرُ الصفقة، فلُقّب بذلك.

فمما يتمثّل به من شعره قوله: [من مخلّع البسيط]

مَن راقبَ الناسَ مات غمًّا　　وفـاز بـالـلذة الـجـسـورُ

لـولا مُنى العاشقينَ ماتوا　　غمًّا، وبعضُ المنى غرورُ

(١) الجدة: الغنى والترف.

وقال أيضًا: [من البسيط]

ولو ملكتَ عِنانَ الريحِ تصرُفُهُ   في كلّ ناحيةٍ ما فاتك الطلبُ

وقال أيضًا: [من المنسرح]

لا تسألِ المرءَ عن خلائقِهِ   في وجهه شاهدٌ من الخبَرِ

صالح بن عبد القُدّوس[1] يقول: [من السَّريع]

ما يَبلُغُ الأعداءُ من جاهلٍ   ما يبلُغُ الجاهلُ من نفسهِ
والجاهلُ الآملُ ما في غدٍ   كحفظه في اليوم أو أمسهِ
والشيخُ لا يَترُك أخلاقَه   حتى يُوارَى في ثرى رمسه
والحُمقُ داءٌ ما له حيلةٌ   تُرجَى كبُعد النجم من لمسهِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

وإنَّ عناءً أن تُفهِّمَ جاهلًا   فيَحْسَبُ جهلًا أنه منك أفهمُ
متى يبلغِ البنيانُ يومًا تمامَهُ   إذا كنتَ تبنيه وغيرُك يهدمُ

وقال أيضًا: [من البسيط]

إذا وَترتَ امرءًا فاحذرْ عداوتَهُ   من يزرعِ الشوكَ لا يحصدْ به عِنبَا

وقال أيضًا: [من الكامل]

شرُّ المواهب ما تجودُ به   من غيرِ محْمدَةٍ ولا أَجرِ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

لا تجدْ بالعطاء في غير حقٍّ   ليس في منعِ غير ذي الحقّ بخلُ
إنّما الجودُ أن تجودَ على من   هو للجودِ منك والبذلِ أهلُ

وقال أيضًا: [من البسيط]

يَشقَى رجالٌ ويَشقَى آخرون بهمْ   ويُسعِدُ الله أقوامًا بأقوامِ

---

(١) صالح بن عبد القدوس: أبو الفضل، شاعر حكيم، كان متكلمًا، يعظ الناس في البصرة، شعره كله أمثال وحكم وآداب، اتهم عند المهدي العباسي بالزندقة، فقتله ببغداد في سنة ١٦٠ هـ - ٧٧٧ م. «الأعلام للزركلي ٣/ ١٩٢».

وليس رزقُ الفتى من لُطفِ حيلته لكنْ جدودٌ بأرزاقٍ وأقسامِ
كالصَّيد يُحْرَمُه الرامي المُجيدُ وقد يُرْمَى فيُرزَقُه من ليس بالرامي

وقال أيضًا: [من الخفيف]

إنْ يكنْ ما بِهِ أصبتَ جليلًا فذهابُ العزاءِ منه أجلُّ
كلّ آتٍ لا شكَّ آتٍ وذو الجهـ ـل مُعَنًّى والغمُّ والحزنُ فضلُ

ابن مَيَّادةِ[1]: هو الرمّاح بن أبي أبرد كنيته شُرَحْبيل يقول: [من الخفيف]

واعجبا من خالدٍ كيف لا يُخطئُ فينا مرّةً بالصوابِ

وقال أيضًا: [من السريع]

وأرانا كالزرعِ يحصدُهُ الدهـ ـرُ فمن بينِ قائم وحصيدِ
وكأنّا للموت رَكْبٌ مُخِبُّو ن سراعٌ لمنهلٍ موروده

أبو نُواس الحسن بن هانِىء[2] يقول: [من البسيط]

* دعْ عنك لَومي فإنَّ اللومَ إغراءُ *
* ألا ربَّ إحسان عليك ثقيلُ *

وقال: [من الرجز]

* وللرجاء حرمةٌ لا تُجهلُ *
* وأيُّ جِدٌ بلَغ المازحُ *

وقال أيضًا: [من الطويل]

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشَّفتْ له عن عدوٌ في ثيابِ صديقِ

---

(١) ابن ميادة: الرماح بن يزيد، وميادة أمه، وهو من بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، أبو شرحبيل ويقال: أبو حرملة، شاعر رقيق، هجاء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان مُقامه بنجد، يفد على الخلفاء والأمراء ويعود، وأخباره كثيرة، توفي سنة ١٤٩ هـ - ٧٦٦ م. «الشعر والشعراء ص ٥٢٣، والأعلام للزركلي ٣/ ٣١».

(٢) أبو نُواس: الحسن بن هانىء، كان متفننًا في العلم، قد ضرب في كل نوع منه بنصيب، كان له نظر في علم النجوم وعلم الطبائع، وهو شاعر العراق في عصره، ولد في الأهواز سنة ١٤٦ هـ - ٧٦٣ م ونشأ بالبصرة ورحل إلى بغداد فاتصل بالخلفاء من بني العباس، نظم في جميع أنواع الشعر وأجود شعره حمزياته توفي سنة ١٩٨ هـ - ٨١٤ م. «الشعر والشعراء ص ٥٤٣، والأعلام للزركلي ٢/ ٢٢٥».

وقال أيضًا: [من المديد]

لا أَذودُ الطيرَ عن شجرٍ قد بلَوتُ المرّ من ثمرِهْ

وقال أيضًا: [من السّريع]

وليس لله بمستنكَرٍ أن يجمعَ العالَمَ في واحدِ!

وقال أيضًا: [من المديد]

صار جدًّا ما مزحتُ به ربَّ جدٍّ ساقه اللعِبُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

كفى حَزَنًا أنّ الجواد مُقَتَّرٌ عليه ولا معروفَ عند بخيلِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

وأوبةُ مشتاقٍ بغير دراهمٍ إلى أهله من أعظمِ الحَدَثان

أبو عُيَيْنَة المهلّبي[١] يقول: [من الطويل]

* وكيف جُحود القلبِ والعينُ تشهدُ *

* ولا خيرَ فيمن لا يدومُ له عهدُ *

* وشتّانَ ما بين الولايةِ والعزْلِ *

وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل المرمّل]

وإذا تطاولتِ الرؤو سُ فغطِّ رأسَك ثمّ طاطِهْ

عبد الله بن أبي عتبة المُهلبي[٢] يقول: [من البسيط]

كلُّ المصائبِ قد تمرّ على الفتى فتهونُ غيرَ شمّاتةِ الأعداءِ

---

(١) أبو عيينة المهلبي: محمد بن أبي عيينة، لم نعثر على ترجمة كاملة له، وكان قد عاش في العصر العباسي. ولعله: محمد بن حبيب المهلبي أمير البصرة في زمن المأمون العباسي، توفي فيها سنة ٢١٦ هـ ـ ٨٣١ م. وكان من أكابر الأمراء. «الأعلام للزركلي ٦/ ١٨١».

(٢) عبد الله بن أبي عتبة المهلبي: ابن يزيد بن حاتم المهلبي الأزدي. أمير، استعمله ابن عمه الفضل بن روح أمير إفريقية على مدينة تونس، فخرج إليه أهلها فقتلوه قبل أن يصل إليها سنة ١٧٨ هـ ـ ٧٩٤ م. «الزركلي ٤/ ١٤٦، الفهرست لابن النديم ص ٢٣٣».

وقال أيضًا: [من مُخلع البسيط]

مـا كـنـتَ إلا كـلحـمِ مَـيْـتٍ دعـا إلـى أكـلـه اضـطـرارُ

العبَّاس بن الأحنف[1] يقول: [من الكامل]

لـو كنتِ عـاتبةً لسكَّن رَوْعتي أمَلي رضاكِ وزرتُ غيرَ مراقَبِ
لكن مـلِلْتِ فمـا لصدِّكِ حيلةٌ صدُّ الملول خلافُ صدِّ العاتبِ

وقال أيضًا: [من المنسرح]

صـرتُ كـأنّـي ذبـالـةٌ نـصـبـتْ تُـضـيءُ لِلناسِ وهـي تـحـترق[2]

وقال أيضًا: [من البسيط]

أرى الطريقَ قريبًا حين أسلكُهُ إلى الحبيبِ، بَعيدًا حين أنصرِفُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

كـفـى حَزَنًـا أنّ التباعدَ بيننـا وقـد جـمـعـتْـنـا والأحـبَّـةَ دارُ

وقال أيضًا: [من الوافر]

أقـمـنـا مـكـرَهـيـن بـهـا فـلمّـا أَلِفـنـاهـا خـرجـنـا مُـكـرَهـيـنـا

وقال أيضًا: [من الطويل]

* ولا خـيـرَ فـي ودٍّ يـكـون بـشـافـعِ *
* مَـنْ عـالـجَ الـشـوقَ لـم يـسـتـبـعـدِ الـدارا *

مُسلم بن الوليد: هو مولى الأنصار، ثم مولى آل أبي أُمامة: أسعد بن زُرارَة الخَزْرَجي ولُقِّب صريع الغواني، وممّا يُتَمثّلُ به من شعره قوله: : [من البسيط]

دلّتْ على عيبِها الدّنيا وصدَّقها ما استرجعَ الدهرُ ممّا كان أعطانِي

وكان يقول أخذتُ معنى هذا البيتِ من التوراة.

---

(١) العباس بن الأحنف: الحنفي اليماني، أبو الفضل، شاعر غزل رقيق، قال فيه البحتري: أغزل الناس، أصله من اليمامة في نجد، وكان أهله بالبصرة وبها مات أبوه، ونشأ هو ببغداد وتوفي بها وقتل بالبصرة وذلك سنة ١٩٢ هـ ـ ٨٠٨ م. «الأعلام للزركلي ٣/٢٥٩، والشعر والشعراء ص ٥٦٥».

(٢) الذّبالة: الفتيلة التي تكون في السّراج.

وقال أيضًا: [من الطويل]

يَعُدُّ الفتى مرَّ الليالي سليمةً وهنَّ به عما قليلٍ عواثرُ

وقال أيضًا: [من الكامل]

أما الهجاءُ فدَقَّ عِرضُك دونَه والمدحُ عنك كما علمتَ جليلُ
فاذهب فأنتَ طليقُ عِرضِك إنه عِرضٌ عززتَ به وأنت ذليلُ

منصور النَّمِريُّ: هو منصور بن الزِّبْرِقان بن سَلَمَة. وقيل منصور بن سَلَمَة بن الزِّبْرِقان بن شريك، مُطْعِمُ الكبشِ الرَّخَم[1]؛ سُمّي بذلك لأنه أطعم ناسًا نزلوا به ونَحرَ لهم. ثم رفع رأسه فإذا هو برخم يحمن حول أضيافه، فأمر أن يُذْبَح لهنّ كبشٌ ويُرمى لهنّ فَفُعِل ذلك ونزلنْ عليه فمزّقنه؛ وهو ابنُ مالك بن سعد بن عامر الضحْيان، سُمّي بذلك لأنه كان سيدَ قومهِ وحاكِمهم وكان يجلس لهم إذا أضحى النهارُ؛ وهو ابن سعد بن الخَزْرَج بن تَيْمَ الله بن النَّمِر بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْميّ بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نِزَار.

فمما يُتَمثّل به من شعره قوله: [من الطويل]

لعلّ لها عذرًا وأنت تلومُ وربَّ امرىءٍ قد لام وهو مُليمُ

وقال أيضًا: [من البسيط]

ما كنتُ أوفي شبابي كنهَ عِزَّته حتى انقضى فإذا الدنيا له تَبَعُ

وقال أيضًا: [من الكامل]

أقلِلْ عتابَ من استَرَبْتَ بوُدِّهِ ليست تُنالُ مودَّةٌ بعتابِ

العَتَّابيّ: هو كُلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبيش بن أوس بن مسعود بن عمرو بن كُلثوم الشاعر ابن مالك بن عَتّاب بن سعد بن زُهير بن جُشَم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلب.

فمما يُتَمثل به من شعره قوله: [من الطويل]

وإنّ عظيماتِ الأمورِ مَشُوبةٌ بمستودعاتٍ في بطونِ الأساودِ[2]

(١) الرّخم: طائرٌ من الجوارح يشبه النّسر، كثير الرّيش، أبيض اللون مبقّع بسواد.
(٢) المشوبة: الممزوجة.

وقال أيضًا: [من الطويل]

ولله في عَرْض السمٰواتِ جَنّةٌ ولكنها محفوفةٌ بالمَكارهِ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

قلت للفرقدين، والليلُ مُلقٍ سُودَ أكنافِهِ على الآفاقِ[١]

اِبقيا ما بقيتما سوف يُرمَى بين شخصيكما بسهمِ الفراقِ

أشْجَع السُلمي[٢]: هو أشجع بن عمرو أبو الوليد، وقيل: أبو عمرو من أهل الرَّقَّة[٣].

فمما يتمثل به من شعره قوله: [من الطويل]

نَسيبُك من أمسى يناجيك طرفُهُ وليس لمن تحتَ الترابِ نسيبُ

وقال أيضًا: [من الكامل]

سبق القضاءُ بكلِّ ما هو كائنٌ فليَجهدِ المتقلّبُ المحتالُ

وقال أيضًا: [من السريع]

داءٌ قديمٌ في بني آدمِ فتنةُ إنسانٍ بإنسانِ

وقال أيضًا: [من الكامل]

وعلى عدوِّكَ يا ابن عمّ محمدٍ رَصَدان، ضوءُ الصبحِ والإظلامُ

فإذا تنبَّه رعتَه وإذا غفا سلَّت عليه سيوفَك الأحلامُ

الجُرْهميّ[٤]: [من الطويل]

وأعددتُه ذخرًا لكلِّ مُلِمةٍ وسهمُ الرزايا بالذخائر مولعُ

---

(١) الفرقدان: نجمان في الشماء مضيئان.

(٢) أشجع السلمي: أشجع بن عمرو السلمي، أبو الوليد، من بني سليم من قيس عيلان، شاعر فحل، كان معاصرًا لبشار، ولد باليمامة ونشأ بالبصرة وانتقل إلى الرقة واستقر ببغداد، مدح البرامكة وانقطع إلى جعفر بن يحيىٰ فقربه من الرشيد، فأعجب الرشيد به، فأثرى وحسنت حاله توفي نحو ١٩٥ هـ ـ ٨١١ م. «الأعلام للزركلي ١/ ٧٣١».

(٣) الرقة: مدينة مشهورة على نهر الفرات، مضى اسمها: أرض إلى جنب واد ينبسط عليها الماء، وجمعها رقاق وقيل: الرقاق: هي الأرض اللينة التراب. «معجم البلدان ٣/ ٥٨».

(٤) الجرهمي: عمرو بن الحارث، من ملوك قحطان في الحجاز في العصر الجاهلي القديم، تولى مكة بعد خروج أبيه منها، مات بمكة «الزركلي ٥/ ٧٥»، ولعله عبيد الجرهمي المتوفّى سنة ٦٧ هـ ـ ٦٨٦ م، والذي أدرك النبي. «الزركلي ٤/ ١٨٩».

وقال أيضًا: [من الوافر]

إذا ما ماتَ بعضُكَ فابكِ بعضًا فإن البعضَ من بعضٍ قريبُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

أرى الحلمَ في بعضِ المواطِنِ ذِلَّةً وفي بعضها عزًّا يُسَوِّدُ فاعلُهْ

وقال أيضًا: [من الطويل]

ودون الندى في كلِّ قلبٍ ثَنيَّةٌ لها مَصْعَدٌ حَزْنٌ ومُنحَدرٌ سهلُ

وقال أيضًا: [من البسيط]

العيشُ لا عيشَ إلَّا ما قَنَعتَ به قد يكثُرُ المالُ والإنسان مُفتَقِرُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

وهل حازمٌ إلّا كآخر عاجزٍ إذا حلَّ بالإنسانِ ما يُتوقّعُ

محمود الوَرَّاق(١): هو محمود بن الحسن البغدادي مولى بني زُهرة، ويُكنى أبا الحسن.

فمما يُتمثّل به من شعره قوله: [من الكامل]

وإذا غلا شيءٌ عليّ تركتُهُ فيكونُ أرخصَ ما يكونُ إذا غلا

وقال أيضًا: [من الكامل]

ما كدتُ أفحصُ عن أخي ثقةٍ إلّا ذَممتُ عواقبَ الفحِصِ

وقال أيضًا: [من السريع]

الدّهر لا يَبْقى على حالةٍ لا بدّ أن يُقبِلَ أو يُدبرا
فإن تَلقَّاك بمكروهِهِ فاصبرْ فإن الدهرَ لن يَصبرا

وقال أيضًا: [من الطويل]

إذا كان وجهُ العُذرِ ليس بواضحٍ فإنّ اطراحَ العذرِ خيرٌ من العذرِ

---

(١) محمود الوراق: محمود بن حسن الوراق، شاعر، أكثر شعره في المواعظ والحكم. توفي نحو ٢٢٥ هـ - ٨٤٠ م، وذلك في خلافة المعتصم العباسي. «الأعلام للزركلي ٧/١٦٧، وفوات الوفيات ٤/٧٩».

محمد بن حازم الباهليّ(١): [من الطويل]

ألا إنّما الدّنيا على المرءِ فتنةٌ على كلّ حالٍ أقبلتْ أم تولّتِ

وقال أيضًا: [من السّريع]

وقائلٍ كيف تفرّقتما فقلتُ قولًا فيه إنصافُ
لم يكُ لي شكلًا ففارقتُه والناسُ أشكالٌ وألّافُ

السَّمَوألُ بن عَادياء(٢) [من الطويل]

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ من اللؤمِ عِرضُه فكلُّ رداء يرتديه جميلُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

إذا كنت مَلْحيًا مُسيئًا ومُحسِنًا فغِشْيانُ ما تهوى من الأمرِ أكيسُ

محمد بن أبي زُرْعَة الدِّمَشْقي: [من الكامل]

لا يُؤْنِسَنَّك أن تراني ضاحكًا كم ضَحْكَةٍ فيها عُبوسٌ كامِنُ

وقال أيضًا: [من الكامل]

قد يَمْهنُ الهِنْديُّ وهو حُسامُ ويُحثُّ الجوادُ وهو جوادُ

أبو الشِّيص(٣): واسمه محمد بن رزين بن تَمِيم بن نَهْشَل، وأبو الشِّيص لَقَبٌ غَلَب عليه، وكُنْيَتُه أبو جعفر وهو عمّ دِعْبِل بن عليّ.

فمما يُتمثل به من شعره فقوله: [من الطويل]

إذا لم تَكُنْ طُرْقُ الهوى لي ذليلةً تنكبتُها وانحزتُ من جانبِ السَّهل

---

(١) محمد بن حازم الباهلي: أبو جعفر، شاعر مطبوع كثير الهجاء، لم يمدح من الخلفاء غير المأمون العباسي، ولد ونشأ في البصرة وسكن بغداد ومات فيها، أكثر شعره في القناعة ومدح التصون وذم الحرص والطمع، توفي نحو ٢١٥ هـ ـ ٨٣٠ م. «الأعلام للزركلي ٦/ ٧٥».

(٢) السموأل بن عادياء: الأزدي، شاعر جاهلي حكيم، من سكان خيبر (في شمالي المدينة، كان ينتقل بينها وبين حصن له سماه الأبلق، أشهر شعره لاميته التي مطلعها:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وهي من أجود شعره، له ديوان صغير، وهو الذي تنسب إليه قصة الوفاء مع الشاعر امرىء القيس، توفي نحو ٦٥ ق.هـ ـ ٥٦٠ م. «الزركلي ٣/ ١٤٠».

(٣) أبو الشيص: محمد بن رزين بن تميم بن نهشل، وأبو الشيص لقب غُلب عليه، وكنيته أبو جعفر وهو عم دعبل الخزاعي. كان في زمن الرشيد العباسي، ولما مات الرشيد سنة ١٩٣ هـ رثاه. «الشعر والشعراء ص ٥٧٧».

عليّ بن جَبَلَةَ بن عبد الرحمٰن الأبناوي[١]، وهو المُلَقب العَكَوَّك قال: [من الكامل]

وأرى الليالي ما طوتْ من شِرَّتي ... ردَّتْه في عِظَتي وفي إفهامي
وعلمتُ أنّ المرء من سَنَن الرّدى ... حيثُ الرمِيَّةُ من سِهامِ الرامي

وقال أيضًا: [من الطويل]

وخافت على التطواف قومي وإنّما ... تُصاب غرارُ الوحشِ وهي رتُوعُ

اللجْلاجُ الحارثي[٢]: [من الطويل]

وما كنتُ زوَّارًا ولكنّ ذا الهوى ... إلى حيثُ يَهوَى القلبُ تَهوِي به الرِّجْلُ

وقال أيضًا: [من المتقارب]

إذا ما أهانَ امرؤٌ نَفْسَه ... فلا أكرَمَ اللهُ من يُكرِمُهْ

عبد الصمد بن المعذَّل[٣]: [من الرّمل]

ليس لي عُذْرٌ وعندي بُلْغةٌ ... إنما العذرُ لمن لا يستطيع

وقال أيضًا: [من المتقارب]

وأعلمُ أنَّ بناتِ الرجاءِ ... تُحِلُّ العزيزَ مَحَلَّ الذليلِ
وأنْ ليس مُستغنيًا بالكثيرِ ... من ليسَ مُستغنيًا بالقليلِ

وقال أيضًا: [من من مجزوء المتقارب]

أرى النَّاسَ أُحدوثةً ... فكونوا حيثًا حَسَنْ
كأنْ لم يكنْ ما أتى ... وما قد مضى لم يكنْ

---

(١) علي بن جبلة بن عبد الرحمٰن الملقب بالعكوك: (١٦٠ ـ ٢١٣ هـ = ٧٧٧ ـ ٨٢٨ م) أبو الحسن المعروف بالعكوك، شاعر عراقي مجيد، كان أعمى أسود اللون، من أحسن الناس إنشادًا، ولد قرب بغداد واستنفد أكثر شعره في مدح أبي دلف العجلي، قتله المأمون. «الأعلام للزركلي ٤/٢٦٨».

(٢) اللجلاج الحارثي: لعلّه علي بن علقمة بن عبد وهب بن عبد الله بن الحارث الجسري، شاعر فارس «ويعرف باللجلاج المحاربي» «انظر معجم الشعراء للمرزباني: ص ١٧٤».

(٣) عبد الصمد بن المعذل: من بني عبد القيس، أبو القاسم، من شعراء الدولة العباسية، ولد ونشأ في البصرة، كان هجاءً، (توفي سنة ٢٤٠ هـ ـ ٨٥٤ م).

إذا وطـــنٌ رابـــنـــي فـــكـــلُّ بـــلادٍ وطـــن
إذا عـــزَّ يـــومًـــا أخـــو ك فـي بـعـضِ أمـرٍ فَـهُـنْ

الحَمْدوني[1]: [من البسيط]

إنَّ الـمُـقَـدّمَ في حِذْقٍ بصنعته أنّى توجَّه فيها فهو محرومُ

العتبي[2]: [من البسيط]

قالت عهِدتُك مجنونًا، فقلتُ لها: إن الشبابَ جنونٌ برؤه الكِبَرُ

وقال أيضًا: [من المتقارب]

وحـسبُـك مـن حـادثٍ بـامـرئٍ يـرى حـاسـديـه لـه راحـمـيـنـا

أبو سعيد المخزومي[3]: واسمه عيسى بن خالد بن الوليد، والصحيح أنه أبو سعد لا سعيد.

فمما يُتمثل به من شعره قوله: [من المنسرح]

وكـم رأيـنـا لـلدهـر مـن أسَـدٍ بـالـت عـلى رأسِـه ثـعـالـبُـهُ

وقال أيضًا: [من الوافر]

إذا ضـنَّ الـجَـوادُ بـمـا لـديـه فما فضلُ الجوادِ على البخيلِ؟

وقال أيضًا: [من مجزوء الخفيف]

لـيـس لـبـسُ الـطـيـالـسِ مـن لـبـاسِ الـفـوارسِ
لا ولا حَـوْمـةُ الـوغـى كـصـدور الـمـجـالـسِ
وظُـهـورُ الـجـيـادِ غــ يـر ظـهـور الـطّـنـافـسِ
لـيـس من مـارس الـخـطـو ب كـمـن لـم يـمـارسِ

(١) الحمدوني: هو محمد بن أحمد الحمدوني أورد له صاحب اليتيمة قصيدة في مدح الوزير أبي نصر سابور بن أردشير ولم يورد ترجمة له، «انظر اليتيمة ٣/ ١٤٥».

(٢) العتبي: هو محمد بن عبيد الله بن عمرو، أبو عبد الرحمٰن الأموي، أديب كثير الأخيار، حسن الشعر، من أهل البصرة، توفي سنة ٢٢٨ هـ. «الأعلام ٦/ ٢٥٨».

(٣) هو عيسى بن خالد بن الوليد، المخزومي، أبو سعد، شاعر من أهل بغداد، كثير الشعر جيّده كان يهاجي دعبل الخزاعي مات نحو سنة ٢٣٠ هـ. «الأعلام ٥/ ١٠٢».

دِعْبِل بن عليّ الخزاعيّ(١): هو أبو جعفر واسمه محمد ودعبل لقبٌ غَلَب عليه، والدِّعْبِلُ: البعيرُ المسنُّ، وقيل: الناقةُ التي معها أولادها.

فمما يُتمثّل به من شعره قوله: [من الكامل]

لا تعجبي يا سَلْمُ من رجلٍ ضَحِك المشيبُ برأسِهِ فبكى

وقال أيضًا: [من الطويل]

هي النفس ما حسَّنْتَه فَمُحسَّنٌ إليها وما قبَّحتَهُ فمُقَبّحُ

وقال أيضًا: [من السّريع]

جئنا به يشفعُ في حاجةٍ فاحتاج في الإذنِ إلى شافعِ

وقال أيضًا: [من البسيط]

تلك المساعي إذا ما أخّرتْ رجلًا أحبّ للناس عيبًا كالذي عابهْ
كذاك من كان هَدْمُ عادَتَه فإنّه لبناء المجدِ عَيّابُهْ

إسحٰق بن إبراهيم المَوصِليّ(٢): [من الوافر]

وكلُّ مسافرٍ يزدادُ شوقًا إذا دنتِ الديارُ من الديارِ

المؤمل بن أميل: [من البسيط]

إذا مَرِضنا أتيناكُمْ نَعودكُمُ وتذنبون فتأتيكم ونعتذرُ
لا تحسَبوني غنيًا عن مودّتِكم إني إليكم وإن أيسرْتُ مفتقرُ

(١) دعبل بن علي الخزاعي: (١٤٨ ـ ٢٤٦ هـ = ٧٦٥ ـ ٨٦٠ م) أبو علي، شاعر، أصله من الكوفة، أقام ببغداد، له أخبار وشعره جيد، كان صديق البحتري، صنف كتابًا في طبقات الشعراء، مدح العلويين وهي العباسيين خاصة الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق، توفي ببلدة تدعى الطيب بين واسط وخوزستان. «الأعلام للزركلي ٢/٣٣٩».

(٢) إسحٰق بن إبراهيم الموصلي: (١٥٥ ـ ٢٣٥ هـ = ٧٧٢ ـ ٨٥٠ م) أبو محمد، من أشهر ندماء الخلفاء، تفرد بصناعة الغناء، وكان عالمًا باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلوم الكلام، راويًا للشعر حافظًا للأخبار، شاعرًا، فارسي الأصل، مولده ووفاته ببغداد، نادم الرشيد والمأمون والواثق العباسيين، ألّف كتبًا كثيرة، وعمي قبل موته بسنتين «الأعلام للزركلي ١/٢٩٢».

إبراهيمُ بن العباس بن محمد بن صُول(١) مولى يزيد بن المُهَلَّب يُكنى أبا إسحٰق، وأصله من خُراسان(٢).

فمما يُتمثَّل به من شعره قوله: [من الطويل]

وربَّ أخٍ ناديتُه لمُلمَّةٍ فألفيتُه منها أجلَّ وأعظما

وقال أيضًا: [من المتقارب]

وكنت أذُمّ إليك الزمانَ فأصبحتُ فيك أذمُّ الزمانا
وكنت أُعِدّك للنائباتِ فها أنا أطلبُ منك الأمانا

وقال أيضًا: [من الطويل]

دنتْ بأناس عن تناءٍ زيارةٌ وشَطَّ بليلي عن دُنوٍّ مَزَارُها
وإنّ مقيماتٍ بمُنقَطِع اللّوى لأقربُ من ليلى وهاتيك دارُها

أبو عليّ البصير(٣): وهو الفضل بن جعفر الكوفيّ يقول: [من الطويل]

فلا تعتذرْ بالشُّغلِ عنّا فإنّما تناطُ بك الآمال ما اتصل الشُّغلُ

وقال أيضًا: [من الوافر]

لعمرِ أبيَك ما نُسب المعلَّى إلى كرمٍ وفي الدُّنيا كريمُ
ولكنّ البلادَ إذا اقشعرّت وصوّح نبتُها رُعي الهشيمُ

---

(١) إبراهيم بن العباس بن صول (١٧٦ ـ ٢٤٣ هـ = ٧٩٢ ـ ٨٥٧ م) أبو إسحٰق، كاتب العراق في عصره، أصله من خراسان، نشأ في بغداد، فتأدب وقربه الخلفاء فكان كاتبًا للمعتصم والواثق والمتوكل، تنقل في الأعمال والدواوين إلى أن مات متقلدًا ديوان الضياع والنفقات بسامراء، له ديوان رسائل وديوان شعر. «الأعلام للزركلي ١/ ٤٥».

(٢) خراسان: بلاد واسعة أوّل حدودها ممّا يلي العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها ممّا يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وتشتمل على أمّهات البلاد ومنها نيسابور وهراة ومرو «معجم البلدان ٢/ ٣٥٠».

(٣) أبو علي البصير: الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس، أبو علي النخعي، شاعر ضرير، من الكتاب البلغاء المترسلين الظرفاء، ويعرف بأبي علي البصير، فارسي الأصل، نشأ بالكوفة، ثم سكن بغداد أول خلافة المعتصم ومدحه ومدح المتوكل، توفي بسُرَّ مَن رأى سنة ٢٥٥ هـ ـ ٨٦٩ م. «الأعلام للزركلي ٥/١٤٧».

سعيد بن حميد[1] يقول: [من الكامل]

* إنّ جَـهـدَ الـمـقـلّ غـيـرُ قـلـيـلِ *

* وعـلـى الـمـريـبِ شـواهـدٌ لا تـدفـعُ *

وقال أيضًا: [من الطويل]

وإنـك كـالـدنـيـا تُـذَمُّ صـروفُـهَـا ونـوسعـهـا سبًّا ونـحـن عـبـيـدُها

عليّ بن الجهم[2] يقول: [من الكامل]

ولـكـلّ حـالٍ مَـعْـقَـبٌ ولـربَّـمـا أجلَى لـك الـمـكـروهُ عمّا تـحـمَدُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

وعـاقـبةُ الـصبرِ الـجَميـلِ جميلةٌ وأفـضـلُ أخلاقِ الـرجـالِ التفـضُّلُ

ولا عارَ إن زالت عن المرءِ نعمةٌ ولـكـنّ عـارًا أن يـزولَ الـتـجـمُّلُ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

اِرضَ لـلسـائـلِ الـخُـضـوعَ ولـلقـا رِفِ ذنـبًـا مَـذلّةَ الأعـذارِ

اِبن أبي فنن: هو أحمد بن صالح بن أبي معشر مولى المنصور يقول: [من المتقارب]

أرى الـدّهـرَ يُـخـلِفُـنِـي كـلّـمـا لـبـسـتُ مـن الـدّهـرِ ثـوبًـا جـديـدًا

وقال أيضًا: [من الخفيف]

سُرَّ من عاشَ مالُهُ فإذا حا سَـبَـهُ الله سَـرّهُ الإعـدامُ

وقال أيضًا: [من المديد]

ربَّ أمـــر ســـرَّ آخـــرُهُ بـعـد مـا سـاءَتْ أوائـلُهُ

---

(١) سعيد بن حميد: أبو عثمان. كاتب مترسل، من الشعراء، أصله من النهروان الأوسط، من أبناء الدهاقين، مولده ببغداد، كان يتنقل بينها وبين سامراء، قلده المستعين العباسي ديوان رسائله، شعره رقيق، كان ينحو فيه منحى ابن أبي ربيعة، توفي سنة ٢٥٠ هـ ـ ٦٨٤ م. «الأعلام للزركلي ٣/ ٩٣».

(٢) علي بن الجهم: أبو الحسن، شاعر رقيق الشعر، أديب، من أهل بغداد، كان معاصرًا لأبي تمام، وخص بالمتوكل العباسي، ثم غضب عليه المتوكل، فنفاه إلى خراسان، فأقام مدة، ثم انتقل إلى حلب، ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو، فجرح ومات من جراحه سنة ٢٤٩ هـ ـ ٨٦٣ م. «الأعلام للزركلي ٤/ ٢٦٩».

يزيد بن محمد المهلبيّ[١] يقول: [من الرجز]

* لا عــارَ إن ضــامَــك دهــرٌ أو مَــلِــكْ *

وقال: [من الوافر]

وإنّ الـنـاسَ جـمـعـهُـمُ كـثـيـرٌ ولـكـنْ مـن تُـسَـرُّ بـه قـلـيـلُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

ومن ذا الذي تُرضي سجاياه كلُّها كفى المرءُ نُبلًا إن تُعدَّ معايبُهْ

عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير[٢] يقول: [من الطويل]

فإن تلحظي حالي وحالَك مرّةً بنظرةِ عينٍ عن هوى النفسِ تُحجَبُ
تَرىْ كلَّ يومٍ مرَّ من بؤس عيشتي عليك بيومٍ من نعيمِكِ يُحسبُ

أحمد بن أبي طاهر[٣] يقول: [من الطويل]

ودينُ الفتى بين التّماسكِ والنُّهى ودنيا الفتى بين الهوى والتغرّرِ

وقال أيضًا: [من المنسرح]

حسنُ الفتى أن يكون ذا حسب من نفسه، ليس حسنَه حسبُهْ

أبو تمام حبيب بن أوس الطائي يقول: [من الرجز]

* مـا الـحـبُّ إلا لـلـحـبـيـبِ الأوّل *
* لـسـانُ الـمـرءِ مـن جـذم الـفـؤاد *
* وذي النقصِ في الدنيا بذي الفضلِ مولَعُ *

---

(١) يزيد بن محمد المهلبي: من بني المهلب بن أبي صفرة، أبو خالد، شاعر، من الندماء الرواة، من أهل البصرة، اشتهر ومات ببغداد، كان فيه اعتزاز وترفع. اتصل بالمتوكل العباسي ونادمه ومدحه. «الأعلام للزركلي ٨/١٨٧».

(٢) عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير: (١٨٢ ـ ٢٣٩ هـ = ٧٩٨ ـ ٨٥٣ م) شاعر مقدم، فصيح، من أهل اليمامة، كان يسكن بادية البصرة، ويزور الخلفاء من بني العباس فيجزلون صلته، عمي قبل موته وهو من أحفاد «جرير» الشاعر، كان النحويون في البصرة يأخذون اللغة عنه. «الأعلام للزركلي ٥/٣٧».

(٣) أحمد بن أبي طاهر: (٢٠٤ ـ ٢٨٠ هـ = ٨١٩ ـ ٨٩٣ م) أبو الفضل، مؤرخ من الكتاب البلغاء الرواة، أصله من مرو الروذ، ومولده ووفاته ببغداد، كان مؤدب أطفال، له نحو خمسين كتابًا، منها تاريخ بغداد، له شعر قليل. «الأعلام للزركلي ١/١٤١».

وقال: [من البسيط]

ما آبَّ مَنْ آبَّ لم يظفرْ بحاجته ... ولم يُغِبْ طالبٌ للنُّجحِ لم يُخَبِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

ومن لم يُسلِّم للنوائبِ أصبحتْ ... خلائقُهُ طرًّا عليه نوائبَا

وقال أيضًا: [من الطويل]

لأمرٍ عليهم أن يتمَّ صدورُهُ ... وليس عليهم أن تتمَّ عواقِبُهْ

وقال أيضًا: [من الكامل]

لا تنكري عَطَلَ الكريم من الغِنى ... فالسيلُ حَربٌ للمكانِ العالِي

وقال أيضًا: [من الكامل]

وإذا تأمَّلتَ البلادَ رأيتَها ... تُثرِي كما تُثري الرِّجالُ وتُعدمُ

وقال أيضًا: [من الكامل]

وإذا امرؤ أهدى إليك صنيعةً ... من جاهه فكأنّها من ماله

وقال أيضًا: [من الطويل]

خلقنا رجالًا للتجلد والأسى ... وتلك الغواني للبكا والمآتم

وقال أيضًا: [من الطويل]

ينال الفتى من عيشِهِ وهو جاهلٌ ... ويُكدِي الفتى في دهرِهِ وهو عالمُ

ولو كانت الأرزاق تجري على الحجى ... هلكن إذًا من جهلِهِنّ البهائمُ

وقال أيضًا: [من الوافر]

أآلفةَ النجيبِ كم افتراقٍ ... أطلَّ فكان داعيةَ اجتماعِ

وليست فرحةُ الأوباتِ إلّا ... لموقوفٍ على تَرَحِ الوداعِ

وقال أيضًا: [من الكامل]

وإذا أرادَ اللهُ نشرَ فضيلةٍ ... يومًا، أتاحَ لها لسانَ حَسودِ

لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورَتْ ... ما كان يُعرف طِيبُ عَرفِ العودِ

وقال أيضًا: [من الكامل]

خشعوا لصولتك التي هي عندهم ... كالموتِ يأتي ليس فيه عارُ

وقال أيضًا: [من الكامل]

ذاك الذي قَرِحتْ بطونُ جفونِهِ ... مَرَهًا وتربة أرضه من إثمِدِ

وقال أيضًا: [من الوافر]

وتَركي سرعةَ الصَّدَرِ اعتباطًا ... يدلّ على موافقةِ الورودِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

ولم أرَ كالمعروف تُدعى حقوقُهُ ... مغارمَ في الأقوام وهي مَغانمُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

وإنّ امرءًا ضنّت يداه على أمرئٍ ... بنيلِ يدٍ من غيرهِ لبخيلُ

أبو عُبَادة البُحتريّ، وهو الوليد بن عُبَيد بن يحيىٰ بن عُبَيد بن شَمْلان بن جابر بن مُسلمة بن مُسهِر بن الحارث بن خَيْثَم بن أبي حارثة بن جدي بن نزوَل بن بُحتُر الطائيّ.

فمما يتمثلُ به من شعره قوله: [من الطويل]

* وأبرحُ ممّا حَلّ ما يُتَوَقَّعُ *

وقال أيضًا: [من الرجز]

* وليس تقترنُ النعماءُ والحسدُ *

وقال أيضًا: [من الرجز]

* إن المعنَّى طالبٌ لا يظفرُ *

وقال أيضًا: [من الطويل]

* أرى الكفرَ للنعماءِ ضربًا من الكفرِ *

وقال أيضًا [من الطويل]

* يزينُ اللآلي في الظام ازدواجها *

وقال: [من الطويل]

وكـان رجـائـي أن أؤوب مـمـلَّكًـا فـصـار رجـائـي أن أؤوب مـسـلَّمـا

وقال أيضًا: [من الوافر]

مـتـى أَحـرجـتَ ذا كـرمٍ تـخـطَّـى إلـيـكَ بـبـعـضِ أخـلاقِ الـلـئـيـمِ!

وقال أيضًا: [من الكامل]

والـشـيءُ تُـمـنَـعُـه يـكـونُ بـفَـوْتِـه أجـدى مـن الـشـيء الـذي تُـعـطـاهُ

وقال أيضًا: [من الوافر]

تـنـاسَ ذنـوبَ قـومِـكَ إنّ حـفـظَ الـ ـذنـوبِ إذا قـدمـنَ مـن الـذنـوبِ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

وإذا مـا خَـفـيـتُ كـنـتُ حَـرِيًّـا أن أُرى غير مُصبحٍ حيثُ أُمسِي

وقال أيضًا: [من الطويل]

مـتـى أرتِ الـدنـيـا نـبـاهـةَ خـامـلٍ فـلا تـنـتـظـرْ إلا خُـمـولَ نـبـيـهِ

وقال أيضًا: [من الكامل]

وأرى الـنـجـابـةَ لا يـكـونُ تـمـامُـهـا لـنـجـيـبِ قـومٍ لـيـس بـابـنِ نـجـيـبِ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

وإذا مـا الـشـريـفُ لـم يـتـواضـعْ لـلأخـلّاءِ فـهـو عـيـنُ الـوضـيـعِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

ولـم أَرَ أمـثـالَ الـرجـال تـفـاوتـت إلى المجدِ حتى عُدَّ ألفٌ بواحدِ

وقال أيضًا: [من الكامل]

لـيـس الـذي يُـعـطـيـك تـالـدَ مـالِـهِ مـثـلَ الـذي يُـعـطـيـك مـالَ الـنـاسِ
وتَـفـاضُـلُ الأخـلاقِ إن حـصَّـلـتَـهـا في الناس حيثُ تفاضلُ الأجناسِ

وقال أيضًا: [من المنسرح]

لا يـيـأسِ الـمـرءُ أن يـنـجّـيَـهُ مـا يـحـسَـبُ الـنـاسُ أنّـه عـطـبُـهْ
يـسـرّك الـشـيءُ قـد يـسـوءُوكـم نـوّه يـومًـا بـخـامـلٍ لـقـبُـهْ

وقال أيضًا: [من البسيط]

إذا محاسِنِيَ اللاتي أدلُّ بها   كانت ذنوبي فقلْ لي كيف أعتذرُ

وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل المرفّل]

وعطاءُ غيرِكَ إن بذلـ   ـتَ عنايةٌ فيه عطاؤكْ

ديك الجن[1]، واسمه عبد السلام بن رَغْبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن زيد بن تميم بن مجد من أهل حمص يقول: [من الوافر]

وشافي النصحَ يُعدَل بالأشافي   وليس القِدر إلا بالأثافي[2]

وقال أيضًا: [من الوافر]

إذا شجرُ المودّةِ لم تجدهُ   بغيثِ البِرّ أسرعْ في الجفافِ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

يرقدُ النّاسُ آمنين وريبُ الـ   ـدّهرِ يرعاهُمُ بمقلةِ لصِّ

ابن الروميّ يقول: [من الطويل]

وكم داخلٍ بين الحميمين مصلحٍ   كما انغلّ بين العينِ والجفنِ مِروَدُ[3]

وقال أيضًا: [من الرّمل]

هو بازٌ صائدٌ أرسلتُهُ   فارجعوه سالمًا إن لم يَصِدْ

وقال أيضًا: [من الطويل]

وما الحمدُ إلّا توأم الشكرِ في الفتى   وبعضُ السجايا ينتسبن إلى بعضِ
إذا الأرضُ ردّت ريْعَ ما أنت زارعٌ   من البذر فهي الأرض ناهيك من أرضِ

وقال أيضًا: [من الكامل]

وإذا أتاك من الأمور مقدَّرٌ   ففررتَ منه فنحوهُ تتوجَّهُ

---

(١) ديك الجن الحمصي: (١٦١ ـ ٢٣٥ هـ = ٧٧٨ ـ ٨٥٠ م) عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن، شاعر مجيد، من شعراء العصر العباسي، سمي بديك الجن لأن عينيه كانتا خضراوين، أصله من سلمية (قرب حماه) ومولده ووفاته بحمص، لم يفارق بلاد الشام ولم ينتجع بشعره. «الأعلام للزركلي ٤٠/٥».

(٢) الآثافي: حجارة الموقد.

(٣) المرود: الميل الذي يكتحل به.

وقال أيضًا: [من الرّمل]

كيف تَرضَى الفقر عِرسًا لامرئٍ وهو لا يَرضَى لك الدُّنيا أمَهْ!

وقال أيضًا: [من الوافر]

عدوُّك من صديقِك مستفادٌ فلا تستكثرنَّ من الصّحابِ
فإنَّ الداءَ أكثرُ ما تراهُ يكون من الطعامِ أو الشَّرابِ

عبد الله بن المعتزّ[1] يقول: [من المتقارب]

* فإن العيونَ وجوهُ القلوبِ *

وقال أيضًا: [من الكامل]

* أمُّ الكرامِ قليلةُ الأولادِ *

وقال أيضًا: [من الرمل]

* أبطأُ فيضِ الدلاءِ أملؤها *

وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل]

اِصبر على كيدِ الحسو دِ فإنّ صبرَك قاتلُهْ
فالنارُ تأكُلُ بعضَها إذ لم تجدْ ما تأكُلُهْ

وقال أيضًا: [من الطويل]

ولا همَّ إلّا سوف يُفتحَ قُفلُه ولا حالَ إلّا للفتى بعدها حالُ

وقال أيضًا: [من الرّجز]

لا تأمنوا من بعدِ خيرٍ شرًّا كم غُصْنٍ أخضرَ عاد جمرًا

وقال أيضًا: [من الطويل]

وإني على إشفاقِ عيني من البكا لتجمح مني نظرة ثم أُطرقُ
كما حُلِّئتْ عن ماءِ وردٍ طريدةٌ تمدّ إليه جيدَها وهي تَفرقُ[2]

---

(١) عبد الله بن المعتز: (٢٤٧ ـ ٢٩٦ هـ = ٨٦١ ـ ٩٠٨ م) أبو العباس ابن المتوكل العباسي، شاعر كبير، تولى الخلافة يومًا وليلة، ولد في بغداد وأولع بالأدب، صنف كتبًا كثيرة منها الزهر والرياض والبديع، والآداب والجامع في الغناء، قتله مؤنس خادم المقتدر العباسي. «وفيات الأعيان ٣/٧٦، والأعلام للزركلي ٤/١١٨».

(٢) حُلّئت: طردت أو حبست عن الورود إلى الماء، وتفرّق: تخاف.

وقال أيضًا وإشارته إلى الديك: [من المنسرح]

صفَّقَ إمّا ارتياحةً لَسنا الـ فجر وإما على الدّجى أسفا

عبيد بن عبد الله بن طاهر(١): [من الطويل]

ألم تر أن المرءَ تدوَى يمينُه فيقطعُهَا عمدًا ليسلمَ سائرُهْ؟

فكيف تراه بعد يمناه صانعًا لمن ليس منه حين تدوَى سرائرُهْ؟

وقال أيضًا: [من الطويل]

ألا قبَّحَ اللهُ الضرورةَ إنّها تكلّفُ أعلى الخُلْقِ أدنى الخلائقِ!

وقال أيضًا: [من الطويل]

وكم قائلٍ قد قال ما لَكَ راجلًا؟ فقلتُ له من أجلِ أنّكَ فارسُ!

وقال أيضًا: [من الطويل]

ومَن سرَّه أن لا يرى ما يسوءُهُ فلا يتَّخذْ شيئًا يَخافُ له فقدَا

ابن طباطبا العلويّ(٢): هو أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي الأصبهاني يقول: [من الرمل]

إنّ في نيلِ المُنَى وشكَ الرّدى وقياسُ القصدِ عند السرفِ

كسراجٍ دهنُهُ قوتٌ له فإذا غرّقته فيه طُفِي

وقال أيضًا: [من الهزج]

لقد قال أبو بكرٍ صوابًا بعد ما أنصتْ

خرجنا لم نصدْ شيئًا وما كان لنا أفلتْ

وقال أيضًا: [من الكامل]

يا عيشَنا المفقودَ خذْ من عمرِنا عامًا وردَّ من الصِّبا أيامًا!

---

(١) عبيد بن عبد الله بن طاهر: (٢٢٣ ـ ٣٠٠ هـ = ٨٣٨ ـ ٩١٣ م) ـ الخزاعي، أبو أحمد، أمير من الأدباء الشعراء، ولي شرطة بغداد، ومولده ووفاته بها، وكان مهيبًا، له براعة في الهندسة والموسيقى، وكان رفيع المنزلة عند المعتضد العباسي. «الأعلام للزركلي ٤/ ١٩٥».

(٢) ابن طباطبا العلوي: أبو الحسن، محمد بن أحمد العلوي الأصبهاني، الحسني العلوي، شاعر مغلق وعالم بالأدب، مولده ووفاته بأصبهان، له كتب منها عيار الشعر، والعروض، أكثر شعره في الغزل والآداب، توفي سنة ٣٢٢ هـ ـ ٩٣٤ م. «الأعلام للزركلي ٥/ ٣٠٨».

منصور الفقيه المقرىء[١] يقول: [من مجزوء الرجز]

يـا مـن يـخـافُ أن يـكـو ... ن مـا أخـافَ سـرمـدَا
أمـا سـمـعـتَ قـولَهـمْ ... إنَّ مـع الـيـوم غـدَا!

وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل المرفَّل]

الـمـلـح يُـصـلـحُ كـلَّ مـا ... يُـخـشـى عـليـه مـن الـفـسـادِ
فـإذا الـفـسـادُ جـرى عـلـيـ ... ـه فـحـكـمُـهُ حُـكْـمُ الـرَّمـادِ

وقال أيضًا: [من الرّمل]

كـلُّ مـذكـورٍ مـن الـنـاس إذا مـا ... فـقـدوه صـارَ فـي حـكـمِ الـرَّمـادِ

وقال أيضًا: [من مجزوء الرّمل]

كـلّ مـذكـورٍ مـن الـنَّـ ... ـاسِ إذا مـا فـقـدوهُ
صـارَ فـي حـكـمِ حـديـثٍ ... حـفـظـوه ونـسـوهُ

وقال أيضًا: [من مجزوء الرّمل]

كـلّ مـن أصـبـح فـي دهـ ... ـرك مـمّـن قـد تـراهْ
هـو مـن خـلـفِـك مِـقـرا ... ضٌ وفـي الـوجـه مِـراهْ

ابن بسّام[٢]: هو علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسّام كنيته أبا الحسن يقول: [من الوافر]

* وكـم أُمـنـيّـةٍ جـلـبـتْ مـنـيّـةْ *

وقال: [من المتقارب]

ولـولا الـضـرورةُ مـا جـئـتـكُـم ... وعند الضرورة يؤتَى الكنيفُ[٣]

---

(١) منصور الفقيه المقرىء: لعله منصور بن إسماعيل بن عمر التميمي، أبو الحسن، فقيه شافعي من الشعراء، سكن مصر، وكان خبيث اللسان في الهجو مات سنة ٣٠٦ هـ. «الأعلام ٧/ ٢٩٧».

(٢) ابن بسام: (٢٣٠ ـ ٣٠٢ هـ = ٨٤٤ ـ ٩١٤ م) علي بن محمد بن نصر بن منصور، أبو الحسن، يقال له البسامي، شاعر هجاء من الكتاب، عالم بالأدب والأخبار، من أهل بغداد، نشأ في بيت كتابة، وتقلد البريد، وأكثر شعره في هجاء والده وهجاء جماعة من الوزراء. له كتب منها مناقضات الشعراء وأخبار الأحوص. «الأعلام للزركلي ٤/ ٣٢٤».

(٣) الكنيف: بيت الخلاء، حيث يقضي الإنسان حاجته.

وقال أيضًا: [من مخلَع البسيط]

قلْ لأبي القاسمِ المرجّى ... قابلَك الدهرُ بالعجائبْ
ملك لك ابنٌ وكان زينًا ... وعاش ذو الشين والمعائبْ
حياةُ هذا كموت هذا ... فلست تخلو من المصائبْ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

ربَّ يومٍ بكيتُ منه فلمّا ... جزتُ في غيره بكيتُ عليه

وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل]

قد يحملُ الشيخُ الكبيـ ... ـرُ جنازةَ الطفلِ الصغيرِ

جَحْظَة[1]: هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيىٰ بن خالد بن برمك النديم يقول: [من البسيط]

* وللمساكينِ أيضًا بالندى وَلَعٌ *

وقال أيضًا: [من المجتث]

* وآفةُ التبرِ ضُعفُ منتقدهْ *

وقال أيضًا: [من المتقارب]

* متى يلتقي الميْتُ والغاسلُ؟ *

وقال أيضًا: [من الخفيف]

لا تعدَنّ للزمان صديقًا ... وأعدَّ الزمان للأصدقاءِ

وقال أيضًا: [من الوافر]

وما كذب الذي قد قال قبلي ... إذا ما مرَّ يومٌ مرَّ بعضي

وقال أيضًا: [من المتقارب]

إذا الشهرُ حلَّ ولا رزقَ لي ... فعَدّي لأيامِهِ باطلُ

---

(١) جحظة: البرمكي، أحمد بن جعفر: (٢٢٤ ـ ٣٢٤ هـ = ٨٣٩ ـ ٩٣٦ م) أبو الحسن، نديم أديب مغن، من بقايا البرامكة، من أهل بغداد، كان في عينيه نتوء فلقبه ابن المعتز بجحظة، كان حاضر النادرة، عارفًا بالموسيقى، مليح الشعر، ولد في بغداد وتوفي في جُبل قرية من أعمال بغداد. «الأعلام للزركلي ١/١٠٧».

وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل المرفّل]

وإذا جــفــانــي جــاهــلٌ لم أستخزْ ما عشتُ قطعَهْ
وجـعـلـتُـهُ مـثـل الـقـبـو رِ أزورُهُ فـي كـلّ جـمـعـهْ

الصنوبري[١] يقول: [من الكامل]

مِحَنُ الفتى يُخبرنَ عن فضلِ الفتى كـالـنـارِ مـخـبـرةٌ بـفـضـلِ الـعـنـبـرِ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

ربَّ حـالٍ كـأنـهـا مُـذْهَـبُ الـديـ ـباجِ صـارت مـن رقـةٍ كـالـلاذِ[٢]
وزمـانٍ مـثـلِ ابـنـةِ الـكَـرْمِ حُـسـنًـا عاد عند العَيوف مثلَ الداذي[٣]
أَوَ مـا مـن فَـسـاد رأيِ الـلّـيـالـي أن شـعـري هـذا وحـالـيَ هـذي!

أبو الفتح كُشاجم[٤]: هو محمود بن الحسين بن السّنديّ بن شاهك، وشاهك أمّه يقول: [من الوافر]

يُـعـاد حـديـثـه فـيُـزيـدُ حُـسـنًـا وقـد يُـسـتـقـبَـحُ الـشـيءُ الـمُـعـادُ

وقال أيضًا: [من الكامل]

شخَصَ الأنامُ إلى جمالكَ فاستعِذْ مـن شـرِّ أعـيـنـهـم بـعـيـبٍ واحـدِ!

---

(١) الصنوبري: أحمد بن محمد بن الحسن الحلبي الأنطاكي، أبو بكر، المعروف بالصنوبري، شاعر اقتصر في أكثر شعره على وصف الرياض والأزهار، وكان ممن يحضر مجالس سيف الدولة، تنقل بين حلب ودمشق، توفي في السنة ٣٣٤ هـ ـ ٩٤٦ م. «الأعلام للزركلي ١/ ٢٠٧».

(٢) اللّاذ: ثياب حرير تنسج في الصين واحدتها «لاذة» والملاوذ: المآزر. «اللسان ٣/ ٥٠٨».

(٣) الداذي: نبت، وقيل: هو شيء له عنقود مستطيل وحب على شكل حبة الشعير. «اللسان ٣/ ٤٩١».

(٤) أبو الفتح كشاجم: محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك، وشاهك أمه، أبو الفتح الرملي المعروف بكشاجم، شاعر متفنن، أديب من كتاب الإنشاء، من أهل الرملة بفلسطين، فارسي الأصل، تنقل بين القدس ودمشق وحلب وبغداد، وزار مصر أكثر من مرة واستقر بحلب، فكان من شعراء أبي الهيجاء والد سيف الدولة، ثم ابنه سيف الدولة، توفي سنة ٣٦٠ هـ ـ ٩٧٠ م. «الأعلام للزركلي ٧/ ١٦٧ و١٦٨».

ومما يتمثّل به من أشعار المولَّدين

منهم أبو فراس الحمدانيّ: [من الهزج]

غِنَى النفسِ لمن يعقـ لُ خيرٌ من غِنَى المالِ
وفضلُ الناسِ في الأنفـ سِ ليس الفضلُ في الحالِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

ونحن أناسٌ لا توسُّطَ عندنا لنا الصدرُ دون العالمين أو القبرُ
تهون علينا في المعالي نفوسُنا ومَن خطَبَ الحسناءَ لم يغلِهِ المهَرُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

وندعو كريمًا مَن يجود بماله ومَن يبذل النفسَ النفيسةَ أكرمُ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

وجميلُ العدوّ غير جميلِ وقبيحُ الصديقِ غيرُ قبيحِ!

أبو الطيب المتنبّي يقول: [من الطويل]

* مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ *

وقال أيضًا: [من البسيط]

* إن المعارفَ في أهل النُّهى ذِممُ *

وقال أيضًا: [من الطويل]

* وخيرُ جليسٍ في الزمانِ كتابُ *

وقال أيضًا: [من المتقارب]

* وتأبَى الطباعُ على الناقلِ *

وقال أيضًا: [من الرجز]

* ومنفعةُ الغوثِ قبلَ العطبْ *

وقال أيضًا: [من الرجز]

* ومن فَرَحِ النفسِ ما يقتُلُ *

وقال أيضًا: [من الطويل]

* إذا عظُمَ المطلوبُ قَلَّ المساعدُ *

وقال أيضًا: [من المنسرح]

* أنا الغريقُ فما خوفي من البللِ *

وقال أيضًا: [من الوافر]

* فإن الرفقَ بالجاني عتابُ *

وقال أيضًا: [من الطويل]

* بغيضٌ إليّ الجاهلُ المتعاقلُ *

وقال أيضًا: [من الطويل]

وكلّ امرىءٍ يولي الجمِيلَ محبّبٌ وكلُّ مكانٍ يُنبت العزَّ طيِّبٌ

وقال أيضًا: [من الطويل]

إذا أنتَ أكرمتَ الكريمُ ملكتَه وإن أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمرّدا
ووضعُ الندى في موضعِ السيفِ بالعُلى مضرٌّ كوضعِ السيفِ في موضع الندى

وقال أيضًا: [من المنسرح]

والأمرُ لله، ربَّ مجتهدٍ ما خاب إلّا لأنه جاهدْ

وقال أيضًا: [من الوافر]

وليس يصحُّ في الأفهام شيءٌ إذا احتاج النهارُ إلى دليلِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

ومن نكدِ الدنيا على الحرِّ أن يرى عدوًّا له ما من صداقتِهِ بُدُّ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

وإذا كانت النفوسُ كِبارًا تعبتْ في مرادِها الأجسامُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

وإن يكن الفعلُ الذي ساءَ واحدًا فأفعالُهُ اللّاتي سَرزنَ أُلوفُ

وقال أيضًا: [من الكامل]

وإذا أَتتك مذمّتي من ناقص ... فهي الشهادةُ لي بأني فاضلُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

وما الحُسنُ في وجهِ الفتى شرفًا له ... إذا لم يكنْ في فعلِه والخلائقِ!

وقال أيضًا: [من الطويل]

وما يوجعُ الحرمانُ من كفِّ حارمٍ ... كما يوجعُ الحرمانُ من كفِّ رازقِ!

وقال أيضًا: [من البسيط]

إنّا لفي زمنٍ تركُ القبيحِ به ... من أكثرِ الناسِ إحسانٌ وإجمالُ

ذكرُ الفتى عمرهُ الثاني وحاجتُهُ ... ما فاته وفضولُ العيشِ أشغالُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

وقيَّدتُ نفسي في ذراكَ محبَّةً ... ومَنْ وجَد الإحسانَ قيدًا تقيّدا

وقال أيضًا: [من البسيط]

ما كلُّ ما يتمنّى المرءُ يُدرِكُهُ ... تَجري الرياحُ بما لا تشتهي السفُنُ!

السريّ بن أحمد بن السريّ الموصلي(١) يقول: [من الوافر]

إذا العبءُ الثقيلُ توزَّعتْه ... أكفُّ القومِ هانَ على الرّقابِ

وقال أيضًا: [من الوافر]

فإنكَ كلّما استُودعتَ سرًّا ... أنمُّ من النسيمِ على الرياضِ

وقال أيضًا: [من المتقارب]

إلى كم أحبِّرُ فيك المديحَ ... ويَلقي سواي لديك الحُبورا!

(١) السري بن أحمد بن السري الموصلي: أبو الحسن، شاعر من أهل الموصل، كان في صباه يطرز ويرفو في دكان، فعرف بالرفّاء، ولما جاد شعره ومهر في الأدب قصد سيف الدولة فمدحه وأقام عنده مدة، ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد، مدح جماعة من الوزراء والأعيان، كان عذب الألفاظ توفي ببغداد سنة ٣٦٦ هـ ـ ٩٧٦ م. «الأعلام للزركلي ٣/ ٨١».

أبو بكر محمّد بن هاشم الخالديّ[1] يقول: [من السّريع]

إنْ خانكَ الدهرُ فكن عائذًا ... بالبيد والظُّلْماءِ والعِيسِ

ولا تَكن عبدَ المنى فالمُنى ... رؤوسُ أموالِ المفاليسِ

وقال أيضًا: [من الكامل]

وأخٍ رَخُصتُ عليه حتّى ملَّني ... والشيءُ مملولٌ إذا ما يَرخُصُ

ما في زمانِكَ ما يَعِزُّ وجودُهُ ... إن رمتَه إلّا صديقٌ مخلصُ

أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدِيّ[2] أخوه يقول: [من مجزوء الكامل المرفّل]

يا هذِه إن رحتُ في ... خَلَق فما في ذاك عارُ

هذي المُدام هي الحيا ... ةُ قميصُها خرَقٌ وقَارُ

وقال أيضًا: [من المتقارب]

صغيرٌ صرفتُ إليه الهوى ... وما خاتِمٌ في سوى خِنْصَرِ

الخَبّاز البلديّ: هو أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان، نسبة إلى «بلد» وهي من بلاد الجزيرة التي منها المَوصِل يقول: [من الوافر]

إذا استثقلتَ أو أبغضتَ خَلْقًا ... وسَرَّكَ بعدُهُ حتى التَّنادِ

فشرِّدْهُ بقرضِ دُريهماتٍ ... فإن القَرضَ داعيةُ الفسادِ

---

(١) أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي: شاعر أديب من أهل البصرة، اشتهر هو وأخوه سعيد بالخالديين، وكانا من خواص سيف الدولة، وولاهما خزانة كتبه، لهما تآليف في الأدب، وكانا يشتركان في نظم القصيدة فتنسب إليهما معًا، توفي سنة ٣٨٠ هـ - ٩٩٠ م. «الأعلام للزركلي ١٢٩».

(٢) سعيد بن هاشم الخالدي: أبو عثمان. شاعر أديب، اشتهر هو وأخوه محمد بالخالديين، وكانا آية في الحفظ والبديهة، يتهمهما شعراء عصرهما بسرقة شعرهم، وقال ابن النديم، كانا إذا استحسنا شيئًا عصباه صاحبه، حيًّا أو ميتًا، وهما من أهل الخالدية من قرى الموصل، توفي سعيد سنة ٣٧١ هـ - ٩٨١ م. «الأعلام للزركلي ٣/١٠٣، والفهرست لابن النديم صفحة ٢٤٠».

أبو إسحٰق الصابي[١] يقول: [من الخفيف]

نِعمُ اللهِ كالوحوشِ وما تأ ... لفُ إلّا الأخيارَ النُّسّاكا
نفّرتها آثامُ قوم وصارتْ ... لأُولي البرِّ والتُّقى أشراكا

وقال أيضًا: [من الخفيف]

ومن الظّلم أن يكونَ الرضى سـ ... رًّا ويبدو الإنكارُ وسْطَ النادي

وقال أيضًا: [من البسيط]

الضبُّ والنونُ قد يُرجى التقاؤهما ... وليس يُرجى التقاءُ اللُّبِّ والذهب[٢]

عبد العزيز عمر بن نُباته[٣] يقول: [من المتقارب]

فلا تَحقِرنّ عدوًّا رماكَ ... وإن كان في ساعِديه قِصَرْ
فإن السيوفَ تَحزّ الرقابَ ... وتَعجزُ عمّا تنالُ الإبر

وقال أيضًا: [من الكامل]

مثَلٌ خلعتُ على الزمانِ رداءَهُ ... عَوَزُ الدراهمِ آفةُ الأجوادِ

وقال أيضًا: [من الكامل]

يهوى الثناءَ مُبرِّزٌ ومُقصِّرٌ ... حُبُّ الثناءِ طبيعةُ الإنسانِ

وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل المرفّل]

ونَبَتْ بنا أرضُ العِرا ... قِ فما مَجَنّاها بمُجنِهْ
غيرُ الرحيل، كفى البلا ... دَ برحلةِ العجفاءِ هُجنِهْ

---

(١) أبو إسحٰق الصابي: إبراهيم بن هلال الصابي، نابغة كتاب جيله، أوحد العراق في البلاغة، تقلد دواوين الرسائل والمظالم والمعاون تقليدًا سلطانيًا في أيام المطيع لله العباسي، كان صلبًا في مذهب الصابئة، عرض عليه عز الدولة البويهي الوزارة إن أسلم فامتنع، وكان يحفظ القرآن ويشارك المسلمين في صوم رمضان، أحبه الصاحب بن عباد وكان يتعصب له، ولد سنة ٣١٣ هـ - ٩٢٥ م، وتوفي سنة ٣٨٤ هـ - ٩٩٤ م. «يتيمة الدهر ٢/ ٢٤١، والأعلام للزركلي ١/ ٧٨.

(٢) الضبّ: حيوان معروف، والنون: الحوت.

(٣) عبد العزيز بن عمر بن نباتة: ابن نباتة السعدي، أبو نصر، من شعراء سيف الدولة، طاف البلاد ومدح الملوك معظم شعره جيد، توفي ببغداد في السنة ٤٠٥ هـ - ١٠١٥ م. «الأعلام للزركلي ٤/ ٢٤».

ابن لنكك البصري(١): هو أبو الحسين محمد بن محمد يقول: [من الطويل]

ومـاذا أُرجّـي مـن حـيـاةٍ تـكـدَّرتْ؟ ولو قد صفت كانت كأضغاثِ أحلامِ

وقال أيضًا: [من مجزوء الخفيف]

عــدّنــا فــي زمــانــنــا عـن حـديـث الـمـكـارمِ
مـن كـفـى الـنـاسَ شـرَّه فـهـو فـي جـودِ حـاتـمِ

وقال أيضًا: [من البسيط]

جـار الـزمـانُ عـلـيـنـا فـي تـصـرّفـهِ وأيُّ دهـرٍ على الأحـرارِ لـم يَـجُـرِ
عندي من الدهرِ ما لو أنّ أيسره يُلقى على الفَلَك الدوّارِ لم يَدُرِ

أبو الحسن عبد الله بن محمد بن محمد السلاميّ(٢) يقول: [من الوافر]

تـبـسّـطـنـا عـلـى الأيّـام لـمّـا رأيـنـا الـعـفـوَ مـن ثـمـرِ الـذنـوبِ

وقال أيضًا: [من الكامل]

والـمـرءُ مـا شـغـلـتْـهُ فـرصـة لـذةٍ نـاسـي الـحـوادث آمـن الـحِـدثـانِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

وكـان رقـادي بـيـن كـأسٍ وروضـةٍ فصار سُهادي بين طِرْفٍ وصارمِ(٣)

(١) ابن لنكك البصري: أبو الحسن محمد بن محمد، فرد البصرة وصدر أدبائها وبدر ظرفائها في زمانه، أكثر شعره ملح وظرف، وجلها في شكوى الزمان وأهله، وهجاء شعراء أهل عصره، وفي مقدمتهم المتنبي، توفي نحو ٣٦٠ هـ ـ نحو ٩٧٠ م. «الأعلام للزركلي ٧/ ٢٠، ويتيمة الدهر ٢/ ٣٤٧».

(٢) عبد الله بن محمد بن محمد السلامي، أبو الحسن: والأصح أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي هكذا ورد الاسم في يتيمة الدهر ٢/ ٣٩٥ من أشعر أهل العراق قولًا بالإطلاق، ولد في كرخ بغداد سنة ٣٣٦ هـ، أمه شاعرة، قال الشعر وهو ابن عشر سنين، ورد الموصل وهو فتى فالتقى جماعة من الشعراء، اختص فيما بعد بخدمة عضد الدولة وكان عضد الدولة يقول: إذا رأيت السلامي في مجلس ظننت أن عطاردًا نزل من الفلك إلي ووقف بين يدي، ولما توفي عضد الدولة تراجع طبع السلامي ورقت حاله، حتى انتقل إلى جدار ربه سنة ٣٩٤ هـ. «يتيمة الدهر ٢/ ٣٩٥ ـ ٤٠١».

(٣) الطرف: من الخيل، الكريم العتيق، وقيل هو الطويل القوائم والعنق المطرف الأذنين. «لسان العرب ٩/ ٢١٤».

وقال أيضًا: [من الوافر]

ركوبُ الهول أركبَكَ المَذاكي ... ولُبْس الدِرع ألبسك الغلائلْ

أبو الفرج البَبَّغا[1] يقول: [من المنسرح]

ما الذلُّ إلا تَحمُّل المِنَنِ ... فكن عزيزًا إن شئتَ أو فَهُنِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

ومن طلبَ الأعداءَ بالمال والظُبى ... وبالسعدِ لم يبعُد عليه مرامُ

وقال أيضًا: [من الوافر]

ولم أرَ مُذ عرفتُ محلَّ نفسي ... بلوغَ مُنًى تساوي حملَ مَنٍّ

وقال أيضًا: [من الوافر]

أكلُّ وميضِ بارقةٍ كذوبُ ... أما في الدهرِ شيءٌ لا يريبُ؟

ابن سُكَّرة الهاشميّ[2]: هو محمد بن عبد الله يقول: [من البسيط]

* وعلةُ الحالِ تُنسي علَّةَ الجسدِ *

وقال أيضًا: [من الوافر]

* وقد ينبتُ الشوكُ بين الأقاحي *

وقال أيضًا: [من الكامل]

الموتُ أنصفَ حين عدّلَ قِسْمَةً ... بينَ الخليفةِ والفقيرِ البائِسِ

ابن الحجّاج[3]: هو أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن الحجاج يقول: [من الرجز]

* وربَّ كلامٍ تُستثارُ به الحربُ *

---

(١) أبو الفرج الببغا: عبد الواحد بن نصر المخزومي، من أهل نصيبين، أحد أفراد الدهر في النظم والنثر، لقب بالببغاء للثقة فيه، كان في ريعان شبابه متصلًا بسيف الدولة، ثم دخل الموصل وبغداد، وكان شاعرًا مشهورًا وكاتبًا مترسلًا، نادم الملوك والرؤساء، توفي سنة ٣٩٨ هـ - ١٠٠٨ م. «يتيمة الدهر ١/ ٢٣٦، والأعلام للزركلي ٤/ ١٧٧».

(٢) ابن سكرة الهاشمي: محمد بن عبد الله بن محمد أبو الحسن، من ولد علي بن المهدي العباسي، من أهل بغداد. شاعر متسع الباع في أنواع الإبداع، أحد الفحول الأفراد، حار في ميدان المجون والسخف ما أراد، يربى ديوانه على خمسين ألف بيت، توفي سنة ٣٨٥ هـ - ٩٩٥ م. «يتيمة الدهر ٣/ ٣، والزركلي ٦/ ٢٢٥».

(٣) ابن الحجاج: أبو عبد الله، الحسين بن أحمد بن الحجاج، البغدادي النيلي، شاعر فحل، من=

وقال أيضًا: [من الرجز]

* خَـودٌ تُـزفّ إلـى ضـريـرٍ مُـقـعـدِ *

وقال أيضًا: [من السّريع]

والـلّوزةُ الـمـرّة يـا سـادتـي   يفسدُ في الطَّعم بها السُّكّرُ

وقال أيضًا: [من البسيط]

ما زلتُ أسمعُ كم من واقفٍ خجِلٍ   حتى ابتليتُ فكنتُ الواقفَ الخَجِلَا

وقال أيضًا: [من الوافر]

وبي مرضان مختلفان حال الـ   ـعليلة منهما يمنى بحالي
إذا عالجتُ هذا جفّ كِبْدي   وإن عالجتُ ذاك رَبَى طِحالي

أبو الحسن المُوسويّ(١) النقيب: هو محمد بن الحسين بن موسى يقول: [من البسيط]

أمسيتُ أرحمُ من قد كنتُ أغبطُهُ   لقد تقاربَ بين العزّ والهُونِ
ومنظرٍ كان بالسرَّاء يضحكني   يا قربَ ما عاد بالضَّراء يُبكيني

وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل المرفّل]

والحرُّ من حذر الهوا   نَ يزاولُ الأمرَ الجسيما
وهو العظيمُ وغيرُ بدْ   عٍ منه إن ركب العظيما

وقال أيضًا: [من الكامل]

ما السُؤددُ المطلوب إلّا دون ما   يُومِي إليه السؤددُ المولودُ
فإذا هما اتّفقا تكسّرتِ القنا   إن غالَبا وتضعضعَ الجُلمودُ

= كتاب العصر البديهي، غلب عليه الهزل، قيل فيه: شاعر العصر وسفيه الأدب وأمير الفحش، وكان فرد زمانه في طريقته التي لم يسبقه إليها أحد، ولي حسبة بغداد مدة، وهو من قرية النيل على الفرات بين بغداد والكوفة، وفيها توفي سنة ٣٩١ هـ ـ ١٠٠١ م ودفن ببغداد. «يتيمة الدهر ٣/ ٣٠، والزركلي ٢/ ٢٣١».

(١) محمد بن الحسين بن موسى: أبو الحسن الموسوي النقيب الشريف الرضي العلوي أشعر الطالبيين، مولده ووفاته ببغداد، انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده، وخلع عليه بالسواد وجدد له التقليد سنة ٤٠٣ هـ، ولد سنة ٣٥٩ هـ ـ ٩٦٩ م، وتوفي سنة ٤٠٦ هـ ـ ١٠١٥ م. «ديوان الشريف ١/ ٥، والزركلي ٦/ ٩٩».

وقال أيضًا: [من مجزوء الرّمل]

اشترِ العزّ بما بيع ... فما العزُّ بغالي
بالقِصارِ البيضِ إن شئـ ... ـتَ أو السُّمرِ الطِّوالِ
ليس بالمغبون عقلًا ... مشترٍ عزًّا بمالِ
إنما يُدّخر المالُ ... لحاجاتِ الرجالِ
والفتى من جعل الأمـ ... ـوالَ أثمان المعالي

أبو طالب المأمونيّ[1] يقول: [من الكامل]

لي في ضمير الدّهر سرٌّ كامِنٌ ... لا بدّ أن تستلّه الأقدارُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

وما شرفُ الإنسان إلا بنفسه ... أكان ذووه سادةً أم مواليا

وقال أيضًا: [من الطويل]

إذا الغيث وفّى الروضَ واجبَ حقّهِ ... وزادَ فإن الغيثَ للروضِ ظالمُ

ابن العميد: هو أبو الفضل محمد بن أبي عبد الله الحسين بن محمد، عُرف بابن العميد، كان أبوه أبو عبد الله وزير مرداويح توفي ابن العميد بالرَّيّ في محرّم سنة ستين وثلاثمائة يقول: [من المنسرح]

لن يصرفَ الدهرُ من سجيّته ... أرْبَ أريبٍ وحولَ ذي حيلِ
أيُّ مَعينٍ صفا على كدر الدّهـ ... ـر وأيُّ النعيمِ لم يزلِ

وقال أيضًا: [من الكامل]

من يُشفَ من داءٍ بآخَر مثلِهِ ... أثرتْ جوانحه من الأدواءِ
داوَى جوىً بجوى وليس بحازمٍ ... من يَستكفُّ النارَ بالحَلْفاءِ[2]

---

(١) أبو طالب المأموني: عبد السلام بن الحسين، يتصل نسبه بالخليفة العباسي المأمون، شاعر من العلماء بالأدب، ولد وتعلم ببغداد وسافر إلى الري، فامتدح الصاحب بن عباد، وأقام عنده مدة في أرفع منزلة، كان يمني نفسه بالخلافة، توفي بداء الاستسقاء سنة ٣٨٣ هـ - ٩٩٣ م. ولما يبلغ الأربعين من عمره. «يتيمة الدهر ٤/١٦١، والزركلي ٤/٥».

(٢) الحلْفاء: من نبات الأغلاث، واحدتها حَلِفة وحَلَفة وحلفاء. والحلفاء: نبات أطرافه محددة كأنها أطراف سعف النخل والخوص، ينبت في مغايض المياه، والحلفاء: نبت في الماء. «لسان=

الصاحب بن عَبّاد: هو أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد. توفي في صفر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وعمره خمس وستون سنة وسميّ بالصاحب لصحبة ابن العميد يقول: [من المتقارب]

بقدرِ الهمومِ تكون الهمم ... كم صارمٍ جُرِّبَ في خنزيرِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

لقد صدقوا والرّاقصاتُ إلى مِنى ... بأن مودّاتِ العدا ليس تنفعُ

ولو أنّني داريتُ دهريَ حيّةً ... إذا استمكنت يومًا من اللسعِ تَلسعُ

الحسن بن عليّ بن عبد العزيز القاضي يقول: [من البسيط]

القلبُ يُدرِكُ ما لا يُدرِكُ البصرُ ... يُتملكُ الأحرارُ بالإيناسِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

وما أعجبتني قطّ دعوى عريصةٌ ... ولو قام في تصديقها ألفُ شاهدِ!

وقال أيضًا: [من الطويل]

يقولون لي فيك انقباضٌ وإنّما ... رأوا رجلًا عن موقفِ الذل أحجما

إذا قيل هذا مَورِدُ قلت قد أرى ... ولكنْ نفس الحُرّ تحتمل الظما

وقال أيضًا: [من الطويل]

وقالوا اضطربْ في الأرضِ فالرزقُ واسعٌ ... فقلتُ ولكنْ مطلبُ الرّزقِ ضيّقُ

إذا لم يكنْ في الأرضِ حرٌّ يُعينني ... ولم يكُ لي كسبٌ فمن أين أُرزقُ؟

أبو بكر محمد بن العباس الخوارزميّ(١) يقول: [من الطويل]

* ومن عجب الأيامِ تَرْكُ التعجّبِ *

وقال أيضًا: [من الوافر]

* لكلّ صناعةٍ يومًا مديلُ *

= العرب ٩/ ٥٦».

(١) محمد بن العباس الخوارزمي، أبو بكر: ٣٢٣ ـ ٣٨٣ هـ = ٩٣٥ ـ ٩٩٣ م. من أئمة الكتاب وأحد الشعراء العلماء كان ثقة في اللغة ومعرفة الأنساب، ولد ونشأ في خوارزم ورحل في صباه إلى بعض البلدان، ثم استوطن نيسابور وتوفي بها. «الأعلام للزركلي ٦/ ١٨٣».

وقال أيضًا: [من الخفيف]

وإذا مـدّهُ الـشـقـيّ تـنـاهـت جـاءَهُ مـن شـقـائِهِ مـتـقـاضـي[1]

وقال أيضًا: [من الطويل]

عـليـك بـإظـهـارِ الـتـجـلّدِ لـلعـدا ولا تظهرنْ منها الدنوّ فتُحقرا

بديع الزمان أبو الفضل الهمَذانيّ، أحمد بن الحسين بن يحيىٰ بن سعيد تُوفّي سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة مسمومًا وأوفى على الأربعين سنة يقول: [من مجزوء الخفيف]

يـا حـريـصًـا عـلى الـغـنـى قـاعـدًا بـالـمـراصـدِ!
لـسـت فـي سـعـيـك الـذي خـضـتَ فـيـه بـقـاصـدِ
إن دنـيـاك هـذه لـسـت فـيـهـا بـخـالـدِ
بـعـضُ هـذا فـإنـمـا أنـتَ سـاعٍ لـقـاعـدِ

إسماعيل الناشيء يقول: [من البسيط]

* ولـلـشـبـابِ نـراعـي حـرمـةَ الـكـتـمِ *

وقال أيضًا: [من الطويل]

وكـنـتُ أرى أنّ الـتـجـاربَ عـدّةٌ فخانت ثقاتَ الناسِ حتى التجاربُ

وقال أيضًا: [من الوافر]

فـركـضًـا فـي مـيـاديـن الـتـصـابـي أحـقُّ الـخـيـلِ بـالـركـضِ الـمُـعـارُ

وقال أيضًا: [من المتقارب]

ولَا تـجـزعـنَّ عـلـى أيـكـةٍ أبـت أن تُـظـلّكَ أغـصـانُـهـا

أبو الفتح عليّ بن محمد البستيّ[2] يقول: [من الطويل]

إذا مـرَّ بـي يـومٌ ولـم أتـخـذْ يـدًا ولم أستفدْ علمًا فما ذاك من عمري!

---

(١) المتقاضي: أي الذي يطلبه إلى القضاء لقاء جُر، أو دين.
(٢) علي بن محمد البستي، أبو الفتح: شاعر عصره وكاتبه، ولد في بست (قرب سجستان، وإليها نُسب، كان من كتاب الدولة السامانية في خراسان، مات غريبًا في بلدة «أوزجند» ببخارى سنة ٤٠٠ هـ ـ ١٠١٠ م. «الأعلام للزركلي ٤/٣٢٦».

وقال أيضًا: [من الخفيف]

أنـا كـالـوَردِ فـيـه راحـةُ قـومٍ ثُـمَّ فـيـهِ لآخـريـنَ زكـامُ!

وقال أيضًا: [من السّريع]

لا تـرجُ شـيـئًا خـالـصًا نـفـعُـهُ فالغيثُ لا يخلو من العيثِ[1]

وقال أيضًا: [من الطويل]

ولـم أرَ مثلَ الشكرِ جَنّة غارسٍ ولا مثلَ حسنِ الصبرِ جُنَّة لابسِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

ولن يشربَ السمَّ الزُّعافَ أخو الحجى مُـدِلّا بـدريـاقٍ لـديـه مـجـرَّبِ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

مـا اسـتـقـامـتْ قـنـاةُ رأيـيَ إلّا بعدَ أن عوّجَ المشيبُ قناتي

وقال أيضًا: [من الطويل]

وطولِ جِمامِ الماءِ في مُستقرّهِ يعيِّرُهُ لونًا وريحًا ومَطعما[2]

وقال أيضًا: [من الطويل]

إذا حـيـوانٌ كـان طـعـمَـةَ ضـدّهِ توقّاه كالفأر الذي يتّقي الهرّا

ولا شك أن المرءَ طعمةُ دهرِهِ فما باله يا ويحه يأمنُ الدهرا!

وقال أيضًا: [من المنسرح]

لا تـحـقـرِ الـمـرءَ إن رأيـتَ بـه دمـامـةً أو رثـاثـةَ الـحُـلَلِ

فـالـنـحـلُ لا شـك فـي ضـؤولـتـه يَشتارُ منه الفتى خَيِّرَ العسل[3]

(١) العيث: مصدر عاث يعيث عيثًا، أفسد وأخذ بغير رفق، وهو الإسراع في الفساد، «لسان العرب ٢/ ١٧٠».

(٢) الجمام: الرّاحة والاستقرار.

(٣) إشتار: جنى واستخرج.

الباب الثاني
من القسم الثاني من الفن الثاني
في أوابد العرب

ومعنى الأوابد هٰهنا: الدواهي؛ وهي مما حمى الله تعالى هذه الملّة الإسلاميّة منها، وحذر المؤمنين عنها. فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ [المَائدة: الآية ٩٠]، وقال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ﴾ [المَائدة: الآية ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا﴾ [التوبَة: الآية ٣٧]، وكانت للعرب أوابدُ جعلوها بينهم أحكامًا ونسكًا وضلالة وعادة ومداواة ودليلًا وتفاؤُلًا وطِيَرةً. فمنها:

البَحِيــرَةُ

قالوا: كان أهل الوبر يُعطون لآلهتهم من اللحم، وأهلُ المدر يُعطون لها من الحرث، فكانت الناقة إذا أنتجت خمسة أبطنٍ عمدوا إلى الخامس ما لم يكن ذكرًا فشقّوا أذنها، فتلك: البحيرة؛ فربما اجتمع منها هَجمةٌ من البحر فلا يُجزُّ لها وبر ولا يذكر عليها إن ركبت اسم الله، ولا إن حُمِلَ عليها شيء، فكانت ألبانُها للرجال دون النساء.

الوصيــلة

كانت الشاةُ إذا وضعت سبعة أبطنٍ عمدوا إلى السابع، فإن كان ذكرًا ذُبح، وإن كانت أنثى تُركت في الشاء، فإن كان ذكرًا وأنثى قيل: وَصَلتْ أخاها، فحُرّما جميعًا، وكانت منافعها، ولبن الأنثى منها للرجال دون النساء.

الســـائبة

كان الرجل يسيّب الشيء من ماله، إما بهيمةً أو إنسانًا، فتكون حرامًا أبدًا، منافعها للرجال دون النساء.

الحـــامي

كان الفحل إذا أدركتْ أولادُه فصار ولدهُ جَدًّا قالوا: حمى ظهرَه، اتركوه فلا يُحمل عليه، ولا يركب، ولا يمنعُ ماءً، ولا مرعى، فإذا ماتت هذه التي جعلوها

لآلهتهم، اشترك في أكلها الرجال والنساء، وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ [الأنعام: الآية ١٣٩] قالوا: وكان أهل المدر والحرثِ إذا حرثوا حرثًا، أو غرسوا غرسًا، خطّوا في وسطه خطًّا، فقسموه بين اثنين فقالوا: ما دون هذا الخط: لآلهتهم؛ وما وراءه: لله؛ فإن سقط ممّا جعلوه لآلهتهم شيء فيما جعلوه لله ردّوه، وإن سقط مما جعلوه لله فيما جعلوه لآلهتهم أقرّوه، وإذا أرسلوا الماء في الذي لآلهتهم، فانفتح في الذي سموه لله سدّوه، وإن انفتح من ذاك في هذا قالوا: اتركوه فإنه فقير إليه، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام: الآية ١٣٦].

الأزلام

قالوا: كانوا إذا كانت مداراةٌ أو نكاحٌ أو أمرٌ يريدونه، ولا يدرون ما الأمر فيه ولم يصحَّ لهم أخذوا قداحًا لهم فيها: أفعل ولا أفعل لا يفعل، نعم لا خير، شرٌّ بطيءٌ سريعٌ، فأما المداراة فإن قداحًا لهم فيها بيضًا ليس فيها شيء فكانوا يحيلونها فمن خرج سهمه فالحقّ له، وللحضر والسفر سهمان؛ فيأتون السادن من سدنة الأوثان فيقول السادن: اللّهم أيهما كان خيرًا فأخرجه لفلان، فيرضى بما يخرجُ له، فإذا شكّوا في نسب الرجل أجالوا له القداح وفيها: صريحٌ، وملصَقٌ؛ فإن خرج الصريحُ ألحقوه بهم، وإن خرج الملصق نفوه، وإن كان صريحًا فهذه قِداح الاستقسام.

الميسر

قالوا في الميسر: إن القوم كانوا يجتمعون فيشترون الجُزورَ بينهم، فيفصّلونها على عشرةِ أجزاء؛ ثم يؤتَى بالحُرُضَة وهو رجل يتألّهُ عندهم لم يأكل لحمًا قط بثمن، ويؤتى بالقِداح وهو أحد عشرَ قِدْحًا، سبعةٌ منها لها حظٌّ إن فازت، وعلى أهلها غرمٌ إن خابت، بقدر مَالَها من الحظّ إن فازت، وأربعة يُنقل بها القداحُ، لا حظَّ لها إن فازت، ولا غرمَ عليها إن خابت.

فأما التي لها الحظّ: فأوّلها الفَذُّ في صدره حزٌّ واحد؛ فإن خرج أخذَ نصيبًا، وإن خاب غرم صاحبُه ثمن نصيبٍ، ثم التوأم، له نصيبان إن فاز، وعليه ثمن نصيبين

إن خاب، ثم الضَّرِيب، وله ثلاثةُ أنصباء، ثم الحِلْسُ وله أربعة، ثم النافِس، وله خمسة، ثم المُسْبِل، وله ستة، ثم المُعَلَّى وله سبعة. قالوا: والمسبِل يسمّى: المُصْفَحُ، والضريب يقال له: الرقيب.

وقد جمع الصاحب بن عباد[1] هذه الأسماء ونظمها في أبيات فقال: [من السّريع]

إنّ القِداحَ أمرُها عجيبُ ... الفذُّ، والتوأمُ، والرقيبُ

والحلْسُ، ثم النَّافِسُ المصيبُ ... والمُصْفَحُ المشتهر النجيبُ

ثم المعلَّى حظّه الترغيبُ ... هاك فقد جاء بها الترتيبُ

وأما الأربعةُ التي يُنقل بها القداحُ فهي: السَّفيحُ، والمَنيحُ، والمُضْعَفُ، والوغدُ.

قال ابن قتيبة[2]: والمنيح له موضعان: أحدهما لا حظَّ له، والثاني له حظٌّ، فكأنه الذي يُمنح حظُّه، وعلى ذلك دلّ قول عمرو بن قبيصة: [من الطويل]

بأيديهمُ مقرومةٌ ومغالقٌ ... يعودُ بأرزاقِ العيالِ مَنيحُها[3]

قالوا: فيؤتى بالقِداح كلها وقد عرف كلّ ما اختار من السبعة ولا يكون الأيسار إلا سبعة، لا يكونون أكثر من ذلك، فإن نقصوا رجلًا أو رجلين، فأحبَّ الباقون أن يأخذوا ما فضل من القداح، فيأخذ الرجل القِدح والقِدحين فيأخذ فوزهما إن فازا، ويغرم عنهما إن خابا ويدعى ذلك: التَّميمُ. قال النابغة: [من البسيط]

إني أتمّم أيساري وأمنحُهم ... من الأيادي وأكسوا الجفنة الأدَما

فيعمدوا إلى القداح؛ فتُشدّ مجموعة في قطعة جِلدٍ ثم يُعمد إلى الحُرْضة فيلفُّ على يده اليمنى ثوبًا لئلا يجد مَسّ قِدحٍ له في صاحبه هوى، فيحابيه في إخراجه، ثم

---

(١) الصاحب بن عبّاد: هو إسماعيل بن عبّاد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، وزيرٌ غلب عليه الأدب، وكان من نوادر الدّهر علمًا وفضلًا وتدبيرًا، توفي بالرّي سنة ٣٨٥ هـ. «الأعلام للزركلي ١/٣١٦».

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري، أحد أئمة اللغة والنحو والأدب له مصنّفات كثيرة منها الشعر والشعراء. «انظر الأعلام ٤/١٣٧».

(٣) المقرومة: القداح التي يقتسم بها. «انظر اللسان مادة قرم». مغالق: أقداح الميسر، والمغالق: الأزلام، وكل سهم في الميسر مِغلق. «اللسان مادة غلق».

يؤتى بثوب أبيض يُدعى. المِجْوَلُ، فيبسط بين يدي الحُرْضة، ثم يقوم على رأسه رجلٌ يُدعى: القريبُ، ويدفعُ رِبابةَ القِداح إلى الحُرضَة وهو محوّل الوجهِ عنها، والرِّبابة: ما يجمع فيها القداح، فيأخذها ويدخل شماله من تحت الثوب، فينكز القِداحَ بشماله، فإذا نهد منها قدحٌ تناوله فدفعه إلى الرقيب. فإن كان مما لا حظَّ له رُدَّ إلى الرِّبابة، فإن خرج بعده المُسْبِلُ، أخذ الثلاثة الباقية، وغرّم الذين خابوا ثلاثة أنصباء من جزور أخرى، وعلى هذه الحال يفعل بمن فاز ومن خاب، فربما نحروا عدة جزورٍ ولا يغرم الذين فازوا من ثمنها شيئًا، وإنما الغرمُ على الذين خابوا ولا يحلُّ للخائبين أن يأكلوا من ذلك اللحم شيئًا، فإن فاز قِدحُ الرجلِ فأرادوا أن يعيدوا قِدحَه ثانية على خِطار فعلوا ذلك به.

ومنها: نكاحُ المقت: كان الرجل إذا مات قام أكبر ولده فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها، فإن لم يكن له فيها حاجة تزوّجها بعضُ إخوته بمهر جديد، فكانوا يرثون نكاحَ النساءِ كما يرثون المال، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [النساء: الآية ١٩].

ومنها: رميُ البعرة: كانت المرأة في الجاهليّة إذا توفي عنها زوجها، دخلَتْ حَفْشًا، والحَفْشُ[1]: الخُصّ، ولبست شرَّ ثيابها ولم تمسَّ طيبًا ولا شيئًا، حتى تمرَّ لها سنةٌ ثم تؤتى بدابةٍ: حمارٍ أو شاةٍ أو طيرٍ فتفتضُّ به أي تمسح به، فقلّما تفتضّ بشيء إلا مات، ثم تخرج على رأس الحول، فتعطى بعرةً فترمي بها، ثم تراجع ما شاءت من طِيب أو غيره ومعنى رميها بالبعرة: أنها ترى أن هذا الفعل هيّنٌ عليها مثل البعرة المرميّة، فنسخ الإسلام ذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٣٤].

ومنها: ذبح العتائر: قالوا: كان الرجل منهم يأخذ الشاة، وتسمّى العَتِيرُ والمعتورةُ فيذبحها ويصبُّ دمها على رأس الصنم، وذلك يفعلونه في رجب، والعَتْرُ قيل: هو مثل الذبح، وقيل: هو الصنم الذي يُعتَر له، قال الطرمّاح[2]:

* فخرّ صريعًا مثلَ عاترة النسكِ *

---

(١) الحفش: البيت الصغير من بيوت البدو، ويكون من شجر أو قصب.

(٢) الطرماح بن حكيم بن الحكم، من طيّىء، شاعر إسلامي، ولد ونشأ في الشام، وانتقل إلى الكوفة فكان معلمًا فيها، واعتقد مذهب الشراة من الأزارقة الخوارج، توفي نحو ١٢٥ هـ - ٧٤٣ م. «الأعلام للزركلي ٣/ ٢٢٥».

أراد بالعاترة: الشاة المعتورة.

عقدُ السَّلَعِ والعُشَرِ: وقد تقدم ذكره عند ذكر أسماء نيران العرب.

ذبح الظبي: كان الرجل ينذر أنه إذا بلغتْ إبلُه أو غنمهُ مبلغًا فأذبحُ عنها كذا، فإذا بلغت ضنّ بها، وعمد إلى الظِّباء فيصطادها ويذبحها وفاء بالنذر؛ قال الشاعر: [من الخفيف]

عَنَتًا باطلًا وزُورًا كما يُعْـ تَرُ عن حَجْرة الرَّبِيض الظباءُ[1]

ومنها: حبس البلايا: كانوا إذا مات الرجل يشدّون ناقته إلى قبره، ويعكسون رأسَها إلى ذنَبها، ويغطّون رأسها بَوليَّةٍ وهي البردعة، فإن أملتت لم تُردَّ عن ماء ولا مرعًى، ويزعمون أنهم إنما يفعلون ذلك، ليركبها صاحبها في المَعاد، ليُحشر عليها، فلا يحتاج أن يمشي؛ قال أبو زبيد: [من الخفيف]

كالبلايا رؤوسها في الولايا ما نحاتِ السَّمومِ حُرَّ الخدودِ

ومنها: خروج الهامة: زعموا أن الإنسان إذا قُتل، ولم يطالبْ بثأره، خرج من رأسه طائرٌ يسمّى: الهامة، وصاح على قبره: اسقوني! اسقوني! إلى أن يطلب بثأره؛ قال ذو الإصبع[2]: [من البسيط]

يا عمرو إن لا تدعْ شتمي ومَنقصَتي أضربْكَ حتى تقولَ الهامةُ: اسقوني

ومنها: إغلاق الظهر: كان الرجل منهم إذا بلغت إبلهُ مائةً، عمد إلى البعير الذي أمأتْ به، فأغلق ظهره لئلا يُركب، ويعلم أن صاحِبَه حمى ظهره، وإغلاق ظهره أن ينزعَ سناسِن فقرته ويَعقرَ سنامَه.

ومنها: التعمية والتفقئة: وكان الرجل إذا بلغت إبله ألفًا فقأ عين الفحل يقول: إن ذلك يدفع عنها العين والغارة؛ قال الشاعر: [من السّريع]

وهبتَها وأنت ذو امتنانِ تفقأ فيها أعين البُعرانِ

فإن زادت عن ألف فقأ العين الأخرى، فهو التعميَةُ.

---

(١) الربيض: الغنم في مرابضها، والربيض بالغنم برعاتها المجتمعة في مربضها، والربضة: الجماعة من الغنم والناس، والربض: مرابض البقر، وربض الغنم: مأواها.

(٢) ذو الإصبع: هو حُرثان بن عدوان بن عمرو بن قيس عيلان، كان جاهليًا، وسمّي ذو الإصبع لأنّ حيّة نهشته في إصبعه فقطعها. «انظر الشعر والشعراء: ص ٤٧٣».

ومنها: بكاء المقتول: كان النساءُ لا يبكين المقتولَ إلا أن يُدركَ بثأره، وإذا أُدرك بثأره بكينه؛ قال شاعر: [من الكامل]

من كان مسرورًا بمقتل مالكٍ فليأتِ نسوتَنا بوجهِ نهارِ
يجد النساءَ حواسرًا يندبنه يلطمن حُرَّ الوجهِ بالأسحارِ

ومنها: رَمْيُ السنِّ في الشمس: يقولون: إن الغلام إذا ثغر، فرمى سِنَّه في عين الشمس بسبّابته وإبهامه وقال: أبدليني أحسنَ منها، أَمِنَ على أسنانه العوجَ، والفَلَجَ، والثَّعَلَ؛ قال طرفة: [من الرَّمل]

بدّلته الشمسُ من مَنبِتِه بَرَدًا أبيضَ مصقولَ الأَشَرْ[١]

ومنها: خضاب النحر: كانوا إذا أرسلوا الخيل على الصّيد فسبق واحدٌ منها، خضبوا صدرَه بدم الصّيد علامة له؛ قال الشاعر: [من الطويل]

كأن دماءَ العادياتِ بنحرِهِ عصارةُ حنّاءٍ بشيبٍ مرجَّلِ[٢]

ومنها: التصفيق: كانوا إذا ضلّ الرجلُ منهم في الفلاة، قلَبَ ثيابه، وحبس ناقته، وصاح في أذنها كأنه يومىء إلى إنسانٍ، وصفّق بيديه: الوحا الوحا، النجا النجا، هيكل، الساعة الساعة، إليّ إليّ، عجّل؛ ثم يحرّك الناقة فيهتدي؛ قال الشاعر: [من الطويل]

وأذّن بالتصفيقِ مَنْ ساءَ ظنُّهُ فلم يدرِ من أيّ اليدين جوابَها

يعني: يسوء ظنّه بنفسه إذا ضل.

ومنها: جزُّ النواصي. كانوا إذا أسروا رجلًا، ومنّوا عليه فأطلقوه، جزّوا ناصيته[٣] ووضعوها في الكنانة؛ قال الحطيئة: [من البسيط]

فدنا سَلولَ فسلُّوا من كنانتهم مجدًا تليدًا ونبْلًا غيرَ أنكاسِ

يعني بالنُّبْلِ: الرجالَ؛ وقالت الخنساء: [من المتقارب]

جززنا نواصيَ فرسانِهم وكانوا يظنونَ أنْ لا تُجزَّا

---

(١) الأشر: حدّة ورقّة في طرف الأسنان.
(٢) مرجَّل: المرجل هو الشعر المنسرح، ويقال للمشط مِرجل ومِسرح، والترجل والترجيل: تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه. «لسان العرب ١١/ ٢٧٠».
(٣) النّاصية: شعر مقدّم الرأس.

ومنها: كيُّ السليم عن الجَرِب: زعموا أن الإبل إذا أصابها العُرُّ فأخذوا الصحيحَ وكووه زال العُرُّ عن السقيم؛ قال النابغة: [من الطويل]

وكلَّفْتَني ذنبَ امرئٍ وتركتهُ كذي العُرّ يُكوَى غيرُه وهو راتع

ويقال: إنهم كانوا يفعلون ذلك، ويقولون: تؤمن معه العدوى.

ومنها: ضرب الثور: وزعموا أن الجنّ تركب الثيرانَ فتصدّ البقر عن الشرب؛ قال الأعشى: [من الطويل]

وإني وما كلفتُماني وربّكم لَيَعلَمُ من أمسى أعقَّ وأحوبَا[1]
لكالثور والجنيّ يركبُ ظهرَهُ وما ذنبُهُ إن عافتِ الماءِ مشربا
وما ذنبُهُ إن عافتِ الماءَ باقرٌ وما إن تعافُ الماءَ إلا ليُضرَبا

وقال آخر: [من الوافر]

كذاك الثور يُضرب بالهَراوَي إذا ما عافتِ البقرُ الظِّماءُ

ومنها: كعب الأرنب: كانوا يعلّقونه على أنفسهم ويقولون: إن من فعل ذلك لم تصبْه عينٌ ولا سِحرٌ، وذلك أن الجنّ تهرب من الأرنب، لأنها ليست من مطايا الجنّ لأنها تحيض؛ قال الشاعر: [من الطويل]

ولا ينفعُ التعشيرُ إن حُمّ واقعٌ ولا زعزعٌ يُغني ولا كعبُ أرنبِ

وقيل لزيد بن كُثْوَةَ: أحقٌّ ما يقولون: إن من علّق على نفسه كعبَ أرنب لم يقربْه جنّانُ الحيّ وعُمّار الدار؟ فقال: إي والله! ولا شيطانُ الحمَاطة، الحماطة: شجرة التين؛ وجان العُشرة، وغول القَفْرة، وكلّ الخوافي، إي والله يطفى نيرانَ السّعالى.

ومنها: حيض السَّمُرة[2]: يزعمون أن الصبي إذا خيف عليه نظرة أو خطفة، فعلّق عليه سنّ ثعلب، أو سنّ هرة، أو حيض سَمُرة، أَمُنْ، فإن الجنيّة إذا أرادته لم تقدر عليه، فإذا قال لها صواحباتها في ذلك، قالت:

---

(١) أحوب: الحوب والحوبة: الأبوان والأخت والبنت، والحوبة: الهم والحاجة والمسكنة والفقر والغم والبلاء. «لسان العرب ١/ ٣٣٨».
(٢) السَّمرة: شجرة الطلح.

[من مجزوء الرجز]

كـانـت عـليـه نُـفَـرَهْ ثـعـالـبٌ وهِـرَرَهْ
* والـحـيـضُ حـيـضُ الـسَّـمُـرَهْ *

ومنها: الطارف والمطروف: يزعمون أن الرجل إذا طرف عينَ صاحبه، فهاجت فمسح الطارفُ عينَ المطروفِ سبعَ مراتٍ وقال في كلّ مرةٍ: بإحدى جاءت من المدينة، باثنتي جاءتا من المدينة، بثلاث جئنَ من المدينة، إلى سبع، سكنَ هيجانُهَا.

ومنها: وطء المقاليت[1]: يزعمون أن المرأة المقلات إذا وطئت قتيلًا شريفًا بقي أولادها، وفي ذلك يقول بشر بن أبي خازم: [من الطويل]

تـظـلُّ مـقـالـيـتُ الـنـسـاءِ يـطـأنَـهُ يقلن ألا يُلقَى على المرء مِئزرُ

ومنها: تعليق الحِليّ على السليم: كانوا يعلّقون الحليَّ على الملسوعِ ويقولون إنه إذا علّق عليه أفاق، فيلقون عليه الأسورة والرِّعاث، ويتركونها عليه سبعةَ أيام ويمنع من النوم؛ قال النابغة: [من الطويل]

يُسهَّدُ في وقت العشاءِ سليمُها لحلْي النساءِ في يديْهِ قَعاقع[2]

ومنها: ذهاب الخَدَر: يزعمون أن الرجُلَ إذا خدرت رجلُهُ فذكر أحبّ الناس إليه ذهب عنه؛ قال كثيّر: [من الطويل]

إذا خدِرَتْ رِجلي دعوتك أشتفي بـذكـراك مـن مَـذْلٍ بـهـا فـيـهـونُ

وقالت امرأة من كلاب: [من الطويل]

إذا خدرتْ رجلي ذكرتُ ابن مُصعب فإن قلتُ: عبد الله، أجلَى فتورُها

وقيل ذلك لابن عمر وقد خدرت رجلُه فقال: يا محمّداه.

ومنها: الحَلأُ: زعموا أنه إذا ظهرت بشفة الغلام بثور، يأخذ مُنخُلًا على رأسه ويمرّ بين بيوت الحيّ، وينادي: الحَلأُ الحلأ، فيلقى في منخله من هٰهنا ثمرة، ومن

---

(١) المقاليت: المقلات: التي لا يعيش لها ولد، وقيل: هي التي تلد واحدًا، ثم لا تلد بعد ذلك. «لسان العرب ٢/ ٧٢».

(٢) قعاقع: التقعقع: التحرك ـ والقعقعة: حكاية حركة الشيء يُسمع له صوت، ورجل قعاقع: كثير الصوت، والقعقعة أيضًا تتابع صوت الرعد في شدة، وجمعه القعاقع. «لسان العرب ٨/ ٢٨٦ و٢٨٧».

هٰهنا كسرة، ومن ثمّ بضعة لحم، فإذا امتلأ، نثره بين الكلاب، فيذهب عنه البَثْر، وذلك البثر يسمَّى: الحَلأُ.

ومنها: التعشير: يزعمون أن الرجل إذا أراد دخول قرية، فخاف وباءَها، فوقف على بابها قبل أن يدخلها فعشَّر كما ينهق الحمار، ثم دخلها لم يصبه وباؤها؛ قال عروة بن الورد: [من الطويل]

لعمري لئن عشّرتُ من خشيةِ الرّدى نهاقَ الحميرِ إنني لجزوعُ!

ومنها: عقد الرَّتَم: كان الرجل منهم إذا أراد سفرًا، عمد إلى رَتَم فعقده، والرتم: نبت، فإن رجع ورآه معقودًا؛ زعم أن امرأته لم تخنه، وإن رآه محلولًا زعم أنها قد خانته؛ قال الشاعر: [من الرّجز]

هل ينفعنْك اليوم إن همّت بهم كثرة ما توصي وتعقادُ الرَّتَمْ؟

وقال آخر: [من البسيط]

خانته لما رأت شيبًا بمَفرِقِهِ وغَرُّه حَلفُها والعَقْدُ للرَّتَمِ

ومنها: دائرة المهقوع: وهو الفرس الذي به الدائرة التي تسمَّى: الهَقْعَة[1]، يزعمون أنه إذا عرق تحت صاحبه، اغتلمتْ حليلتُه وطلبتْ الرجال؛ قال الشاعر: [من الطويل]

إذا عَرِق المهقوعُ بالمرء أنعظتْ حليلتُه وازدادَ حَرًّا عِجانُها[2]

ومنها: شقّ الرداء والبرقع: زعموا أن المرأة إذا أحبّتْ رجلًا أو أحبّها ثم لم تشقّ عليه رداءه، ويشقّ عليها برقعَها، فسد حبّهما، فإذا فعل ذلك دام حبّهما؛ قال الشاعر: [من الطويل]

إذا شُق بُرْدٌ شُقَّ بالبُردِ بُرقُعٌ دَواليْك حتى كلُّنا غير لابِسِ

فكم قد شققنا من رداءٍ محبَّرٍ ومن برقعٍ عن طفلةٍ غيرِ عانِسِ

---

(١) الهقعة: دائرة في وسط صدر الفرس.

(٢) أنعظت: الإنعاظ: الشبق، وانعظت المرأة: شبقت واشتهت أن تجامع. «اللسان ٧/ ٤٦٤».
عجانها: استها، العجان: الإست. «لسان العرب ١٣/ ٢٧٨».

ومنها: نوء السماك: كانوا يكرهونه ويقولون فيه داء الإبل؛ قال الشاعر: [من الكامل]

لَيتَ السماكَ ونوءَهُ لم يُخلقا   ومشى الأُفَيرقُ في البلادِ وسَلَما[١]

ومنها: النسيءُ: وقد تقدّم خبره في الفن الأوّل من الكتاب.

ومنها: وأد البنات: وقد نهاهم الله عزَّ وجلّ عنه في قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسرَاء: الآية ٣١]. وكانوا يقتلوهنّ خشيةَ الإملاق أو من الإملاق؛ وقد قيل: إنهم كانوا يقتلوهنّ خوفَ العارِ أو أن يُسبيْنَ، فمن قتلهم خشيةَ الإملاق ما رُوِيَ عن صعصعة بن ناجية المجاشعيّ جد الفرزدق: أنه لما أتى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إني كنت أعملُ عملًا في الجاهليّة، أفينفعني ذلك اليوم؟ قال: وما عملُك؟ قال: أضللتُ ناقتين عشراوين، فركبت جملًا ومضيت في بغائهما فرُفع لي بيت حريد، فقصدته فإذا رجل جالس بفنائه، فسألته عن الناقتين، فقال: ما نارُهما؟ قلت: مِيْسَم بني دارم، قال: هما عندي، وقد أحيا الله تعالى بهما قومًا من أهلك من مضر، وإذا عجوزٌ قد خرجت من كِسر البيت، فقال لها: ما وَضَعَتْ؟ فإن كان سَقْبًا شاركنا في أموالنا، وإن كانت حائلًا وَأَدْنَاهَا، (معنى قوله سقبًا أي ذكرًا، وحائلًا أي أنثى) فقالت العجوز: وضَعتْ أنثى، فقلت: أتبيعُها؟ قال: وهل تبيعُ العربُ أولادها؟ قال قلت: احتكم، قال بالناقتين والجمل، قلت: لك ذلك، على أن تبلغني الحيّ وإياها ففعل، فآمنت بك يا رسول الله، وقد صارت لي سُنَّةٌ على أن أشتري كلَّ موءودة بناقتين عشراوين وجمل، فعندي إلى هذه الغاية ثمانون ومائتا موءودة قد أنقذتها، فقال رسول الله ﷺ: «لا ينفعك ذلك، لأنك لم تبتغِ به وجه الله تعالى، وإن تعملْ في إسلامك عملًا صالحًا تُثبْ عليه»؛ ففي ذلك يقول الفرزدق مفتخرًا: [من المتقارب]

وجدّي الذي منع الوائدين   وأحيى الوئيدَ فلم توءَدِ!

وممن قتلهم خشية العار: قيس بن عاصم المنقريّ[٢] وكان من وجوه قومه ومن ذوي الأموال فيهم وكان يئد بناته وسبب ذلك: أن النعمان بن المنذر لما منعته بنو

---

(١) السماك: السماكان: نجمان نيران أحدهما السماك الأعزل والآخر السماك الرامح. «لسان العرب ١٠/٤٤٣». والأفيرق: أحد الكواكب.

(٢) هو قيس بن عاصم بن سنان المنقري السعدي التميمي، أحدُ أمراء العرب، كان شاعرًا اشتهر وساد في الجاهلية، أدرك الإسلام وأسلم ووفد على الرسول في وفد بني تميم، فقال الرسول: هذا سيّد أهل الوبر. «انظر الأعلام ٥/٢٠٦».

تميم الإتاوة التي كان تؤدّيها له جهّز إليهم أخاه الريّان بن المنذر، ومعه بكر بن وائل فغزاهم، فاستاق النعم وسبى الذراري[١]، فوفدت إليه بنو تميم فلما رآها أحب البقاء عليها، فقال النعمان: [من البسيط]

ما كان ضرّ تميمًا لو تعمّدها   من فضلنا ما عليه قيسُ غيلانُ

فأناب القومَ وسألوه النساءُ، فقال النعمان: كلّ امرأة اختارت أباها رُدّت إليه وإن اختارت صاحبها تُركتْ عليه، فكلّهن اخترن أباهن إلا ابنة لقيس بن عاصم اختارت صاحبها عمرو بن المُشمرَج، فنذرَ قيس لا يولد له ابنة إلا قتلها، فاعتلّ بهذا من وأد وزعم أنه حميّة.

الباب الثالث

من القسم الثاني من الفن الثاني

في أخبار الكهنة ويتصل به الزجر والفأل والطِّيرةُ والفِراسة والذكاء

وكانت كهنة العرب لهم أتباع من الشياطين يسترقون السمع ويأتونهم بالأخبار، فيلقونها لمن يتبعهم، ويسألهم عن خفيّات الأمور حتى جاء الإسلام، فمُنعت الشياطين من استراق السمع، كما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه العزيز: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ [الجنّ: الآية ٩] فعند ذلك انقطعت الكهانة فلم يسمع في الإسلام بكاهن، وهذا من معجزات سيدنا رسول الله ﷺ لزوال الإشكال في الوحي. فمن أخبار الكهنة، خبر سطيح الكاهن حين ورد عليه ابن أخته عبد المسيح وهو يعالج الموت، فأخبره خبرَ ما جاءَ لأجلهِ، وذلك أنه لما كانت الليلة التي وُلِدَ فيها رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى، وسقط منه أربع عشرة شُرفةً، وخمِدتْ نارُ فارس، ولم تكن خمدتْ قبل ذلك بألف عام، وغارت بحيرة ساوة[٢]، ورأى الموبذان[٣] إبلًا صعابًا تقودُ خيلًا عرابًا قد قطعت دجلة

---

(١) الذراري: جمع ذرية، وذرية الرجل: ولده، وذر الله الخلق في الأرض: نشرهم، وهي منسوبة إلى الذّر الذي هو النمل. وفي التنزيل: «ذرية بعضهم من بعض». «لسان العرب ٤/ ٣٠٤».

(٢) ساوة: مدينة حسنة بين الري وهمذان. «معجم البلدان ٣/ ١٧٩».

(٣) الموبذان: الكاهن عند الفرس. «انظر صبح الأعشى ٢/ ٤٥٠».

وانتشرت في بلاد فارس، فلما أصبح كسرى تصبّر تشجُّعًا ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ومَرْزَبته، فلبس تاجه، وقعد على سريره، وجمعهم وأخبرهم الخبر فبيناهم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بخمودِ النار فازداد غمًّا وسأل المُوبذَان وكان أعلمهم فقال: حادِثٌ يكون من قِبَل العرب، فكتب كسرى إلى النُّعمان بن المُنْذِر: أنْ وجِّهْ إليَّ رجلًا عالمًا بما أريد أن أسأله عنه فوجّه إليه عبد المسيح بن حيّان بن بقيلة الغَسّانيّ(١) فقال له كسرى: أعندك علمٌ بما أريد أن أسألك عنه؟ قال: ليخبرني المَلِكُ فإن كان عندي منه علم، وإلّا أخبرتُه بمن يُعلمه، فأخبره بما رآه فقال: عِلْمُ ذلك عند خالٍ لي يسكن مشارف الشام يقال له: سَطِيح، فأرسله كسرى إليه فورد على سطيح وقد أشفى على الموت فسلّم عليه وحيّاه فلم يُحِر سطيحٌ جوابًا فأنشد يقول: [من الرّجز]

أصَمَّ أمْ يسمَعُ غِطريفُ اليمنْ ... أم فاز فازلَمَّ به شأوُ العَنَنْ؟(٢)
يا فاصلَ الخُطّةِ أعيت مَن ومَنْ ... وكاشفَ الكُربة عن وجه الغَضَنْ(٣)
أتاكَ شيخُ الحيّ من آل سَنَنْ ... وأمُّهُ من آلِ ذئبِ بن حَجَنْ
أزرقُ مُمْهَى الناب صَرّار الأُذنْ ... أبيضُ فَضْفَاضِ الرِّداء والبدنْ
رسولُ قَيْل العُجم يسري بالوسنْ ... لا يرهبُ الرعدَ ولا ريبَ الزمنْ
يجوب في الأرض على ذاتِ شجنْ ... ترفعني وُجْنًا وتهوي بي وُجُنْ(٤)
حتى أتى عاري الجَآجِي والقَطَنْ ... تَلُفّه في الريح بَوغاءُ الدِّمنْ(٥)

---

(١) عبد المسيح بن حيان بن بقيلة الغساني: معمر من الدهاة، من أهل الحيرة في العراق، له شعر وأخبار يقال إنه باني قصر الحيرة، عاش زمنًا طويلًا في الجاهلية، وأدرك الإسلام وظل على النصرانية، واجتمع به خالد بن الوليد في الحيرة، وهو ابن أخت سطيح الكاهن، توفي نحو ١٢ هـ ـ ٦٣٣ م. «الزركلي ٤/ ١٥٣».

(٢) ازلَمَّ: ذهب مسرعًا، وازلأم القوم ازلئمامًا: ارتحلوا، والمزلئم: الذاهب الماضي. «اللسان ١٢/ ٢٧٢». العنن: اعتراض الموت وسبقه، ورجل مِعن: يعرض في شيء ويدخل في ما لا يعنيه. «اللسان ١٣/ ٢٩٠». والعنن: الموت: أي عرض له الموت فقبضه.

(٣) الغضن: الكسر في الجلد والثوب والدرع وغيرها، وجمعه غضون، والغضون: التشنج، والغضن: تثني العود وتلويه، ويقال للمجدور: أصبح جلده غضنة واحدة. «اللسان ١٣/ ٣١٤».

(٤) وُجُن: الأرض الغليظة الصلبة، أو أرض صلبة ذات حجارة، وقيل: هو العارض من الأرض ينقاد ويرتفع قليلًا. «لسان العرب ١٣/ ٤٤٣».

(٥) الجآجي: الجؤجؤ: عظام الصدر، والجمع جآجيء، وجؤجؤ السفينة والصدر: صدرهما. «اللسان ١/ ٤٢». القطن: القطون: الإقامة، والقطين: أهل الدار، والقطن: أسفل الظهر. =

* كأنما حُثِحثَ من حِضْنيْ ثَكَنْ[(١)] *

ففتح سطيح عينيه ثم قال: عبد المسيح، على جَمَلٍ مُشيح، أتى إلى سطيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك مَلِكُ بني سَاسَان، لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا المُوبَذَان؛ رأى إبلًا صِعَابًا، تقودُ خيلًا عِرابًا، قد قطعتْ دِجلة وانتشرت في بلاد فارس، يا عبدَ المسيح إذا كثرت التلاوة، وبُعِثُ صاحبُ الهِرَاوة، وفاض وادي السماوة، وغاضت بحيرة سَاوة، وخَمدت نار فارس؛ فليس الشامُ لسطيح شامًا، ولا بابلُ للفرس مُقامًا، يملك فيهم ملوك وملِكات، بعدد الشُّرُفات، وكلّ ما هو آتٍ آت؛ ثم قضى سطيح لوقته، فثار عبدُ المسيح إلى رحله وهو يقول: [من البسيط]

شمِّرْ فإنَّك ماضي العزم شمِّيرُ ... لا يفزعنّك تفريقٌ وتغييرُ
إن كان ملكُ بني ساسان أفرطهم ... فإن ذا الدهرِ أطوارٌ دهاريرُ[(٢)]
فربّما ربّما أضحوا بمنزلة ... تهاب صولَهم الأسدُ المهاصيرُ
منهم أخو الصّرح بَهرام وإخوته ... والهُرمُزان وسَابورٌ وشابورُ[(٣)]
والناسُ أولادُ عِلّاتٍ فمن علموا ... أَن قد أقلَّ فمحقورٌ ومهجورُ
وهم بنو الأمّ أمّا إن رأوا نشبًا ... فذاك بالغيب محفوظ ومنصورُ
والخيرُ والشرُّ مقرونان في قَرنٍ ... فالخيرُ مُتَّبعٌ والشرُّ محذورُ

فلما قصّ الخبرَ على كسرى[(٤)] قال: إلى أن يملك منّا أربعة عشر تكون أمورٌ؛ فملك منهم عشرة في أربع سنين، وملك الباقون إلى زمن عثمان رضي الله عنه.

= «اللسان ١٣/ ٣٤٣ و٣٤٤». بوغاء: التراب إذا ثار، والبيغ: توقد الدم حتى يظهر في العروق. «لسان العرب ٨/ ٤٢٢».

(١) ثكن: الثكنة: الجماعة من الناس والبهائم، والثكن ويبدو أنه هو المقصود: جبل معروف وقيل حجازي وثكن الجند: مراكزهم. «لسان العرب ١٣/ ٨٠».

(٢) الدهارير: جمع الدّهور أراد أن الدهر ذو حالين من بؤس ونعم. «اللسان مادة دهر».

(٣) بهرام: أحد ملوك الطبقة الرابعة «الأكاسرة» من ملوك الساسانيين. الهرمزان: أحد ملوك الطبقة الرابعة «الأكاسرة» من ملوك الساسانيين. سابور: أحد ملوك الطبقة الرابعة «الأكاسرة» من ملوك الساسانيين. شابور: أحد ملوك الطبقة الرابعة «الأكاسرة» من ملوك الساسانيين.

(٤) هو كسرى أنو شروان الملك العادل، وقد ولد النبيّ عليه الصلاة والسلام في آخر أيّامه. «صبح الأعشى ٣/ ٤١٣».

ومن أخبارهم: أن سُعدى بنت كُرَيز بن ربيعة كانت قد تطرّقت وتكهّنت وهي خالة عثمان بن عفّان رضي الله عنهُ، روى عنه أنه قال: لما زَوّجَ النبيُّ ﷺ ابنته رُقيّة من عُتبة بن أَبي لهب وكانت ذات جمال رائع، دخلتني الحسرةُ أو كالحسرة أن لا أكون سبقت إليها ثم لم ألبثْ أن انصرفتُ إلى منزلي فألفيت خالتي فلما رأتني قالت: [من الرّجز]

أَبشرْ وحيِّيتَ ثلاثًا تترى ثمّ ثلاثًا وثلاثًا أُخرى
ثم بأُخرى كي تتمَّ عشرًا أتاكَ خيرٌ ووُقيتَ شرّا
نكحتَ واللهِ حَصانًا زَهرًا وأنتَ بِكرٌ ولقيتَ بِكرا
وافيتَها بنتَ نفيس قدرًا بنتَ نبيّ قد أشادَ ذكرا

قال عثمان: فعجِبتُ من قولها، وقلتُ: ماذا تقولين فقالت: [من الرّجز]

عثمان يا ابن أختَ يا عثمانُ لك الجمالُ ولك البيانُ
هذا نبيٌّ معه البرهانُ أرسله بحقّه الدّيّانُ
وجاءه التنزيلُ والفُرقانُ فاتبعْه لا تجتالك الأوثانُ

فقلت: يا خالة! إنك لتذكرين ما قد وقع ذكره في بلدتنا فأثبتيه لي، فقالت: إن محمد بن عبد الله رسولٌ من عند الله، جاء بتنزيل الله، يدعو إلى الله، مِصباحُهُ مصباحُ، وقولُه صلاحُ، ودينه فلاحُ، وأمرُه نجاحُ، وقَرْنه نطّاحُ، ذُلّتْ له البطاحُ، ما ينفع الصياحُ، لو وقع الذباحُ، وسُلّت الصِّفاح، ومدَّت الرماحُ، قال: ثم قامت فانصرفتُ ووقع كلامها في قلبي، وجعلت أفكّر فيه، وذكر بعد ذلك إسلامه وتزويجه رقية؛ فكان يقال: إنهما أحسن زوجين اتفاقًا وجمالًا.

ومنها أن هندًا بنت عُتبة بن ربيعة كانت عند الفاكه بن المُغِيرة، وكان من فتيان قريش، وكان له بيتُ الضيافة، خارجًا من البيوت، تغشاه الناس من غير إذن؛ فخلا البيتُ ذاتَ يوم واضطجعَ هو وهندٌ فيه، ثم نهض لبعض حاجته، وأقبل رجل ممن كان يغشى البيتَ فولَجه، فلما رآها ولّى هاربًا وأبصره الفاكه فأقبل إليها فضربها برجله وقال لها: من هذا الذي خرج من عندك؟ قالت: ما رأيتُ أحدًا، ولا انتبهتُ حتى أنبهتني! فقال لها: ارجعي إلى أبيك، وتكلّم الناس فيها، فقال لها أبوها: يا بنيّة! إن الناسَ قد أكثروا فيك، فأنبئيني نبأك، فإن يكن الرجل عليك صادقًا دَسَستُ عليه من يقتله، فتنقطع عنك المقالةُ، وإن يكُ كاذبًا حاكمتُه إلى بعض الكُهّان، فقالت: لا والله! ما هو عليّ بصادق؛ فقال له: يا فاكه! إنك قد رميتَ ابنتي بأمرٍ عظيم،

فحاكمني إلى بعض كُهّان اليمن؛ فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم، وخرج عُتبة في جماعة من بني عبد مناف، ومعهم هند ونِسوةٌ، فلما شارفوا البلاد، وقالوا: غدًا نَردُ على الرجل، تنكّرتْ حالُ هند، فقال لها عتبةُ: إني أرى ما بك من تنكّر الحال، وما ذاك إلّا لمكروهٍ عندك، فهلّا كان هذا قبل أن يشتهر عند الناس مسيرُنا؟ فقالت: لا والله! ولكنّي أعرف أنكم تأتون بَشَرًا يخطىءُ ويصيبُ ولا آمنه أن يسمني مِيْسمًا يكون عليَّ سُبةً فقال: إني سوف أختبرُه لك، فصفَّر لفرسه حتى أدلَى ثمّ أدخل في إحليله حبَّةَ حِنْطة وأوكأ عليها بسير، فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم، فلما تغذّوا قال له عتبة: قد جئناك في أمر وقد خبأنا لك خبيئًا أختبرُك به، فانظر ما هو؟ فقال ثمرةٌ، في كَمَرَهْ. قال إنّي أريد أبين من هذا، قال: حَبّة بُرّ، في إحليل مُهر، قال: انظر في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يدنو من إحداهنّ فيضرب بيده على كتفها ويقول لها، انهضي، حتى دنا من هند فقال لها: انهضي غير رسحاء[1] ولا زانية، ولتلدنّ ملكًا اسمه معاوية؛ فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبتْ يدَها من يده وقالت: إليك عنّي فوالله لأحرصنّ أن يكون من غيرك؛ فتزوّجها أبو سفيان.

ومنها، أن أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف إلى المنافرة، فقال هاشم: إنّي أنافرك على خمسين ناقةً سود الحَدَق، ننحرها بمكة أو الجلاء عن مكّة عشر سنين، فرضي أميّة وجعلا بينهما الخُزاعيّ الكاهنَ وخرجا إليه ومعهما جماعةٌ من قومهما فقالوا: نخبأُ له خبيئًا فإن أصابه تحاكمنا إليه، وإن لم يصبه تحاكمنا إلى غيره، فوجدا أبا هَمْهَمَة وكان معهم أطباق جُمجمة، فأمسكها معه ثم أتوا الكاهن فأناخوا ببابه وكان منزله بعُسْفان[2]: فقالوا: إنا قد خبأنا لك خبيئًا فأنبئنا عنه. قال: أحلفُ بالضَّوء والظلمة، وما بتهامة[3] من تهمة، وما بنجدٍ[4] من أكمة، لقد خبأتم لي أطباق

---

(١) رسحاء: الرسح: خفة الإليتين ولصوقهما، رجل أرسح: قليل لحم العجز والفخذين. والرسحاء كذلك القبيحة من النساء والجمع رُسْحٌ. «لسان العرب ٢/ ٤٤٩».

(٢) عسفان: منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة، وقيل: عسفان بين المسجدين وهي من مكة، وقيل عسفان قرية جامدة بها منبر ونخيل ومزارع قريبة من مكة. «معجم البلدان ٤/ ١٢١ و١٢٢».

(٣) تهامة: تهامة تساير البحر ومنها مكة، طرف تهامة من قبل الحجاز، وأول تهامة من قبل نجد سميت تهامة لشدة حرها وركود ريحها. «معجم البلدان ٢/ ٦٣».

(٤) نجد: النجد قفاف الأرض وصلابها وما غلظ منها وأشرف، والجماعة النجاد، ونجد هو اسم للأرض العريضة التي أعلاها تهامة واليمن وأسفلها العراق والشام. «معجم البلدان ٥/ ٢٦١ =

جمجمة، مع الفلندح[١] أبي همهمة؛ فقالوا: صدقت احكم بين هاشم بن عبد مناف[٢] وبين أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف[٣] أيّهما أشرف بيتًا ونَفْسًا، قال: والقمر الباهر، والكوكبِ الزاهر، والغمامِ الماطر، وما بالجوّ من طائر، وما اهتدى بعلَم مُسافر، من منجِد وغائر، لقد سبَق هاشم أميّةَ إلى المآثر، أوّلًا منه وآخر؛ فأخذَ هاشمُ الإبل ونحرها وأطعمَها من حضر وخرج أميّة إلى الشام فأقام بها عشر سنين؛ فيقال: إنها أوّل عداوة وقعتْ بين بني هاشم وبين بني أميّة.

ومنهم: أن بني كلاب وبني رُبَاب من بني نُضَر خاصموا عبدَ المُطَّلِب في مال قريبٍ من الطائف فقال عبدُ المطّلب: المال مالي فسلوني أعطِكُم، قالوا: لا، قال: فاختاروا حاكمًا قالوا: ربيعة بن حُذار الأسديّ فتراضوا به وعقَلوا مائة ناقة في الوادي وقالوا: الإبلُ والمالُ لمن حُكِم له، وخرجوا وخرج مع عبدِ المطّلب حَرْبُ بن أميّة فلما نزلوا بربيعة بعث إليهم بجزائر فنحرها عبدُ المطّلب، وأمر فصنع جزرًا وأطعم من أتاه، ونحرَ الكِلابيّون والنضريّون ووشقوا[٤] فقيل لربيعة فقال: إنّ عبد المطلب امرؤ من ولَدِ خزيمة فمتى يُملق يصله بنو عمّه وأرسل إليهم أن آخبؤوا لي خبيئًا فقال عبد المطّلب: قد خَبَأتُ كلبًا اسمه سوَّار في عنقه قِلادة، في خرزة مزادة، وضممتها بعين جَرادة، فقال الآخرون: قد رضِينا ما خَبأتَ وأرسلوا إلى ربيعة فقال: خبأ ثَمَّ خبيئًا حيًّا قالوا: زد، قال: ذو بُرثن أغبر، وبَطْن أحمر، وظَهْر أنمر؛ قالوا: قربت، قال: سما فَسَطع، ثمّ هبط فلطع[٥]، فترك الأرض بَلْقَع، قالوا: قَرُبت فَطَبِّق قال:

= و٢٦٢».

(١) الفلندح: اسم لم تقع على معناه.

(٢) هاشم بن عبد مناف: من قريش جد النبي أحد من انتهت إليهم السيادة في الجاهلية، اسمه عمرو وغلب عليه لقبه هاشم لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة في إحدى المجاعات، وهو أول من سن الرحلتين لقريش، وكان أحد الأجواد الذين ضرب بهم المثل في الكرم ولد بمكة نحو ١٢٧ ق.هـ ـ ٦٠٠ م وساد صغيرًا، وفد على الشام في تجارة له فمرض في طريقه إليها، فتحول إلى غزة في فلسطين فمات فيها شابًا وإليه نسبة الهاشميين، كانت وفاته نحو ١٠٢ ق.هـ ـ نحو ٥٢٤ م. «الأعلام للزركلي ٨/ ٦٦».

(٣) أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: من قريش، جد الأمويين بالشام والأندلس، جاهلي، كان من سكان المدينة، وكانت له قيادة الحرب في قريش بعد أبيه، عاش إلى ما بعد مولد النبي محمد ﷺ. «الزركلي ٢/ ٢٣».

(٤) وشقوا: يريد أكلوا وقطّعوا اللحم ففرّقوه وجفّفوا قسمًا منه. «لسان العرب ١٠/ ٣٨١».

(٥) لطع: اللطع هو اللحس، ولطعه يلطعه أي لعقه لعقًا، واللطع أيضًا: رقّة الشفة وقلة لحمها. «لسان العرب ٨/ ٣١٩».

عين جَرادة، في خرزة مزادة، في عنق سوَّار ذي القلادة، قالوا: زه زه[1] أصبتَ فاحكم لأشَدّنا طِعانًا، وأوسعنا مَكانًا، قال عبدُ المطلب: احكم لأولانا بالخيرات، وأبعدنا عن السوآت وأكرمنا أمهات، فقال ربيعةُ: والغَسَق والشَّفَق، والخلق المتّفق، ما لبني كلاب وبني رُبَاب من حقّ، فانصرفْ يا عبد المطّلب على الصواب، ولك فصلُ الخطاب؛ فوهب عبدُ المطّلبِ المالَ لحرب بن أميّة.

وأخبار الكهنة كثيرةٌ نذكر منها إن شاء الله تعالى في السيرة النبويّة جملةً تقف عليها في المبشرات برسول الله ﷺ وذلك في السِّفْر الرابع عشر من كتاب الأصل.

الزَّجْـــر

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في زجر الطير: إنّ العلماءَ بهذا الفنّ قالوا: إذا خرجتَ من منزلك تطلبُ حاجةً، أو تخطبُ امرأةً، فنَعَب غرابٌ عن يمينك وعن يسارك أو سَنح أو برح فامضِ فإنّك مُدرِك حاجتك إن شاء الله تعالى فإن نعب أمامَك أو فوقك فارجعْ ففيها تأخير.

وإن خرجتَ تريد خصومةً فنعب فوق رأسِك فامضِ فإنك مُدرِكٌ حاجتك إن شاء الله تعالى.

فإن خرجتَ تطلب دابّةً فنعب عن يمينك أو يسارك على حائط مرتفع، فامضِ لحاجتك، فإن نَعَب أمامك فارجع.

وإن خرجتَ تطلب مالًا ضلّ عنك أو سُرق، فنَعَب غرابٌ على شجرة يابسة فلا تطلبْهُ فقد استهلك وقد يأتيك بعضُه، فإن نعب على جِدار جديد أو شجرة خضراءَ فإنك تصيبُ مالكَ إن شاء الله تعالى.

فإن خرجتَ تريد الضَّالَّ فنعَب من ورائك، فارجع فليس لك في ذلك خيرة، وإن نعب عن يسارك فإني خائف على نفسك إلا أن يشاء الله.

فإن خرجت تريد الصيد فنعب من فوقك فارجع فإن نعب أمامك فامضِ فإنّك تدرك خيرًا.

وإن خرجت تطلب سلطانًا في طلب مال أو حاجة فنعب عن يمينك ثمّ طار ثمّ نعب أدركتَ منه طلبتك إن شاء الله تعالى.

---

(١) زه: كلمة تقال عند استحسان الشيء، وقد تقال عند التهكُّم.

وإن خرجتَ تريد شراء شيء فنعب عن يمينك فإنه صالحٌ، وإن نعب عن يسارك فلا خيرَ فيه.

وإن خرجتَ من منزلك فرأيت غرابًا يمسح مِنقارَه على الأرض فإنك تصيب أو تأتيك هديّةٌ من مكانٍ بعيد.

وإن خرجتَ تطلب حاجةً فنعب عن يمينك ثم قطع الطريق إلى يسارك فنعب فإنك تدرك حاجتك عجلًا إن شاء الله تعالى! فإن نعب فوقَ رأسك فارجع فإني أخاف عليك بعضَ أعدائك.

وإن خرجتَ تريد سلطانًا فنعب غرابٌ وهو مستقبِلٌ الشرقَ فامكث يومَك ذلك فإني أخاف عليك.

فإن خرجتَ فرأيت غرابًا ينفض ريشَه؛ فإنه يأتيك خيرٌ عاجلٌ.

وإن خرجتَ تريد أرضًا بعيدةً فرأيتَ غرابًا ينتفض فامضِ لحاجتك؛ فإنك تدركُ أمَلَكَ إن شاء الله تعالى.

وإن خرجتَ تريد السلطانَ فوقع غرابٌ على شيء فنعب ثلاث مرّات فامضِ لحاجتك؛ فهو خيرٌ عاجل وتيسيرٌ للحوائج إن شاء الله تعالى.

وإن خرجتَ فرأيتَ غرابًا ناشرًا جناحيه يريد الطيران فامضِ، فإن نعب فارجعْ يومَك.

وإن خرجتَ تريد خصومةً فنعَب من فوقِك فامضِ، وإن نعب فأجابه الآخر فهو جيّد صالح.

وإن خرجتَ تريد خصومةً فنعب من فوقك أو شَحَج فامضِ؛ فإنك تلقي في يومك ذلك ما تريد إن شاء الله تعالى.

وإن خرج جماعةٌ وفيهم رجل شريفٌ فشَحَج غرابٌ على رأس الشريف، ثم أتوا ملكًا فإنهم يصيبون خيرًا إن شاء الله تعالى.

وإن خرج يطلب حاجةً إلى سلطان فواجَهه غراب فليمكثْ يومَه ذلك ولا يمضِ في ذلك الحاجة، وإن نعب عن يمينه فقطع الطريق ثمّ وقع فهو يُدرك حاجَته.

وإن خرج يريد السلطان أو بعث إليه وهو لا يدري فرأى غرابًا يطير قليلًا؛ ثم يقع فيلقط من الأرض شيئًا فليمضِ فإنّه يصيب سلطانًا ويلي قومًا، وإن رأى غرابًا

يبحث في الأرض فإنّ بعضَ أهله يموت سريعًا، وإن رآه ينقرُ في الأرض فذلك مُلْكٌ.

وإن خرج فرأى غرابًا يطير ثمّ وقع ثلاثَ مرات وهو ساكتٌ لا ينعبُ، فذلك غمٌّ يصيبه إلا أن يدفع الله عزّ وجلّ عنه.

وإن خرج فرآه ينتفض ثم ينعب ثمّ يطير فذلك سلطانٌ ينالهُ ويتزوج؛ والعلم عند الله.

وإن خرج فرأى غرابًا يطير ثمّ يقع فذاك خيرٌ وسرورٌ يأتيه.

وإن خرج فرأى غرابًا يطير نحو عينِ الشمس فذاك همٌّ يصيبُه شديد.

وإن خرج فلقي بقرًا فليرجع فإن لقي من البغال شيئًا لم يركبْ فليرجعْ والمركوبة صالحة لا بأسَ بها.

وإن خرج يعود مريضًا فنهق حمار عن يمينه أو عن يساره فالمريضُ صالح، وإن نهق خلفَهُ فقد اشتدّ بالمريض مرضُه وأنا خائفٌ عليه.

وإن خرج يريد حاجةً فاستقبله غلامٌ يبكي وهو متلطّخ بعَذِرَة[1] وهو ذاهبٌ والغلامُ راجعٌ فليمضِ فإنّ حاجتَه تُقْضَى، وإن استقبله غلام يعدو ويتلهّف فإن حاجتَه تعسر وتطول.

وإن خرج في حاجته فرأى وَرَشانًا[2] يطير، يرتفع ويَهبِط فليمضِ فإن ذلك أنجحُ لحاجته، وإن رآه يطير مستعليًا فليرجع، وإن رأى حمامة مسرولة تطير من فوق رأسه وتدور فإنّ حاجته مقضيّة بعد بطء ومَطْل، وإن رأى حمامة هابِطةً واقعةً تقع وتطير فإنّ ذلك خيرٌ صالحٌ وسرورٌ إن شاء الله تعالى.

وإن خرج من منزله فاستقبلته جنازةٌ وجماعةٌ فليرجعْ يومَه ذلك ولا يعود لحاجته فإنّها غير مقضية، فإن كانت الجنازةُ قد جاوزته مُدْبِرةً فليذهبْ لحاجته؛ فإن ذلك صالح. وإن رأى نسوةً إلى المقابر وهنّ مقبلاتٌ نحوه فليقعد حتى يمضين عنه فإنّه أنجحُ لحاجته وإن رآهن مُدبراتٍ فليمضِ في حاجته فإنها مقضيّة.

---

(١) عذرة: العذرة: الغائط الذي هو السلح. «لسان العرب ٤/ ٥٥٤».
(٢) وَرَشَان: طائر شبه الحمامة، والجمع وِرشان. «لسان العرب ٦/ ٣٧٢».

وإن خرج من داره فرأى في أرضها نملًا كثيرًا وفي حائطها فليمضِ لحاجته فذلك خيرٌ وسرورٌ يناله. فإن رأى ذُبابًا كثيرًا مجتمعًا على حائط وهو يسمع لهنّ دبيبًا فذاك مرض يصيبه في بدنه أو يصيب بعضَ أهله. ومن رأى ذَرًّا كثيرًا وقِردانًا فذلك فرح ورزق عاجل يناله إن شاء الله تعالى. ومن رأى دَجَاجتين تقتتلان بنقر بعضهما فذاك يدل على أنّه يقع بينه وبين امرأته كلامٌ وغضب.

وإن خرج من منزله فرأى وَرَشانين يقتتلان في جوّ السماء رافعين وهابطين فيأتيه ما يُسرّ به. وإن رأى كلبة والكلاب تطوف حولها ويتبع بعضها بعضًا فإن كان عليه دَيْنٌ قضاه الله عنه وإن كانت له حاجة مهمة قضيت في وجهه ذلك وإن أراد شيئًا يسّره الله له وإن أراد سفرًا تهيّأ له ورَجَعَ سالمًا.

وإن خرج فرأى على رجلٍ قِربةً ثمّ انشقت فليرجعْ إلى منزله ويتعوّذ بالله من شرّ ذلك اليوم فإنّه مكروه جدًّا.

وإن خرج فرأى رجلًا وهو يريد أن يملأ قِربةً فليمضِ في حاجته فإنه فَرَحٌ وسرورٌ وخيرٌ يناله عاجلًا إن شاء الله تعالى.

وإن خرج فرأى حمارًا أو بغلًا عليه راوية[(١)] مملوءة فشأنه غيرُ صالح وهو مكروه، وإن كان صاحبُ الراويةِ يريد أن يملأها فليمضِ فحاجتُه مقضيةٌ إن شاء الله تعالى.

وإن خرج من منزله فرأى جملًا عليه حطبٌ أو بعضُ منافع الناس فهو من علامات النجاح في الخصومةِ والظفرِ العاجلِ إن شاء الله تعالى، فإن رآه غيرَ محمولٍ عليه وعليه صاحبه فإنّ ذلك خيرٌ يأتيه ويُنعي إليه بعضُ أهلِهِ من مكان بعيد. قال: وأرجو أن يدفعَ الله، فإن رآه مُنَاخًا يرغو فإن ذلك خيرٌ يأتيه ويُخبر عن شيءٍ ممّا يحبُّ من تزويجٍ أو غنيمةٍ وهو صالحٌ.

وإن خرج فرأى بعيرًا قد شَردَ ورأى من يطلبه فإن ذلك نجاة من عدوّه وفرح قريبٌ إن شاء الله تعالى.

وإن خرج فرأى بعيرًا قد شرد فاجتمع عليه الناس فإن ذلك يدلّ على ظَفَره بعدوّه وانتقامه منه فليحمدِ الله على ما رأى ويشكره.

---

(١) راوية: وعاء يكون فيه الماء، ورجل روّاء إذا كان الاستقاء بالراوية له صناعة، فالراوية: هي المزادة فيها الماء. «لسان العرب ١٤/٣٤٦».

ومن خرج من منزله فرأى قِردًا يتقلّب والناس حوله فليمضِ لحاجته فإنّها مقضية.

وإن خرج فرأى القِرد يلعب والناس مجتمعون عليه وقد صار لعبه إلى أن يتقلّب ظهرًا لبطن في الأرض فليرجع من وجهه ذلك فليس بموفّق وهو مكروه.

وإنْ خرج من منزله فرأى غلمانًا يلعبون بالأُكرة ويتسابقون فليمضِ في وجهه ذلك فإنّه يصيب رفعةً وشرفًا وتمكنًا من السلطان ويصيبُ مالًا عظيمًا.

وإن خرج فرآهم يلعبون بالصوالجة[1] فهو رفعة ويدلّ على مال رديء حرام يصيبه من سلطان ويركب أمرًا عظيمًا من عمله فليتق الله.

وإن رأى جواريَ يلعبن بالطرق كأنهنّ يزففنْ عروسًا فهو خيرٌ وسرورٌ ودخولٌ في أمرٍ شريف وإنّه يربحُ ربحًا عظيمًا وهو خير الزجر.

وإن خرج فرأى عصفورين يلقطان الحبَّ فهو صالحٌ، وإن رآهما يتسافدان[2] فهو خير يناله في يومه، وإن رآهما مدبرين فليمضِ لحاجته فإنها مقضية إن شاء الله تعالى.

وإن خرج فتعلق بثوبه شيء فليرجعْ؛ فإني أكره له أن يذهب في حاجته تلك.

وإن خرج فرأى حِدَأةً[3] تسفِد حِدَأةً وهي تصيح فهو نجاحٌ فليمضِ لحاجته.

وإن خرج فعثر فلا يذهبن في تلك الحاجة وليؤخّرْها.

ومن الزجر ما مخرجه مخرج الكِهانة.

فمن ذلك ما حُكِيَ أنّ أُميّة بن أبي الصَّلْت الثَقَفيّ[4] بينا هو يشرب مع إخوان له في قصر عَيْلان بالطائف[5] إذ سقط غرابٌ على شُرْفة القصر فنَعب نعبة فقال أُميّة:

(١) الصوالجة: أصل الكلمة فارسي، وهي لعبة اشتهرت كثيرًا في العصر العباسي، وجعل لها الخلفاء ميادين فسيحة، وفي هذه اللعبة تضرب الكرة من على ظهور الخيل فيتقاذفها الخيالة والفرسان. «الطبري ٨/ ٣٤، والنجوم الزاهرة ٣/ ٣٨، والحضارة الإسلامية لمتيز ٢/ ٢٦٢».

(٢) يتسافدان: السفاد: نزو الذكر على الأنثى. «اللسان ٣/ ٢١٨».

(٣) حِدأة: طائر يطير يصيد الجرذان، والجمع حِدَأ. «اللسان ١/ ٥٤».

(٤) هو أميّة بن أبي الصلت الثقفي، شاعر جاهليٌّ حكيم من أهل الطائف، أدرك الإسلام ولم يسلم، مات سنة ٥ هـ. «الأعلام ٢/ ٢٣».

(٥) الطائف: مدينة سميت الطائف لأن إبراهيم عليه السلام أسكن ذريّته مكة وسأل الله أن يرزق=

بفيك الكَثْكَث أي التراب فقال له أصحابه: ما يقول؟ قال يقول: إنّك إذا شربتَ الكأس التي بيدك متَّ، ثم نعب نعبة أخرى، فقال أميّة كمقالته الأولى فقال أصحابه: ما يقول؟ قال: يزعم أنّه يقع على هذه المزبلة في أسفل القصر فيستثير عظمًا فيبتلعه فيشجى به فيموت، فوقع الغرابُ على المزبلة فأثار العظم وابتلعه فشجى فمات، فأنكر أميّة ووضع الكأس من يده وتغيّر لونُه فقال أصحابه: ما أكثر ما سمعنا مثل هذا وكان باطلًا وألحّوا عليه حتى شرب الكأس فمال فأغميَ عليه ثم أفاق فقال: لا بريءٌ فأعتذر، ولا قويٌّ فأنتصر، ثم خرجت نفسه.

وزعموا أن رجلًا من كعب خرج في جماعة ومعه سِقَاء من لبن فسار صدر يومه فعطش فأناخ ليشربَ فإذا غرابٌ ينعب فأثار راحلتَه، ثم سار فلما أظهر أناخ ليشرب، فنعب الغراب وتمرّغ في التراب فضرب الرجل السِّقاء بسيفه فإذا فيه أسود ضخمٌ فقتله، ثم سار فإذا غراب واقع على سِدرة[1] فصاح به فوقع على سلمة[2] فصاح به فوقع على صخرة فانتهى إليها فأثار كَنْزًا، فلما رجع إلى أبيه قال له: إيه ما صنعت؟ قال: سِرتُ صدرَ يومي، ثم أنختُ لأشربَ فنعب الغراب، قال أثْرها وإلا فلست يا بني! قال: أثرتُها، ثم أنخت لأشربَ فنعب الغرابُ وتمرّغَ في التراب قال: اضرب السِّقاء وإلا لست يا بني! قال: فعلتُ، فإذا أسود ضخم قال: ثم مه! قال: ثم رأيتُ غرابًا على سِدْرة قال: أطِرْه وإلا فلست يا بني! قال: فعلتُ فوقع على سَلَمة قال: أطْره وإلا فلستَ يابني! قال: فعلتُ فوقع على صخرة قال: أحذِ يا بنيّ! فأحذاه.

ومن الزجر: ما يُروى أن كسرى أبْرَويز بعث إلى النبيّ ﷺ حين بُعِث زاجرًا ومصوّرًا وقال للزاجر: انظر ما ترى في طريقك وعنده، وقال للمصوّر: إئتني بصورته، فلما عاد إليه أعطاه المصوّر صورته ﷺ فوضعها كسرى على وسادته، وقال للزاجر: ما رأيت؟ فقال: لم أرَ ما أزجره حتى الآن وأرى أمرَه يعلو عليك لأنك وضعتَ صورتَه على وسادتك.

= أهلها من الثمرات، فأمر الله قطعة من الأرض أن تستقرّ بمكان الطائف، فسمّيت بالطائف لطوافها حول البيت وهي ذات مزارع. ونخل وأعناب ومياه جارية. «انظر معجم البلدان ٤/ ٩».

(١) سدرة: السِّدر: نوع من الشجر، بعضها بري لا ينتفع بثمره، ونوع ينبت على الماء وثمره النبق. «لسان العرب ٤/ ٣٥٤».

(٢) سلمة: شجر يدبغ به الأديم ـ والسلمة شجرة ذات شوك يدبغ بورقها وقشرها. «لسان العرب ١٢/ ٢٩٦».

وقيل: إن كُثَيِّرًا تعشّق امرأةً من خُزاعة يقال لها: أمّ الحُويرث، فشبّب بها فكرهتْ أن يفضحها كما فضح عَزّة فقالت له: إنّك رجل فقيرٌ لا مال لك فابتغِ مالًا، ثم تعال فاخطبني كما يخطبُ الكرامُ قال: فاحلفي لي ووثّقي أنّك لا تتزوّجين حتى أقدم عليك فحلفَتْ ووثّقتْ له فمدح عبد الرحمٰن بن الأزديّ[1] وخرج إليه؛ فلقيَ ظباءً سوانح، ولقيَ غُرابًا يفحص التراب بوجهه فتطيّر من ذلك حتى قدم على حيّ من لَهْب فقال: أيّكم يَزجُر؟ قالوا: كلّنا! فمن تريد؟ قال: أعْلَمُكُمْ بذلك! قالوا: ذلك الشيخ المنحني الصُلْب، فأتاه فقصّ عليه القصّة فكرِه ذلك له وقال: قد ماتت أو تزوّجت رجلًا من بني عمّها فقال كثيّر: [من الطويل]

تيمّمتُ لِهْبًا أبتغي العلمَ عندهم ... وقد رُدّ علمُ العائفين إلى لَهْبِ!
فيممتُ شيخًا منهُمُ ذا بجالة ... بصيرًا بزجْرِ الطير مُنحنيَ الصُلْبِ!
فقلتُ له: ماذا ترى في سوانح ... وصوتِ غرابٍ يفحصُ الأرض بالتربِ؟
فقال: جرى الطيرُ السنيحُ بينها ... ونادى غرابٌ بالفراق وبالسلبِ
فإن لا تكنْ ماتت فقد حالَ دونَها ... سؤالُ خليلٍ باطنٍ من بني كعبِ

قال: ثم مدح الرجل الأزديّ فأصاب منه خيرًا، ثم قدِم عليها فوجدها قد تزوّجتْ رجلًا من بني عمّها فأخذه الهلاس[2] فكُشِح جنباه بالنار؛ فلمّا اندمل من علّته ووضع يده على ظهره فإذا هو برقمتين[3] فقال: ما هذا؟ قالوا: أخذَكَ الهُلاس وزعم الأطباءُ أنّه لا علاجَ لك إلا بالكَشْحِ بالنار فكُشِحتَ بها فأنشأ يقول: [من الطويل]

عفى الله عن أمّ الحويْرث ذَنبها ... علام تعنّيني وتكمي دوائيا؟
ولو آذنوني قبل أن يرقموا بها ... لقلتُ لهم: أمّ الحويرث دائيا

وحُكي أن صاحب الروم بعث إلى النبيّ ﷺ رسولًا وقال له: انظر أين تراه جالسًا، ومَن إلى جانبه، وانظر ما بين كَتِفيه حتى الخاتمَ والشامةَ؛ فقدم ورسول الله ﷺ

---

(١) عبد الرحمٰن بن الأزدي: عبد الرحمٰن بن يزيد بن المهلب الأزدي، من أمراء هذا البيت وشجعانه، كان مواليًا لبني أمية، فلما ظهر العباسيون قتل بالموصل بعد أن كتب له الأمان سنة ١٣٣ هـ ـ ٧٥٠ م. «الزركلي ٣/ ٣٤٢».

(٢) الهلاس: شبه السلال من الهزال، والهلاس: السّل، والإهلاس أيضًا: ضحك فيه فتور، والهُلُس: الضعفاء إن لم يكونوا فقهًا. «اللسان ٦/ ٢٥٠».

(٣) الرقمتان: مثني «الرقمة» وهي أثر الكيّ في الجسم، ورقم الجمل: كواه.

على نَشزٍ[١] واضعًا قدميه في الماء، وعن يمينه عليٌّ عليه السلام؛ فلما رآه ﷺ قال: «تحوّل فانظر ما أُمرتَ به» فنظر ثم رجع إلى صاحبه فأخبره الخبر فقال: ليعلونّ أمرُه وليملكنّ ما تحت قدمي وقال: بالنَّشْز العُلوّ وبالماء الحياة.

ومن الزجر: ما رُوِيَ عن أبي ذُؤَيب الهُذَلِيّ قال: إنّه بلغنا أن رسول الله ﷺ عليل فأوجس أهل الحيّ خِيفةً عليه فبتُّ بليلةٍ ثابتةِ النجومِ طويلة الأناة لا ينجاب ديجورها ولا يَطْلُع نورها حتى إذا قَرُب السَّحَر غفوتُ فهتفَ لي هاتف يقول: [من الكامل]

خَطْبٌ أجلّ أناخ بالإسلامِ ... بين النخيل ومَعْقَد الآطامِ[٢]

قُبِض النبيّ محمّدٌ فعيوننا ... تذري الدموعَ عليه بالتَّسجامِ

قال أبو ذؤيب: فوثبتُ من نومي فزعًا فنظرتُ إلى السماء فلم أر إلّا سعد الذابح فتفاءلْتُ به ذبحًا يقع في العرب، وعلمت أنّ النبيّ ﷺ قد مات أو هو ميّتٌ من علّته، فركبتُ ناقتِي وسرتُ حتى أصبحتُ فطلبتُ شيئًا أزجره، فعنّ لي شَيْهَم[٣] قد أَرَمَ على صِلّ وهو يتلوّى عليه والشيهم يقضمُه حتى أكله فزجرتُ ذلك شيئًا مهمًّا فقلت: تَلوّي الصِّلّ: انفتالُ الناسِ عن الحقّ على القائم بعد رسول الله ﷺ، ثم أوّلتُ أكلَ الشيهمِ إياه: غَلَبَةُ القائم على الأمر فحثثتُ ناقتي حتى إذا كنت بالعلية زجرتُ الطيرَ فأخبرني بوفاته. ونعبَ غرابٌ سانحًا بمثل ذلك فتعوّذتُ من شرّ ما عنَّ لي في طريقي، ثم قدمتُ المدينةَ ولأهلها ضجيج كضجيج الحجيج أهلّوا جميعًا بالإحرام فقلتُ: مه! قالوا قُبِض رسولُ الله ﷺ فجئتُ المسجدَ فأصبته خاليًا فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فأصبتُ بابه مُرْتجًا وقد خلا به أهلُه فقلت: أين الناسُ؟ فقيل: في سَقِيفة بني سَاعِدة[٤] صاروا إلى الأنصار فجئتُ السقيفةَ فوجدتُ أبا بكر، وعمر رضي الله عنهما،

(١) نشز: المتن المرتفع من الأرض، والجمع أنشاز ونُشوز، وأشرف على نشز من الأرض: هو ما ارتفع وظهر. «لسان العرب ٥/٤١٧».

(٢) الآطام: الأطم، حصن مبني بالحجارة، وقيل هو كل بيت مربع مسطح، وقيل الأطم مثل الأجم، والجمع القليل آطام وآجام. «لسان العرب ١٢/١٩».

(٣) شيهم: ما عظم شوكه من ذكور القنافذ. «لسان العرب ١٢/٣٢٨».

(٤) سقيفة بني ساعدة: بالمدينة المنورة، وهي ظلة كانوا يجلسون تحتها، والسقيفة كل بناء سُقف به صفةٌ أو شبه صفة مما يكون بارزًا، وأما بنو ساعدة الذين أضيفت إليهم السقيفة فهم حي من الأنصار، وهم بنو ساعدة بن كعب من الخزرج، وفي هذه السقيفة بويع أبو بكر الصديق. «معجم البلدان ٣/٢٢٨ و٢٢٩».

وأبا عُبَيْدة، وسَالمًا، وجماعةً من قريش ورأيت الأنصارَ فيهم سَعْد بن عُبَادة ومعهم شُعراؤهم وأمامهم حسّان بن ثابت، وكَعْب في مَلإٍ منهم فأويتُ إلى الأنصار فتكلموا فأكثروا وتكلّم أبو بكر فلله من رجل لا يُطيل الكلام ويعلم مواضِعَ الفصل، واللهِ لتكلّم بكلام لم يسمعه سامعٌ إلّا انقاد له ومال إليه، وتكلم بعده عمرُ رضي الله عنه بكلام دون كلامه، ومدّ يده فبايعه، ورجِع أبو بكر رضي الله عنه ورجِعتُ معه، فشَهدتُ الصلاة على رسول الله ﷺ، وشهدتُ دفنَه قال: ولقد بايع الناسُ من أبي بكر رجلًا حلّ قُداماها ولم يركب ذُنابابها وانصرف أبو ذؤيب إلى باديته وثَبتَ على إسلامه.

ومنه: ما رُوِيَ عن مُصْعَب بن عبد الله الزُّبيريّ[1] أنه حَدّث عن رجل قال: شَرَدتْ لنا إبلٌ فأتيتُ حُليسا الأسديّ فسألتُه عنها فقال لبنت له: خُطّي، فخطّت ونظرتْ ثمّ انقبضت وقامت مُنصَرِفَةً فنظر حليس في خطّها فضحك وقال: أتدري لم قامت؟ قلت: لا، قال: رأت أنك تجد إبلك وأنّك تتزوّجها فاستحيت فقامت، فخرجتُ فأصبتُ إبلي ثمّ تزوجتُها بعد.

الفألُ والطِّيَرَة

حُكيَ أنه لما وُلِد لسعيد بن العاص عَنْبَسة قال سعيدٌ لابنه يحيىٰ: أَيَّ شيء تنحّله؟ قال: دجاجة بفراريجها، وإنما أراد احتقاره بذلك لأن أمّه كانت أمَةً فقال سعيد: إن صدَقَ الطيرُ ليكوننّ أكثرُكم ولدًا فكان كذلك.

لما طلب عامر بن إسماعيل[2] مَرْوان بن محمّد[3] اعترضه بالفَيّوم[4] قومٌ من

(١) هو مصعب بن عبد الله بن الزبير، أبو عبد الله، علامة بالأنساب، غزير المعرفة بالتاريخ، كان ثقةً في الحديث، وشاعرًا، ولد بالمدينة وتوفي في بغداد سنة ٢٣٦ هـ. «الأعلام ٧/ ٢٤٨».

(٢) عامر بن إسماعيل: أحد القادة العباسيين، كان على مقدمة الجيش الذي لاحق مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في مصر سنة ١٣٢ هـ، ثم كان على رأس الجيوش التي غزت المغرب بأمر من الخليفة السفاح سنة ١٣٥ هـ. «ولاة مصر ص ١٢٣».

(٣) مروان بن محمد (٧٢ ـ ١٣٢ هـ = ٦٩٢ ـ ٧٥٠ م) أبو عبد الملك، يعرف بالجعدي وبالحمار، آخر ملوك بني أمية في الشام، ولد بالجزيرة وأبوه متوليها، افتتح فتوحات وخاض حروبًا كثيرة، كان حازمًا مدبرًا شجاعًا، يقال له الحمار أو حمار الجزيرة لجرأته في الحروب، واشتهر بالجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم. دامت خلافته خمس سنين وعشرة أشهر قتل سنة ١٣٢ هـ. «الزركلي ٧/ ٢٠٨».

(٤) الفيوم: قال ياقوت: الفيوم بمصر، ولاية غربية قريبة من الفسطاط، بناها يوسف الصديق، والنيل أعلى منها، ولما تم بناءها نظر يوسف الصديق وقال لوزرائه: هذا عمل ألف يوم، =

العرب فسأل رجلًا: ما اسمُكَ؟ فقال منصورٌ بن سعد: وأنا من سعد العشيرة، فتبسم تفاؤلًا به وتيمّنًا واستصحبَه فظفر بمروانَ تلك الليلة.

ومن الطِّيرَة: ما حُكيَ عن بعضهم قال: حضرتُ الموقِفَ مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصاح به رجلٌ من خلفه: يا خليفةَ رسولِ الله ﷺ، ثم قال: يا أميرَ المؤمنين! فقال رجلٌ من خلفه: دعاه باسم ميت! مات والله أمير المؤمنين، ولا يَقِف هذا الموقفَ أبدًا! فالتفتَ إليه فإذا هو اللَّهَبِيُّ؛ فقُتِل عمرُ قبل الحول.

وحُكِيَ أنّ عمرَ رضي الله عنه خرج إلى حَرّةِ[1] واقِم فلقِيَ رجلًا من جُهينة فقال له: ما اسمُك؟ قال: شهاب، قال: ابنُ مَنْ؟ قال: ابن جَمْرة! قال: وممن أنتَ؟ قال: من الحُرْقة[2]! قال: ثم ممن؟ قال: من بني ضِرام! قال: وأين منزلُكَ؟ قال: بحَرَّةِ ليلى[3]! قال: وأين تريد؟ قال: لظى وهو موضعٌ! فقال عمر: أدرِكْ أهلَك، فما أراك تُدركهم إلا وقد احترقوا، قال: فأدركَهُم، وقد أحاطت بهم النار.

وقال المدائنيّ[4]: وقع الطاعونُ بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان فخرج هاربًا منه فنزل قريةً من الصعيد يقال لها: شكر، فقدِم عليه حين نزلها رسولٌ لعبد الملك فقال له عبدُ العزيز: ما اسمُكَ؟ قال طالب بن مُدْرِك! فقال: أوّه! ما أراني راجعًا إلى الفِسطَاط أبدًا؛ ومات في تلك القرية.

وقيل: بينا مروان بن محمد في إيوان له يُنَفِّذ الأمورَ، فانصدعتْ زُجاجةُ الأموال، فوقعت الشمسُ منها على مَنْكب مروان وكان هناك عَيّاف[5] فقال: صَدْعُ الزُّجاجِ أمرٌ منكرٌ على أمير المؤمنين، ثم قام فاتّبعه ثَوبان مولى مروان. فقال له: ويحك! ما قلت؟ قال. قلتُ: صَدْعُ الزجاج صَدْعُ السلطان، ستذهب الشمسُ بمُلك

= فسميت الفيوم. «معجم البلدان ٤/ ٢٨٦ و٢٨٧».

(١) حرة واقم: إحدى حرتي المدينة، وهي الشرقية، سميت برجل من العماليق اسمه واقم، والحرة: أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار. «معجم البلدان ٢/ ٢٤٥ و٢٤٩».

(٢) الحرقة: ناحية بعُمان. «معجم البلدان ٢/ ٢٤٣».

(٣) حرة ليلى: هي بني مرّة بن عوف بن عطفان يطؤها الحاج في طريقهم إلى المدينة. «معجم البلدان ٢/ ٢٤٧».

(٤) المدائني: هو علي بن محمد بن عبد الله، أبو الحسن، راوية مؤرّخ من أهل البصرة، سكن المدائن وانتقل إلى بغداد وتوفي فيها سنة ٢٢٥ هـ. «الأعلام ٤/ ٣٢٣».

(٥) عياف: العيافة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، ويقال: عاف يعيف عيفًا: إذا زجر وحدس وظنّ، والعياف أو العائف الذي يعيف الطير فيزجرها. «لسان العرب ٩/ ٢٦١».

مروان، بقوم من الترك أو خُراسان، ذلك عندي واضحُ البرهان! قال: فما ورد لذلك شهران حتّى ورد خبرُ أبي مُسلم.

وقال إبراهيم بن المَهْديّ: أرسل إليَّ محمد الأمينُ[١] في ليلة مُقْمرةٍ من ليالي الصيف فقال: يا عَمّي! إن الحرب بيني وبين طاهر قد سكنت فصِر إليّ فإني إليك مشتاق فجئتُه وقد بُسِط له على سطح، وعنده سليمان بن جعفر، وعليه كِساءٌ رُوذَبارِيّ، وقَلَنسوة طويلة، وجواريه بين يديه. وضُعْفُ جاريته عنده. فقال لها: غنّيني فقد سُررتُ بعمومتي فاندفعت تغنّيه: [من الطويل]

هُـمُ قـتـلوه كـي يـكـونـوا مـكـانَـه ... كما فعلتْ يومًا بكسرى مَرَازِبُهْ[٢]!

بني هاشم كيف التَّواصُل بيننا ... وعـنـد أخيـه سيفُـه ونـجـائـبـهُ؟

هكذا غنّته، وإنّما هو: [من الطويل]

* وعـنـد عـلـيٍّ سـيـفـه ونـجـائـبـه *

فغضب وتطيّر، وقال: ما قِصّتُكِ؟ ويحك! غنيني ما يسرُّني، فغنّتْ: [من مجزوء الكامل المرفّل]

هـذا مـقـام مـطّـرِدِ ... هُـدِمـتْ مـنـازلـه ودورُهْ!

فازداد تطيّرًا، ثم قال: ويحك! انتهي وغنّي غير هذا فغنّت: [من الطويل]

كُلَيْبُ لعمري كان أكثرَ ناصرًا ... وأيسر جُرمًا منك ضُرّج بالدّمِ

فقال لها: قومي إلى لعنةِ الله، فوثبت؛ وكان بين يديه قَدَحُ بِلّور وكان لحبّه إيّاه يسمّيه محمّدًا باسمهِ، فأصابه طَرفُ ذيلها فسقط على بعض الصواني فانكسر، فأقبل عليَّ وقال: أرى واللهِ يا عمّ أن هذا آخر أمرنا، فقلت: كلّا! بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرُّك، قال: ودِجلةُ واللهِ هادئةٌ ما فيها صوت مجداف، ولا أحد يتحرّك؛ فسمعتُ هاتفًا يهتف: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يُوسُف: الآية ٤١]. قال: فقال لي: سمعتَ يا عمّ؟ فقلتُ: وما هو؟ وقد والله سمعتُه، فإذا الصوت قد عاد فقال:

---

(١) محمد الأمين: (١٧٠ ـ ١٩٨ هـ = ٧٨٧ ـ ٨١٣ م) خليفة عباسي، ابن هارون الرشيد، ولد في رصافة بغداد، كان شجاعًا أديبًا رقيق الشعر مكثرًا في إنفاق الأموال، سيىء التدبير، يؤخذ عليه انصرافه إلى اللهو ومجالسة الندماء. قتل بعد صراع على الخلافة مع أخيه المأمون بمدينة السلام (بغداد). «الزركلي ٧/ ١٢٧».

(٢) مرازب: جمع مرزبان، حالي الحدود، حاكم الثغور. «المعجم الذهبي ص ٥٤١».

انصرف بيِّتك الله بخيرٍ فمحال أن لا تكون الآن قد سمعتَ ما سمعتُ، فانصرفت وكان آخر العهد به.

وشبيه بهذا ما حُكيَ عن عَلُّويَة(١) المغنّي قال: كنتُ مع المأمون لما خرج إلى الشام، فدخلنا دِمَشق فطفنا فيها، وجعل يطوف على قصور بني أميّة، ويتتبّع آثارهم، فدخلنا صحنًا من صحونهم، مفروشًا بالرخام الأخضر، وفيه بِركَة ماء فيها سمكٌ، وأمامها بستانٌ، فاستحسن ذلك وعزم على الصَّبُوح ودعا بالطعام والشراب، وأقبل عليَّ فقال: غنّني ونشّطني، فكأنّ الله تعالى أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت من شعر عبيد الله بن قيس الرُّقيّات(٢): [من المنسرح]

لـو كـان حـولـي بـنـو أمـيّـة لـم ... تـنـطِـق رجـالٌ أراهُـمُ نـطـقـوا

مـن كـلّ قَـرْمٍ مَـحِـضٍ ضـرائـبُـهُ ... عـن منكِبيه الـقـمـيصُ ينخرقُ

قال: فنظر إليّ مُغْضَبًا، وقال: عليك وعلى بني أميّة لعنة الله، ويلك! أقلتُ لك سُرَّني أو سؤني؟ ألم يكن لك وقت تذكر فيه بني أميّة إلا هذا الوقتَ تُعرّض بي؟ فتجلّدتُ عليه وعلمتُ أنّي قد أخطأتُ، فقلت: أتلومني على أن أذكر بني أميّة؟ هذا مولاكم زرياب(٣) عندهم يركب في مائتي غلام مملوك له، ويملك ثلاثمائة ألف دينار وهبوها له سوى الخيل والضِّياع والرّقيق: وأنا عندكم أموت جوعًا، فقال: أولم يكن لك شيء تذكّرني به نفسَك غير هذا؟ فقلت: هكذا حضَرَني حين ذكرتُهم، فقال:

---

(١) علُّوية: هو علي بن عبد الله بن سيف، أبو الحسن، موسيقي بغدادي، تخرّج على إبراهيم الموصلي وبرع في الغناء والتلحين والضرب بالعود، عاش إلى أيام المتوكل، توفي سنة ٢٣٦ هـ. «الأعلام ٤/ ٣٠٣».

(٢) عبيد الله بن قيس الرقيات: شاعر قريش في العصر الأموي، كان مقيماً في المدينة، وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان، ثم انصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابني الزبير (مصعب وعبد الله) فأقام سنة، وقصد الشام فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فسأل عبد الملك في أمره، فأمنه، فأقام إلى أن توفي نحو ٨٥ هـ ـ ٧٠٤ م، أكثر شعره الغزل والنسيب، وله مدح وفخر، ولقب بابن قيس الرقيات لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن رقية. «الزركلي ٤/ ١٩٦».

(٣) زرياب في أبو الحسن، علي بن نافع، مولى المهدي العباسي، نابغة الموسيقى في زمانه، كان شاعرًا مطبوعًا، عالمًا ببعض الفنون، عارفًا بأحوال الملوك، كان حسن الصوت، أخذ الغناء ببغداد على إسحٰق الموصلي وغيره وغنى في صباه بين يدي هارون الرشيد، أقام فترة بقرطبة وبها اخترع مضراب العود من قوادم النسر، وكانوا يصفونه من الخشب، وتوفي بقرطبة سنة ٢٣٠ هـ ـ ٨٤٥ م. «الزركلي ٥/ ٢٨».

أعرض وتنبّه على إرادتي وغنِّ فأنساني الله كلَّ شيء أحسنه إلا هذا الصوت: [من المنسرح]

الحيْنُ ساق إلى دِمَشق وما ... كانت دمشقُ لأهلنا بلدا

قادتك نفسك فاستقدت لها ... وأرتك أمرَ غَوَايةٍ رَشَدا

فرماني بالقدح فأخطأني وانكسر القدح، وقال: قم إلى لعنة الله وحَرّ سَقَر! فركب، وكانت تلك الحالُ آخر عهدي به حتى مرض ومات بعد ذلك بقليل.

ومثل ذلك ما حُكي في قِتْلة المتوكل، وذلك أنه جلس يوم الأربعاء لأيام خلون من شوّال سنة تسع وأربعين ومائتين وقال للفتح بن خاقان[1]: أحبّ أن نصطبح؛ فأَحضَر المغنّين وفيهم أحمد بن أبي العلاء فقال له: غنّ فغنّى: [من الكامل]

يا عاذلَيّ من الملام دعاني ... إنّ البليّة فوقَ ما تصفانِ

زعمتْ بُثينة أنَّ فرقتَنا غدًا ... لا مرحبًا بغدٍ فقد أبكاني

فتطيّر المتوكّل منه، وقال: أحمد! كيف وقع لك أن تغنّي بهذا الشعر، قال: فشُغِل قلبُ ابن أبي العلاء لما أنكرَ عليه، ثم ذهب ليغنّيَ غيره، فغنّاه ثانية، فقال المتوكّل: نسأل الله خير هذا اليوم، وصرف المغنّين وقام لصلاةِ الظهر، فلمّا فرغ قال له الفتح: يا سيّدي أتمِمْ يومك، فدعا بالشراب وقال: أين ابن أبي العلاء؟ فأُحضر فقال له: غنِّ، فأغمي عليه فأعاد البيتين فاغتمّ المتوكّل غاية الغمّ وقُتِل في الليلة الآتية من ذلك اليوم.

قال القاضي أبو علي الجُوينيّ: حضرتَ بين يدي سيف الدولة أبي الحسن صَدَقَة بن منصور بن دُبَيْس، وابنه أبو المكارم محمد إذ ذاك مريض مرضه الذي مات فيه وقد أتى بديوان أبي نصر بن نُباتة فتصفّحه فوقع بيده وقال: يُعزّي سيف الدولة أبا الحسن ويرثي ابنه أبا المكارم محمد، فأخذتُ المجلّد وأطبقتُه فعاد فتصفّحه فخرج

(١) الفتح بن خاقان: (أبو محمد، أديب شاعر فصيح، فارسي الأصل، من أبناء الملوك، اتخذه المتوكل العباسي أخًا له، واستوزره وجعل له إمارة الشام، وكان يقدمه على جميع أهله وولده، ألف عدة كتب منها اختلاف الملوك، والروضة والزهر، قتل مع المتوكل سنة ٢٤٧ هـ - ٨٦١ م. «الأعلام للزركلي ٥/ ١٣٣».

ذلك، ومن القصيدة التي عناها قوله: [من الطويل]

فـإنّ بـمـيّـا فـارِقِـيـن حُـفَـيْـرةً تركنا عليها ناظر الجود داميا[١]

تـضـمّـنـهـا أيـدي فتًى ثكلتْ به غـداةَ ثـوى أمـالـنـا والأمـانـيـا

ولـمّا عدمنا الصبرَ بعد محمدٍ أتـيـنـا أباه نـسـتـفـيـدُ الـتـعـازيـا

وحُكيَ: أنّ أبا الشَمَقْمَق[٢] شخص مع خالد بن يزيد بن مَزيد[٣] وقد تقلّد المَوْصِل[٤]، فلما أراد الدخول إليها اندقّ لواؤه في أوّل درب منها، فتطيّر من ذلك وعظُم عليه، فقال أبو الشمقمق: [من الكامل]

مـا كـان مـنـدقُّ الـلـواء لـريـبـةٍ تُـخـشَـى ولا أمـرٍ يـكـون مـبـذَّلا

لـكـنّ هـذا الـرمـح ضَـعُـف متَـنه صِغَرُ الولايةِ فاستقلَّ الـمَـوْصلا

فسرِّيَ عن خالد، وكتب صاحبُ البريد بذلك إلى المأمون، فزاده ديارَ ربيعة وكتب إليه: هذا التضعيفُ المُوصِل متنَ رمحك، فأعطى خالدٌ أبا الشمقمق عشرةَ آلافِ درهم.

وقيل: لـمّا توجّه المسترشدُ للقاء السلطان مسعود بن محمد بن مَلِكْشاه السلجوقي، وقع على الشمسية التي تُرفع على رأسه طائرٌ من الجوارح وألحّ، كلما نُفّر عاد، فتفاءل الناس له بذلك وسُرّ هو به، فقال إنسان يُعرَف بمَلِكْدار: هذا جارح ومتقبض الكفّ وليس فيه بُشرى بل ضدّها، وأقبل السلطانُ في جيشه فكانت الكسرةُ وقُبِض على المسترشد وقُتِل من بعد.

---

(١) ميّا فارقين: مدينة في بلاد الروم. «معجم البلدان ٥/٢٣٦».

(٢) أبو الشمقمق: مروان بن محمد، شاعر هجاء من أهل البصرة، خراساني الأصل، من موالي بني أمية، له أخبار مع شعراء عصره، زار بغداد في أول خلافة الرشيد العباسي، وكان بشار يعطيه في كل سنة مئتي درهم يسميها أبو الشمقمق جزية، توفي نحو ٢٠٠ هـ ـ نحو ٨١٥ م. «الأعلام للزركلي ٧/٢٠٩».

(٣) خالد بن يزيد بن مزيد: الشيباني، أبو يزيد، أحد الأمراء الولاة الأجواد في العصر العباسي، وهو ممدوح أبي تمام، ولاه المأمون مصر سنة ٢٠٦، انتدبه الخليفة الواثق للقتال في أرمينية، فتجهز في جيش عظيم وزحف يريدها فاعتل في طريقه ومات قبل بلوغها سنة ٢٣٠ هـ ـ ٨٤٥ م. «الزركلي ٢/٣٠١».

(٤) الموصل: المدينة المشهورة العظيمة في العراق، وإحدى قواعد الإسلام باب العراق ومفتاح خراسان، «انظر معجم البلدان ٥/٢٢٣».

خرج بعضُ ملوك الفُرس إلى الصيد، فكان أوّلُ من استقبله أعورُ فأمر بضربه وحبسِه، ثم خرج وتصيّد صيدًا كبيرًا، فلمّا عاد استدعى الأعورَ وأمر له بصِلَة، فقال الأعور: لا حاجةَ لي في صلتك، ولكن ائذن لي في الكلام، فقال: تكلّم! قال: لقيتني فضربتني وحبستني، ولقِيتك فصِدتَ وسَلِمتَ فأيُّنا أشأمُ؟ فضحك وخلاه.

الفراسة والذكاء

يقولون: عِظَمُ الجبين يدلّ على البَلَه، وعَرْضُه يدلُّ على قلة العقل، وصِغَره على لُطف الحركة، والحاجبان إذا اتصلا على استقامة دلّا على تخنيث واسترخاء، وإذا تزججا[١] نحو الصُدغين دلّا على طنزٍ[٢] واستهزاء، والعينُ إذا كانت صغيرةَ الموقِ دلّت على سوءِ دخلَة، وخُبثِ شمائل، وإذا وقع الحاجبُ على العين دلّ على الحسد، والعين المتوسطةُ في حجمها دليلُ فطنةٍ وحسنِ خُلق ومروءة، والناتئةُ على اختلاط عقل، والطائرةُ على حِدّة، والتي يطول تحديقُهَا على قحة وحُمْق، والتي تكسر طَرْفَها على خفّة وطيش، والشَّعر على الأذن يدلُّ على جودةِ السمع، والأُذن الكبيرة المنتصبة تدلّ على حمق وهَذَيان.

وحُكِيَ: أن أبا موسى الأشعريّ[٣] وجّه السائب بن الأقرع[٤] في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه إلى مهرجًا بعد أن فتحها ودخل دار الهُرمُزان بعد أن جمع السبيَ والغنائم، ورأى في بعض مجالس الدار تصاوير فيها مثال ظبيٍ وهو مشيرٌ بإحدى يديه إلى الأرض، فقال السائب: لأمرٍ مَّا صُوّر هذا الظبيُ هكذا، إن له لشأنًا، فأمر بحفر الموضع الذي الإشارة إليه فأفضى إلى موضع فيه

---

(١) تزجج: الزج: الحديدة التي تركب في أسفل الرمح، والزج: تركز به الرمح في الأرض، والجمع أزجاج، وأزِجَة وزجاج وزججة. «اللسان ٢/ ٢٨٦».

(٢) طنز: يطنز طنزًا، كلمة باستهزاء، فهو طناز. «لسان العرب ٥/ ٣٦٩».

(٣) أبو موسى الأشعري: (٢١ ق.هـ - ٤٤ هـ = ٦٠٢ - ٦٦٥ م) عبد الله بن قيس من بني الأشعر، من قحطان، صحابي، من الولاة الفاتحين، وأحد الحكمين في معركة صفين، ولد في زبيد باليمن، وقدم مكة عند ظهور الإسلام فأسلم، ارتد إلى الكوفة بعد التحكيم فتوفي فيها. «الأعلام للزركلي ٤/ ١١٤».

(٤) السائب بن الأقرع: الظاهر أنه: السائب بن يزيد بن سعيد الكندي، صحابي، مولده قبيل السنة الأولى من الهجرة، وكان مع أبيه يوم حج النبي ﷺ حجة الوداع، استعمله عمر بن الخطاب على سوق المدينة، وهو آخر من توفي بها من الصحابة. له ٢٢ حديثًا. توفي سنة ٩١ هـ - ٧١٠ م. «الزركلي ٣/ ٦٨».

حوض من رخام، فيه سَفَط[1] جوهر فأخذه السائبُ وخرج به إلى عمر رضي الله عنه.

وقيل: كان المعتضد يومًا جالسًا في بيت يُبنى له وهو يشاهد الصُّنَّاع فرأى في جملتهم عبدًا أسودَ منكر الخَلْق، شديدُ المرحِ، يصعد على السلاليم مرقاتين[2] مرقاتين ويحمل ضِعْف ما يحمل غيره، فأنكر أمرَه، وأحضره وسأله عن سبب ذلك، فلجلج فقال لوزيره: قد خَمّنتُ في هذا تخمينًا ما أحسبه باطلًا، إمّا أن يكون معه دنانيرُ قد ظفر بها من غير وجهها، أو لِصّ يتستّر بالعمل، ثم قال: عليّ بالأسود فأحضره وضربه، وحلف إن لم يصدقه ليضربنّ عنقه، فقال الأسود: ولي الأمان يا أميرَ المؤمنين، قال: نعم! إلّا ما كان من حدّ، فظن أنه قد أمّنه، فقال: كنتُ أعمل في أتّون الآجُرّ، منذ سنين، فأنا منذ شهور جالس إذ مرّ بي رجلٌ في وسطه كيس فتبعتُه وهو لا يعرف مكاني فحلّ الهِمْيان[3] وأخرج منه دينارًا فتأمّلتُه فإذا كله دنانير فكتّفتهُ وسددتُ فاه وأخذتُ الهميان وحملتُه على كتفي وطرحته في التنّور وطيَّنتُ عليه، فلما كان بعد أيام أخرجتُ عِظامه وطرحتها في دجلةَ والدنانيرُ معي تقوّي قلبي قال: فأرسل المعتضدُ من أحضر الدنانيرَ، وإذا على الكيس: لفلان بن فلان، فنادى في المدينة، فحضرت امرأتهُ وقالت: هذا زوجي وقد ترك طفلًا صغيرًا خرج في وقت كذا ومعه كيس فيه ألفُ دينار، فغاب إلى الآن، فسلّم الدنانيرَ إليها وأمرها أن تعتدّ، وضرب عنقَ الأسود وأمر أن يوضع في الأتّون.

وقيل: جلس المنصور في إحدى قباب المدينة فرأى رجلًا ملهوفًا مهمومًا يحول في الطُّرُقات، فأرسل من أتاه به فسأله عن حاله فأخبره أنّه خرج في تجارة فأفاد مالًا ورجع إلى منزله به، فدفعه إلى امرأته، فذكرتِ المرأةُ أنّ المال سُرِق ولم ير نَقْبًا ولا تسلّقًا، فقال له المنصور: منذ كم تزوّجتها؟ قال: منذ سنة، قال: فبكرًا أو ثيّبًا؟ قال ثيّبًا، قال: فلها ولدٌ من سواك؟ قال: لا، قال: شابّة أم مُسِنَّة؟ قال: شابّة، فدعا المنصورُ بقارورة طيب، وقال: تطيّبَ بهذا، فهو يذهبُ همَّك، فأخذها وانقلب إلى أهله، ثم قال المنصورُ لأربعة من ثِقاته: اقعدوا على أبواب المدينة، فمن مرّ بكم

---

(١) سفط: السفط: الذي يُعبأ فيه الطيب. «لسان العرب ٧/ ٣١٥».

(٢) مرقاة: المرقاة واحدة من مراقي الدرج، فهي الدرجة. وترقى في العلم: أي رقي فيه درجة درجة. «لسان العرب ١٤/ ٣٣٢».

(٣) الهميان: هميان الدرهم، الذي تجعل فيه النفقة، والهميان: شِداذُ السراويل. «لسان العرب ١٥/ ٣٦٤».

وعليه شيءٌ من هذا الطِّيب فأتوني به، وأشمهم من ذلك الطِّيب، ومضى الرجلُ بالطِّيب، فدفعه إلى امرأته وقال: وهبه لي أمير المؤمنين، فلمّا شمّته بعثتْ به إلى رجل كانت تحبُّه وقد كانت دفعتْ إليه المالَ فتطيّب به، ومرّ مجتازًا ببعضِ الأبواب، فأُخذ وأُتيَ به إلى المنصور، فقال له: من أين استفدتَ هذا الطيبَ؟ فلجلجَ لسانهُ، فسلّمه إلى صاحب شرطته وقال: أن احضر الدنانير وإلّا فاضربه ألفَ سوط، فما هو إلّا أن جُرّد وهُدِّد، فأحضرَ الدنانيرَ على حالتها فأُعلم المنصورُ بذلك، فدعا صاحبَ الدنانير وقال: أرأيتك إن رددتُ عليك متاعَك بعينه أتحكّمني في امرأتك؟ قال: نعم! قال: خذ دنانيرك وقد طلّقتُ امرأتك وخبّره الخبر.

ودخل شَرِيك بن عبد الله القاضي(١) على المهديّ فأراد أن يبخّره فقال للخادم: ائتِ القاضي بعُود، فذهب فجاء بالعود الذي يُلْهَى به، فوضعه في حجر شريك، فقال شريك: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: عود أخذه صاحبُ العَسَس(٢) البارحة فأحببنا أن يكون كَسره على يد القاضي، فقال شريك: جزاك اللهُ خيرًا يا أمير المؤمنين، ثم ضرب به الأرضَ فكسره ثم أفاضوا في حديث آخر حتى نُسي الأمر ثم قال المهديّ لشريك: ما تقول فيمن أمر وكيلًا له أن يأتي بشيء فجاء بغيره فتَلِف ذلك الشيءُ؟ فقال: يَضْمَن يا أمير المؤمنين، فقال للخادم: اضمنْ ما تلِف.

الباب الرابع
من القسم الثاني من الفن الثاني
في الكنايات والتعريض

والكنايات لها مواضع؛ فأحسنها العُدولُ عن الكلام القبيح إلى ما يدُلّ على معناه في لفظ أبهى منه. ومن ذلك أن يُعظِّم الرجلُ فلا يدعى باسمه ويُكنى بكُنيته، أو يكنى باسم ابنه صيانة لاسمه، وقد ورد في ذلك كثير من آي القرآن فمنها قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: الآية ٤٤] أي كنّياه. وقد كَنَّى رسول الله ﷺ عليَّ بن

---

(١) شريك بن عبد الله: النخعي الكوفي، أبو عبد الله، عالم بالحديث، فقيه، اشتهر بقوة ذكائه وسرعة بديهته، استقضاه المنصور العباسي على الكوفة سنة ١٥٣ هـ - ثم عزله وأعاده المهدي فعزله موسى الهادي، وكان عادلًا في قضائه، ولد في بخارى سنة ٩٥ هـ - ٧١٣ م. وتوفي بالكوفة سنة ١٧٧ هـ - ٧٩٤ م. «الأعلام للزركلي ٣/ ١٦٣».

(٢) العسس: الذين يطوفون بالليل يحرسون الناس ويكشفون عن أهل الرّيبة.

أبي طالب رضي الله عنه: بأبي تراب؛ وقال البحتريّ: [من الخفيف]

يتشاغفن بالصغير المسمَّى موضِعاتٍ وبالكبير المكَنَّى

وهذا يدل على أن المراد بالكنية التبجيل؛ وقول ابن الروميّ: [من الطويل]

بكت شجوَها الدنيا فلما تبيَّنتْ مكانك منها استبشرت وتثنَّتِ

وكان ضئيلًا شخصُها فتطاولتْ وكانت تسمَّى ذِلةً فتكنَّتِ

وقال أبو صخر الهذليّ: [من الطويل]

أبى القلبُ إلّا حُبَّهُ عامريّةً لها كنيةٌ: عمرٌو، وليس لها عمرُو

ومن عادة العرب وشأنهم؛ استعمال الكنايات في الأشياء التي يستحيى من ذكرها، قصدًا للتعفّف باللسان، كما يُتعفّفُ بسائر الجوارح، قال الله عزّ وجلّ تأديبًا لعباده: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النُّور: الآية ٣٠] فقرنَ عِفّة البصرِ بعفّة الفرْج؛ وفي القرآن كناياتٌ عُدِلَ بها عن التصريح تنزيهًا عن اللفظ المستهجَن، كقوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٢٣] وقال أبو عبيد: هو كناية، شبّه النساءَ بالحَرْثِ، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فُصّلَت: الآية ٢١]، قيل: هو كنايةٌ عن الفروج، وفي موضع آخر: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [فُصّلَت: الآية ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٧]، وقوله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المَائدة: الآية ٧٥]، قال المفسرون: هذا تنبيه بأكل الطعام على عاقبة ما يصير إليه؛ وهو الحَدَث، لأن من أكل الطعام فلا بدّ أن يحدِث. ثم قال: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ [المَائدة: الآية ٧٥] وهذا من ألطف الكناية، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: الآية ٤٣] فالغائط: المطمئن من الأرض، وكانوا يأتونه لحاجتهم ويستترون به عن الأماكن المرتفعة. ومن لم يرَ الوضوء من لمس النساء جعل الملامسةَ هٰهنا كناية عن الفعل.

ومن الكنايات في كلام رسول الله ﷺ ـ وهو وإن كان قد ورد في الأمثال أشبه بالكناية ـ منها قوله ﷺ: «إياكم وخضراءَ الدِّمن» يريد بها المرأة الحسناء في المنبِت السوء، وتفسير ذلك: أن الريحَ تجمعُ الدِّمنَ، وهو البعر في البقعة من الأرض فإذا أصابه المطر نبت نبتًا غضًا يهتزّ وتحته الدِّمَنُ الخبيث، يقول: فلا تَنكحوا هذه المرأة

الحسناء لجمالها، ومنبِتُها خبيثٌ كالدِّمن؛ فإن أعراق السوء تنزعُ أولادَها؛ وقال زُفَر بن الحارث[١]: [من الطويل]

وقد ينبتُ المرعى على دِمَنِ الثرى وتبقى حزازاتُ النفوسِ كما هيا!.

وقوله ﷺ: «حَميَ الوطيسُ» قاله لما جال المسلمون يوم حُنين، والوطيس: حفيرة تحتفر في الأرض شبيهةٌ بالتنور؛ وقال الحسن: لبث أيوب عليه السلام على المزبلة سبعَ سنين، وما على الأرض يومئذٍ خَلْقٌ أكرمُ على الله منه، فما سأل الله العافيةَ إلا تعريضًا في قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٨٣] والعرب تكني عن الفضلة المستقذرة بألفاظ كلّها كنايات، منها: الرَّجيعُ والنَّجْوُ وَالبرازُ والغَائطُ والعَذِرَةُ والحُشّ، فبعض هذه الألفاظ يراد بها نفسُ الحَدثِ، وبعضها يراد بها المواضع التي يأتي إليها المحدِثُ، وكذلك استعملوا في إتيان النساء: المجامعة، والمواقعة، والمباضعة، والمباشرة، والملامسة، والمماسّة، والخلوة، والإفضاء، والغشيان، والتغشّي، وكل هذه الألفاظ مذكورة في القرآن.

وحُكيَ: أن رجلًا من بني العنبر كان أسيرًا في بكر بن وائل، وعزموا على غزو قومه، فسألهم رسولًا إلى قومه، فقالوا: لا ترسلْ إلا بحضرتنا لئلا تنذرهم، وجيءَ بعبد أسود، فقال له: أتعقلُ؟ قال: نعم إني لعاقلٌ! قال: ما أراك عاقلًا! ثم أشار بيده إلى الليل، فقال: ما هذا؟ قال: الليل! قال: أراك عاقلًا. ثم ملأ كفّيه من الرمل فقال: كم هذا؟ قال: لا أدري وإنه لكثيرٌ، قال: أيّما أكثر؟ النجوم أم النيران؟ قال: كلٌّ كثير، فقال: أبلغ قومي التحيَّة، وقل لهم ليُكرموا فلانًا، يعني أسيرًا كان في أيديهم من بكر، فإن قومه لي مكرمون وقلْ لهم: إن العَرْفَجَ[٢] قد أدْبَى، وشكّت النساء، وأمُرْهُم أن يُعْروا ناقتيَ الحمراء، فقد أطالوا ركوبها، وأن يركبوا جملي الأصهب[٣]

(١) زفر بن الحارث الكلابي، أبو الهذيل، أمير من التابعين من أهل الجزيرة، كان كبير قيس في زمانه، شهد صفين مع معاوية أميرًا على أهل قنسرين، وشهد وقعة مرج راهط مع الضحاك بن قيس الفهري، كانت وفاته في خلافة عبد الملك بن مروان نحو ٧٥ هـ ـ ٦٩٥ م. «الأعلام للزركلي ٣/ ٤٥».

(٢) العرفج: ضرب من النبات سريع الانقياد، واحدته عرفجة، وقيل: هو من شجر الصيف وهو لين أغبر له ثمرة خشناء كالحسك له زهرة صفراء وليس له حب ولا شوك. «لسان العرب ٢/ ٣٢٣».

(٣) الأصهب: أن يعلو الشعر حُمرة، وأصوله سود، وقيل الأصهب من الشعر: الذي يخالط بياضه حمرة، والأصهب من الإبل: الذي ليس بشديد البياض، والذي يخالط بياضه حمرة. «لسان العرب ١/ ٥٣٢».

بآية ما أكلتُ معهم حيسًا[١]، واسألوا عن خبري أخي الحارثَ؛ فلما أدّى العبدُ الرسالة إليهم قالوا: قد جُنَّ الأعورُ، والله ما نعرف له ناقةً حمراءَ، ولا جملًا أصهبَ، ثم سرّحوا العبدَ ودعوا الحارث فقصّوا عليه القصّة، فقال: قد أنذركم؛ أمّا قوله: قد أدبَى العرفج؛ يريد: أن الرجال قد استلأمُوا ولبسوا السلاح، وقوله: وشكّت النساء، أي اتخذن الشُّكَاء للسفر، وقوله: الناقة الحمراء؛ أي ارتحلوا عن الدهناء[٢] واركبوا الصَّمّانَ[٣] وهو الجمل الأصهب، وقوله: بآية ما أكلت معكم حيسًا أي أخلاطًا من الناس وقد غزوكم؛ لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقِطَ[٤]، فامتثلوا ما قال، وعرفوا لحنَ كلامه. وحكى أبو الفرج الأصفهانيّ بسنده إلى مجالد بن سعيد عبد الملك بن عمر قال: قدم علينا عمر بن هبيرة[٥] الكوفة، فأرسل إلى عشرةٍ أنا أحدهم من وجوه أهل الكوفة، فسمرنا عنده. ثم قال: ليحدثْني كلّ رجل منكم أحدوثة. وابدأ أنت يا أبا عمرو، فقلت: أصلح الله الأمير، أَحديثُ الحقِّ أم حديثُ الباطلِ؟ قال: بل حديثُ الحقّ، قلت: إن امرأَ القيسِ آلى أليةً أن لا يتزوّج امرأةً حتى يسألَها عن ثمانية وأربعة واثنين، فجعل يخطب النساء فإذا سألهن عن هذا، قلن أربعة عشر، فبينا هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنة له صغيرة، كأنها البدرُ لتمّه، فأعجبته فسألها: يا جارية! ما ثمانية وأربعة واثنان؟ فقالت: أما ثمانية فأطْباء الكلبة، وأما أربعة فأخلاف الناقة، وأما اثنان فثديا المرأة، فخطبها إلى أبيها، فزوّجه إياها وشرطتْ عليه أن تسأله ليلةَ بنائها عن ثلاثِ خِصالٍ، فجعل لها ذلك، وعلى أن يسوقَ إليها مائةً من الإبل، وعشرةَ أعبدٍ، وعشرَ وصائِفَ، وثلاثةَ أفراسٍ؛ ففعل ذلك، ثم إنه بعث عبدًا له إلى المرأة، وأهى لها نِحْيًا[٦] من سمن، ونِحْيًا من عسل، وحلّةً من قصب، فنزل العبد على بعض الماء، فنشر الحلّة فلبسها فتعلّقت

(١) حيسًا: هو الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن، وحيَّسه: خلطه. «لسان العرب ٦/ ٦١».

(٢) الدهناء: الفلاة، وهي موضع كله رمل، وقيل الدهناء: موضع من بلاد بني تميم مسيرة ثلاثة أيام لا ماء فيه. «لسان العرب ١٣/ ١٦٣».

(٣) الصمان: أرض غليظة دون الجبل، كما أنها أرض فيها غلظ وارتفاع وفيها قيعان واسعة. «معجم البلدان ٣/ ٤٢٣».

(٤) الأقط: شيء يُتخذ من اللبن المخيض ثم يُطبخ ثم يُترك حتى يمصل، والقطعة منه أقطة، وقيل: هو من ألبان الإبل خاصة. «لسان العرب ٧/ ٢٥٧».

(٥) هو عمر بن هبيرة بن سعد بن عديّ الفزاري، أبو المثنى، أميرٌ من الدهاة الشجعان، غزا الرّوم، وولاه عمر بن عبد العزيز الجزيرة مات نحو سنة ١١٠ هـ. «الأعلام ٥/ ٥٦٨».

(٦) النحِي: جرة فخار يجعل فيها اللبن ليمخض. والنحي: الزق، وقيل هو ما كان للسمن خاصة. «لسان العرب ١٥/ ٣١١».

بسَمُرةٍ[١] فانشقت، وفتح النِّحيين فأطعم أهلَ الماء منهما فنقصا، ثم قدم على حيّ المرأة وهم خلوف فسألها عن أبيها وأمها وأخيها، ودفع إليها هديّتها فقالت له: أعلِمْ مولاك أنّ أبي ذهب يقرِّب بعيدًا، ويبعِّد قريبًا، وأنّ أمّي ذهبت تشقّ النفس نفسيْن، وأنّ أخي ذهب يراعي الشمس، وأنّ سماءكم انشقت، وأنّ وِعاءيْكم نضَبا، فقدم الغلام على مولاه فأخبره، فقال: أما قولها: أنّ أبي ذهب يقرّب بعيدًا ويبعّد قريبًا: فإن أباها ذهب يحالفُ قومًا على قومه، وأما قولها: ذهبت أمّي تشق النفس نفسين: فإن أمها ذهبت تَقْبَلُ امرأة نفساء؛ وأما قولها: ذهب أخي يراعي الشمس: فإن أخاها في سَرْحٍ له يرعاه، فهو ينتظر وجوبَ الشمس ليروحَ به، وقولها: أن سماءكم انشقّت: فإن البُرْدَ الذي بعثتَ به انشق، وأما قولها: أن وعاءيكم نضبا: فإن النِّحييْن نقصا؛ فاصدقني؛ فقال: يا مولاي! إني نزلت بماء من مياه العرب، فسألوني عن نسبي، فأخبرتهم أني ابن عمك، ونشرتُ الحلّةَ فلبستها وتجمّلتُ بها، فتعلّقتْ بسَمُرةٍ فانشقّت، وفتحتُ النِّحيْين فأطعمتُ منهما أهل الماء. فقال: أَوْلَى لك؛ ثم ساق مائةً من الإبل، وخرج ومعه الغلامُ ليسقِيَ الإبلَ، فعجز؛ فأعانه امرؤ القيس فرمى به الغلام في البئر، وخرج حتى أتى المرأة بالإبل فأخبرهم أنه زوجها، فقيل لها: قد جاء زوجك! فقالت: والله ما أدري أَزوجي هو أم لا؟ ولكن انحروا له جزورًا وأطعموه من كرشها وذنَبها، ففعلوا؛ فأكل ما أطعموه، قالت: اسقوه لبنًا حازرًا (وهو الحامض) فسقوه؛ فشرب، فقالت: افرشوا له عند الفَرْثِ والدم، ففرشوا له؛ فنام. فلما أصبحت أرسلت إليه: أريد أن أسألَك عن ثلاث، قال: سلي عما بدا لك، فقالت: لم تختلج شفتاك؟ قال: من تقبيلي إياك! قالت: لم تختلج فخذاك؟ قال: لتورُّكي إياك! قالت: فلم يختلج كَشْحاك[٢]؟ قال: لالتزامي إياك! قالت: عليكم العبد! فشدّوا أيديكم به؛ ففعلوا؛ قال: ومرّ قومٌ فاستخرجوا امرأَ القيس من البئر، فرجع إلى حيّه واستاق مائةً من الإبل وأقبل إلى امرأته. فقيل لها: قد جاء زوجك! فقالت: والله ما أدري أَزوجي هو أم لا؟ ولكن انحروا له جزورًا وأطعموه من كرشها وذنبها، ففعلوا؛ فلما أتوه بذلك، قال: وأين الكبد والسَّنام والمَلْحاء[٣]؟ فأبى أن يأكل، فقالت: اسقوه لبنًا حازرًا، فأُتيَ به، فأبى أن يشربه

---

(١) السَّمُرة: شجرة الطلح.

(٢) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، والكشح أيضًا: الكي بالنار. «اللسان ٢/ ٥٧٢ و٥٧٣».

(٣) الملحاء: من البصير: الفقر التي عليها السنام، ويقال: هي ما بين السنام إلى العجز، والملحاء: وسط الظهر بين الكاهل والعجز وهي من البصير ما تحت السنام. «لسان العرب=

وقال: أين الصَّريف[١] والرَّثيئة؟[٢] فقالت: افرشوا له عند الفَرْثِ والدم، ففرشوا له؛ فأبى أن ينام وقال: افرشوا لي فوق التلعة[٣] الحمراء واضربوا عليها خباء، ثم أرسلت إليه: هلمّ شريطتي عليك في المسائل الثلاث، فأرسل إليها: سليني عما شئت، فقالت: لم تختلج شفتاك؟ قال: لشرب المشعشعات؛ قالت: فلم يختلج كشحاك؟ قال: للبس الحبرات؛ قالت: فلم يختلج فخذاك؟ قال: لركض المطهّمات؛ قالت: هذا زوجي لعمري! فعليكم به، واقتلوا العبد فقتلوه، ودخل امرؤ القيس بالجارية؛ قال ابن هُبَيرة: حسبكم! فلا خيرَ في الحديث في سائر الليلة بعد حديثِك يا أبا عمرو ولن يأتِينَا أحدٌ بأعجبَ منه، فقمنا فانصرفنا وأمر لي بجائزة.

وقيل: بعث بَشَامة بن الأعور العنبريّ إلى أهله بثلاثين شاةً ونِحْيٍ صغير فيه سمن، فسرق الرسول شاة، وأخذ من رأس النحي شيئًا، فقال لهم الرسول: ألكم حاجةٌ أُخبرُه بها؟ فقالت امرأته: أَخبِرْه أنّ الشهر محاق، وأن جدينا الذي كان يطالعنا وجدناه مرثومًا[٤]، فارتجع منه الشاة والسمن.

وقيل: أسرتْ طيِّئٌ غلامًا، فقدم أبوه ليفديَهُ، فاشتطّوا عليه. فقال أبوه: لا والذي جعل الفرقدين يُمسيانِ ويصبحانِ على جبلَيْ طيِّئٍ! ما عندي غير ما بذلتُه، ثم انصرف وقال: لقد أعطيته كلامًا إن كان فيه خيرٌ فهمه. كأنه قال: اِلْزم الفرقديْن على جبلَيْ طيِّئٍ، ففهم الابن تعريضه وطرد إبلًا لهم من ليلته ونجا.

ومن التخليص المتوسَّط إليه بالكناية؛ ما رُوِيَ عن عديّ بن حاتم بن عبد الله الطائيّ[٥]، أنه قال يومًا في حق الوليد بن

= ٢/٦٠٤ و٦٠٥».

(١) الصريف: اللبن ساعة يحلب، أو الذي لم يمزج به شيء.

(٢) الرّثيئة: اللبن جعله ثخينًا غليظًا.

(٣) التلعة: تلع النهار؛ ارتفع، والأتلع: الطويل العنق، والتلعة: مسيل الماء، وهي مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض، أم هي أرض مرتفعة غليظة يتردد فيها السيل. «اللسان ٨/ ٣٦».

(٤) مرثومًا: مكسورًا وقد تقطر منه الدم، والرثم: تخديش وشق من طرف الأنف حتى يخرج الدم فيقطر. «اللسان ١٢/ ٢٢٦».

(٥) عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي، أبو وهب وأبو طريف، أمير صحابي، من الأجواد العقلاء، كان رئيس طيِّىء في الجاهلية والإسلام، كان إسلامه سنة ٩ هـ، وشهد فتح العراق، ثم سكن الكوفة وشهد الجمل وصفين والنهروان مع الإمام علي، وفقئت عينه يوم صفين ومات بالكوفة=

عقبة[١] بن أبي مُعَيط: ألا تعجبون لهذا؟ أَشعرَ بَرْكًا يُوَلّى مثل هذا المصر، والله ما يحسن أن يقضيَ في تمرتين. فبلغ ذلك الوليدَ فقال على المنبر: أنشُد الله رَجُلًا سمّاني أشعرَ بَرْكًا إلا قام، فقام عديّ بن حاتم فقال: أيها الأمير، إن الذي يقوم فيقول: أنا سمّيتك أشعرَ بَرْكًا لجريءٌ، فقال له: اجلس يا أبا طرِيفٍ! فقد برّأك الله منها، فجلس وهو يقول: ما برأني الله منها.

وقيل: كان شُريح[٢] عند زياد بن أبيه وهو مريضٌ، فلما خرج من عنده أرسل إليه مسروقُ رسولًا وقال: كيف تركت الأمير؟ فقال: تركته يأمر وينهي، قال مسروق: إنه صاحبُ مرضٍ، فارجعْ إليه واسأله ما يأمر وينهي، قال: يأمر بالوصيّة وينهي عن النّوح.

خطب رجل إلى قوم فجاؤوا إلى الشعبيّ يسألونه عنه، وكان به عارفًا، فقال: هو واللهِ ما علمتُ نافذَ الطعنةِ، ركين الجلسة، فزوّجوه؛ فإذا هو خيّاطٌ فأتوه فقالوا: غررتنا فقال: ما فعلتُ وإنه لكما وصفت.

وخطب باقلانيّ إلى قومٍ وذكر أن الشعبيّ[٣] يعرفه فسألوه فقال: إنه لعظيم الرماد، كثير الغاشية.

قيل: أخذ العسس رجلين فقال لهما: من أنتما؟ فقال أحدهما: [من الطويل]

أنا ابن الذي لا يُنزل الدهر قِدْرَهُ ... وإن نزلتْ يومًا فسوف تعودُ

ترى الناسَ أفواجًا إلى ضوء ناره ... فمنهم قيامٌ حولها وقعودُ!

= سنة ٦٨ هـ ـ ٦٨٧ م، عاش أكثر من مئة سنة. «الأعلام للزركلي ٤/ ٢٢٠».

(١) الوليد بن عقبة: أبو وهب الأموي القرشي، والٍ من فتيان قريش وشعرائهم وأجدادهم، فيه ظرف ومجون ولهو، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه، أسلم يوم فتح مكة، توفي سنة ٦١ هـ ـ ٦٨٠ م. «الزركلي ٨/ ١٢٢».

(٢) شريح: شريح بن الحارث الكندي، أبو أمية، من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام، أصله من اليمن، ولي قضاء الكوفة في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية، واستعفر في أيام الحجاج فأعفاه سنة ٧٧ هـ. له باع في الأدب والشعر، عمر طويلًا ومات بالكوفة سنة ٧٨ هـ ـ ٦٩٧ م. «الزركلي ٣/ ١٦١».

(٣) الشعبي: هو عامر بن شراحيل الحميري، أبو عمرو، راوية من التابعين، يضرب المثل بحفظه، اتصل بعبد الملك بن مروان وكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم، وكان فقيهًا وشاعرًا مات سنة ١٠٣ هـ. «الأعلام ٣/ ٢٥١».

وقال الآخر: [من المنسرح]

أنا ابن من تخضعُ الرّقابُ له ما بين مخزومِها وهاشمها
تأتيه بالذلّ وهيَ صاغرةٌ يأخذ من مالها ومن دمها!

فظنوهما من أولاد الأكابر، فلما أصبح سأل عنهما؛ فإذا الأول ابن طبّاخ والثاني ابن حجّام.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للأحنف: أيُّ الطعام أحبُّ إليك؟ قال: الزُّبُد والكمأةُ[1]. فقال: ما هما بأحبّ الطعام إليه، ولكنه يحبّ الخصب للمسلمين.

وقال لقمان لابنه: كُلْ أطيبَ الطعام، ونَمْ على أوطأ الفرش؛ كنّى عن إكثار الصيام، وإطالة القيام.

ومن جيّد التورية وغريبها مع توخّي الصدق في موطن الخوف: قولُ أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، وقد أقبل رسول الله ﷺ وهو رَديفُه عامَ الهجرة، فقيل له: من هذا يا أبا بكر؟ فقال: رجل يهديني السبيل.

ورُفِعَ إلى عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة وصيةٌ لرجل بمال أمرَ أن تُتّخذَ به حصون. فقال: اشتروا به خيلًا للسبيل، أما سمعتم قول النخعي: [من الكامل]

ولقد علمت على تجنبيَ الرّدى أن الحصونَ الخيلُ لا مدَرُ القُرَى

قيل كان البَرَاءُ بن قَبِيصة صاحبَ شرابٍ؛ فدخل على الوليد بن عبد الملك، وبوجهه أثر، فقال: ما هذا؟ قال فرسٌ لي أشقر، ركبته فكبا بي، فقال: لو ركبتَ الأشهب لَمَا كبا بك؛ يريد الماء.

قال عبد الملك بن مروان لثابت بن الزبير: ما ثابت من الأسماء! ليس باسم رجل ولا امرأة، قال: يا أمير المؤمنين لا ذنبَ لي لو كان اسمي إليَّ، لسمّيتُ نفسي زينبَ، يُعرِّضُ به؛ فإنه كان يعشق زينبَ بنت عبد الرحمٰن بن هشام فخطبها؛ فقالت: لا أوسّخُ نفسي بأَتْيِ الذبّان.

(١) الكمأة: نبات من نوع الفطر يعرف «بشحم الأرض» يعيش تحت الأرض، لونه إلى الغبرة مستدير كالقلقاس لأساقاله، يؤكل مشويًا أو مطبوخًا.

قال نُميْريّ لفقعسيٍّ: إني أريد إتيانك فأجد على بابك خرءًا، فقال له الفقعسيُّ: اطرح عليه ترابًا وادخل؛ أراد النميريّ قول الشاعر: [من الوافر]

ينام الفقعسيُّ وما يُصلِّي ويخرا فوق قارعةِ الطريقِ

وأراد الفقعسيّ قول الآخر: [من الوافر]

ولو وَطِئتَ نساءُ بني نميرٍ على تُربٍ لخبّثْنَ الترابَا

قال عبد الله بن الزبير[1] لامرأة عبد الله بن حازم السلميّ: أَخرجي المالَ الذي وضعته تحت استِكِ، فقالت: ما ظننت أن أحدًا يلي شيئًا من أمور المسلمين يتكلّم بهذا، فقال بعض من حضر: أما ترون الخلْع الخفيَّ الذي أشارت إليه؟ فلما أخذ الحجّاج[2] أمّ عبد الرحمٰن بن الأشعث[3] تجنَّب ما عيبَ على ابن الزبير، فكنَّى عن المعنى فقال لها: عمدتِ إلى مال الله فوضعتِه تحتَ ذيلك.

ماتت للهذليّ أمُّ ولدٍ، فأمر المنصورُ الربيعَ[4] بأن يعزّيَه ويقولَ له: إن أمير المؤمنين يوجّه إليك بجاريةٍ نفيسةٍ لها أدبٌ وظَرفٌ تُسليك عنها، وأمر لك بفرسٍ وكُسوةٍ وصِلةٍ؛ فلم يزل الهذليّ يتوقّعها، ونسِيَها المنصور، ثم حجّ ومعه الهذليّ فقال له وهو بالمدينة: أحبّ أن أطوفَ الليلة في المدينة، وأطلبَ من يطوف بي فقال: أنا لها يا أمير المؤمنين؛ فطاف به حتى وصل إلى بيت عاتكةَ فقال: يا أمير المؤمنين!

---

(١) عبد الله بن الزبير: أبو حبيب، أول مولود من المسلمين بعد الهجرة، بويع له بمكة سنة ٦٤ هـ ـ بني ابن الزبير الكعبة وأدخل فيها الحجر، وزين داخلها وخارجها، قتل سنة ٧٣ هـ ـ ٦٩٢ م. «وفيات الأعيان ٣/ ٧١».

(٢) الحجاج الثقفي (٤٠ ـ ٩٥ هـ = ٦٦٠ ـ ٧١٤ م) أبو محمد، قائد داهية سفاك خطيب، ولد ونشأ في الطائف بالحجاز ولاه عبد الملك بن مروان مكة والمدينة والطائف، قتل عبد الله بن الزبير في الحجاز، بنى مدينة واسط بين البصرة والكوفة وكان سفاحًا باتفاق جميع المؤرخين، مات بواسط. «الزركلي ٢/١٦٨».

(٣) عبد الرحمٰن بن الأشعث الكندي: أمير وقائد شجاع، ثار على ظلم الحجاج، وحاربه وتم له ملك سجستان وكرمان والبصرة وفارس والكوفة، انهزم بعد معارك طاحنة والتجأ إلى رتبيل ملك الترك، فغدر به وسلمه إلى الحجاج الذي قتله سنة ٨٥ هـ ـ ٧٠٤ م. «الأعلام للزركلي ٣/ ٣٢٣».

(٤) الربيع: أبو العباس، الفضل بن الربيع واسمه كيسان، ولد سنة ١٣٨ هـ ـ ٧٥٥ م، كان وزيرًا أديبًا حازمًا، كانت نكبة البرامكة على يديه، ولي بعدهم الوزارة للرشيد ثم أقره الأمين في وزارته، ولما ظفر عفا عنه، توفي بطوس سنة ٢٠٨ هـ ـ ٨٢٤ م. «وفيات الأعيان ٤/٣٧، والزركلي ٥/١٤٨».

وهذا بيت عاتكة الذي يقولُ فيه الأحوص[1]:

* يـا بـيـتَ عـاتـكـةَ الـذي أتـعـزَّلُ *

فأنكر المنصور ذكرَ بيتِ عاتكةَ من غير أن يسأله عنه؛ فلما رجع أمرّ القصيدة على خاطره فإذا فيها: [من الكامل]

وأراكَ تفعلُ ما تقولُ وبعضهم   مذقُ الحديثِ يقولُ ما لا يفعلُ[2]

فتذكّر الموعدَ وأنجزه واعتذر إليه.

اجتمع الشعراء ببابِ أميرٍ من أمراء العرب، فمرّ رجلٌ ببازٍ فقال رجل من بني تميم لآخر من بني نمير: هذا البازي! فقال النميريّ: إنه يصيد القَطا؛ عرّض الأوّل بقول جرير: [من الوافر]

أنـا الـبـازي الـمـطـلُّ عـلى نُـمـيـرٍ   أُتـيـحَ مـن الـسـمـاء لـهـا انـصـبـابـا

وأراد الآخر قول الطرمّاح[3]: [من الطويل]

تميمٌ بطرق اللؤم أهدَى من القَطا   ولو سلكتْ طُرْقَ المكارمِ ضلَّتِ

قال عمر بن هُبَيْرة الفزاريّ لأيوب بن ظَبيان النميريّ وهو يسايره: غُضّ من بغلتِك! فقال: إنها مكتوبة، أراد ابن هبيرة قول جرير: [من الوافر]

فـغُـضَّ الـطـرف إنـك مـن نـمـيـرٍ   فـلا كـعـبًـا بـلـغـتَ ولا كـلابـا

وأراد النميريّ[4] قول ابن دارة: [من البسيط]

لا تـأمـنـنَّ فَـزاريًّـا خـلوتَ بـه   عـلى قـلوصِـك واكـتُـبْـهـا بـأسـيـارِ

---

(١) الأحوص: محمد بن عبد الله بن ثابت من الأنصار، كان يُرمى بالزنى، فشكي إلى عمر بن عبد العزيز فنفاه من المدينة إلى قرية من قرى اليمن على ساحل البحر. «الشعر والشعراء ص ٣٥١».

(٢) مذق، المذق هو المزج والخلط، ورجل مذاق: كذوب، غير مخلص، وفلان يمذق الود: إذا لم يخلصه. «لسان العرب ١٠/ ٣٣٩ و٣٤٠».

(٣) هو الطرمّاح بن حكيم من طيىء، ويكنّى أبا نفر، شاعر معروف. «انظر الشعر والشعراء ص ٣٨٨».

(٤) النميري: حصين بن معاوية من بني نمير، قيل له الراعي لأنه كان يصف راعي الإبل في شعره، ويقال هو عبيد بن حصين، ويكنى أبا جندل وكان أعور، وهجاه جرير لأنه اتهمه بالميل إلى الفرزدق، وهو من أهل بادية البصرة، ومن أصحاب الملحمات، توفي سنة ٩٠ هـ ـ ٧٠٩ م. «الشعر والشعراء ص ٢٧٠، والأعلام للزركلي ٤/ ١٨٩».

وقيل: كان العزيز بن المعزّ العُبيديّ[١] أحد الخلفاء بمصر يلعب بالحَمام فتسابق هو وخادم له فسبق طائرُ الخادم طائرَ الخليفة؛ فبعث إلى وزيره ابن كلس اليهوديّ[٢] يستعلمه عن ذلك فاستحيى أن يقول: إن طائر الخليفة سُبِقَ، فكتب إليه: [من السّريع]

يا ابن الذي طاعتُهُ عِصمةٌ   وحُبُّه مفتَرَضٌ واجبُ
طائرك السابقُ لكنّه   جاء وفي خدمته حاجِبُ

جاءت امرأة إلى عمر رضي الله عنه فقالت: أشكو إليك زوجي، خيرُ أهلِ الأرضِ إلا رجلٌ سبقه لعملٍ، أو عمل مثلَ عمله، يقومُ الليل حتى يُصبح، ويصوم النهار حتى يُمسِي؛ ثم أخذها الحياء فقالت: أقِلْني يا أمير المؤمنين! فقال: جزاك الله خيرًا! فقد أحسنتِ الثناء، فلما ولَّتْ قال كعبُ بن شَوْر[٣]: يا أمير المؤمنين لقد أبلَغَتْ إليك في الشكوى، فإنها كنَّتْ بذلك عن عدم المباضعة.

الباب الخامس
من القسم الثاني من الفن الثاني
في الألغاز والأحاجيّ

قالوا: واشتقاق اللُّغز من ألغزَ اليَربوْعُ[٤] ولَغَزَ: إذا حفر لنفسه مستقيمًا، ثم أخذ يَمْنةً ويسرة ليواريَ بذلك ويعمّي على طالبه. وللُّغز أسماءٌ فمنها: المُعاياة،

---

(١) العزيز بالله العبيدي: فزار بن معد (٣٤٤ ـ ٣٨٦ هـ = ٩٥٥ ـ ٩٩٦ م) العبيدي الفاطمي، أبو منصور، صاحب مصر والمغرب، ولد بالمهدية وبويع بعد وفاة أبيه سنة ٣٦٥ هـ، وكان كريم الأخلاق حليمًا، أديبًا فاضلًا، يكره سفك الدماء، وفي زمنه بنيت عدة قصور في القاهرة، وخطب له بمكة وطالت مدته إلى أن توفي في مدينة يلبيس عندما خرج لغزو الروم. «الزركلي ١٦/٨.

(٢) ابن كلس: يعقوب بن يوسف بن كلس: (٣١٨ ـ ٣٨٠ هـ = ٩٣٠ ـ ٩٩٠ م) أبو الفرج، وزير من الكتاب الحساب، ولد ببغداد وسافر به أبوه إلى الشام ثم أنفذه إلى مصر، فاتصل بكافور الأخشيدي الذي ولاه ديوانه بالشام ومصر، وكان يهوديًا، فأسلم في أيامه، ثم انتقل إلى المغرب فخدم المعز العبيدي وتولى أموره، ثم تولى وزارة العزيز الفاطمي وتوفي في عهده فألحده بيده. «الزركلي ٢٠٢/٨ و٢٠٣».

(٣) كعب بن شور: والأصح كعب بن سور، الأزدي، تابعي من الأعيان المقدمين في صدر الإسلام بعثه عمر قاضيًا لأهل البصرة، وعاملًا له عليها، وأقره عثمان، فأقام إلى أن كانت وقعة الجمل فاعتزل، ووقف بين الصفين فأتاه سهم قتله وذلك سنة ٣٦ هـ ـ ٦٥٦ م. «الزركلي ٢٢٧/٥».

(٤) اليربوع: حيوان قاضم يشبه الفأر، قصير اليدين، طويل الرّجلين طويل الذنب.

والعويصُ، والرمز، والمحاجاة، وأبيات المعاني، والمَلاحن، والمرموس، والتأويلُ، والكناية، والتعريض، والإشارة، والتوجيه، والمعمَّى، والمُمَثَّل، ومعنى الجميع واحد، واختلافها بحسب اختلاف وجوه اعتباراته، فإنك إذا اعتبرْتَه من حيث إن واضعَهُ كأنه يعايبك، أي يُظهر إعياءك وهو التعبُ، سمّيتَه: معاياة، وإذا اعتبرته من حيثُ صعوبة فهمه واعتياصِ استخراجه، سمّيته: عَويصًا، وإذا اعتبرْتَه من حيثُ إنه قد عمل على وجوه وأبواب، سمّيتَهُ: لُغْزًا، وفعلُكَ له: إلغازًا، وإذا اعتبرته من حيث إن واضعَه لم يفصحْ عنه قلت: رَمَزَ، وقريبٌ منه الإشارة، وإذا اعتبرته من حيث إن غيرَك حاجاك أي استخرجَ مقدار عقلك، سمّيته: محاجاة، وإذا اعتبرته من حيث إنه استخرج كثرةَ معانيه، سمّيته: أبيات المعاني، وإذا اعتبرته من حيث إنّ قائله قد يوهِمُكَ شيئًا ويريدُ غيرَهُ، سميته: لحنًا وسميتَ فعلك: المَلاحن، وإذا اعتبرته من حيث إنه سُتر عنك ورُمّس فهو: المرموس، والرمس: القبر، وإذا اعتبرته من أن معناه يؤوَّل إليك، سميته: مؤوَّلًا، وسميت فعلك: تأويلًا، وإذا اعتبرته من حيث إن صاحِبَه لم يصرّحْ بغرضه، سميتَه: تعريضًا وكناية، وإذا اعتبرته من حيث إنه ذو وجوه، سميته: الموجَّهُ، وسميت فعلك: التوجيه، وإذا اعتبرته من حيث إنه مغطًّى عليك، سمّيته: مُعَمًّى.

قال الحكيم أمير الدولة المعروف بابن التلميذ[1] في الميزان: [من الرّجز]

ما واحدٌ مختلِف الأسماءِ؟ ... يعدلُ في الأرضِ وفي السماءِ
يحكم بالقسط بلا رياءِ ... أعمى يُري الرشادَ كلَّ رائي
أخرس لا من علّة وداءِ ... يُغني عن التّصريح بالإيماءِ
يجيب إن ناداه ذو امتراءِ ... بالرفع والخفض عن النداء[2]
* يُفصَح إن عُلِّقَ في الهواءِ *

قوله: مختلِفُ الأسماء يعني ميزانَ الشمس، والاصطرلاب، وسائر آلات الرصد، وهو معنى قوله: يحكم في السماء. وميزانُ الكلام: النحو، وميزان الشعر: العروض، وميزان المعاني: المنطق، وهذه الميزان والذراع والمكيال.

(١) ابن التلميذ: (أمير الدولة)، هبة الله بن صاعد، (٤٦٥ ـ ٥٦٠ هـ = ١٠٧٣ ـ ١١٦٥ م) إبراهيم، أبو الحسن، أمين الدولة، موفق الملك، المعروف بابن التلميذ، حكيم عالم بالطب والأدب، له شعر كله ملح ولطائف وابتكارات، ولد وتوفي ببغداد، عمر طويلًا وخدم الخلفاء من بني العباس وانتهت إليه رياسة الأطباء في العراق، وكان عارفًا بالفارسية واليونانية والسريانية، وكان رئيس النصارى وقسيسهم، له كتب كثيرة. «الزركلي ٨/ ٧٢».

(٢) الامتراء: الشكّ.

وقال آخر فيه:

ما تقولون؟: فيما نزل من السماء، وعُلِّق في الهواء، له عينٌ عمياء، وكفٌّ شلاء، ليس له إن عدلَ ثوابٌ، ولا عليه إن جار عقاب، خُلقَ من ثلاثة أجناس، تضعضعه الأنفاس، جسمُه عارٍ من غير لباس، أخرسُ اللسان، في أذنه خرصان[١]، مكرر الذكر في القرآن، ينطوي إذا نام كالصِّلّ، وفعلهُ المستقبلُ معتلّ، وله في الآخرة أكبرُ محلّ.

وقال أبو نصر الكاتب[٢] في الخاتم: [من الوافر]

ومنكوحٍ إذا ملكتُه كفٌّ وليس يكون في هذا مِراءُ
له عينٌ تخلَّلها ضياءٌ فإن كُحلتْ فللمِيلِ العمَاءُ
يظلّ طليعةً للوصل هونًا وللخاشي بزورته احتماءُ
وقد أوضحتُه وأبنتُ عنه ففسِّرْه فقد برح الخفاءُ

أراد بقوله: تخلّلها ضياءٌ أي أنها مفتوحة وكحلها بالإصبع؛ وقد يبعث المحبوب بخاتمه علامةً للزيارة أو رهنًا عليها وهو أمانٌ للجاني.

وقال ابن الروميّ في فتيلة السراج: [من السّريع]

ما حَيَّةٌ في رأسها دُرَّة تسبح في بحرٍ قليل المَدَى؟
إن غُيِّبتْ كان العمى حاضرًا وإن بدت لاح طريقُ الهدى!

وقال السريّ الرفّاء[٣] في شبكة الصيّاد: [من الكامل]

وكثيرةُ الأحداقِ إلّا أنّها عمياءُ ما لم تنغمس في ماءِ
وإذا هي انغمست أفادت ربَّها ما لا يُنال بأعينِ البصراءِ

---

(١) الخرص: القرط بحبة واحدة، وقيل هي الحلقة من الذهب والفضة والجمع خرصة. «لسان العرب ٧/ ٢٢».

(٢) أبو نصر الكاتب: هو سهل بن المرزبان، أصله من أصبهان، يقول صاحب التيمية عنه: لا كتاب جديد يشتمل على بدائع الطرف إلا ومن عقده انتثره، ومن يده انتشر، له مؤلفّات عديدة. «انظر اليتيمة ٤/ ٤٥٢».

(٣) السّريّ الرّفاء الكندي، أبو الحسن، شاعر أديب من أهل الموصل، كان في صباه يرفو ويطرز في دكان بها فعرف بالرفاء، ولما مهر شعره وجاد قصد سيف الدولة يحلب فمدحه وأقام عنده مدة، ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد، فمدح جماعة من الوزراء والأعيان. اضطر للعمل بالوراقة بعد أن ضاقت به الحال، توفي ببغداد سنة ٣٦٦ هـ ـ ٩٧٦ م. «الزركلي ٣/ ٨١».

وقال آخر في النوم: [من مجزوء الرّجز]

وحـامـلٍ يـحـمـلـنـي وما لـه شـخـصٌ يُـرَى!
إذا حـصـلـتُ فـوقـه وهـو لـذيـذُ الـمـمـتطَى!
سـريـتُ لا أدري أفـي أرضٍ سـريـتُ أم سـمـا!

وقال أبو العلاء المعريّ في ركابيَ السرج: [من الطويل]

خليلانِ نيطا في جوانبِ مجلسٍ جـداراه قـدّام لـه ووراءُ!
متى يضعِ الرِّجْليْنِ ماشٍ عليهما يَزُلْ عنه في وَشْكٍ حَفًا وحَفاءُ!

قوله: خليلان لتشابهما، والمجلس: السرج، وجداراه: قربوسه[١] ورادفته[٢]، والحفا مقصور: وجعُ الرِّجل، وممدود: من مشى الرجل حافيًا بغير نعل.

وقال ابن القاسم عبد الصمد بن نائل في القُفْل: [من الرّجز]

مـجـامـعٌ يَـعـقِـدُ عَـقْـد الـكـلـبـهْ إن رامـه غـيـرك جـرّ نـكـبَـهْ
ويـنـام كـالأمـردِ لا كـالـقـحـبـهْ حـتـى إذا شـكَّ الـقُـمُـدُّ جـنـبَهْ[٣]
وعـالـجَ الـجـذبـةَ بـعـد الـجـذبـهْ وانـحـلَّ بـالـحـقـنـةِ لا بـالـشـربـهْ
ألـقـى جـنـيـنًـا نـتـجـتْه الـعـزبـهْ ثـم إذا عـادَ إلـيـه أشـبـهْ
بعضَ حروفِ الـمُـعْـجَـم الـمُـنكبّهْ يُـبـغـضُ وهـو صـادقُ الـمـحـبّـهْ
يـعـتـقـد الـسّـلـم ويـنـوي حَـربـهْ وهـو عـلـى ذاك طـويـلُ الـصـحـبـهْ

شَبّهه بالمجامع: لدخول الفَراش في بطنه، وقوله: يعقد عقد الكلبة: في عُسر المفارقة، وإن فتحه غيرك جرّ نكبة عليك لسرقة ما فيه، ينام كالأمرد: لانكبابه، والقُمُدُّ: الذكر وهو المفتاح، والجنين: الفَراش، وإذا عاد إليه أشبه حرف الكاف.

وقال في اسم سعيد: [من المنسرح]

يـبـسـمُ عـن أوّل اسـمـه حِـبّـي ثـم بـثـانـي حـروفـه يـسـبـي

(١) قربوس: حنو السرج، وللسرج قربوسان، فالقربوس المقدم فيه العضدان والقربوس الآخر فيه رجلا المؤخرة. «لسان العرب ٦/ ١٧٢».
(٢) رادفة: الردف هو الكفل والعجز، والروادف: الأعجاز، ومنها أردفته خلفي. «لسان العرب ٩/ ١١٥».
(٣) القُمُدّ: الطويل العنق ضخمها، والمفتاح، والذّكر.

ثم بحرفين لو بدا بهما   أسدى يدا، صورةُ اسمها تُنبي
أربعةٌ نصفُها كجملتها   في العدّ لم تنتقصِ ولم تُربي
هذا وفيه اسمُ يومِ اتّفقت   مفاخِرُ العُجْم فيه والعُرْبِ
فأعمل الفكر في تأمّلِهِ   واركب به كلّ مَرْكَبٍ صعبِ

شبّه السين بالثغر، وثانيه العين وهي تسبي القلوب، والحرفان يد وهي أربعة في العدد وستّة في الصورة، وإذا أخذتَ السين والعين فهي أربعة وهي جملة العدد، وفيه عيد وهو يوم التفاخر بالزينة واللبوس.

وقال ابن أبي البَغْل الكاتب(١) في القلم: [من الوافر]

أصمُّ عن المنادي لا يجيبُ   به تخبو وتشتعلُ الخطوبُ
ضئيلُ الجسم «أعْلَمُ» ليس تخفى   عليه غيوبُ ما تُخفي القلوبُ
تراه راجلًا لا روحَ فيه   ويُحييه ويُنطقه الرّكوبُ
يبين لسانُه ما كنّ سودًا   معارفه ويُخرسه المشيبُ
يقَسِّمُ في الورى بؤسي ونُعمي   ويحكمُ والقضاءُ له مجيبُ
عجبت لسطوةٍ فيه وضعْفٍ   وكلُّ أمورِهِ عجبٌ عجيبُ

أراد بقوله: أعلم: مشقوق الشَّفَة.

وقال أبو العلاء المعرّي في المِلْح: [من الطويل]

وبيضاءُ من سرّ المِلاح ملكتُها   فلما قضتْ إرْبي حبوتُ بها صحبي
فباتوا بها مستمتعين ولم تزلْ   تحثّهُم بعد الطعام على الشُّربِ

قوله: سرّ أي خالصة، والمِلَاح جمع مِلْح، والإرب: الحاجة.

وقال آخر في عودي الغناء والبخور: [من الوافر]

وما شيئان اسمهما سَواءٌ   وأصلهما معًا عند انتسابِ
إذا حضراك بتَّ قريرَ عينٍ   بلا طعمٍ يلذُّ ولا شَرابِ
وما أن يوجدان النفعَ إلّا   بضربٍ أو بضربٍ من عذابِ

---

(١) ابن أبي البغل: محمد بن يحيىٰ بن أبي البغل، ويكنى أبا الحسين، ولي الوزارة أيام المقتدر العباسي، وكان بليغًا مترسلًا فصيحًا، شاعرًا مطبوعًا مجددًا، له ديوان رسائل. «الفهرست لابن النديم ص ١٩٧».

معنى اسمهما سواء: ظاهرٌ، وأصلهما خشب، والضَّرب الأول: ضَرب العود، والثاني: من العذاب وهو الإحراق.

وقال آخر في الحرب: [من مخلع البسيط]

مـا ذات شَـوْكٍ لـهـا جـنـاحٌ ... يـخـتـطـفُ الـنـاسَ عـن قـريـبِ
وهـي عـقـيـمٌ تـرى بـنـيـهـا ... مـن بـيـن مُـرْدٍ وبـيـن شِـيـبِ
يـأكـل بـعـضُ الـبـنـيـنِ بـعـضًـا ... طـلـوعَ شـمـسٍ إلـى غـروبِ
تـصـحـيـفُـهـا الـداءُ غـيـر شـكٍّ ... قـد يُـحـسـم الـداءُ بـالـطـبـيـبِ
والـداءُ مـعـكـوسُـهُ مـكـانٌ ... يـصـلـحُ لـلـطـائـر الـنـجـيـبِ
يـعـرفُـهـا مـن يـكـونُ طَـبًّـا ... بـالـشّـعـرِ والـنـحـوِ والـغـريـبِ[1]

هذا لغز معمى في الحرب، وشوكها: السلاح، وجناحاها: جانباها، وعقيم: لأنها لا تلد، وبنوها: رجالها، وأكلُهم: قتلهم، وتصحيفها: الجرب، وعكسه: برج.

وقال آخر في الثدي: [من الوافر]

ومـا أخـوانِ مـشـتـبـهـانِ جِـدًّا ... كـمـا اشـتـبـه الـغُـرابة والـغـرابُ
يَـضـمّـهـمـا عـلى مرِّ الـلـيـالـي ... ومـا اجـتـمـعـا ولا افـترقـا إهـابُ
لـذاك وذا دمـوعٌ هـامـلاتٌ ... ولـكـن كـلَّ دمـعـهِـمـا شَـرابُ
يـصـونـهـمـا عـن الأبـصـارِ دِيـن ... ويُـضـرَب دون نَـيْـلهـمـا حِـجَـابُ

هما: ثديا المرأة، ويضمّهما إهاب: وهو الجلد.

وقال آخر في الفخ: [من الطويل]

ومـا مـيّـتٌ كـفّـتَـهُ ودفـنـتَـهُ ... فقام إلى حيّ صحيحٍ فأوثقَهْ

وقال آخر وهو لغز: [من الكامل]

حلفَ الحبيبُ عليّ لا سمّيتُهُ ... فكنيتُه ولطفتُ خوفَ تغاضبِهْ
ظبيٌ! إذا ما زارني حلّ اسمَهُ ... قلبي وذلك من عجيب عجائبِهْ
ويـكـون إن رخّـمـتَـه وخَـرَمـتَـه ... وقلَبَته ما تشتهي من صاحبِهْ

---

(١) الطبّ: العالم الخبير الحاذق.

ويكون إن صحّفتَ مبدأه الذي أصبحتَ تهواه لعينِ مراقبِهْ
وتراه بعد الجزمِ إن ميّزت في التـ ـصحيف مقلوبًا أشدّ معائِبِهْ
وحروفُها فالنصفُ منها جذرُها وحسابُ ذلك غير متعب حاسِبِهْ
فاطلُبه سادسَ سادسَ ثانيةَ ثا نيةَ وثالثةَ كذاك لطالبِهْ
وتمامُهُ من بعد مثل حروفهِ في البيت صحّ اسمُ الحبيبِ لقالِبِهْ

هو لغز في فرحةٍ، والترخيم: حذف الآخر، والخرم: حذف الأوّل؛ فإذا رخم وخرم وقلب بقي: حِر، وإذا قلبت الفاء قافًا بقي: قَرْحة لعين المراقب، وإذا صحفته مقلوبًا، وجزمت آخره صار: هجر، والنصف من حروفه اثنان، وهما جذر جميع حروفه، وقوله: فاطلبه سادس سادس: يعني البيت السادس.

وقال آخر في سَلْمى: [من المنسرح]

سل ماهرًا بالقريضِ والأدب ما اسمُ فتاةٍ قعيدة النّسبِ
قد صرّحَ الشّعرُ باسمها فمتى فكّرتَ فيها ظفرتَ بالعجبِ

الاسم: سلمى، وهو ظاهر في أول البيت.

وقال آخر في الكُرة: [من الطويل]

ومضروبةٍ تحيا إذا ما ضربتَها وإن تُركتْ من شدّةِ الضربِ ماتتِ

وقال أبو عبد الله بن المغلّس في السِّراج: [من المتقارب]

وداعٍ إلى نفسه في الظلامِ وما سمعتْ أذنُهُ صوتَهُ
إذا هو بيّض وجه الطريـ ـقِ سوّد في وجهه بيتَهُ

وقال آخر في الصَّدَى: [من السّريع]

وساكنٍ يسكنُ في الفلاةِ ليس من الوحش ولا النباتِ
ولا من الجنّ ولا الحيّاتِ ولا الخيامِ الشّعر والأبياتِ
ولا بذي جسمٍ ولا حياةِ كلا! ولا يُدركُ بالصفاتِ
بلى! له صوتٌ من الأصوات يُسمع في الأحيان والأوقاتِ

وقال ابن المغلّس في النخلة: [من المتقارب]

وقائمةٍ أبدًا لا تنامُ وما قعدت قطّ مذ قامتِ
تعيش إذا غسلوا رِجلها وإن حلقوا رأسَها ماتت

وقال آخر:

ما يقول سيدنا الشيخ: في شيء نزل من السماء، وركض في الهواء، وخيّم في البيداء، نطقَ على نفسه فأفصح، وتكلّم فبيّنَ وأوضح، أفقر وأغنى، وأمات وأحيا، له شوارق من غير غضب، ورقصات على غير طرب، يسبق الفرسَ السريع، ويسبقهُ الطفل الرضيعُ، مختلفُ الألوان، يوجد في كلّ زمان، ما أكثرَ لغاتِه! وأعمّ في البشرِ ذكرَ صفاته! وهو خفيفٌ ثقيلٌ، كثير قليل، كبير صغير، طويل قصير، غالٍ رخيص، قويٌّ ضعيفٌ، سريعٌ بطيء، باردٌ حارّ، نافع ضارّ، أبيض أسود أزرق، قريب بعيد، قديم جديد، متحرّك ساكن، ظاهرٌ باطن، يتجسّر ويتكسّر، ويتعوّج ويتدوّر، سلطانُه في الشمال وبه يذلّ، وضعفه في الجنوب وبه يُعزّ، نحيل يخفى جثّة الفيل في طيّه وعطفه، ويتخلّل جفنَ العينِ الرمدة برفقهِ ولطفه، يمشي على الحدق فلا يؤلمها، ويطأُ القلوبَ فلا يَكْلِمها، على أنّه يقطع الطريقَ، ويخيف الفريق، كم أهلك من قوم وما أُراق ولا سفك! يحمل ألفَ قنطار، ويعجز عن حمل دينار، وهو ليليٌّ نهاريٌّ، عربيٌّ عجميٌّ، بريٌّ بحريٌّ، سهليٌّ جبليٌّ، روميٌّ نوبيٌّ، هنديٌّ حبشيٌّ، صينيٌّ جاهليٌّ إسلاميٌّ، كان مع آدم في الجنّة، وصحب نوحًا في السفينة، وتوسّط النار مع إبراهيم، كم له مع موسى من خبر! ولموسى فيه من آية وأثر! حمل المسيح على غير ظهر، وما سار في برّ ولا بحر، أخرجه النبيّ ﷺ من جسده، وفرّقه على صحابته، إذا نطقتَ به كان بعض أحد خلفاء بني العباس السبعة وهو ١٤٣١.

وقال آخر:

ما شيءٌ وجهه قمر، وقلبهُ حجر إنْ علّقتَهُ ضاع، وإن أدخلتهُ السّوقَ أبى أن يباع، وإن فككته دعا لك، وإن ركبت نِصْفَه هالك، وربّما كثّر أموالك، وإن حذفتَ آخره، وشدّدت ثانيَه، أورثك الألم عند الفَجْر، والضجر عند العصر: هو الدُّملج الفضة.

ومما يتصل بهذا الباب مسائل العويص

فمن ذلك: امرأتان التقتا برجلين قالتا لهما: مرحبًا بابنينا وزوجينا وابني زوجينا، وذلك أن كلّ واحدٍ منهما تزوّج بأم الآخر فهما ابناهما وزوجاهما وابنا زوجيهما.

رجلان كلّ واحد منهما عمّ الآخر وابن أخيه، وذلك: أنّ كلّ واحد من أبويهما تزوّج بأم الآخر، فرُزِق كل واحد منهما ولدًا فكل من الوالدين عمّ الآخر وابن أخيه.

رجلان كل واحد منهما خال الآخر وابن أُخته، وذلك: أنّ كلّ واحد من أبويهما تزوّج بابنةِ الآخر، فرزق كلّ واحد منهما ولدًا فكلّ من ولديهما خال الآخر وابن أخته.

رجل وامرأتان هو خال أحديهما، وهي خالته وعمّ الأخرى، وهي عمّته، وذلك: أنّ جدّته أمّ أبيه تزوّجت بأخيه لأمّه وأخته لأبيه تزوّجت بأب أمّه، فولدنا بنتين فبنت أخته خالته وهو خالها، وبنت جدّته عمّته وهو عمّها، وهذا أصل الأبيات المنظومة في ذلك: [من المتقارب]

ولـي خـالـة وأنـا خـالُهـا ولـي عـمّـةٌ وأنـا عـمُّـهـا

رجلان كلّ واحد منهما ابن خال الآخر وابن عمّته، وذلك: أنّ كلّ واحد من أبويهما تزوّجَ بأختِ الآخر، فرُزِقَ كلٌّ منهما ولدًا، فكل من ولديهما ابن خال الآخر وابن عمّته.

رجلان كلٌّ واحدٍ منهما عمُّ والدِ الآخر، وذلك: أنّ كلّ واحد من أبويهما تزوّجَ بأم أب الآخر، فكلٌّ من أولادهما عمُّ أب الآخر.

رجلان كلٌّ واحد منهما عمّ أمّ الآخر، وذلك: أنّ كلّ واحد من أبويهما تزوّج بابنة ابن الآخر، فكلٌّ من أولادها عمّ أمّ الآخر.

رجلان كلٌّ واحد منهما خالُ أمّ الآخر، وذلك: أنّ كلّ واحد من أبويهما تزوَّجَ بابنة بنت الآخر، فكلّ من أولادهما خال أمّ الآخر.

رجلان أحدهما عمُّ الآخر والآخر خالُه، وذلك: أن رجلين تزوّج أحدُهما امرأةً وتزوّج الآخر ابنة ابنها، فولد لكل منهما ولدٌ فابن الأب عمُّ ابن الابن، وابن الابن من أمّ امرأة الأب؛ هو أخوها وخالُ ابنها.

رجلان أحدهما عَمُّ الآخر وخاله، والآخر ابنُ أخيه وابن أخته، وذلك: أن رجلًا له أخٌ لأب وأختٌ لأمّ فزوّج أخاه لأبيه بأخته لأمّه فأولدها ولدًا فهما كذلك.

القسمُ الثالث

من الفنّ الثاني في المدح، والهجو، والمجون، والفُكاهات، والمُلَح، والخمر، والمُعاقرة، والنّدْمَان، والقِيان، ووصف آلات الطّرب

وفيه سبعة أبواب:

الباب الأوّل
من هذا القسم في المدح
وفيه ثلاثة عشر فصلًا

حقيقةُ المدح وما قيل فيه، ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام، ما قيل في الإعطاء قبلَ السؤال، ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام، ما قيل في وفور العقل، ما قيل في الصِّدق، ما قيل في الوفاء والمحافظة، ما قيل في التواضع، ما قيل في القناعة والنّزاهة، ما قيل في الشكر والثناء، ما قيل في الوعد والإنجاز، ما قيل في الشفاعة، ما قيل في الاعتذار والاستعطاف.

فأمّا حقيقةُ المدح، فقد عبّر عنها الحمدونيّ في «غاية الاختصار والإيجاز» بقوله: حقيقة المدح: وصفُ الموصوف بأخلاقٍ يُحمد صاحبُها عليها، ويكون نَعْتًا حميدًا. قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ [المؤمنون: الآيات ١ - ٥]، وقال عزّ وجلّ: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١١٢﴾ [التوبة: الآية ١١٢]. ورُوِيَ عن النبيّ ﷺ أنه قال: «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم» وقد أوّلوا الخبر المرويّ عن رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم المَدَّاحين فاحثوا في وجوههم التراب» قال العُتْبيّ هو المدح الباطل والكذب.

وأمّا مدحُ الرجل بما هو فيه فلا بأسَ به، وممّا يعضِدُ هذا أنّ العبَّاسَ بن عبد المطّلب وكعب بن زهير، وحسّان بن ثابت، وغيرهم؛ مدحوا رسول الله ﷺ فلم يَرِد أنه حثا في وجه أحد منهم ترابًا.

وقيل في حثو التراب مَعْنَيان: أحدهما التغليظ في الردّ عليه، والثاني يقال له: بفيك التراب.

وللشعراء عادة في تجاوز قدر الممدوح فوق ما يستحقُّه حتى إنّ ذلك أفضى بكثير منهم إلى الكفر والخروج عن الحدّ أعاذنا الله من ذلك؛ وقال أنو شروان: من أثنى عليك بما لم تولِهِ فغيرُ بعيدٍ أن يذمَّك بما لم تحبّه. وقال وهب بن منبّه: من مدحك بما ليس فيك، فلا تَأمَن أن يذمّك بما ليس فيك.

وأنشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قول زهير بن أبي سُلْمى في هَرِم بنِ سِنَان[١]: [من الكامل]

دَعْ ذا! وعَدِّ القولَ في هَرِمٍ   خيرِ الكهولِ وسيّدِ الحَضَرِ
لو كنتَ في شيء سوى بشرٍ   كنتَ المنوّر ليلةَ القَدْرِ
ولأنتَ أوصلُ من سمعتُ به   لنوائلِ الأرحامِ والصِّهْرِ
ولنعمَ حشوِ الدّرعِ أنت إذا   دُعِيتْ نَزَالُ ولُجَّ في الذُّعْرِ[٢]

فقال عمر رضي الله عنه: ذلك رسول الله ﷺ.

ولما حضر أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه الوفاةُ؛ قالت عائشة رضي الله عنها وهو يُغْمَضُ: [من الطويل]

وأبيض يُستسقَى الغَمامُ بوجهه   ثِمالُ اليتامى عصمةٌ للأراملِ

فنظر إليها وقال: ذاك رسول الله ﷺ.

---

(١) هرم بن سنان المري، من أجواد العرب في الجاهلية، وهو ممدوح زهير بن أبي سلمى، اشتهر هو وابن عمه الحارث بن عوف بدخولهما في الإصلاح بين عيسى وذبيان، مات هرم قبل الإسلام في أرض لبني أسد يُقال لها «رزاء» وهو متوجه إلى النعمان نحو ١٥ ق.هـ ـ ٦٠٨ م. «الزركلي ٨/ ٨٢».

(٢) دعيت نزال: أي تداعى القوم بالنزول عن الخيل والتضارب بالسّيوف حين اشتداد الحرب وتزاحم الأقران، ولجّ في الذعر: تتابع الناس في الفزع.

وقال آخر: [من الطويل]

ولو كنتِ أرضًا كنتِ مَيْثَاءَ سهلةً ولو كنتِ ليلًا كنتِ صاحبةَ البدرِ(١)
ولو كنتِ ماءً كنتِ ماء غَمامة ولو كنتِ يومًا كنتِ تَعريسة الفجرِ

وقال محمّد بن هانيء(٢): [من الطويل]

أغَيرُ الذي قد خُطّ في اللوح أبتغي مديحًا له إني إذًا لعنودُ
وما يستوي وحيٌ من اللهِ مُنزَلٌ وقافيةٌ في الغابرين شرودُ

وقال عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه لمُتَمّم بن نُوَيرة صف إلي أخاك فإني أراك تمدحه، فقال: كان أخي يحبسُ المزاد بين الصُّوحَيْن(٣) في الليلة القَرَّة معتقلًا للرمح الخَطِل، عليه الشَّمْلَة القلوب، يقود الفرس الحَرون فيصبح ضاحكًا مستبشرًا: الخَطِل: الطويل المضطرب، والقلوب: التي لا تنضمّ على الرَّحل لقصرها.

وسأل عبد الله بن عباس(٤) صَعْصَعةَ بن صُوحان العَبْديّ(٥) عن إخوته فقال: أما زيد فكما قال أخو عبس: [من الطويل]

فتًى لا يبالي أن يكونَ بوجهِهِ إذا نال خلّانَ الكرامِ شحوبُ

---

(١) ميثاء: ماث الشيء ميثًا: مرسه، وماث الملح في الماء: أذابه ـ والميثاء: الأرض اللينة من غير رمل، وقيل الميثاء: هي الأرض السهلة، والجمع مِيَثٌ. «لسان العرب ٢/ ١٩٢».

(٢) محمد بن هانيء الأندلسي: (٣٢٦ ـ ٣٦٢ هـ = ٩٣٨ ـ ٩٧٣ م)، أبو القاسم أو أبو الحسن، ولد بقرية سكون من قرى إشبيلية، ونشأ وتأدب فيها، وهو أشعر المغاربة على الإطلاق، وهو عندهم كالمتنبي عند أهل المشرق، رحل إلى إفريقية والجزائر، ثم اتصل بالمعز العبيدي وأضحى شاعر الدولة الفاطمية، قتل غيلة في برقة سنة ٣٦٢ هـ ـ ٩٧٣ م. «وفيات الأعيان ٤/ ٤٢١، والأعلام للزركلي ٧/ ١٣٠».

(٣) الصوحان: جانبا الوادي والصوح: وجه الجبل وألقوه بين الصوحين: أي بين الجبلين.

(٤) عبد الله بن عباس: (١٠٣ ـ ١٤٧ هـ = ٧٢١ ـ ٧٦٤ م) أحد دهاة الأرض، كان من الشجعان الأبطال، هزم مروان بن محمد وأسرف في قتل بني أمية، ولما ولي المنصور خرج عليه عبد الله وبايعه أهل الشام بالخلافة إلا أن المنصور انتصر عليه ففر إلى البصرة، إلا أن المنصور قبض عليه وسجنه في بيت أساسه ملح، وأرسل عليه الماء فوقع عليه ومات. «فوات الوفيات ٢/ ١٩٢».

(٥) صعصعة بن صوحان العبدي: من سادات عبد القيس، من أهل الكوفة، مولده في دارين قرب القطيف، كان خطيبًا بليغًا عاقلًا، له شعر، شهد صفين مع الإمام علي عليه السلام، توفي بالكوفة سنة ٥٦ هـ ـ ٦٧٦ م. «الزركلي ٣/ ٢٠٥».

ثم قال: كان والله يا ابن عباس، عظيمُ المروءةِ، شريفُ الأبوّةِ، جليلُ القدرِ، بعيد الشرّ، كميش العُروة، زينُ النَّدْوة، سليمُ جوانحِ الصدر، قليلُ وساوسِ الفكرِ، ذاكرًا لله تعالى في طَرَفي النَّهار وزلفًا من الليل، الجوع والشِّبَع عنده سِيّان، لا منافسَ في الدنيا، ولا غافلَ عن الآخرة، يطيلُ السكوت، ويديمُ الفكر، ويكثرُ الاعتبار، ويقولُ الحق، ويلهجُ الصدق، ليس في قلبه غير ربه، ولا يهمهُ غيرُ نفسه، فقال ابن عبّاس: ما ظنّك برجل سبقه عضوٌ منه إلى الجنّة؟ رحم الله زيدًا! فأين كان عبد الله منه؟ فقال: كان عبد الله سيّدًا شجاعًا، شيخًا مُطاعًا، خيرُه وِسَاعٌ، وشرُّهُ دِفَاع. ليّنُ النحيزة[1]، أحوذيّ[2] الغريزة، لا يُنهنهه مُنهنه عمّا أراد، ولا يركب إلّا ما اعتاد، سِمَام العدى، فيّاض النّدى، صعب المَقادة، جزل الرِّفادة. أخو إخوان، وفتى فتيان، ثم أنشد شعر حسّان بن ثابت: [من الطويل]

إذا قال لم يتركْ مقالًا لقائلٍ ... بمُلتقطاتٍ لا يرى بينها فصلا[3]
قضى فشفى ما في النّفوس فلم يدعْ ... لذي إربة في القوم جدًّا ولا هزلا

ودخل ضِرَار بن ضَمْرة الكِنانيّ على معاوية بن أبي سُفيان فقال له: صفْ لي عليًّا فقال له: أو تعفيني؟ فقال: لا أعفيك؟ قال: أما إذ لا بدَّ، فإنّه كان بعيدَ المدى، شديدَ القُوى، يقول فصلًا، ويحكم عدلًا، يتفجّرُ العلمُ من جوانبه، وتنطقُ الحكمةُ نواحيه، يستوحشُ من الدنيا وزَهْرتها، ويأنسُ بالليل وظُلمته، كان والله غزيرَ العَبْرة، طويلَ الفِكرة، يقلّب كفّيه، ويخاطبُ نفسَه، يعجبه من اللّباس ما قَصُر، ومن الطعام ما خَشُن، كان والله كأحدنا يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، وكان مع تقرّبه إلينا وقُربه منا لا نكلّمه هيبةً له، فإن تبسّم فعنْ مثلِ لؤلؤٍ منظوم، يُعظِّم أهلَ الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القويُّ في باطله، ولا ييأس الضعيفُ من عدله.

وذكر عمرو بن مَعْدِيكرِب بني سُلَيْم فقال: بارك الله على حيّ بني سُليم ما أصدقَ في الهيجاءِ لقاءَها! وأثبت في النوازل بلاءَها! وأجزل في النائبات عطاءَها! والله لقد قابلتهم فما أجبتهم، وهاجيْتهم فما أفحمتهم، وسألتهم فما أجبنتهم.

(١) النحيزة: الطبيعة، هو كريم النحيزة وليّنها.
(٢) الأحوذ: الذي يسوق الأمور سوقًا حسنًا لعلمه به، والسّريع في كل ما يقوم به.
(٣) الملتقطات: المتخيّرات، وقوله لا يرى بينها فصلًا: أراد أنه لا يلجأ أثناء كلامه إلى حشو الألفاظ كقوله للمصغي إليه: أفهمت، أو غير ذلك. «انظر ديوان حسان ص ٢١٢».

وقال بعضُ العرب: فلان حتفُ الأقرانِ غداةَ النزالِ، وربيع الضِّيفَان عَشيّة النزول.

وقال آخر: فلان لَيثٌ إذا غدا، وبدر إذا بدا، ونجم إذا هدى. وسُمّ إذا أردى.

ودخل النابغة على النُّعمان بن المُنذِر بن امرىء القيس بنُ عمرو بن عديّ اللّخميّ فحيّاه بتحيّة الملوك ثم قال: أيفاخرُك ذو فائش وأنتَ سائس العَرب، وعُرْوةُ الحسب والأدب، لأمْسُك أيمنُ من يومه! ولعبْدُك أكرمُ من قومه، ولقفاكَ أحسنُ من وجهه، وليسارُكَ أجودُ من يمينه، ولظنُّكَ أصدقُ من يقينه ولوعدُك أثلجُ من رفده، ولخالُكَ أشرفُ من جدّه، ولنفسُكَ أمنعُ من جُنده، وليومُكَ أزهرُ من دهره، ولفترُك أبسط من شبره، ثم قال: [من البسيط]

أخلاقُ مجدك جَلَّتْ ما لها خطرُ ... في البأس والجود بين الحِلم والخَفَرِ
مُتوّجٌ بالمعالي فوق مَفْرِقة ... وفي الوغى ضيغمٌ في صورة القمرِ
إذا دجا الخطبُ جلاهُ بصارمِه ... كما يُجلّى زمانُ المحلّ بالمطرِ

فتهلّل وجهُ النعمان سرورًا، ثم أمر أن يُحشى فوه درًّا وكُسِيَ أثوابَ الرضى وكانت جِبابًا أطواقها الذهب بقصب الزّمُرد. ثم قال النّعمانُ: هكذا فليمدح الملوك. وذو فائش: هو سَلامة بن يزيد بن سَلامة بن ولد يَحْصُب بن مالك وكان النابغة مُتّصلًا به قبلَ اتصاله بالنّعمان، وله فيه مدائحُ كثيرةٌ فاقتص الله تعالى من النّعمان بن المنذر بعد ذلك لما حُكيَ أنه دخل حسانُ بن ثابت على الجفنيّ فقال: أنعم صباحًا أيها الملك! السماء غِطَاؤك، والأرض وِطَاؤك، ووالدي ووالدتي فِداؤك، أنّى ينافسك ابن المنذر؟ فوالله لَقذالك[1] أحسن من وجهه، ولأمّك خيرٌ من أبيه، ولظلُّك خيرٌ من شخصه، ولصَمْتُكَ أبلغُ من كلامه، ولشِمالُك خيرٌ من يمينه، ثم قال: [من المتقارب]

قَذالُكَ أحسنُ من وجهِهِ ... وأمُّكَ خيرٌ من المنذرِ
ويُسرى يديك إذا أعسرتْ ... كيُمنى يديه فلا تمتري

أخذ المعنى الحسنُ بن هانىء فقال: [من الخفيف]

بأبي أنت من غزالٍ غريرِ ... بذّ حسنَ الوجوه حسنُ قفاكا

---

(١) القذال: جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس فوق فأس القفا والجمع أقذِلة. «لسان العرب ٥٥٣/١١».

ونظر بعض الشعراء إلى هذا المعنى فقال يمدح زُبيدة(١) ابنة جعفر بن أبي جعفر المنصور أُم الأمين: [من مجزوء الكامل المرفّل]

أزبيدةَ ابنة جعفرٍ طوبَى لزائرك المُثابِ
تعطين من رجليك ما تعطي الأكفُّ من الرِّغابِ

فلما أنشد ذلك تبادر العبيدُ ليوقعوا به فقالت زبيدةُ: كفّوا عنه فلم يردْ إلّا خيرًا، ومن أراد خيرًا فأخطأ خيرٌ ممّن أراد شرًّا فأصاب، إنّه سمع الناسَ يقولون: قفاك أحسن من وجه غيرك، وشمالك أندى من يمين سواك، فقدّر أن هذا مثلُ ذاك، أعطوه ما أمل، وعرّفوه ما جهل؛ ومثله: مدح شاعرٌ أميرًا فقال: [من الرّجز]

أنت الهمامُ ابن الهما مِ الواسعُ ابنُ الواسعهْ

فقال له: من أين عرفتها؟ قال: قد جرّبتها فقال: أسوأُ من شعركَ، ما أتيْتَ به من عُذرِكَ!

قال دخل خالدُ بن عبد الله العنبريّ على عمر بن عبد العزيز لمّا وَليَ الخلافةَ فقال: يا أمير المؤمنين من تكن الخلافة قد زانَتْه فأنت قد زيّنتها، ومن يكن شرّفْته فقد شرّفتَها، وأنت كما قال الشاعر: [من الخفيف]

وإذا الدّرُ زانَ حسنَ وجوهٍ كان للدّر حسنُ وجهك زَيْنا

فقال عمر بن عبد العزيز: أُعْطِيَ صاحبكم مَقُولًا، ولم يُعْط معقولًا. ولمّا دخل عبد الله المأمون بغدادَ تلقّاه وجوه أهلها فقال له رجل منهم: يا أميرَ المؤمنين! بارك الله لنا في مَقْدمك، وزادك في نعمتك، وشكركَ على رِعْيَتك، تقدَّمتَ مَنْ قبلك، وأتعبت مَنْ بعدك، وأيأسْتَ أن نُعاينَ مثلَك، أمّا فيمن مضى فلا نعرفُه، وأمّا فيمن بقي فلا نرجوه، فنحن جميعًا ندعو لك، ونُثني عليك. خَصِبَ لنا جنابُك، وعَذُب شرابُك، وحَسُنتْ نُصرتُك، وكَرُمتْ مقدرتُك. جبرتَ الفقيرَ، وفككتَ الأسير، فأنت

(١) زبيدة: بنت جعفر بن المنصور الهاشمية العباسية، أم جعفر زوجة هارون الرشيد، وبنت عمه، من فضليات النساء وشهيراتهن، وهي أم الأمين العباسي، اسمها «أمة العزيز» وإليها تنسب عين زبيدة في مكة، تزوج بها الرشيد سنة ١٦٥ هـ ـ توفيت سنة ٢١٦ هـ ـ ٨٣١ م. «الزركلي ٣/ ٤٢».

يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر: [من المنسرح]

ما زلت في البذل للنوالِ وإطـ لاقِ لعانٍ بجرمه عَلِقِ[١]
حتّى تمنّى البراءُ أنّهمُ عندك أمسوا في القِدّ والحَلَقِ

وقال رجل للحسن بن سَهْل[٢]: لقد صرتُ لا أستكثُر كثيرَك، وإن قليلَكَ أكثرُ من كثير غيرك. وقال الرشيد لبعضِ الشعراء: هل أحدثتَ فينا شيئًا؟ قال: يا أميرَ المؤمنين! المديحُ كلّه دون قدرِكَ، والشِّعرُ فيك فوق قدري. ولكني أستحسن قول العَتَّابي[٣]: [من البسيط]

ماذا عسى مادحٌ يُثني عليك وقد ناداك في الوحي تَقدِيسٌ وتطهيرُ
فتَّ المـمادحُ إلا أن ألسـنَنا مستنطقاتٌ بما تخفى الضمائرُ!

وقال رجل في خالد بن صفوان: قريعُ المنطق، جزل الألفاظ، عربيُّ اللسان، قليل الحركات، حَسَنُ الإشاراتِ، حلوُ الشمائل، كثيرُ الطلاوة، صموتًا قؤولًا، يَهنأُ الجرب، ويداوي الدبِر، ويفك المحز[٤]، ويطبق المِفْصَل، لم يكن بالزّمر في مروءته، ولا بالهذِر في منطقه، متبوعًا غير تابع، كأنّه عَلَمٌ في رأسه نار.

وقيل لبعض الخلفاء: إن شَبِيبَ بن شَيبة[٥] يستعمل الكلام ليستعدّ به؛ فلو أمرتَ به أن يصعد المنبر فُجاءَة لافتضح، قال: فأمر من أخذ بيده فصعد المنبرَ فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ ﷺ ثم قال: إن لأميرِ المؤمنين أشباهًا أربعة؛ فمنها: الأسد الخادر[٦]، والبحر الزاخر، والقمر الباهر، والربيع الناضر؛ فأما

---

(١) العاني: الأسير.

(٢) الحسن بن سهل: (١٦٦ ـ ٢٣٦ = ٧٨٢ ـ ٨٥١ م) أبو محمد، وزير المأمون العباسي، وأحد كبار القادة والولاة في عصره، اشتهر بالذكاء المفرط، والأدب والفصاحة والكرم، وهو والد بوران زوجة المأمون، وكان المأمون يجله وللشعراء فيه أماديح، أصيب بمرض السويداء سنة ٢٠٣ هـ فتغير عقله حتى شد في الحديد، ثم شفى منه قبل زواج المأمون بابنته سنة ٢١٠ هـ، وتوفي في سرخس من بلاد خراسان سنة ٢٣٦ هـ ـ ٨٥١ م. «الزركلي ٢/ ١٩٢».

(٣) العتّابي: هو كلثوم بن عمر من بني تغلب من ولد عمر ومن كلثوم التغلبي كان شاعرًا محسنًا وكاتبًا في الرّسائل مجيدًا، ولم يجتمع هذان لغيره. «انظر الشعر والشعراء ص ٥٨٦».

(٤) المحز: النكاح، ومحز المرأة محزًا: نكحها. «لسان العرب ٥/ ٤٠٨».

(٥) هو حبيب بن شيبة المنقري، أبو معمر، أديب الملوك وجليس الفقراء من أهل البصرة كان شريفًا من الدّهاة مات نحو سنة ١٧٠ هـ. «الأعلام ٣/ ١٥٦».

(٦) الخادر: الخدر: ستر يمد للجارية في ناحية البيت، والجمع حذور وأحذار، وأسد خادر: مقيم في عرينة. «لسان العرب ٤/ ٢٣١ و٢٣٢».

الأسد الخادر، فأشبَه منه صولته ومضاءَه. وأما البحر الزاخر، فأشبه منه جُوده وعطاءَه. وأمّا القمر الباهر، فأشبه منه نوره وضياءَه. وأما الربيع الناضر، فأشبه منه حسنه وبهاءَه، ثم نزل.

وقيل دخل رجل على المنصور فقال له تكلّم بحاجتك؛ فقال: يبقيك الله تعالى يا أميرَ المؤمنين! قال: تكلّم بحاجتك؛ فإنّك لا تقدرُ على مثل هذا المُقام في كلّ حين. قال: والله يا أمير المؤمنين! ما أستقصرُ أجلَك، ولا أخافُ بخلَك، ولا أغتنمُ مالك، وإن عطاءَك لشرفٌ، وإنّ سؤالك لزينٌ، وما بامرىءٍ بَذلَ إليك وجهَه نقصٌ ولا شَيْن، فأحسن جائزته وأكرمه.

وقال محمد بن مالك القُرطبيّ من رسالة: ما رأيتُ وجهًا أسجح، ولا حِلمًا أرجح، ولا سجيّة أسجح، ولا بِشرًا أبدى، ولا كفًّا أندَى، ولا غُرّةً أجمل، ولا فضيلةً أكمل، ولا خُلُقًا أصفى، ولا وعدًا أوفى، ولا ثوبًا أطهر، ولا سَمْتًا[١] أوفر، ولا أصلًا أطيب، ولا رأيًا أصوب، ولا لفظًا أعذب، ولا عِرْضًا أنقى، ولا بناء أبقَى، ممّا خصّ الله به ثالث القمرين، وسِراج الخافقين، وعِماد الثَّقلين المُعْتَصِم بالله.

وقال بعض الكتّاب: إنّ من النعمة على المُثني عليك أن لا يخافَ الإفراطَ، ولا يأمنَ التقصيرَ، ولا يحذرَ أن يلحقَه نقيصةُ الكذبِ، ولا ينتهي به المدحُ إلى غاية، إلا وجدَ في فضلك عونًا على تجاوزها. ومن سعادةِ جَدِّك أنّ الداعِيَ لك لا يعدم كثرةَ المشايعين له، والمؤمِّنين معه.

وقال آخر: إني فيما أتعاطَى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر الذي لا يُخفى على كلّ ناظر، وأيقنتُ أني حيثُ انتهى بي القولُ إلى العجز مقصرٌ عن الغاية فانصرفتُ عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووكلت الإخبارَ عنك إلى علم الناس بك.

وقال أبو عبد الله محمد بن الخياط من رقعة طويلة في المظفّر في أوّلها: حجب الله عن الحاجب المظفّر أعينَ النائبات، وقبض دونَه أيدي الحادثات؛ فإنه مذ كان أنوَر من الشمس ضياءً، وأكملَ من البدر بهاءً، وأندى من الغيث كفًّا، وأحمى من الليث أنفًا، وأسخى من البحر بنانًا، وأمضى من النصل لساناً، وأنجبه المنصورُ

---

(١) السمت: الهيئة والوقار.

فجرى على سَنَنِه[١]، وأدّبه فأخذ بسُننه، وكانت الرياسةُ عليه موقوفةً، والسياسةُ إليه مصروفةً، قصرت الأوهامُ عن كُنهِ فضله، وعجزت الأقلام عن وصف مثله، غير أن الفضائلَ لا بدَّ من نشرها، والمكارمَ لا عذر في ترك شكرها.

فهذه نبذة كافية مما ورد في المنثور فلنذكر ما ورد من المنظوم في ذلك.

قال أبو هلال العسكريّ[٢]: سمعتُ أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد يقول: أَمْدَحُ بيتٍ قالته العربُ قول النابغة الذبيانيّ يمدح النّعمان بن المنذر: [من الطويل]

ألـم تـرَ أن الله أعـطـاكَ سُـورةً؟ تـرى كـلَّ مـلْكٍ دونـهـا يـتـذبـذبُ
بـأنّـك شـمـسٌ والـمـلوكُ كـواكـبٌ إذا طلعت لـم يبدُ منهنّ كوكبُ

وهو مأخوذ من قول بعض شعراءِ كندةَ مدح عمرو بن هند: [من الطويل]

تكاد تـميدُ الأرضُ بـالنّاس إن رأوا لـعمرو بن هند غضبةً وهو عاتبُ
هو الشمس وافت يوم سعدٍ فأفضلتْ عـلى كـلّ ضـوء والـملوكُ كـواكـبُ

وقال نُصَيب[٣]: [من الطويل]

هو البدر والنّاس الكواكبُ حوله وهل يشبه البدرَ المضيءَ كواكبُ

وقالوا: أبدع بيت قيل في المديح قول النابغة: [من الطويل]

فإنّك كـالـليـلِ الـذي هـو مـدركِـي وإن خِلْتُ أن المنتأى عنك واسعُ

وقوله: «أخلاقُ مجدك» ـ الأبيات وقد تقدمت ـ وقد تداول الناس قول النابغة:

* فـإنـك كـالـلـيـل الـذي هـو مُـدركـي *

(١) السّنن: الطريقة.

(٢) أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري نسبة إلى «عسكر مُكرَم» من كور الأهواز، أبو هلال، عالم بالأدب، له شعر، من كتبه التلخيص في اللغة، وكتاب الصناعتين، والمحاسن في تفسير القرآن، توفي بعد سنة ٣٩٥ هـ ـ بعد ١٠٠٥ م. «الأعلام للزركلي ٢/ ١٩٦».

(٣) نصيب بن رباح، أبو محجن، مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر فحل، مقدم في النسيب والمدائح، كان عبدًا أسود، من سكان البادية، توفي سنة ١٠٨ هـ ـ ٧٢٦ م، وهناك نصيب غيره هو نصيب الأصغر وكان هذا الآخر شاعرًا مجيدًا كنيته أبو الجحفاء، وله في المهدي والهادي العباسيين وغيرهما مدائح، توفي سنة ١٧٥ هـ ـ ٧٩١ م. «الزركلي ٨/ ٣٢».

فقال الفرزدق: [من الطويل]

فلو حملتْني الريحُ ثم طلبتني لكنتُ كشيءٍ أدركتهُ مقادرُهْ

وقول النابغة أبلغ، لأن الليل أعمّ منَ الريح، والريحُ يُمتنع منها بأشياء، والليل لا يمتنع منه بشيء. وأخذ سلم الخاسر[1] قول الفرزدق فقال: [من البسيط]

فأنت كالدهرِ مبثوثًا حبائلُهُ والدهرُ لا ملجأٌ منه ولا هربُ

ولو ملكتُ عِنانَ الريح أصرفه في كلّ ناحيةٍ ما فاتك الطلبُ

وقالوا: أجودُ شيء قيل في الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدّمين والمحدَّثين قول أبي العتاهية يمدح الرشيد بن المهديّ وولده: [من الطويل]

بنو المصطفى! هارون حول سريره فخير قيامٍ حوله وقعودِ

تُقلِّب ألحاظَ المهابةِ بينهم عيونُ ظباءٍ في قلوبِ أسودِ

وقالوا: أمدح بيت قالته العرب قول أبي الطَّمَحان القَيني[2]: [من الطويل]

أضاءت لهم أحسابُهم ووجوهُهم دجَى الليلِ حتى نظَّم الجَزْعَ ثاقبُهْ[3]

نجومُ سماءٍ كلّما انقضّ كوكبٌ بدا كوكبٌ يأوي إليه كواكبُهْ

وما زال منهم حيث كان مسوّدٌ تسير المنايا حيث سارت كتائبُهْ

وهذه الأبيات من قصيدة مدح بها بُحَيرُ بنُ أَوس بنُ حارثةٍ، ابنَ لأُم الطائي، وكان أسيرًا في يده، فلما مدحه بها أطلقه بعد أن جزَّ ناصيتَه؛ وأوّل القصيدة: [من الطويل]

إذا قيل: أيُّ الناسِ خيرٌ قبيلةً؟ وأصبرُ يومًا لا توارى كواكبُهْ

فإنّ بني لأمٍ بن عمرو أرومةً علتْ فوق صعبٍ لا تُنال مراتبُهْ![4]

---

(١) سلم الخاسر: سليم بن عمرو بن حماد، شاعر خليع، من أهل البصرة، من الموالي، سكن بغداد، له مدائح في المهدي والرشيد العباسيين، وأخبار مع بشار بن برد وأبي العتاهية، وشعره رقيق رصين، قيل سمي الخاسر لأنه باع مصحفًا واشترى به طنبورًا، توفي سنة ١٨٦ هـ ـ ٨٠٢ م. «الزركلي ٣/ ١١١».

(٢) أبو الطّمَحان القيني: هو حنظلة بن الشرقي، كان فاسقًا خليعًا، قيل له: ما أذى ذنوبك، قال: ليلة الدّير، نزلتُ بديرانية فأكلت عندها طفشيلًا بلحم خنزير وشربتُ من خمرها وزنيت بها وسرقت كساءها ومضيت. «الشعر والشعراء ص ٢٤٦».

(٣) نظّم الجزع: سلكه في عقد، والجزع: ضرب من الخرز، وقيل: هو الخرز اليماني. «اللسان مادة جزع».

(٤) الأرومة: الأصل والمحتد.

أضاءت لهم أحسابهم الأبيات.

ومثله قول ابن أبي السِّمْط: [من الطويل]

فتًى لا يبالي المدلجون بنوره إلى بابه أن لا تضيءَ الكواكبُ
له حاجبٌ من كلّ أمرٍ يَشينَهُ وليس له عن طالبِ العُرفِ حاجبُ

ومثله قول الحُطيئة[1]: [من البسيط]

نمشي على ضوءِ أحسابٍ أضأنَ لنا كما أضاءت نجومُ الليل للساري

ومثله قول الآخر: [من الطويل]

وجوهٌ، لو أنّ المدلجين اعتشوا بها صدعن الدجى حتى يُرى الليلُ ينجلي

وقال عيسى بن أوس[2] يمدح الجُنَيد بن عبد الرحمٰن[3]: [من الطويل]

إلى مستنيرِ الوجهِ طال بسؤددٍ تقاصَرَ عنه الشاهقُ المتطاوِلُ
مدحتُك بالحقّ الذي أنت أهلُهُ ومن مِدَحِ الأقوامِ حَقٌّ وباطلُ
يعيشُ الندى ما دمت حيًا فإن تمت فليس لحيٍّ بعد موتك طائلُ
وما لامرىءٍ عندي مَخِيلةُ نعمةٍ سواك وقد جادت عليّ مَخائلُ[4]

وقالوا: أمدحُ بيت قالته العرب قول الأعشى: [من الطويل]

فتًى، لو يُنادي الشمسَ ألقت قناعَها أو القمرَ الساري لألقى المقالدَا

وهذا من الغلو وهو مذموم عند بعضهم.

---

(١) الحطيئة: جرول بن أوس بن مالك العبسي، أبو مليكة، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، كان هجاءً عنيفًا، لم يكد يسلم من لسانه أحد، وهجا أمه وأباه ونفسه، توفي نحو ٤٥ هـ ـ نحو ٦٦٥م. «الزركلي ٢/١١٨».

(٢) عيسى بن أوس أبو الجويرية العبدي: ابن عصبة، من بني عبد الله بن مالك، من نزار، شاعر محسن، أقام مدة في خراسان، واستقر في العراق، وتوفي نحو ١٢٠ هـ ـ ٧٣٨ م. «الأعلام للزركلي ٥/١٠١».

(٣) الجنيد بن عبد الرحمٰن: المري الدمشقي، أمير خراسان وأحد الشجعان الأجواد الممدوحين، ولاه هشام بن عبد الملك سنة ١١١ هـ فثبت في الولاية إلى أن مات في خراسان سنة ١١٥ هـ ـ ٧٣٣ م. «الزركلي ٢/ ١٤٠».

(٤) المخائل: السّحب، شبّه عطاءه بالسّحاب. مخائل: المخيلة: السحابة ـ وتخيلت السماء أي تغيمت. «اللسان ١١/ ٢٢٦ و٢٢٧».

ومثله في الغلوّ قول طُرَيْح بن إسماعيل[١]: [من المنسرح]

لو قلتَ للسيل: دعْ طريقَكَ والـ ـموجُ عليه كالهَضْبِ يعتلجُ

لارتدَّ أو ساخَ أو لكانَ له في جانب الأرض عنك منعرَجُ

ومن الغلوّ قول أبي تمّام في المعتصم بالله: [من الطويل]

بيُمنِ أبي إسحٰقَ طالت يدُ العلى وقامت قناةُ الدينِ واشتدّ كاهلُهْ

هو البحرُ من أيّ النواحِي أتيتَه فلُجَّتُه المعروفُ والجودُ ساحلُهْ

تعوَّدَ بسطَ الكفّ حتى لو أنّه أراد انقباضًا لم تُطعْه أناملُهْ

ولو لم يكن في كفّه غيرُ نفسه لجاد بها فليتّقِ الله سائلُهْ

وقال العسكريّ[٢]: [من الطويل]

وكيف يَبيت الجارُ منك على صدًى؟ وكفُّك بحرٌ لُجّةُ الجودِ ساحلُهْ

وقال أبو هلال العسكريّ يرفعه إلى الأصمعيّ قال: سمعت أعرابيًّا يقول: إنكم معاشرُ أهلِ الحضر، لتخطئون المعنى، إنّ أحدَكم ليصفُ الرجلَ بالشجاعة فيقول: كأنه الأسد، ويصف المرأة بالحسن فيقول: كأنها الشمس، ولم لا تجعلون هذه الأشياء بهم أشبه؟ ثم قال: والله لأُنشِدنَّك شعرًا يكون لك إمامًا. ثم أنشدني: [من البسيط]

إذا سألتَ الورى عن كلّ مَكرُمةٍ لم تُلفِ نِسبتَها إلا إلى الهَوْلِ

فتى جوادًا أعار النِّيلَ نائلَه فالنِّيلُ يشكر منه كثرةَ النَّيْلِ

والموت يَرهَبُ أن يلقَى منيَّته في شدّةٍ عند لفّ الخيْلِ بالخيلِ

لو عارض الشمس ألفَى الشمسَ مظلمةً أو زاحم الصُّمَّ ألجاها إلى المَيْلِ

أو بارز الليلَ غطّته قوادمُه دون الخوافي كمثلِ الليل في الليلِ

أمضى من النجم إن نابته نائبةٌ وعند أعدائِه أجرى من السيلِ

---

(١) طريح بن إسماعيل الثقفي: أبو الصلت، شاعر الوليد بن يزيد الأموي، وخليله، انقطع إليه قبل أن يلي الخلافة، واستمر اتصاله به وأكثر شعره في مدحه، عاش إلى أيام الهادي العباسي، توفي سنة ١٦٥ هـ ـ ٧٨١ م. «الزركلي ٣/ ٢٢٦».

(٢) العسكري: هو أبو هلال العسكري. «تقدّم ذكره».

ومثله قول الآخر: [من الرّمل]

عـلّم الـغـيـثَ الـنـدى حـتـى إذا ... مـا حـكـاه عـلّم الـبـأسَ الأسَـدْ
فـلـه الـغـيـثُ مُـقِـرٌّ بـالـنـدى ... ولـه الـلـيـثُ مـقِـرٌّ بـالـجـلَدْ

وقال أميّة بن أبي الصلت في عبد الله بن جُدْعان(١): [من الوافر]

أأذكـرُ حـاجـتـي أم قـد كـفـانـي ... حـيـاؤك؟ إن شـمـيـتَـكَ الـحـيـاءُ
كـريـمٌ لا يـغـيّـرهُ صـبـاحٌ ... عـن الـخُـلُق الـكـريـم ولا مـسَـاءُ
فـأرضُـكَ أرضُ مـكـرمـةٍ بـنـتـهـا ... بـنـو تَـيْـمٍ وأنـتَ لـهـا سـمـاءُ

ونحوه قوله: [من الوافر]

لـكـلِّ قـبـيـلةٍ شـرفٌ وعـزٌّ ... وأنـت الـرأسُ تـقـدمُ كـلَّ هـادِ

وقال ابن الروميّ: [من البسيط]

قومٌ يحلّون من مجدٍ ومن شرفٍ ... ومن غَناءٍ محلَّ البَيْضِ واليلَبِ
حلّوا محلّهما من كلّ جُمجمة ... نفعًا ودفعًا وإطلالًا على الرتبِ
قومٌ هم الرأسُ إذ حسّادُهم ذنَبٌ ... ومن يمثّلُ بين الرأسِ والذنبِ

وقال أبو هلال العسكريّ: [من البسيط]

فابشرْ فإنّك رأسٌ والعلى جَسَدٌ ... والمجدُ وجهٌ وأنت السمعُ والبصرُ
لـولاك لـم تـكُ لـلأيّـامِ مَـنـقَـبَـةٌ ... تسمو إليها ولا للدهر مفتخَرُ

وقال عليّ بن جَبَلَة(٢): [من البسيط]

لـولا أبـو دُلَفٍ لـم تَـحْـيَ عـارفَـةٌ ... ولـم يَـنُـؤْ نَـوْءُ مـأمـولٍ بـآمـالِ
يا بنَ الأكارمِ من عدنانَ، قد علموا ... وتـالدَ الـمجد بين العـمّ والـخالِ
وناقلَ الناس من عُدْمٍ إلى جدَةٍ ... وصارفَ الدهر من حالٍ إلى حالِ

---

(١) عبد الله بن جدعان: التميمي القرشي، أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية، أدرك النبي ﷺ قبل النبوة، وكانت له جفنة يأكلُ منها الطعامَ الراكبُ والقائم، فوقع فيها صبي فغرق، له أخبار كثيرة. «الزركلي ٤/ ٧٦».

(٢) هو علي بن جبلة بن مسلم الأبناوي المعروف بالعكوك، أبو الحسن، شاعرٌ عراقي مجيد كان أعمى أسود أبرص، توفي سنة ٢١٣ هـ. «الأعلام ٤/ ٢٦٨».

أنت الذي تُنزِل الأيّامَ منزلَها وتُمسِكُ الأرضَ عن خسفٍ وزلزالِ
وما مددتَ مدَى طرفٍ إلى أحدٍ إلا قضَيتَ بآمالٍ وآجال
تَزْوَرُّ سخطًا فتمسي البِيضُ راضيةً وتَستهِلُّ فتبكي أوجهُ المال

وقالوا: أمدح بيت قالته العرب قول زهير: [من الطويل]

تراه إذا ما جئتَهُ متهلِّلًا كأنك تعطيه الذي أنت سائلُهْ

وعاب بعضهم هذا البيت وقال: جعل الممدوح يفرح بغرض يناله، وليس هذا صفة كبير الهمة، والجيّد قول أبي نوفلٍ عمرو بن محمد الثقفيّ(1): [من الكامل]

ولئن فرحتَ بما يُنيلُك إنّه لبما ينيلك من نداه أفرحُ
ما زال يعطي ناطقًا أو ساكتًا حتى ظننتَ أبا عَقِيلٍ يمزحُ

ومثله قول أبي تمّام: [من الطويل]

أَسائِلَ نَصرٍ لا تَسلْهُ فإنّه أحنُّ إلى الإرفاد منك إلى الرِّفد

وقالوا: أمدحُ بيت قالته العرب قول الحُطَيئة: [من الطويل]

متى تأتِهِ تعشو إلى ضوءِ نارِه تجدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقد

وقال القاسم بن حنبل: [من الوافر]

من البِيضِ الوجوهِ بني سنانٍ لو أنك تستضيءُ بهم أضاؤوا
لهم شمسُ النهارِ إذا استقلَّتْ ونورٌ لا يغيّبُهُ العماءُ
هم حلُّوا من الشرفِ المعلَّى ومن حسبِ العشيرةِ حيثُ شاؤوا
فلو أنّ السماءَ دنتْ لمجدٍ ومكرمةٍ دنتْ لهمُ السماءُ

وقالوا أيضًا: أمدح بيتٍ قيل قول الأوّل أيضًا: [من البسيط]

قومٌ، سِنانٌ أبوهم حين تنسِبُهُم طابوا وطابَ من الأولادِ ما ولدوا

---

(١) عمرو بن محمد الثقفي: أبو نوفل. عمرو بن محمد بن سليمان مولى ثقيف، يقال له عمرو بن بانة نسبة إلى أمه «بانة» نديم من الشعراء العلماء بالغناء، كان خصيصاً بالمتوكل العباسي، منزله ببغداد ووفاته بسامراء، له كتاب في «الأغاني»، توفي سنة ٢٧٨ هـ - ٨٩١ م. «الزركلي ٥/ ٨٥».

لو كان يَقْعُدُ فوقَ الشمسِ من كرمٍ قومٌ بعزِّهمُ أو مجدِهمْ قَعدُوا
مُحسّدون على ما كان من نِعمٍ لا ينزعُ اللهُ عنهم ما له حُسِدوا

وقالوا: أمدحُ بيتٍ قاله محدّث، قول مروان بن أبي حفصة[١] في معن بن زائدة[٢]: [من الطويل]

بنو مطرٍ يومَ اللّقاءِ كأنّهم أسودٌ لها في غيلِ خفّان أشبُلُ[٣]
هم المانعون الجارَ حتى كأنما لجارِهِمُ بين السِّماكَيْنِ منزِلُ[٤]
بَهاليلُ في الإسلامِ سادوا ولم يكن كأوّلِهم في الجاهليّة أَوّلُ
هم القومُ، إن قالوا أصابوا، وإن دُعُوا أجابوا، وإن أَعْطوا أطابوا وأجزلوا

وقال العسكريّ: وأنشدَ بعضُ أهل الأدبِ قولَ ابن أبي طاهر[٥] وقال: لو استعمل الإنصافُ لكان هذا أحسنَ مدح قاله متقدِّم ومتأخِّر وهو: [من البسيط]

إذا أبو أحمدٍ جادت لنا يدُه لم يُحْمَدِ الأجودان: البحرُ والمطرُ
وإن أضاءت لنا أنوارُ غُرّتِه تضاءل النيّران: الشمسُ والقمر
وإن مضى رأيُه أو جدَّ عزمتَه تأخَّر الماضيان: السيفُ والقدَرُ
من لم يكن حَذِرًا من حدِّ صولته لم يدر ما المزعجان: الخوفُ والحذَرُ
حُلْوٌ، إذا أنت لم تَبعثْ مرارتَهُ فإن أمرَّ فحلوٌ عنده الصَّبِرُ
سهلُ الخلائقِ إلا أنه خَشِنٌ لَيِّنُ المهزَّة إلا أنه حجرُ

---

(١) مروان بن أبي حفصة: (١٠٥ ـ ١٨٢ هـ = ٧٢٣ ـ ٧٩٨ م) شاعر عالي الطبقة، نشأ في العصر الأموي باليمامة حيث منازل أهله، وأدرك زمنًا من العهد العباسي فقدم بغداد ومدح المهدي الرشيد ومعن بن زائدة وجمع ثروات هائلة، توفي ببغداد. «الأعلام للزركلي ٧/ ٢٠٨».

(٢) معن بن زائدة: الشيباني، أبو الوليد، من أشهر أجواد العرب وأحد الشجعان الفصحاء، أدرك العصرين الأموي والعباسي، ولاه المنصور العباسي اليمن، ثم سجستان، فأقام فيها مدة وابتنى دارًا، فدخل عليه أناس في زي الفعلة فقتلوه غيلة سنة ١٥١ هـ ـ ٧٦٨ م، للشعراء فيه أماديح ومراث من عيون الشعر. «الأعلام للزركلي ٧/ ٢٧٣».

(٣) خفان: موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحيانًا، وهو مأسدة. «معجم البلدان ٢/ ٣٧٩».

(٤) السّماكان: نجمان مثيران في السّماء، أحدهما في الشّمال، يعرف «بالرّامح» والثاني في الجنوب يعرف «بالأعزل».

(٥) ابن أبي طاهر: هو أحمد بن طيفور، مؤرّخ من الكتاب البلغاء الرواة، وله شعر قليل، ومؤلّفات عدّة مات سنة ٢٨٠ هـ. «الأعلام ١/ ١٤١».

لا حَيَّةٌ ذَكَرٌ في مثل صولته ... إن صال يومًا ولا الصَّمصامةُ الذكَرُ[(١)]
إذا الرجالُ طغَتْ آراؤهم وعَموا ... بالأمر رُدَّ إليه الرأيُ والنظرُ
الجودُ منه عِيانٌ لا ارتيابَ به ... إذ جود كلّ جوادٍ عنده خبرُ

وقال: ومن المديح القليل النظير، قول عليّ بن محمد الأفوه[(٢)]: [من البسيط]

أوفَوا من المجدِ والعلياءِ في قُلَلٍ ... شُمٍّ، قواعدُهنّ البأسُ والجودُ
سُبْطُ اللقاءِ إذا شميت مخائلهم ... بُسْلُ اللقاء إذا صيد الصناديدُ
مُحسّدون، ومَن يعلقْ بحبلهم ... من البريَّةِ يصْبحْ وهو محسودُ

وقالوا: أمدح بيت قاله محدّث قول عليّ بن جَبَلة في أبي دُلف: [من المديد]

إنّما الدّنيا أبو دُلفٍ ... بين باديه ومحتضرِهْ
فإذا ولّى أبو دُلفٍ ... وولّتِ الدُّنيا على أثرِهْ

وهي من القصائد المشهورة، وأولها: [من المديد]

ذادَ وِردَ الغيّ عن صَدرِه ... وارعوى، واللّهوُ من وطَرِه[(٣)]

جاء منها في مدحه: [من المديد]

يا دواءَ الأرضِ إن فسدَتْ ... ومُجيرَ اليسرِ من عُسُرِهْ
كلُّ من في الأرضَ من عَرَبٍ ... بين باديه إلى حَضَرِهْ
مستعيرٌ منه مكرمةً ... يكتسيها يومَ مفتخَرِهْ
إنما الدنيا أبو دلف ... .

قال العسكريّ: ومن المديح البارع قول بشار: [من المتقارب]

ألا أيّها الطالبُ المبتغي ... نجومَ السماءِ بسعي أَمَمْ[(٤)]

---

(١) الصمصامة: سيف صمصام وصمصامة: صارم لا ينثني، والمصَمِّم من السيوف: الذي يمر في العظام، وصمم السيفُ: إذا مضى في العظم وقطعه، فالصمصامة: السيف القاطع. «لسان العرب ١٢/٣٤٧».

(٢) علي بن محمد الأفوه: لم نعثر عليه، ولعله الأفوه الأودي، وهو صلاة بن عمرو من مذحج ويكنى أبا ربيعة، من شعراء الجاهلية. «الشعر والشعراء ص ١٣٤».

(٣) ذاد: منع ودفع، والورد: أي الورود والقصد، وارعوى: انصرف وامتنع.

(٤) أَمَمْ: الأمم: الشي اليسير، يقال: ما سألت إلا أممًا، وقيل الأمم: بين القريب والبعيد. «اللسان ١٢/٢٨».

سمعتَ بمكرمة ابن العلاءِ ... فأنشأت تطلُبها لستَ ثَمْ
إذا عَرَض الهمُّ في صدره ... لَهَا بالعطاءِ، وضرب البُهَمْ[1]
فقل للخليفة إن جئته ... نصيحًا ولا خيرَ في المتَّهمْ
إذا أيقظتكَ جسامُ الأمورِ ... فنبِّهْ لها عُمَرًا ثمّ نَمْ
فتًى، لا يبيتُ على دِمنةٍ ... ولا يشربُ الماء إلا بدَمْ
يحبّ العطاءَ وسفكَ الدماءِ ... فيغدو على نِعَمٍ أو نِقَمْ

قال ومن المديح القليل النظير: قول أمامة بنت الجلّاح الكلبية: [من الطويل]

إذا شئتَ أن تلقى فتًى لو وزنتَهْ ... بكلِّ معدّيّ وكلّ يماني
وفَى بِهِمُ جودًا وحلمًا وسؤددًا ... وبأسًا، فهذا الأسودُ بنُ قنانِ
فتًى، كالفتاة البكر، يُسفرُ وجهُهُ ... كأن تلالِي وجهِه القمرانِ
أغرُّ أبرُّ ابني نِزار ويعرُبٍ ... وأوثقُهم عَقْدًا بقولِ لسانِ
وأوفاهُمُ عهدًا وأطولُهم يدًا ... وأعلاهُمُ فِعْلًا بكلّ مَكانِ
وأضربُهم بالسيفِ من دون جارِهِ ... وأطعنُهم من دونِهِ بسنانِ
كأنَّ العطايا والمنايا بكفهِ ... سحابانِ مقرونانِ مؤتلفانِ

ومن المديح البارع قول أبي تمّام: [من الطويل]

رأيت لعيّاشٍ خلائقَ لم تكنْ ... لتكمُلَ إلّا في اللُّبابِ المهذّبِ
له كرمٌ لو كان في الماء لم يَغِضْ ... وفي البرقِ ما شام امرؤ برقَ خُلّبِ
أخو عزماتٍ بذلُهُ بذلُ محسنٍ ... إلينا ولكن عذرَه عذرُ مذنبِ
يهولُك أن تلقاه في صدر مَحفِلٍ ... وفي نحرِ أعداءٍ وفي قلبِ موكبِ
وما ضيقُ أقطارِ البلاد أضافني ... إليك ولكن مذهبي فيك مذهبي
وهذي ثياب المدح فاجررْ ذيولَها ... عليك وهذا مركبُ الحمدِ فاركبِ

(١) البُهَمْ: البهيمة: كل ذات أربع قوائم، والبهمة: الصغير من أولاد الغنم والمعز والبقرة الذكر والأنثى في ذلك سواء. «لسان العرب ١٢/٥٦».

وقد أحسن التّنوخيّ(١) في قوله: [من الرّجز]

وفتيةٍ من حِمْيَرٍ حُمرِ الظُّبَى بيضِ العطايا حين يَسودُّ الأَملْ
شموسِ مجدٍ في سمٰواتِ عُلًى وأُسْدِ مَوتٍ بين غاباتِ أَسَلْ

وقالت الخنساء في أخيها صخر: [من المتقارب]

طويلُ النجاد رفيعُ العما دِ ساد عشيرتَه أمردا
إذا القوم مدّوا بأيديهِمُ إلى المجدِ مدَّ إليه يدا
فنالَ الذي فوقَ أيديهِمُ من المجدِ ثم مضى مُصْعِدا
فكلّفه القومُ ما عالهم وإن كان أصغرَهم مَوْلدَا
ترى الحمدَ يهوي إلى بيته يرى أفضلَ الكسبِ أن يُحمَدا

قال آخر: [من البسيط]

ومُصْعُدٍ هضباتِ المجدِ يطلعُها كأنّه لسكونِ الجأش منحدرُ
ما زالَ يسبقُ حتى قال حاسِدُه له طريقٌ إلى العَلياء مُخْتَصرُ

وقال إبراهيم بن العبّاس: [من الكامل]

تَلِجُ السنونُ بيوتَهم وترى لها عن بيت جارهم ازورارَ مناكبِ
وتراهم بسيوفهم وشفارهم مستشرفين لراغبٍ أو راهبِ
حامين أو قارِين حيث لقيتهم نهبَ العفاةِ ونزهةً للراغبِ(٢)

وقال أيضًا: [من الطويل]

إذا السَّنَةُ الشَّهباءُ مدّتْ سماءَها مددتَ سماءً دونها فتجلّتِ(٣)
وعادت بك الريحُ العقيمُ لدى القِرى لِقاحًا فدرّتْ عن نداكَ وطَلّتِ

وقال ابن الروميّ: [من المتقارب]

كأنّ مواهبَه في المُحُو لِ آراؤه عند ضِيق الحيلْ

---

(١) التّنوخي: هو علي بن محمد، أبو القاسم، قاضٍ أديب شاعر، ولد بأنطاكية ورحل إلى بغداد، وولي قضاء البصرة والأهواز، وكان من جلساء الوزير المهلبي، وزار سيف الدولة ومدحه، له ديوان شعر مات سنة ٣٤٢ هـ. «الأعلام ٤/ ٣٢٤».

(٢) قارين: من القرى، وهو الإطعام والضيافة، والعفاة: طالبي الضيافة والقرى والمعروف.

(٣) الشهباء: المجدبة.

فلو كان غيثًا لعمَّ البلادَ ... ولو كان سيفًا لكان الأَجلْ
ولو كان يُعطى على قدره ... لأغنى النفوس وأفنى الأملْ

وقال أبو الحسن بن أبي البغل البغداديّ يمدح أبا القاسم بن وهب وقد تقدّم ذكر بعضها لابن أبي طاهر: [من البسيط]

إذا أبو قاسم جادت لنا يدُه ... لم يُحمد الأجودانِ: البحر والمطرُ
وإن أضاءت لنا أنوارُ غرّته ... تضاءَل النَّيّران: الشّمس والقمرُ
وإن بدا رأيُه أو جدَّ عَزْمتَه ... تأخّرَ الماضيان: السيف والقَدرُ
ينال بالظنِّ ما كان اليقينُ به ... والشاهدان عليه العينُ والأثرُ
كأنّه وزِمامُ الدهرِ في يدِهِ ... يدري عواقبَ ما يأتي وما يَذَرُ

وقال ذو الرمّة[1]: [من الكامل]

يطيبُ تُرابُ الأرضِ إن نزلوا بها ... ويختالُ أن تعلو عليها المنابِرُ
وما زلتَ تسمو للمعالي وتجتني ... جَنى المجدِ مذ شُدّتْ عليك المآزِرُ
إلى أن بلغتَ الأربعين فأُلقِيَت ... إليك جماهيرُ الأمورِ الأكابرُ
فأحكمتَها لا أنتَ في الحكم عاجزٌ ... ولا أنت فيها عن هُدى الحقّ جائرُ

وقال الشّريف الرَّضِيّ: [من المنسرح]

يا مخرسَ الدّهرِ عن مقالته ... كلُّ زمانٍ عليك متّهمُ
شخصُك في وجه كلّ داجيةٍ ... ضُحًى وفي كلّ مَجْهَلٍ عَلَمُ

وقال أبو الحسن السلاميّ: [من الطويل]

إذا زرتَه لم تلقَ من دون بابه ... حجابًا ولم تدخلْ عليه بشافِعِ
كماءِ الفرات الجمّ أعرض وِرْدَه ... لكلِّ أناسٍ فهو سهلُ الشرائعِ[2]
تراه إذا ما جئتَه متهلّلا ... تهلُّل أبكار الغيوثِ الهوامعِ

(١) ذو الرمة: (٧٧ ـ ١١٧ هـ = ٦٩٦ ـ ٧٣٥ م) غيلان بن عقبة ويكنى أبا الحارث، كان أحد عشاق العرب المشهورين وكان أحسن الناس تشبيهًا، ومن فحول الطبقة الثانية في عصره، كان شديد القصر دميمًا، يضرب لونه إلى السواد، سكن البادية وكان يحضر إلى البصرة واليمامة كثيرًا، توفي بأصبهان وقيل بالبادية. «الشعر والشعراء ص ٣٥٦، والأعلام للزركلي ٥/ ١٢٤».

(٢) الشرائع: مفردها «الشريعة» وهي مورد الماء.

وقال محمد بن الحسين الآمديّ: [من الطويل]

من القوم لما استغربَ المجدَ غيرَهُمْ من الناس أمسَوا منه فوقَ الغرائبِ
إذا سالموا كانوا صدورَ مراتبٍ وإن حاربوا كانوا قلوبَ مواكبِ
جوادٌ متى ما رامت الريحُ شأوه كَبَتْ دون مَرْمى خطوه المتقاربِ[1]
وبحرُ ندًى لو زاره البحر حدّثت عجائبُه عن فعلهِ بالعجائبِ

وقال الأصمعي: كنتُ بالبادية فرأيتُ امرأةً على قبر تبكِي وتقول: [من المتقارب]

فمَنْ للسؤالِ ومن للنوالِ ومن للمقالِ ومن للخُطبْ؟
ومن للحُماة ومن للكُماةِ إذا ما الكماةُ جثوْا للرُّكَبْ؟
إذا قيل: مات أبو مالكِ فتى المكرماتِ قريعُ العربْ
فقد ماتَ عزّ بني آدمٍ وقد ظهر النَّكد بعد الطربْ

قال: فملتُ إليها، وسألتُها عنه، فقالت: فديتُ! هذا أبو مالك الحجّام، ختن[2] أبي منصور الحائك، فما ظننتُ إلا أنّه من سادات العرب.

وقال العِماد الأصفهانيّ[3]: [من المتقارب]

حييّون يخفون إحسانَهم ويعتذرون كأنْ قد أساؤوا
إذا ظَلَمَ الدهرُ أعدَوْا عليه وإن أظلم الخطبُ يومًا أضاؤوا
بمثلكُمُ قد أقرّ الرجالُ فمثلكُمُ لم تلدْهُ النِّساءُ
وللناسِ من حسن أيّامكم بدولتِكم كلُّ يومٍ هناءُ

---

(١) الشأو: السّباق.
(٢) الختن: كلّ من كان من جهة المرأة كأبيها أو أخيها، أو زوج البنت، أو زوج الأخت.
(٣) العماد الأصفهاني: (٥١٩ ـ ٥٩٧ هـ = ١١٢٥ ـ ١٢٠١ م) أبو عبد الله، عماد الدين الكاتب الأصبهاني، من أكابر الكتاب ولد في أصبهان، وقدم بغداد حدثًا، فتأدب وتفقه، استوطن دمشق بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي ولزم مدرسته المعروفة بالعمادية، وتوفي به، له كتب كثيرة منها خريدة القصر، البرق الشامي، سبع مجلدات في أخبار صلاح الدين وفتوحه. «الأعلام للزركلي ٢٦/٧».

وقال أيضًا: [من الكامل]

فَلأَطْوِيَنَّ على أغرَّ مُحَجَّلٍ — عرضَ الفلاةِ إلى أغرَّ محجَّبِ[(١)]
ليثُ الوغى غوثُ الورى غَيْثُ النّدى — بدرُ النّديِّ، نعم! وصدرُ الموكبِ
وإذا استوى في دَسْته مالت له — أعناقُ كل متوّج ومُعَصّبِ
وتُميت رأفتُه حُقودَ عداته — وتَحِلُّ هيبتُهُ عقودَ المُحتبي[(٢)]
إنّ الممالكَ ما تزالُ برأيه — في صائبٍ وبجوده في صيِّبِ[(٣)]
يحبوك معتذرًا إليك فيا لَه — من محسن تعروه خجلةُ مُذنبِ
يُزهَى بأصلٍ في العَلاءِ مُخَيَّمِ — شرفًا وفرعٍ بالكرام مطنّبِ

وقال أحمد بن محمد النّاميّ[(٤)]: [من الطويل]

له سُورةٌ في البشر تُقرأُ في العلا — وتثبتُ في صُحْفِ العطاءِ وتُكتَبُ
إذا ما عليٌّ أمطرتكَ سماؤه — رأيتَ العلا أنواؤها تتحلّبُ
وأزهر يَبيضُّ الندى منه في الرضا — وتحمرُّ أطرافُ القنا حين يغضبُ
أميرَ الندى ما للندى عنك مَذهبٌ — ولا عنك يومًا للرغائب مَرْغَبُ

وقال أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكيّ[(٥)]: [من المديد]

سيّدٌ شادت علاه له — في العلا آباؤه النجبُ
وله بيتٌ يُمَدّ له — فوق مجرى الأنجمِ الطُّنُبُ

---

(١) أغرّ محجل: المحجل من الخيل: أن تكون قوائمه الأربع بيضًا ـ والحِجل: البياض نفسه. «لسان العرب ١١/ ١٤٥».

(٢) المحتبي: الحامي، وحبا ما حوله: حماه، واحتبى احتباء: اصطفى واختار. «اللسان ١/ ٣٣٨».

(٣) الصيِّب: المطر المتصبّب الذي لا يؤذي.

(٤) أحمد بن محمد النامي: (٣٠٩ ـ ٣٩٩ هـ = ٩٢١ ـ ١٠٠٩ م) أحمد بن محمد الدارمي المصيصي، أبو العباس المعروف بالنامي، شاعر رقيق الشعر من أهل المصيصة (قريته من طرسوس على ساحل المتوسط)، اتصل بسيف الدولة فكان عنده تلو المتنبي في المنزلة والرفعة، وكان واسع الاطلاع في اللغة والأدب، مات في حلب سنة ٣٩٩ هـ ـ ١٠٠٩ م. «الأعلام للزركلي ١/ ٢١٠، ويتيمة الدهر ١/ ٢٢٥».

(٥) أحمد الأنطاكي: أبو حامد، أحمد بن محمد الأنطاكي، شاعر فكه، تصرف بالشعر جدًا وهزلًا ومجونًا، وهو من المداح المجيدين، أقام بمصر طويلًا يمدح ملوكها ووزراءها وتوفي فيها سنة ٣٩٩ هـ ـ ١٠٠٩ م. يقال له أبو الرقعمق. «يتيمة الدهر ١/ ٣١٠، والأعلام للزركلي ١/ ٢١٠».

حسبه بالمصطفى شرفًا وعليٌّ حين ينتسبُ
رتبةٌ في العز شامخةٌ قصرتْ عن مثلها الرتبُ

وقال ابن نباتة السعديّ: [من الطويل]

يَرَى الشمسَ أُمًّا والكواكبَ إخوةً وينظرُ مِنْ بدر السماءِ إلى تِرْبِ
غنيتُ عن الآمال حين رأيتُه وأصبحَ من بين الورى كلّهم حسبي
فلم أطلب المعروفَ من غير كفّه وهل تُطلبُ الأمطارُ إلّا من السحبِ؟

وقال أبو حامد أحمد الأنطاكيّ: [من البسيط]

لو نيلَ بالمجد في العلياءِ منزلةٌ لنالَ بالمجد أعنانَ السمٰواتِ
يرمي الخطوبَ برأيٍ يُستضاء به إذا دجا الرأيُ من أهل البصيراتِ
فليس يلقاه إلّا عندَ عارفةٍ أو واقفًا في صدور السمهريّاتِ[١]

وقال أبو طالب المأمونيّ[٢]: [من الخفيف]

قد وجدنَا خُطا الكلامِ فِساحَا فجعلنا النسيبَ فيكَ امتداحا
وأفضنا ما في الصدور ففاض الـ ـمدحُ قبلَ النسيبِ فيك انفساحا
وعمدنا إلى علاك فصغنا لصدور القريض منها وشاحا
وصدعنا في أوجه الشِّعرِ من بيـ ـضِ مَساعيكَ بالندى أوضاحا
كم كسيرٍ جبرتَه وفقيرٍ مستميحٍ رددتَه مُستماحا
وأمانٍ خُرسٍ بسطتَ لها في الـ ـقولِ حتى أعدتهنّ فِصاحا
وبلادٍ جوامحٍ رُضْتَها بالعـ ـزم حتى أنسيتهنّ الجِماحا[٣]
شَهَرَتْ منك آلُ سامانَ عضبًا يُنجحُ السعيَ غربهُ إنجاحا[٤]
لا يذوقُ الإغفاءَ إلا رجاءً أن يرى طيفَ مستميحٍ رواحا

---

(١) السمهريات: مفردها سمهر، وهو الرمح الصليب العود، واسمهر الشوك: يبس وصلب والسمهرية: القناة الصلبة، منسوبة إلى سمهر وهو رجل كان يقدم الرماح. «اللسان ٤/ ٣٨١».
(٢) أبو طالب المأموني: هو عبد السّلام بن الحسين، شاعر من العلماء بالأدب، يتصل نسبه بالمأمون العباسي، مات قبل أن يبلغ الأربعين سنة ٣٨٣ هـ. «الأعلام ٤/ ٥».
(٣) الجماح: الجموح من الرجال: الذي يركب هواه فلا يمكن رده، وجمع إليه أي أسرع. «اللسان ٢/ ٤٢٦ و٤٢٧».
(٤) العضب: القطع، وعضبه عضبًا: قطعه قطعًا. وعضبه بلسانه: تناوله وشمه، والعضب: السّيف. «اللسان ١/ ٦٠٩». غرب: أغرب الحوض والإفاء: أي ملأهما ـ والغرب الفضة، وقيل الغرب: شجر تسوى منه الأقداح البيض. «اللسان ١/ ٦٤٣ و٦٤٤».

وقال أحمد بن محمد الناميّ: [من الطويل]

أميرَ العلا إنّ العوالي كواسبٌ عَلاءَك في الدنيا وفي جَنّةِ الخُلد
يَمرُّ عليك الحولُ، سيفُك في الطُّلَى وطرفُك ما بين الشكيمةِ واللّبْدِ(١)
ويَمضي عليك الدهرُ، فعلُك للعُلا وقولُك للتقوَى، وكفُّك للرِّفدِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

فتًى، قسّم الأيّامَ بين سيوفه وبين طريفاتِ المكارمِ والتلدِ
فسوّد يومًا بالعَجاج وبالردى وبَيَّضَ يومًا بالفضائل والحمدِ(٢)

وقال الصاحب بن عبّاد: [من الخفيف]

أيّها الآملون حُطّوا سريعًا برفيعِ العماد واري الزّنادِ
فهو إنْ جادَ ذُمَّ حاتمُ طيىءٍ وهو إن قال فُلَّ قُسُّ إيادِ
وإذا ما ربا فأين زيادٌ من علاه وأين آل زيادِ

وقال أبو طالب المأمونيّ من قصيدة: [من المتقارب]

فتًى مُلئتْ بردتاه عُلًا ونُبلًا وفضلًا ومجدًا وخِيرا
إذا ضمّه الدَّستُ ألفيتَه سحابًا مَطيرًا وبدرًا مُنيرا
وإن أبرزَتْه وغَى خِلْتَه حُسامًا بَتورًا وليثًا هَصورا
وطورًا مُعيدًا وطورًا مُبيدًا وطورًا مجيرًا وطورًا أميرا
ترى في ذراه لسانَ المنى طويلًا وباعَ الليالي قصيرا
تُضمُّ الأسرَّةُ منه ذُكاءَ وتحمل منه المذاكي ثبيرا(٣)

---

(١) الطُّلى: يريد بالطُّلى هنا: الطّلاء، وهي من طلى يطلي طلاء الشيء: أي دهنه، فهو يقول: إنه لم يشهر سيفًا فما زال محافظًا على طلائه. الشكيمة: الشكيمة من اللجام: الحديدة المعترضة في الفم والجمع شكائم ومُشكُم. «اللسان ١٢/ ٣٢٤». اللبد: اللبيدة هي المخلاة ـ وألبدت الفرس إذا شددت عليه اللبد. «اللسان ٣/ ٣٨٨».

(٢) العجاج: التراب المتصاعد من الحرب.

(٣) الأسرّة: مفردها السّرير، وذكاء: الشمس، والمذاكي: ما يركب من المطايا، وثبير: اسم جبل بمكة.

وقال أبو الطيّب المتنبي: [من البسيط]

يمشي الكرامُ على آثارِ غيرهِمُ ... وأنت تَخلقُ ما تأتي وتبتدعُ
من كان فوقَ محلِّ الشمسِ موضعُه ... فليس يرفعُهُ شيءٌ ولا يضع

وقال أبو المعالي محمد بن مسعود الأصفهانيّ شاعر الخريدة: [من البسيط]

قد حلَّ في مَدرَج العلياءِ مرتبةً ... مطامحُ الشهبِ عن غاياتها تقِفُ
أَغْرَى بوصف معاليه الورى شغَفًا ... لكنه والمعالي فوق ما وصفوا
إن ناصبتْه العدا فالدهرُ معتذرٌ ... أو أنكروا فضله فالمجدُ معترف

وقال السلاميّ شاعرُ اليتيمة: [من البسيط]

يزور نائلُك العافي وصارمُكَ الـ ... ـعاصي فتحويهما أيدٍ وأعناقُ
في كلِّ يومٍ لبيتِ المجد منك غنًى ... وثروةٌ ولبيتِ المالِ إملاقُ
كم خضتَ من لجةٍ للنفع زاخرةٍ ... ماءُ المنون بها ـ حاشاك ـ دفّاقُ

وقال المتنبي: [من البسيط]

أنت الجوادُ بلا منٍّ ولا كدرٍ ... ولا مطالٍ ولا وعدٍ ولا مَلِلِ

وقال أبو الفرج الببّغاء(١): [من المنسرح]

لا غيثُ نعماه في الورى خلّب الـ ... ـبرقِ ولا وِردُ جودهِ وشَلُ(٢)
جاد إلى أن لم يُبقِ نائلُه ... مالًا ولم يَبْقَ للورى أملُ

وقال محمد بن الحسن الحاتميّ(٣) شاعر اليتيمة: [من الطويل]

ومَن عوَّدتْهُ المكرماتُ شمائلا ... فليس له عنها ـ ولو شاء ـ ناقلُ

---

(١) أبو الفرج الببغاء: عبد الواحد بن نصر المخزومي من أهل نصيبين، نجم الآفاق وشاقة الشام والعراق، وأحد أفراد الدهر في النظم والنثر، اتصل بسيف الدولة ودخل الموصل وبغداد ونادم الملوك والرؤساء، له ديوان شعر توفي سنة ٣٩٨ هـ ـ ١٠٠٨ م.

(٢) الوشل: الماء القليل يسيل من صخرةٍ أو جبل، وخلّب البرق: الذي لا ماء فيه. «يتيمة الدهر ١/ ٢٣٦، والأعلام للزركلي ٤/ ١٧٧».

(٣) محمد بن الحسن الحاتمي: أبو علي، أديب نقاد، من أهل بغداد، نسبته إلى جد له اسمه حاتم، له الرسالة الحاتمية، وسر الصناعة في الشعر ومختصر العربية، توفي سنة ٣٨٨ هـ ـ ٩٩٨ م. «الأعلام للزركلي ٦/ ٨٢».

وإن راسلَ الأعداءَ فالجُردُ رُسْلُه إليهم وأطرافُ العوالي الرسائلُ
عظُمتَ، فهذا الدهرُ دونك همةً وجُدتَ فهذا القَطرُ عندك باخلُ

وقال مؤيّد الدين الطغرائيّ(١): [من المنسرح]

لو دبَّ رأيُك في كعوبِ قنًا ما مسّها طَنَبٌ ولا خللُ(٢)
أو كان ضوءُك للغزالةِ لم يَحجبْ ضياءَ جبينها الطَّفَلُ(٣)
أو كان لطفُك في الحياة لما طافت بها الأسقام والعللُ
أنت الذي لولا علاه عَفَتْ طُرقُ الهدى واستبهم السُّبُلُ
في كلّ شَعبٍ من رويّته شُعَبٌ ومن آرائه شُعَلُ
يرتدّ عنه جفنُ حاسدِهِ فكأنه بالنارِ يكتحلُ
وجهٌ كيوم الصحوِ مبتسمٌ ويدٌ كلَيْل الدَّجنِ تَنهملُ
مَسحَتْ على الأنواء راحتُه فانساق منها العارِض الهطِلُ
إن ضنّ غيثٌ أو خبا قمرٌ فجبينه ويمينه البدَلُ

وقال ابن الروميّ: [من الكامل]

آراؤكم ووجوهُكم وسيوفُكم في الحادثاتِ - إذا دجونَ - نجومُ(٤)
فيها مَعالمُ للهدى ومَصابحٌ تجلُو الدجَى والأخرياتُ رُجومُ(٥)

وقال أبو الطيّب المتنبيّ: [من المنسرح]

قومٌ بلوغُ الغلام عندهُمُ طعنُ نحورِ الكماةِ لا الحُلُمُ
كأنما يولَد الندَى معهم لا صِغَرٌ عاذِرٌ ولا هَرَمُ
إذا تولَّوا عداوةً كشفوا وإن تولَّوا صنيعةً كتموا

---

(١) مؤيد الدين الطغرائي: (٤٥٥ - ٥١٣ هـ = ١٠٦٣ - ١١٢٠ م) الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد، أبو إسماعيل، مؤيد الدين، الأصبهاني الطغرائي، شاعر، من الوزراء الكتاب، كان ينعت بالأستاذ، ولد بأصبهان، واتصل بالسلطان مسعود فولاه وزارته، قتله السلطان محمود أخو السلطان مسعود بعد أن اقتتل الأخوان وانتصر محمود، نسبة الطغرائي إلى كتابة الطغراء، له ديوان شعر، وأشهر شعره لامية العجم. «الأعلام للزركلي ٢/٢٤٦».
(٢) الطّنب: اعوجاج في الرمح. «لسان العرب ١/٥٦٢».
(٣) الطَّفَلُ: الليل، والطفل أيضًا: الشمس عند غروبها. «لسان العرب ١١/٤٠٣».
(٤) دجون: أظلمن، من الدّجى.
(٥) الرّجوم: الشهب التي تحرق الشياطين.

تـظـنُّ مـن كـثـرة اعـتـذارهِـمُ أنـهـمُ أنـعـمـوا ومـا عـلـمـوا
إن بـرقـوا فـالـحـتـوفُ حـاضـرةٌ أو نـطـقـوا فـالـصـوابُ والـحِـكَـمُ
أو شـهـدوا الـحربَ لاقحًا أخذوا من مُهَج الدارعين ما احتكموا
أو ركـبـوا الـخـيـلَ غـيـرَ مُـسرجةٍ فـإنَّ أفـخـاذَهُـمْ لـهـا حُـزُمُ
تُـشـرقُ أعـراضُـهـم وأوجـهُـهـم كـأنـهـا فـي نـفـوسـهـم شِـيَـمُ
أعـيـذُكـم مـن صـروفِ دهـركُـمُ فـإنـه فـي الـكـرام مـتَّـهَـمُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

ودانت له الدنيا فأصبح جالسًا وأيّـامُـه فـيـمـا يـريـد قـيـامُ
وكـلُّ أنـاسٍ يـبـتـغـون إمـامَـهـم وأنـت لأهـلِ الـمـكـرمـاتِ إمـامُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

هم المحسنون الكَرَّ في حَومةِ الوغى وأحسنُ منه كرُّهُم في المكارمِ
ولولا احتقارُ الأُسدِ شبّهتُها بهم ولـكـنـهـا معدودةٌ في البـهـائمِ

وقال المشوّق الشاميّ شاعر اليتيمة: [من الطويل]

يروح إلى كسبِ الثناءِ ويغتدي إذا كان هَمُّ الناسِ كسبُ الدراهمِ
وإن جلس الأقوامُ عن واجبِ الندى وحـقِّ الـعـطـايـا كـان أوّلَ قـائمِ
يـزيـدُ ابـتـهـاجاً كلّما زارَ قـاصـدٌ كـأنّ بـه شـوقًـا إلـى كـلّ قـادِمِ

وقال السلاميّ شاعرها: [من الطويل]

تُشبّهه المُدّاحُ في البأسِ والندى بـمـن لـو رآه كـان أصـغـرَ خـادِمِ
ففي جيشه خمسون ألفًا كعنترٍ وأَمـضَـى وفي خُزّانه ألفُ حاتمِ

وقال أبو طالب المأمونيّ من قصيدة: [من الطويل]

يُـعـمِّـم بـالـهـنـديّ حـيـن يـسـلُّه أسودَ الـوغـى بـالـضرب فوق العمائمِ
فـلا مُـلكَ إلا مـا أقـمـت عـروشَـه ولا غـيـثَ إلا ما أَفَضْتَ لشائمِ[١]

(١) الشائم: من شام يشيم شيمًا البرق أو السَّحاب: نظر إليه ليرى أين يمطر.

ولا تـاجَ إلا مـا تـولّيـتَ عَـقْـدَه على جبهةِ المَلْكِ المكنّى بقاسم
فرأيك نجمٌ في دُجى الليل ثاقبٌ وعزمُك عَضبٌ في طُلى كلّ ناجمِ(١)

وقال المشوِّق الشاميّ: [من السريع]

مـا زال يـبـنـي كـعـبـةً لـلعـلى ويـجـعـلُ الـجـودَ لـهـا ركـنـا
حتى أتى الـناسَ فـطـافوا بـهـا وقـبَّـلوا راحـتـه الـيُـمـنَـى

وقال المأمونيّ من قصيدة: [من الطويل]

هُمَامٌ يُبَكّي المشرفيّةَ ساخطًا ويُضحك أبكارَ الأمانيّ راضيا
ولـو أنَّ بـحـرًا يستطيع ترقّيًا إلـيـه لأمَّ الـبـحـرُ جـدواه راجِـيـا

ذكر ما قيل في الافتخار

قالوا: أفخر بيت قالته العرب قول جرير: [من الوافر]

إذا غـضِـبـتْ عـلـيك بـنـو تـمـيمٍ حـسـبـتَ الـنـاسَ كـلَّهُـمُ غـضـابـا

قال: دخل رجل من بني سعد على عبد الملكِ بن مروان فقال له: ممن الرجلُ؟ قال: من الذين قال لهم الشاعر:

* إذا غـضـبـتْ عـلـيـك بـنـو تـمـيـم *

البيت.

قال: فمِن أيّهم أنت؟ قال: من الذين يقول فيهم القائل: [من الطويل]

يزيدُ بنُو سعدٍ على عَدَد الحصى وأثقلُ من وزن الجبال حُلومُها

قال: فمن أيّهم أنت؟ قال: من الذين يقول لهم الشاعر: [من الطويل]

بـنـاتُ بـنـي عـوفٍ طَـهـارَى تـقـيَّـةٌ وأوجهُهُمْ عند المشاهِدِ غُرَّانُ(٢)

قال: فمن أيّهم أنت؟ قال: من الذين يقول لهم الشاعر: [من الوافر]

فـلا وأبـيـكَ مـا ظَـلَـمـتْ قُـرَيـعٌ بأن يبنوا المكارمَ حيث شاؤوا(٣)

---

(١) العضب: السّيف القاطع، والنّاجم: من نجم الشيء: إذا طلع.
(٢) غُرّان: غر: بياض في الوجه، ورجل أغر: كريم الأفعال واضحها. «لسان العرب ٥/ ١٤ و١٥». بنو عوف: من قبائل العرب.
(٣) قريع: إحدى القبائل العربية.

قال: فمن أيُّهم أنت؟ قال: من الذين يقول لهم الشاعر: [من البسيط]

قومٌ همُ الأنفُ والأذنابُ غيرهُمُ ... ومن يسوّي بأنفِ الناقةِ الذنَبا

قال: اجلس، لا جلَست، والله لقد خفتُ أن تفخرَ عليّ!

وقالوا: أفخرُ بيت قالته العرب قولُ الفرزدق: [من الطويل]

ترى الناسَ ما سِرنا يسيرون خلفنا ... وإن نحن أومأنا إلى الناس وَقَّفوا!

وقال عمرو بن كلثوم وهو أبلغ ما قاله جاهليّ في الافتخار: [من الوافر]

ونحن العاصمون إذا أُطِعنا ... ونحن العارمون إذا عُصِينا![١]

ونحن التاركون لما سَخِطْنَا ... ونحن الآخذون لما رَضِينا!

وقال إبراهيم بن العبَّاس: [من البسيط]

إمّا تريْني أمامَ القوم متَّبَعًا ... فقد أُرى من وراء الخيل أَتَّبعُ

يومًا أُبيحُ فلا أرعى على نَشَبٍ ... وأستبيحُ فلا أُبقي ولا أدَعُ

لا تسألي القومَ عن حيٍّ صبَحْتُهُمُ ... ماذا صنعتُ؟ وماذا أهلُه صنعوا؟

وقالوا: من أحسن ما مَدح به الرجلُ نفسَه قولُ أعشى بن ربيعة[٢]: [من الطويل]

وما أنا في نفسي ولا في عشيرتي ... بمهتضَمٍ حقّي ولا قارعٍ سِنّي

ولا مُسلِّمٍ مولاي عند جنايةٍ ... ولا خائفٍ مولاي من شرِّ ما أجني

وأنَّ فؤادي بين جنبيّ عالمٌ ... بما أبصرتْ عيني وما سمِعتْ أذني

وفضّلني في الشِّعر واللُّبِّ أنني ... أقولُ على علمٍ وأعلمُ ما أعني

فأصبحتُ إذ فضّلتُ مروانَ وابنَه ... على الناسِ قد فضَّلتُ خيرَ أبٍ وابنِ

---

(١) في معلقته:

ونحن العازمون إذا عُصينا

«انظر شرح القصائد المشهورات لابن النّحاس ٢/ ١١٤».

(٢) أعشى ربيعة: عبد الله بن خارجة بن حبيب، أو خبيب، من بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، شاعر، اشتهر في أيام بني مروان بالشام، له مدح في بشر بن مروان وعبد الملك بن مروان وسليمان بن عبد الملك، توفي نحو ١٠٠ هـ ـ نحو ٧١٨ م. «الأعلام للزركلي ٤/ ٨٤».

وقال أبو هِفّان[1]: [من الطويل]

لعمري لئن بَيَّعْتُ في دارِ غُربةٍ بناتيَ إذ ضاقت عليّ المآكلُ[2]
فما أنا إلا السيفُ يأكلُ جفنَه له حليةٌ من نفسه وهو عاطِلُ

قال أبو هلال العسكريّ: ولا أعرف في الافتخار أحسن مما أنشده أبو تمام وهو: [من الطويل]

فقل لزهَيرٍ إن شتمْتَ سَراتَنا فلسنا بشتَّامين للمُتشتِّمِ
ولكنّنا نأبَى الظُّلامَ ونقتضي بكلِّ رقيق الشفرتين مصمِّمِ
وتجهلُ أيدينا ويحلمُ رأيُنا ونَشتُمُ بالأفعالِ لا بالتكلُّمِ

ومن الافتخار قول السموأل بن عاديا من كلمته التي أوّلها: [من الطويل]

إذ المرء لم يَدنَسْ من اللؤم عِرضُه فكلُّ رداء يرتديه جميلُ
وإن هو لم يَحمِل على النفسِ ضَيْمَها فليسَ إلى حُسن الثناءِ سبيلُ
وقائلةٍ ما بالُ أُسرةِ عادِيَا تُنادِي وفيها قِلّةٌ وخُمولُ
تُعيِّرنا أنَّا قليلٌ عَديدُنا فقلتُ لها إنّ الكرامَ قليلُ
وما قَلَّ من كانَت بقاياه مثلَنا شَبابٌ تَسامَى للعلَا وكُهولُ
وما ضَرَّنا أنَّا قليلٌ وجارُنا عزيز وجار الأكثرينَ ذليلُ
وأنَّا أناس لا نَرى القتلَ سُبَّةً إذا ما رأته عامرٌ وسَلُولُ[3]
يُقرِّبُ حُبُّ الموتِ آجالَنا لنا وتكرهُهُ آجالُهُمْ فتطولُ
وما مات منّا سيدٌ حتفَ أنفه ولا طلَّ منّا حيثُ كان قتيلُ
تَسيلُ على حدِّ الظُّباة نفوسُنا وليست على غير الظُّباة تسيلُ
صفوْنَا فلم نكدُر وأخلصَ سِرَّنا إناثٌ أطابتْ حَملَنا وفحولُ
علونا إلى خير الظهورِ وحطَّنا لوقتٍ إلى خير البطون نُزولُ
فنحن كماءِ المُزن ما في نِصابنا كَهامٌ ولا فينا يُعدّ بخيلُ[4]

---

(١) أبو هفان: هو عبد الله بن أحمد المهزمي العبدي، راوية عالم بالشعر والأدب، من الشعراء، من أهل البصرة، له مؤلّفات عدة مات سنة ٢٥٧ هـ. «الأعلام ٤/٦٥».
(٢) العاطل: الذي لا زينة له، يقال: جيدٌ عاطل، أي غير مزيّن بحليّ.
(٣) عامر: اسم لإحدى القبائل العربية. سلول: اسم لإحدى القبائل العربية. «اللسان ٤/٦٠٨».
(٤) كهام: يقال إن سيفك كهام: أي كليل لا يقطع ـ ولسان كهام: عيي. «اللسان ١٢/٥٢٩».

ونُنكر إن شئنا على الناس قولَهم ولا يُنكرون القولَ حين نقولُ
إذا سيّدٌ منا خلا قامَ سيّدٌ قؤولٌ لما قالَ الكرامُ فعولُ
وما أُخمدتْ نارٌ لنا دونَ طارقٍ ولا ذمَّنا في النازلين نزيلُ
وأيامُنا مشهورةٌ في عَدوِّنا لها غُررٌ معلومة وحُجولُ[1]
وأسيافُنا في كلِّ شرق ومغربٍ بها من قِراع الدارعين فلُولُ[2]
معوّدةٌ أن لا تُسَلَّ نِصالُها فتُغمدَ حتى يُستباحَ قبيلُ
سلي إن جهلتِ الناس عنا وعنهمُ وليس سَواء عالمٌ وجَهولُ
فإن بني الديّانِ قطبٌ لقومهمْ تدورُ رحاهم حولهم وتجولُ

وقال أبو هلال العسكريّ من قصيدة: [من الطويل]

وما ضاع مثلي حيثُ حلّت ركابُه بلى حيث ضاع المجدُ مثليَ ضائعُ
ومِثليَ مخضوعٌ له غير أنه إذا كان مجهول الفضائلِ خاضعُ
ومثليَ متبوعٌ على كل حالةٍ فإنْ ينقلبْ وجهُ الزمانِ فتابعُ

وقال عبد الله بن المعتز: [من الطويل]

سألتكما بالله هل تُعلمانني؟ ولا تكتما شيئًا فعندكما خُبْري
أأرفعُ نيرانَ القِرى لعُفاتِها وأصبرُ يومَ الروْعِ في ثُغرةِ الثَّغرِ؟
وأُسأل نَيْلًا لا يُجادُ بمثله فيفتحُه بِشري ويختمه عُذري؟

ومن الافتخار قول بعض الشعراء، ويروى لحسّان بن ثابت من قصيدة أوّلها: [من الكامل]

أَنسيمُ ريحِكِ أم خِيارُ العنبرِ يا هذه، أم ريحُ مسكٍ أزفرِ؟
قولي لِطَيْفِكِ أن يصدَّ عن الحشى سطواتِ نيرانِ الأسى، ثمّ اهجري
وانهَيْ رُماتَكِ أن يُصِبنَ مَقاتلي فينالَ قومَك سطوةٌ من مَعشري
إنّا من النَّفَرِ الذين جِيادُهم طلعتْ على كِسْرى بريح صَرْصرِ

---

(١) حجول: حجلت المرأة بنانها، إذا ولنت خضابها، والتحجيل: بياض في قوائم الفرس أو في ثلاث منها أو في رجليه. «لسان العرب ١١/١٤٦».
(٢) القراع: الضراب: والمقارعة المضاربة بالسيوف وقراع الكتائب: قتال الجيوش ومحاربتها «اللسان ٨/ ٦٤ م و٢٦٥». فلول: الفل: الثلم في السيف، وجمعها فلول، والفل: هو الكسر والضرب. «اللسان ١١/ ٥٣٠».

وسَلَبْن تَاجي مُلك قيصرَ بالقنا واجتَزْن باب الدّرب لابن الأصفرِ[(١)]
كم قد وَلَدنا من كريم ماجدٍ دامي الأظافرِ أو ربيعِ مُمْطرِ
خُلِقتْ أناملُهُ لقائمِ مُرْهَفٍ ولبذْلِ مَكْرُمةٍ وذِرْوةِ مِنْبَرِ
يَلْقى الرماحَ بوجهِهِ وبصدره ويُقيمُ هامتَهُ مقام المِغْفَرِ[(٢)]
ويقول للطّرف اصطبر لِشَبا القَنا فهدمتَ ركنَ المجدِ إن لم تَصبرِ
وإذا تأمّل شخصَ ضيفٍ مُقبلٍ مُتسرْبِلٍ سِربالَ ثوبٍ أغبَرِ
أوما إلى الكَوْماء هذا طارقٌ نحرتْنِيَ الأعداءُ إذْ لم تُنْحَرِ[(٣)]

ذكر ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام

حقيقةُ الجود بذل المال، قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٩٢]. وقال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحَشر: الآية ٩]. ورُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله استخلص هذا الدِّينَ لنفسه ولا يصلحُ لدينكم إلا السخاءُ وحسنُ الخُلُق ألا فزيِّنوا دينكم بهما» وقال ﷺ: «تجاوزُوا عن ذنب السّخِيّ فإن الله عزّ وجلّ آخذٌ بيده كلّمَا عَثَر وفاتحٌ له كلّما افتقَر» وقال ﷺ: «الجود من جود الله تعالى فجودوا يجود الله عليكم». «ألا إن السخاء شجرةٌ في الجنة أغصانها متدليةٌ في الأرض فمن تعلقَ بغصن منها أدخلَه الجنة». «ألا إن السخاءَ من الإيمانِ والإيمانُ في الجنة». وقال عليّ بن عبد الله بن عبّاس: سادةُ الناس في الدنيا الأسخياء. وقال بعضُ الحكماء: الجوَادُ من جاد بماله وصان نفسَه عن مالِ غيره. وقيل لعمرو بن عبيد[(٤)]: ما الكرمُ؟ فقال: أن تكون بمالِكَ متبرّعًا، وعن مال غيرك متورّعًا. ويقال: مراتبُ السخاء ثلاثة: سخاء وجودٌ وإيثارٌ، فالسخاءُ إعطاء الأقل وإمساكُ الأكثر، والجودُ إعطاءُ الأكثر

---

(١) بنو الأصفر: هم الرّوم عند العرب.
(٢) المغفر: مثل القلنسوة غير أنها أوسع يلقيها الرجل على رأسه فتبلغ الدرع. «اللسان ٥/٢٦».
(٣) الكوماء: ناقة عظيمة السنام طويلته، والكَومَ: عظم في السنام. والطّارق: الزائر ليلًا طالبًا الضيافة. «اللسان ١٢/٥٢٩».
(٤) عمرو بن عبيد: أبو عثمان البصري، شيخ المعتزلة في عصره، وأحد الزهاد المشهورين، اشتهر بعلمه وزهده وأخباره مع المنصور العباسي، له رسائل وخطب وكتب، ولد سنة ٨٠ هـ ـ ٦٩٩ م، وتوفي «بمران» قرب مكة سنة ١٤٤ هـ ـ ٧٦١ م ورثاه الخليعة المنصور. «الأعلام للزركلي ٥/٨١».

وإمساك الأقل، والإيثارُ إعطاء الكل من غير إمساك بشيء، وهو أشرف درجات الكرم، وبه استحقُّوا ثناء الله عزّ وجلّ عليهم في قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحَشر: الآية ٩]. ومن كلام يُنْسَب إلى جعفر بن محمّد(١): لا يتمّ المعروفُ إلا بثلاثة: تعجيلُه، وتصغيرُه، وسَتْره. الجُودُ زكاةُ السّعادة، والإيثارُ على النفس موجبٌ لاسم الكرم، وقال: لا يَسْتَحِي مَن بَذْل القليل فإن الحِرْمان أقلّ منه. قال بعضُ الشّعراء: [من البسيط]

أعطِ القليلَ ولا يمنعْكَ قِلّتهُ فكلّ ما سدّ فقرًا فهو محمودُ

وقال عليُّ بن الحسين: الكريمُ يبتهج بفضله، واللئيمُ يفتخر بماله.

وقال الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما: أيّها الناسُ من جَاد سَاد، ومن بخُل رذُل، وأن أجودَ الناس من أعطى من لا يرجوه. وقيل ليزيد بن معاوية: ما الجودُ؟ قال: أن تُعطي المالَ من لا تعرِف، فإنّه لا يصير إليه حتى يتخطّى من تعرِف.

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه(٢): لو لم يكن في الكرم، إلا أنه صفةٌ من صفات الله تعالى، تَسَمَّى بها فهو الكريمُ عزّ وجلّ. وقال رسول الله ﷺ: «إذا أتاكم كريمُ قوم فأكرموه». وقيل لعبد الله بن جعفر: إنك قد أسرفتَ في بذل المال، قال: إن الله عزَّ وجلّ قد عوّدني بعادة أن يتفضل عليّ، وعوّدتُهُ أن أتفضل على عباده، وأخاف أن أقطعَ العادةَ فيقطعَ عني. وقال المأمون لمحمد بن عباد المهلّبيّ(٣): إنك مِتْلافٌ، قال: منعُ الجود، سوءُ ظنّ بالمعبود. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: الآية ٣٩]. وقال أكثم بن صيفيّ حكيم

---

(١) جعفر بن محمّد، هو الإمام جعفر الصادق عليه السّلام.

(٢) أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر، الأديب الإمام صاحب العقد الفريد، من أهل قرطبة، وكان شاعرًا مذكورًا فغلب عليه الاشتغال في أخبار الأدب وجمعها، له شعر كثير، منها المحمصات وهي قصائد في الزهد نقض فيها كل ما قاله في صباه من الغزل، وهو أحد الذين أثروا بأدبهم بعد الفقر، له كتب كثيرة، وله أرجوزة تاريخية ذكر فيها الخلفاء وجعل معاوية رابعهم ولم يذكر عليًا عليه السلام فيهم، سمى كتابه المشهور «العقد» وأضاف إليه النساخ المتأخرون كلمة «الفريد» ـ ولد سنة ٢٤٦ هـ ـ ٨٦٠ م. وتوفي سنة ٣٢٨ هـ ـ ٩٤٠ م. «الزركلي ١/ ٢٠٧».

(٣) محمد بن عباد المهابي: أمير البصرة في زمن المأمون العباسي، توفي فيها سنة ٢١٦ هـ ـ ٨٣١ م، وهو من أبناء المهلب بن أبي صفرة، كان من أكابر الأمراء، جوادًا ممدحًا. «الأعلام للزركلي ٦/ ١٨١».

العرب: ذلِّلوا أخلاقَكم للمطالب، وقوِّدوها إلى المحامد، وعَلِّموها المكارم، ولا تقيموها على خلق تَذُمُّونَه من غيركم، وصِلُوا من رغِبَ إليكم، وتحلّوا بالجود يُكْسِبْكُمُ المحبةَ، ولا تقتعدوا البخلَ، تتعجلوا الفقرَ؛ أخذه شاعر فقال: [من المتقارب]

أَمِنْ خوف فقرٍ تعجّلْتَه ... وأخّرتَ إنفاقَ ما تجمعُ؟
فصرتَ الفقيرَ وأنت الغنيُّ ... وما كنتَ تعدو الذي تصنعُ

وكتب رجل من البخلاء إلى رجل من الأسخياء يأمره بالإشفاق على نفسه ويخوّفه الفقر، فأجابه: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٦٨] وإني أكره أن أترك أمرًا قد وقع لأمر لعلّه لا يقع.

وكان سعيد بن العاصي(١) يقول على المنبر: من رزقه الله رزقًا حسنًا، فلينفقْ منه سرًّا وجهرًا، حتى يكونَ أسعدَ الناس به، فإنما يترك ما يترك لأحد رجلين، إما لمُصْلِح، فلا يقلُّ عليه شيء، وإما لمفسد، لا يبقّى له شيء. أخذ بعض الشعراء هذا المعنى فقال: [من الكامل]

أَسْعِدْ بمالِكَ في الحياة فإنّما ... يبقى خلافُكَ مصلِحٌ أو مفسِدُ
فإذا جمعت لمفسدٍ لم يُغنِهِ ... وأخو الصّلاح قليله يتزيّدُ

وقال أبو ذرّ رضي الله عنه: لك في مالك شريكان، الحَدَثَان(٢)، والوارث، فإن استطعتَ أن لا تكونَ أبخسَ الشركاء حظًّا فافعل. وقال بَزَرْجُمَهرُ الفارسيّ(٣): إذا أقبلتْ عليك الدنيا، فانفقْ منها، فإنها لا تفنى، وإذا أدبرتْ عليك، فانفقْ منها، فإنها لا تبقى؛ أخذ الشاعر هذا المعنى فقال: [من البسيط]

لا تبخلَنَّ بدُنْيا وهي مقبِلةٌ ... فليس ينقُصها التبذيرُ والسَّرَفُ
وإنْ تولّت فأحرى أن تجودَ بها ... فالحمدُ منها إذا ما أدبَرَتْ خَلَفُ

---

(١) سعيد بن العاص: الأموي القرشي، صحابي من الأمراء الولاة الفاتحين، ربي في حجر عمر بن الخطاب، وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، وولاه معاوية المدينة فظل فيها إلى أن مات سنة ٥٩ هـ ـ ٦٧٩ م، وقيل توفي سنة ٥٣ هـ ـ ولد سنة ٣ هـ ـ ٦٢٤ م. «الزركلي ٣/ ٩٦».

(٢) الحدثان: مصائب الدهر، والليل والنّهار. «اللسان ٢/ ١٣٣».

(٣) بُزُرْجَمهر: فارسيّ، كان أبوه خامل الذّكر، ولكنّ ابنه وهب الحكمة منذ صغره فصار وزير كسرى أبرويز ملك فارس، وقيل: كان وزيرًا لكسرى أنو شروان. «انظر إعجام الأعلام ص ٧٣».

وكان كسرى يقول: عليكم بأهل السخاء والشجاعة، فإنهم أهلُ حسنِ ظنٍّ بالله، ولو أن أهلَ البخل، لم يدخلْ عليهم من ضَرّ بُخلهم، ومذمّةَ الناسِ لهم، وإطباقَ القلوب على بغضهم، إلا سوءُ ظنِّهم بربهم في الخلف، لكان عظيمًا؛ أخذه محمود الورّاق فقال: [من البسيط]

مَن ظنّ بالله خيرًا جادَ مبتدِئًا والبخلُ من سوءِ ظنِّ المرء باللهِ

وقيل لأبي عُقَيل البليغ العراقيّ: كيف رأيت مروان بن الحَكَم عند طلب الحاجة إليه؟ قال: رأيتُ رغبَته في الإنعام، فوق رغبتِه في الشكر، وحاجتَه إلى قضاء الحاجة، أشدُّ من حاجة صاحِبها.

وقال زياد: كفى بالبخيل عارًا، أن اسمه لم يقعْ في حمدٍ قطّ.

وقال أسماء بن خارجة[1]: ما أُحِبُّ أن أردَّ أحدًا عن حاجة طَلبَها، لأنه لا يخلو أن يكون كريمًا، فأصونُ له عِرْضَه، أو لئيمًا، فأصونُ عِرْضي منه.

وقال إبراهيم بن المهديّ[2]: قلت لرجل من أهل الكوفة من وجوه أهلها كان لا يجِفُّ بيده قلمٌ، ولا يستريحُ قلبُه، ولا تسكنُ حركتُه في طلب حوائج الرجال، وإدخالِ المرافقِ على الضعفاء: أخبِرْني عن الحالة التي خفّفَتْ عنكَ النَّصَبَ، وهوّنت عليك التعبَ، في القيام بحوائج الناس، ما هي؟ قال: قد والله سمعتُ تغريد الطَّير بالأسحار، في فروع الأشجار، وسمعتُ خَفْقَ أوتار العيدان وترجيعَ أصوات القيانِ، فما طرِبتُ من صوتٍ قطُّ، طَرَبي من ثناءٍ حسن، بلسانٍ حسن، على رجلٍ قد أحسن، ومن شُكرٍ حرٍّ لمنعِم حرّ، ومن شفاعةِ محتسبٍ، لطالب شاكر؛ قال إبراهيم: فقلت، لله أبوك! لقد حشيت كرمًا. وكان طلحة بن عبد الله بن عوف الزهريّ من أجود قريش في زمانه، فقالت له امرأته: ما رأيت قومًا ألأمَ من إخوتك، فقال لها: لمه؟ وأنَّى قلت ذاك؟ فقالت: أراهم إذا أيسرتَ أتوك، وإذا أعسرت تركوك، قال: هذا والله كرمُهُمْ، يأتوننا في حال القوّة عليهم، ويتركوننا في حال العجزِ عنهم.

---

(١) أسماء بن خارجة: الفز اري، تابعي من رجال الطبقة الأولى، من أهل الكوفة، كان سيد قومه، جوادًا مقدمًا عند الخلفاء، توفي سنة ٦٦ هـ ـ ٦٨٦ م. «الأعلام للزركلي ١/ ٣٠٥».

(٢) هو إبراهيم بن محمد المهدي العبّاسي بن عبد الله المنصور، أبو إسحٰق، أخو هارون الرّشيد ولد ونشأ في بغداد، وولّاه الرشيد إمرة الشام، بويع بالخلافة أثناء خلاف الأمين والمأمون، ثمّ استتر لمّا انتصر المأمون، مات في سرّ من رأى سنة ٢٢٤ هـ. «الأعلام ١/ ٥٩».

وحُكِي أنَّ رجلًا شيخًا أتى سعيد بن سالم، وكلّمه في حاجة وما شاه، فوضع الشيخ زجَّ[١] عصاه التي يتوكأ عليها، على رِجلِ سعيدٍ حتَّى أدماها، فما تأوّه لذلك، وما نهاه، فلما فارقه، قيل له: كيف صبِرتَ على هذا منه؟ فقال: خفتُ أن يعلَم جِنايتَه، فينقطعَ عن ذكر حاجته.

ذكر مَن انتهى إليهم الجود في الجاهلية وذكر شيء من أخبارهم

والذي انتهى إليهم الجودُ في الجاهلية حاتم بن عبد الله بن سعد الطائيّ، وهَرِم بن سِنان المُرِّيّ، وكعب بن مَامَة الإيادي، وضرب المثل بحاتم وكعب، والمشهور حاتم. وكعب هذا: هو الذي جاد بنفسه، وآثرَ رفيقه بالماء في المفازة[٢]، ولم يشهر له خبرٌ غير هذا. وأما حاتم فأخباره مشهورة.

منها: أنه كان إذا اشتد البَرْد، أمر غلامه يسارًا، فأوقد نارًا في بقاع من الأرض، لينظرَ إليها مَنْ ضلّ عن الطريق، وفي ذلك يقول: [من الرّجز]

أَوقِدْ فإنّ الليلَ ليلٌ قَرُّ   والريحُ يا واقِدَ ريحٌ صِرُّ
عسى يرى نارَك مَنْ يمرُّ   إن جلبتْ ضيفًا فأنتَ حرُّ

قالوا: ولم يكُ حاتمٌ يمسك غيرَ سلاحه وفرسه، ثم جاد بفرسه في سنةِ أَزْمة.

قالت النوارُ امرأة حاتم: أصابتنا سنة اقشعرَّت لها الأرض، واغبرَّ أُفُق السماء، وصنَّتِ المراضِعُ عن أولادها، لا تَبِضُّ[٣] بقطرة، وأيقنّا بالهلاك، فوالله، إنِّي لفي ليلة صِنَّبْرَة[٤]، بعيدة ما بين الطرفين، إذ تَضاعى صِبْيَتُنا جُوعًا، عبد الله، وعديّ، وسَفانة، فقام حاتم إلى الصبيّين، وقمت إلى الصبيّة، فوالله ما سكتوا إلا بعد هَدْأَة من الليل، وأقبل يعلّلني، فعرفت ما يريد، فتناومت، فلما تهوّرتِ النجوم، إذا بشيء قد رفع كِسْرَ البيت، فقلت: مَنْ هذا؟ فوَلّى، ثم عاد آخر الليل، فقال مَنْ هذا؟ فقالت:

---

(١) الزج: الحديدة التي في طرف العصا حين تلامس الأرض.
(٢) المفازة: واحدة المفاوز، وسميت بذلك لأنها مهلكة من فوّز أي هلك. ويقال للرجل إذا مات: قد فوّز أي صار في مفازة ما بين الدنيا والآخرة من البرزخ المحدود. «اللسان ٥/ ٣٩٢».
(٣) تبضّ بقطرة: أي لا تقطر قطرة من ماء.
(٤) صِنَّبْرة: ليلة باردة، الريح الباردة في غيم. «اللسان ٤/ ٤٧٠».

جارتُك فلانة، أتيتُك من عند صِبْيَة يتعاوون عواءَ الذئاب، فما وجدتُ معوَّلًا إلا عليك أبا عديّ، فقال: أعجليهم، فقد أشبعكِ الله وإياهم، فأقبلت المرأة تحمل اثنين، ويمشي بجانبها أربعُ كأنها نَعامةٌ حولها رِئالُها، فقام إلى فرسه، فوجأ لبَّته بمُدية، فخر، ثُمّ كَشَط عن جلده، ودفع المدية إلى المرأة، وقال: شأنك، فاجتمعنا على اللحم نَشْوِي، ونأكل، ثم جعل يأتيهم بيتًا بيتًا، فيقول: هبّوا عليكم بالنار، والتفع بثوبه ناحية ينظر إلينا، لا والله إن ذاق منه مضغة وإنه لأحوج إليه منّا، فأصبحنا وما في الأرض إلا عظم أو حافر.

وقيل: كان مبدأُ الأمرِ لحاتم في الجود، أنه لما تَرَعْرَع، جعل يخرج طعامَه فإن وجد من يأكله معه أكله، وإن لم يجد طرحه، فلما رأى أبوه، أنه يُهلك طعامَه، قال له: أَلْحِق بالإبل، فخرج إليها، فوهب له جاريةً، وفرسًا وفِلْوَها.

وقيل: بل هلك أبو حاتم وهو صغير، وهذه القِصّة كانت مع جدّه سعد بن الحَشْرج، فلما أتى حاتمُ الإبل، طفِقَ يبتغي الناس، فلا يجدهم، ويأتي الطريق، فلا يجد عليه أحدًا، فبينا هو كذلك، إذ بَصُر برَكْب على الطريق، فأتاهم، فقالوا: يا فتى، هل من قِرّى؟ فقال: تسألونني عن القِرَى؟ وقد تَروْن الإبل! وكان الذي بَصُر بهم، عَبِيد بن الأبرص[1]، وبِشر بن أبي خازم[2]، والنابغة الذُّبيانيّ، وكانوا يريدن النعمان، فنحر لهم ثلاثة من الإبل، فقال عَبِيد: إنما أردنا اللبن، وكانت تكفينا بَكْرة، إن كنت لا بدّ متكلّفًا لنا شيئًا، فقال حاتم: قد عرفتُ، ولكن رأيت وجوهًا مختلفة، وألوانًا متفرّقة، فظننت أن البلدان غير واحد، فأردت أن يذكر كلّ واحد منكم ما رأى، إذا أتى قومه فقالوا فيه أشعارًا امتدحوه بها، وذكروا فضله، فقال حاتم: أردت أن أُحسِن إليكم، فصار لكم الفضلُ عليّ، وإني أعاهد الله أن أَضرِب عراقيبَ إبلي عن آخرها، أو تقوموا إليها فتقتسموها ففعلوا! فأصاب كل واحد تسعًا وثلاثين بعيرًا، ومضوا على سفرهم إلى النعمان، وأن أبا حاتم أو جدَّه، سمع بما فعل، فقال: أين الإبل؟ فقال: يا أبت طوقتُك بها طوقَ الحمامةِ مجدًا وكَرَمًا، لا يزال الرجل يحمل بيت شعر أثنى به علينا عِوضًا من إبلك، فلما سمع أبوه ذلك، قال: أبإبلي فعلتَ

(١) هو عبيد بن الأبرص الأسدي شاعرٌ جاهلي قديم، من المعمّرين، وقد شهد مقتل حجر والد امرىء القيس، قتله النعمان بن المنذر في يوم بؤسه. «انظر الشعر والشعراء ص ١٦١».

(٢) بشر بن أبي خازم: أبو نوفل، شاعر جاهلي فحل، من أهل نجد، له قصائد في الفخر والحماسة، توفي قتيلًا في غزوة أغار بها على بني صعصعة بن معاوية سنة ٢٢ ق.هـ ـ ٥٩٨ م. «الأعلام للزركلي ٢/ ٥٤».

ذلك؟ قال: نعم، قال: والله لا أُساكنك أبدًا، فخرج أبوه بأهله، وترك حاتمًا، ومعه جاريته وفرسه وفِلْوه. قال: فبينما حاتم يومًا نائم، إذ انتبه، وحوله نحو مائتي بعير تجول وتحْطِمُ بعضُها بعضًا، فساقها إلى قومه، فقالوا: يا حاتم، أبقِ على نفسك، فقد رزقتَ مالًا، ولا تعودَنّ إلى ما كنتَ فيه من الإسراف، قال: فإنها نهبٌ بينكم، فانتُهِبت؛ ثم أقبل ركبٌ من بني أسد ومن قيس يريدون النعمان، فلقوا حاتمًا، فقالوا له: إنا تركنا قومنا يُثْنُون عليك خيرًا، وقد أرسلوا إليك برسالة، قال: وما هي؟ فأنشده الأسديّون شعرًا، لِعبيد، وأنشده الليثيّون شعرًا للنّابغة، ثم قالوا: إنا لنستَحِي أن نسألَك شيئًا وإنّ لنا لحاجة، قال: وما هي؟ قالوا: صاحبٌ لنا راجلٌ، فقال حاتم: خذوا فرسي هذه، فاحملوا عليها صاحبكم، فأخذوها، ورَبَطتِ الجاريةُ فِلْوها بثوبها، فأفلت فاتبعته الجارية لتردّه، فقال حاتم: ما لحقكم من شيء فهو لكم، فذهبوا بالفرس والفلو والجارية.

وأما هرِم بن سِنان فمن أخباره: أنه آلى على نفسه أنه لا يسلّم عليه زُهَير إلا أعطاه فقلّ مالُ هَرِم، وكان زهير يمرّ بالنادي وفيه هرِمٌ فيقول: أنعموا صباحًا ما خلا هرمًا، وخيرُ القوم تركتُ؛ قالوا: وكان عبد الله بن جُدعان، حين كَبِر، أخذتْ بنو تميم على يده، ومنعوه أن يعطي شيئًا من ماله، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه، قال له: ادنُ منّي، فإذا دنا منه لَطَمه، ثم قال: اذهب فاطلب لطمتك أو ترضى، فترضيه بنو تميم من ماله؛ وفيه يقول الشاعر: [من الخفيف]

والـذي إن أشـار نـحـوك لَطْـمًـا تـبـع الـلّطـمَ نـائـلٌ وعَـطـاءُ

ومن أخبار الكرام: ما حُكي أنّ خالد بن عبد الله القَسْريّ(١) أميرَ العراق، كان يكثر الجلوسَ ثم يدعو بالبِدَر ويقول: إنما هذه الأموالُ ودائعُ العرب لا بدّ من تفرقتها، فقال ذلك مرّة، وقد وفد عليه أخوه أسد بن عبد الله(٢) من خُراسان، فقام، فقال: أيها الأمير إن الودائعَ تُجمعُ لا تُفرقُ، فقال: ويحك! إنها ودائعُ المكارم؛ وأيدينا وكلاؤها، فإذا أتانا المُملِق فأغنيناه، والظمآن فأرويناه، فقد أدّينا فيها الأمانةَ،

(١) خالد بن عبد الله القسري: (٦٦ ـ ٥١٢٦ هـ = ٦٨٦ ـ ٧٤٣ م) أبو الهيثم، من بجيلة، أمير العراقين وأحد خطباء العرب، يماني الأصل من أهل دمشق، قتله يوسف بن عمر الثقفي في أيام الوليد بن يزيد بن معاوية. كان خالد يُرمى بالزندقة. «الأعلام للزركلي ٢/ ٢٩٧».

(٢) أسد بن عبد الله القسري: أمير من الأجواد الشجعان، ولد ونشأ في دمشق، وولاه أخوه خالد خراسان سنة ١٠٨ هـ، وكان دهاقنة الفرس راضين عنه وعن حكمه وأسلم على يديه «سامان» جد السامانيين، توفي في بلخ سنة ١٢٠ هـ ـ ٧٣٨ م. «الأعلام للزركلي ١/ ٢٩٨»..

ومرّ يزيد بن المهلب[١] بأعرابيةٍ في هروبه من سجن عمر بن عبد العزيز، وهو يريد البصرة، فقدّمت له عَنْزًا فقبلها، ثم قال لابنه معاوية: ما معك من النفقة؟ قال ثمانمائة دينار، قال: ادفعها إليها! فقال له ابنه: إنك تريد الرجالَ، ولا تكون الرجالُ إلا بالمال، وهذه يرضيها اليسير، وهي بعدُ لا تعرفك، فقال: إن كانت ترضى باليسير، فأنا لا أرضى إلا بالكثير، وإن كانت لا تعرفني، فأنا أعرف نفسي، ادفعها إليها، فدفعها إليها. قال الأحنف: كثرت عليّ الدّيَات بالبصرة، لما قُتِل مسعود، فلم أجدها في حاضرة تميم، فخرجت نحو يَبْرِين[٢]، فسألت: مَن المقصودُ هناك؟ فأرسلت إلى قُبة، فإذا شيخٌ جالسٌ بِفِنائها، مؤتزر بشمْلة، مُحتَبٍ بحبل، فسلمتُ عليه، وانتسبتُ له، فقال: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قلت: تُوُفِّي، قال: فما فعل عمر بن الخطاب الذي كان يحفظ العرب ويحوطها؟ قلت: مات، قال: فأيّ خبر في حاضرتكم بعدهما؟ قال: فذكرت الديات التي لزمتنا للأزد وربيعة، قال: أقمْ، فإذا راعٍ قد أزاح عليه بألف بعير، فقال: خذها، ثم أراح عليه آخرُ بمثلها، فقال: خذها، قلت: لا أحتاج إليها، فانصرفت بالألف، والله ما أدري من هو إلى الساعة.

ورُوي عن مَعْن بن زائدة، قال: لما هربت من المنصور، خرجت من باب حرب، بعد أن أقمت في الشمس أيامًا، وحففتُ لِحْيتي وعارضي، ولبست جُبَّة صوفٍ غليظة، وركبت جملًا، وخرجت عليه لأمضي إلى البادية، قال: فتبعني أسودُ متقلد سيفًا، حتى إذا غبت عن الحرس، قَبَض على خِطام[٣] الجمل فأناخه، وقبض عليّ، فقلت: ما شأنُك؟ فقال: أنت بغيةُ أمير المؤمنين فقلت له: ومن أنا حتّى يطلبني أميرُ المؤمنين؟ فقال مَعْن بن زائدة[٤] فقلت: يا هذا! اتقِ الله وأين أنا من معن؟ فقال: دع هذا عنك، فأنا والله أعرفُ بك، فقلت له: فإن كانت القصةُ كما

(١) يزيد بن المهلب: (٥٣ ـ ١٠٢ هـ = ٦٧٣ ـ ٧٢٠ م) أبو خالد، ابن أبي صفرة الأزدي، أمير من القادة، ولي خراسان بعد وفاة أبيه المهلب مدة ست سنين ثم عزله عبد الملك بن مروان، قتل في مكان يسمى العقر بين واسط وبغداد في معركة بينه وبين مسلمة بن عبد الملك. «الزركلي ٨/ ١٩٠».

(٢) يبرين: من أصقاع البحرين، قرية من هجر والإحساء. «معجم البلدان ٥/ ٤٢٧».

(٣) خطام الجمل: زمامه.

(٤) هو معن بن زائدة الشيباني، أبو الوليد، من أشهر أجواد العرب، ومن الفصحاء الشجعان، أدرك العصرين الأموي والعبّاسي، قتل غيلة في سجستان حين كان واليًا عليها وذلك سنة ١٥١ هـ. «الأعلام ٧/ ٢٧٣».

تقول، فهذا جوهر حملتُه معي، بأضعاف ما بذله المنصور، لمن جاءه بي فخذه ولا تَسْفك دَمِي، فقال: هاته، فأخرجتُه إليه، فنظر إليه ساعة، وقال: صدقتَ في قيمته، لست قابله حتى أسألك عن شيء، فإن صدقتني أطلقتك، فقلت: قل، فقال: إن الناسَ قد وصفوك بالجود فأخبرني هل وهبتَ قطّ مالَك كلَّه! قلت: لا، قال: فنصفه! قلت: لا، قال: فثلثه! قلت، لا حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت: إني أظن قد فعلت هذا، فقال: ما ذاك بعظيم، أنا والله راجلٌ، ورزقي على أبي جعفر، عشرون درهمًا، وهذا الجوهر قيمته ألف دينار، وقد وهبته لك، ووهبتك لنفسك، ولجودك المأثور بين الناس، ولتعلمْ أن في الدنيا من هو أجود منك، ولا تعجبْكَ نفسُك، ولتُحَقِّرْ بعد هذا كلّ شيء تفعله ولا تتوقفْ عن مكْرُمةٍ، ثم رمى بالعقد إليّ، وخلّى خِطام الجمل وانصرف، فقلت: يا هذا! قد والله فضحتَني، ولسَفْكُ دمي أهونُ عليّ مما فعلت، فخذ ما دفعته إليك، فإني عنه في غنًى، فضَحِك، ثم قال: أردت أن تكذّبني في مقامي هذا، فوالله لا آخذه، ولا آخذ لمعروف ثمنًا أبدًا، ومضى، فوالله لقد طلبته بعد أن أمنتُ، وبذلت لمن جاءني به ما شاء، فما عرفت له خبرًا، وكأنّ الأرض ابتلعته، وكان سببُ غضب المنصور على مَعْن بن زائدة: أنه خرج مع عمرو بن يزيد بن عمرو بن هُبَيْرَة وأَبْلَى في حربه بلاء حسنًا.

ويقال: إن شاعرًا أتى وهب بن وهب(١)، وكان جوادًا، فمدحه فَهَشّ وبَش له وثنى له الوِسَادة وأضافه ورَفَدَهْ وحمله، فلما أراد الرّجل الرحلة، لم يخدمْه أحدٌ من غِلْمان وهب، فأنكر الرجلُ ذلك مع جميل فعله، فعاتبَ بعضهم، فقال له الغلام: إنّا إنّما نُعين النازل على الإقامة ولا نُعين الراحلَ على الفراق.

وكان الحارث بن هشام المخزومي(٢) في وقعة اليرموك، وبها أصيب فأثبتته الجراح، فاستسقى ماءً، فأُتِيَ به، فلما تناوله، نظر إلى عِكْرِمة بن أبي جهل صريعًا

(١) وهب بن وهب: أبو البختري، من قريش، قاض، من العلماء بالأخبار والأنساب، متهم بوضع الحديث، ولد ونشأ في المدينة وانتقل إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد فولاه القضاء لعسكر المهدي ثم قضاء المدينة، ثم عزل فعاد إلى بغداد وتوفي فيها سنة ٢٠٠ هـ - ٨١٥ م - كان جوادًا كثير العطايا للشعراء. «الزركلي ٨/ ١٢٦».

(٢) الحارث بن هشام المخزومي: أبو عبد الرحمٰن، صحابي، كان شريفًا في الجاهلية والإسلام، شهد بدرًا مع المشركين فانهزم، ثم أسلم يوم فتح مكة، وخرج في أيام عمر بأصله وماله من مكة إلى الشام، مات في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ - ٦٣٩ م. «الأعلام للزركلي ٢/ ١٥٨».

في مثل حاله، فردّ الإناءَ على الساقي، وقال: امضِ إلى عِكْرِمة بن أبي جهل، فمضى إليه، فأبى أن يشرب قبلَه، فرجع إلى الحارث، فوجده ميتًا، فرجع إلى عِكْرمة، فوجده قد مات، فلم يشرب واحدٌ منهما.

وقد وصف الناسُ أهلَ الجودِ والكرمِ بمدائحَ، سنذكر ما استجودناه منها.

فمن ذلك ما حُكي عن أبي العباس أحمدَ بن يحيىٰ المعروف بثعلب، قال: كان ببغداد فتى يُجَنّ ستة أشهر، فاستقبلته ببعض السكك ذات يوم، فقال: ثعلب؟ قلت: نعم، قال: فأنشِدْني فأنشدته: [من الكامل]

وإذا مررتَ بقبرهِ فاعقِرْ بهِ ... كُومَ الهِجان وكلَّ طِرْفٍ سَابِحِ[1]
وانضحْ جوانبَ قبرهِ بدمائها ... فكذا يكون أخا دمٍ وذَبائِحِ[2]

فضَحِك، ثم سكت ساعة، وقال: ألا قال؟: [من الخفيف]

اذهبا بي إن لم يكن لكما عَقْـ ... ـرٌ على تُربِ قبرهِ فاعقِرَانِي
وانضحا من دمي عليه فقد كا ... ن دمي من نَدَاه لو تعلمانِ

ثم رآني يومًا بعد ذلك فتأمّلني، وقال: ثعلب! قلت: نعم، قال: أنشدني فأنشدته: [من مجزوء الوافر]

أعارَ الجَوْدَ نائِلَه ... إذا ما ماؤُه نَفَدَا
وإنْ لَيثٌ شَكَا جُبنا ... أعار فؤادَه الأسدا

فضحك، وقال: ألا قال؟ [من الرمل]

علَّم الجَوْدَ النَدى حتّى إذا ... ما حكاه علَّم البأسَ الأسدْ
فلهُ الجَوْدُ مقِرٌّ بالندى ... وله الليثُ مِقرٌّ بالْجَلَدْ

وقال مسلم بن الوليد[3] وهو مما يجوز إيراده في الشجاعة والكرم: [من البسيط]

يجودُ بالنفس إن ضنّ الجوادُ بها ... والجود بالنفس أقصى غايةِ الجودِ

---

(١) الهجان: الهجان من الإبل: الناقة الأدماء، وهي الخالصة اللون، وإبل هجان: أي بيض وهي أكرم الإبل. «اللسان ١٣/ ٤٣٣». طرف سابح: الطرف، من الخيل: الكريم العتيق، وقيل هو الطويل القوائم والعنق، وإبل هجان: أي بيض. «لسان العرب ٩/ ٢١٤».
(٢) نضح الماء: أساله.
(٣) مسلم بن الوليد الأنصاري، أبو الوليد المعروف بصريع الغواني، شاعر غزل، هو أول من أكثر=

وأول مَن أتى بهذا المعنى علقمةُ بن عَبْدَة[١] حيث قال: [من الطويل]

تجودُ بنفسٍ لا يُجَاد بمثلها ... فأنتَ بها يوم اللّقاء خَصِيبُ

وهذا مثل قول يزيد بن أبي يزيد الشيباني[٢]: من جاد بنفسه عند اللقاء، وبماله عند العطاء، فقد جاد بنفسيه كلتيهما. قالوا: وأجود ما قيل في ذلك قول أبي العتاهية يمدح العباس بن محمد[٣]: [من الكامل]

لو قيل للعباس يا ابنَ محمد ... قل «لا» وأنت مخلّدٌ ما قالَها
إنّ السماحةَ لم تَزَلْ معقولةً ... حتّى حللتَ براحتيك عِقَالَها
وإذا الملوك تسايرتْ في بلدة ... كانوا كواكِبها وكنتَ هِلاَلَها

فلم يثْبه العباس، فقال: [من الوافر]

هززتُك هِزَّة السيف المحلَّى ... فلمّا أن ضربتُ بك انثنيتُ
فهبها مِدْحةً ذهبت ضياعًا ... كَذَبتُ عليك فيها وافتريتُ

فلما سمع العباس الأبيات غضب، وقال: والله لأجهدنّ في حتفه، قال: فمرّ أبو العتاهية بإسحٰق بن العباس، وقال له إسحٰق: أنشدني شيئًا من شعرك فأنشده: [من المتقارب]

ألا أيها الطالبُ المستَغِيثُ ... بمن لا يُفِيدُ ولا يَرْفِدُ
ألا تسألِ الله من فضله ... فإن عطاياه لا تَنْفَدُ
إذا جئت أفضلَهم السؤا ... ل ردّ وأحشاؤه تَرْعَدُ

= من البديع وتبعه الشعراء فيه، من أهل الكوفة، قدم جرجان مع المأمون ويقال إنه ولي قطائع جرجان، توفي بها في السنة ٢٠٨ هـ ـ ٨٢٣ م. «الأغاني ١٨/ ٣١٥، والزركلي ٧/ ٢٢٣، والشعر والشعراء ص ٥٦٩».

(١) علقمة بن عبدة: هو علقمة الفحل، من بني تميم، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان معاصرًا لامرىء القيس، وله معه مساجلات له ديوان شعر مطبوع. «الأعلام ٤/ ٢٤٧».

(٢) يزيد بن أبي يزيد الشيباني: أمير من القادة الشجعان، كان واليًا وقائدًا عباسيًّا معروفًا، وأخبار شجاعته وكرمه كثيرة، توفي ببردعة من بلاد أذربيجان في السنة ١٨٥ هـ ـ ٨٠١ م. ورثاه شعراء كثيرون. «وفيات الأعيان ٦٥/ ٣٢٧، والزركلي ٨/ ١٨٨».

(٣) العباس بن محمد: (١٢١ ـ ١٨٦ هـ = ٧٣٩ ـ ٨٠٢ م) أبو الفضل الهاشمي، أمير، وهو أخو المنصور والسفاح، ولاه المنصور دمشق وبلاد الشام كلها، وولي إمارة الجزيرة في أيام الرشيد، وحج بالناس عدة مرات، وإليه تنسب العباسية، وهي محلة بالجانب الغربي من بغداد ولما توفي في بغداد دفن فيها. «الأعلام للزركلي ٣/ ٢٦٤».

كأنّك من خشيةٍ للسؤا ... ل في عينه الحيّةُ الأسودُ
ففِرّ إلى الله من لؤمهم ... فإنِي أرى الناسَ قد أصْلَدُوا
وإني أرى الناس قد أبرقُوا ... بلؤم الفِعَال وقد أَرْعَدُوا

ثم مضى، فقيل لإسحٰق: إن هذا الشعر له في أبيك، فقال إسحٰق: أولى له، لم عرّض نفسه وأحوج أبا العتاهية إلى مثل هذا مع ملكه وقدرته؟.

وقد أورد أبو الفرج الأصفهانيّ خبر هذه الأبيات، فقال: امتدح ربيعة الرَّقّي[(١)] العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بقصيدة لم يُسْبق إليها حسنًا، وهي طويلة يقول فيها: [من الكامل]

لو قيل للعباس: يا ابن محمّدٍ ... قل «لا» وأنت مخلّدٌ ما قالهَا
ما إن أعدّ من المكارم خَصْلة ... إلا وجدتُك عمَّها أو خَالهَا
وإذا الملوكُ تسايرت في بلدة ... كانوا كواكِبَها وكنتَ هِلَالهَا
إن المكارمَ لم تَزلْ معقولةً ... حتَّى حللتَ براحتيك عقالَها

قال: فبعث إليه بدينارين، وكان يقدّر فيه ألفين، فلما نظر إلى الدينارين، كاد أن يُجَن غضبًا، وقال للرسول: خذِ الدينارين فهما لك على أن تردّ إليّ الرُّقعة، من حيث لا يدري العباس، ففعل الرسول ذلك، فأخذها ربيعة، وأمر من كتب في ظهرها: [من الوافر]

مدحتُك مِدْحةَ السيف المُحلَّى ... لتجْرِيَ في الكرام كما جريتُ
فهبها مِدْحة ذهبت ضياعًا ... كذبتُ عليك فيها وافتريتُ
فأنت المرءُ ليس له وَفَاءٌ ... كأني إذْ مدحتُك قد زَنَيتُ

ثم دفعها إلى الرسول وقال: ضعها في الموضع الذي أخذتَها منه، ففعل، فلما كان من الغد، أخذها العباس فنظر فيها، فلما قرأ الأبيات، غضب، وقام من وقته، فركب إلى الرشيد، وكان أثيراً عنده يبجّله ويقدّمه، وكان قد همّ أن يخطب إليه ابنته، فرأى الرشيد الكراهةَ في وجهه، فقال ما شأنُك؟ قال: هجاني ربيعةُ الرقِّي، فأحضره

(١) ربيعة الرقي: أبو ثابت أو أبو شبانة الرقي، شاعر غزل مقدم، كان ضريرًا، يلقب بالغاوي، عاصر المهدي العباسي ومدحه بعدة قصائد، وكان الرشيد يأنس به، وله معه ملح كثيرة. ولد ونشأ في الرقة (على الفرات، من بلاد الجزيرة) وإليها نسبته، توفي سنة ١٩٨ هـ ـ ٨١٣ م. «الأعلام للزركلي ٣/ ١٦».

الرشيد، وقال له: يا ماصّ كذا وكذا من أمّه أتهجو عمّي، وآثرَ خلقِ الله عندي؟ لقد هممتُ أن أضرِبَ عنقَك، فقال: يا أميرَ المؤمنين، والله لقد امتدحتُه بقصيدةٍ ما قال أحدٌ مثلَها من الشعراء في أحد من الخلفاء، ولقد بالغتُ في الثناء، وأكثرتُ الوصف، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمرَ بإحضارها فعل، فلما سمع الرشيدُ ذلك، سكن غضبه، وأحبَّ أن ينظرَ في القصيدة، فأمر العباس بإحضارها فتلكأ عليه، فقال له الرشيد: سألتك بحق أمير المؤمنين، إلّا أمرتَ بإحضارها؟ فأُحضِرت، فإذا فيها القصيدة بعينها، فاستحسنها واستجادها وأعجب بها، وقال: والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها، ولقد صدق ربيعةُ فبرّ، ثم قال للعباس: كما أثبتَه عليها؟ فسكت العباس، وتغيّر لونُه، وغُصَّ بريقه، فقال ربيعة: أثابني عنها يا أمير المؤمنين دينارين، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من الموجدة عليه، فقال: بحياتي يا رَقّي كم أثابك؟ فقال: وحياتِك يا أمير المؤمنين ما أثابَني إلا بدينارين، فغضب الرشيد غضبًا شديدًا، ونظر في وجه العباس، وقال: سوءة لك! أيّةُ حال قعدَتْ بك عن إثابته؟ أقلّة مال؟ فوالله لقد نولتك جهدي، أم انقطاع المال عنك؟ فوالله ما انقطعتْ بك، أم أصلُك؟ فهو الأصل الذي لا يدانيه شيء، أم نفسك؟ لا ذنبَ لي، بل نفسُك والله فعلت بك ذلك، حتى فضحتَ أجدادَك وفضحتَني، وفضحت نفسَك، فنكَسَ العباس رأسَه، ولم ينطِق، فقال الرشيد: يا غلام، أعطِ ربيعةَ ثلاثين ألف درهم، وخِلْعَةً، واحمله على بغلة، ثم قال له: بحياتي لا تذكره في شيء من شعرك تعريضًا ولا تصريحًا، وفتر الرشيد عما كان قد همّ به من أن يتزوج إليه وأظهر له بعد ذلك جفاء واطراحًا.

وقال محمد بن هانيء: [من البسيط]

الـواهـبُ الألـفَ إلّا أنـهـا بِـدَرٌ ... والطاعنُ الألفَ إلا أنها نَسَقُ(١)

تـأتي عـطاياه شتّى غير واحدةٍ ... كما تدافعَ موجُ البحر يصطَفِقُ

وقال الرضيّ المُوسويّ: [من السّريع]

ريّـانُ والأيـامُ ظـمـآنـةٌ ... مـن الـنّـدَى نَـشْـوانُ بـالـبِـشْـرِ

لا يُـمـسـكُ الـعـذلُ يـديـه ولا ... تـأخـذُ مـنـه نـشـوةُ الـخـمـرِ

(١) البدرة: صرّة النقود، والنسق: المجموع المنسّق.

وقال أيضًا: [من المتقارب]

ذخـائِرُه الـعُـرْفُ فـي أهـلِهِ وخُـزّانُ أمـوالِـهِ الـسـائِلونـا

وقال أميّة بن أبي الصلت الثقَفِيّ يمدح عبد الله بن جُدْعان: [من الوافر]

أأذكرُ حاجتي أم قد كفاني حَياؤكَ إن شيمَتك الحياءُ؟
وعلمُكَ بالأمورِ وأنت قَرْمٌ لك الحسبُ المهذَّبُ والسناءُ
كريمٌ لا يغيِّره صَباحٌ عن الخُلُق السنيّ ولا مَساءُ
إذا أثنى عليك المرءُ يومًا كفاه من تَعرُّضه الثناءُ

وقال الشمّاخ بن ضِرار[1]: [من الطويل]

نَزورُ امرأً يُعْطِي على الحمد مالَه ومن يُعْطِ أثمانَ المحامدِ يُحْمَدِ
وأنتَ امرؤٌ، مَن تُعطِه اليوم نائلًا بكفّك، لا يمنعْك من نائِل الغدِ
ترى الجودَ لا يُدني من المرء حتفَه كما البخلُ والإمساكُ ليس بمُخلِدِ
مُفيدٌ ومِتلافٌ، إذا ما سألته تهلّل، واهتزّ اهتزاز المهنَّدِ
متى تأتهِ تعشو إلى ضوءِ نارِه تجدْ خيرَ نارٍ عندَها خيرُ مُوقِدِ

قال: ولما سمع عمر رضي الله عنه هذا البيت، قال: كَذَبَ، تلك نار موسى عليه السلام.

وقال السريّ الرّفاء: [من المنسرح]

كالغيثِ والليثِ والهلالِ إذا أَقْمَرَ بأسًا وبهجةً ونَدَى
ناسٍ من الجود ما يجودُ به وذاكرٌ منه كلما وعدا

وقال أبو الفرج الوأواء[2]: [من المنسرح]

مَن قاسَ جدواك بالغمام فما أنصفَ في الحكمِ بين اثنيْنِ
أنت إذا جدت ضاحكًا أبدًا وهو إذا جاد باكِيَ العيْنِ

---

(١) الشماخ بن ضرار: الغطفاني، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وهو من طبقة لبيد والنابغة، كان أرجز الناس على البديهة، شهد القادسية، وتوفي في غزوة موقان سنة ٢٢ هـ - ٦٤٣ م. «الزركلي ٣/ ١٧٥».

(٢) أبو الفرج الوأواء: محمد بن أحمد الغساني الدمشقي، من حسنات الشام وصناعة الكلام، كان مناديًا في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفواكه، وما زال يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه، توفي نحو ٣٨٥ هـ - نحو ٩٩٥ م. «يتيمة الدهر ١/ ٢٧١، والإعلام للزركلي ٥/ ٣١٢».

وقال ابن نباتة السعديّ من قصيدة: [من البسيط]

لـم يُبـقِ جـودُك لـي شـيـئًا أؤمّـله   تـركـتـنـي أصـحـبُ الـدنـيـا بـلا أمـلِ

ذكر ما قيل في الإعطاء قبل السؤال

قال سَعيد بن العاصي: قبح الله المعروف، إذا لم يكن ابتداءً من غير مسألة، فما المعروف عوضٌ من مسألة الرجل، إذا بذل وجهَه، فقلبُه خائفٌ، وفرائصُه ترعُد، وجبينه يرشح، لا يدري أيرجع بنُجحِ الطلبِ أم بسوءِ المنقلب، قد بات ليلته يتململُ على فراشه، يعاقب بين شِقّيْه، مرّة هكذا، ومرّة هكذا، مَنْ لحاجته؟ فخطرتُ بباله أنا أو غيري، فمثَّل أرجاهم في نفسه، وأقربَهم من حاجته، ثم عزم عليَّ، وترك غيري، قد انتُقِع لونُه، وذهبَ دمُ وجهه، فلو خرجتُ له مما أملك لم أكافِئْه، وهو عليَّ آمَنُ منّي عليه، اللّهم فإن كانت الدنيا لها عندي حظٌّ فلا تجعلْ لي حظًّا في الآخرة.

وقال أكثم بن صيفيّ: كلُّ سؤالٍ وإن قلّ، أكثر من كلّ نوال وإن جلّ.

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه: من كانت له إليّ منكم حاجة، فليرفعها في كتاب، لأصونَ وجوهكم عن المسألة.

وقال عبد العزيز بن مروان: ما تأمّلني رجل قط، إلا سألته عن حاجته، ثم كنت من ورائها.

وقال حبيب: [من الطويل]

عطاؤكَ لا يفنَى ويستغرقُ المنَى   وتـبـقـى وجـوهُ الـراغـبـيـن بـمـائـهـا

وقال أيضًا: [من البسيط]

ما ماءُ كفِّكَ إنْ جادت وإنْ بخلَتْ   من ماء وجهي إذا أفنيتُه عوضُ

وقالوا: مَنْ بذَل إليك وجهَه، فقد وفّاك حقَّ نعمته.

وقال معاوية لصَعْصَعَةَ بن صُوحان: ما الجودُ؟ فقال: التّبرعُ بالمال، والعطاء قبل السؤال.

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربّه: [من الطويل]

كـريـمٌ على العِلّاتِ جَزْلٌ عطاؤه   يُـنـيـلُ وإن لـم يُـعـتـمـدْ لـنـوالِ

ومـا الجود مَنْ يُعطي إذا ما سَألته   ولـكـنَّ مَـنْ يُـعـطِـي بـغـيـر سـؤالِ

وقال حبيب الطائيّ: [من البسيط]

لئن جَحدْتُك ما أوليتَ من كَرَمٍ ... إني لفي اللؤمِ أَمضَى منك في الكرمِ
أنسَى ابتسامُك ـ والألوانُ كاسفةٌ ـ ... تبسُّمَ الصبحِ، في داجٍ من الظُّلَمِ
رددتَ رونقَ وجهي في صفيحته ... ردَّ الصِّقالِ صفاءَ الصارمِ الخَذِمَ
وما أبالي ـ وخيرُ القول أصدقُه ـ ... حقنتَ لي ماءَ وجهي أم حقنتَ دمِي

ذكر ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام

رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الشجاعةُ غريزة يضعها الله فيمن يشاء من عباده، إن الله يحبّ الشجاع ولو على قتلِ حيّة».

وقالوا: حدّ الشجاعة سعةُ الصدر بالإقدام على الأمور المتلفة.

وسئل بعضهم عن الشجاعة فقال: جِبِلّةُ نفس أبيّة، قيل له: فما النجدة؟ قال: ثقةُ النفس عن استرسالها إلى الموت، حتى تحمد بفعلها دون خوف.

وقيل لبعضهم: ما الشجاعةُ؟ فقال: صبرُ ساعةٍ. وقال بعض أهل التجارب: الرجالُ ثلاثةٌ: فارس، وشجاع، وبطل، فالفارس: الذي يشدّ إذا شدّوا، والشجاع: الداعي إلى البراز والمجيب داعيَهُ، والبطلُ: الحامي لظهور القوم إذا ولّوا.

قال يعقوبُ بن السكّيت في كتاب الألفاظ: العرب تجعل الشجاعة في أربع طبقات، تقول: رجلٌ شجاعٌ، فإذا كان فوق ذلك، قالوا: بطلٌ، فإذا كان فوق ذلك، قالوا: بُهْمةٌ، فإذا كان فوق ذلك، قالوا: الْيَس.

وقال بعض الحكماء: جسمُ الحرب: الشجاعة، وقلبها: التدبير، ولسانها: المكيدة، وجَناحُها: الطاعة، وقائدها: الرفق، وسائقُها: النصر.

قالوا: لما ظفر المهلّب بن أبي صُفرة بالخوارج، وَجّهَ كعبَ بنَ مَعْدَانَ[١] إلى الحجّاج، فسأله عن بني المهلّب، فقال: المغيرةُ فارسهم وسيّدهم، وكفى بيزيد فارسًا شجاعًا، وجوادُهم وشيخُهم: قَبيصةٌ، ولا يستحي الشجاعُ أن يفرّ من مُدرِك، وعبدُ

(١) كعب بن معدان: أبو مالك، فارس، شاعر وخطيب، من شعراء خراسان، كان معدودًا في أصحاب المهلب بن أبي صفرة في حروب الأزارقة، توفي نحو ٨٠ هـ ـ نحو ٧٠٠ م. «الزركلي ٥/٢٢٩».

الملك: سمٌّ نافعٌ، وحبيبٌ: موتٌ زعافٌ، ومحمدٌ: ليثُ غابٍ، وكفاك بالمفضَّل نَجدةً، قال: فكيف خلّفتَ جماعةَ الناس؟ قال: خلّفتهم بخير، قد أدركوا ما أملوا، وأمنوا ما خافوا، قال: فكيف كان بنو المهلّب فيهم؟ قال: كانوا حُماة السَّرحِ[1] نهارًا، فإذا أليلوا ففرسان البيات، قال: فأيّهم كان أنجدَ؟ قال: كانوا كالحلْقة المفْرغة، لا يُدرَى أين طَرَفُها، قال: فكيف كنتم أنتم وعدوّكم؟ قال: كنّا إذا أخذنا، عفونا، وإذا اجتهدوا، اجتهدنا فيهم، فقال الحجّاج: ﴿إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هُود: الآية ٤٩].

وقالوا: أشجعُ بيت قالته العرب قول العباس بن مِرداس السلميّ[2]: [من الوافر]

أَشُدُّ على الكتيبةِ لا أُبالي ... أَحَتفي كان فيها أم سواها؟

وقد مدح الشعراءُ الشجاعةَ وأهلَها، وأوسعوا في ذلك، فمن ذلك قول المتنبيّ: [من الطويل]

شجاعٌ كأنّ الحربَ عاشقةٌ لهُ ... إذا زارها فدَّتْه بالخيلِ والرَّجْلِ

وقال أيضًا: [من البسيط]

وكم رجالٍ بلا أرضٍ لكثرتهمْ ... تركتَ جمعَهُمُ أرضًا بلا رجُلِ
ما زال طِرْفُك يجري في دمائهِمُ ... حتى مشى بك مشيَ الشاربِ الثملِ

وقال العماد الأصفهاني[3]: [من الكامل]

قومٌ إذا لبِسوا الحديدَ إلى الوغى ... لبِس الحِدَادَ عدوُّهم في المهربِ
المُصدِرون الدُّهْمَ عن وِرْدِ الوغى ... شُقْرًا تُجَلَّلُ بالعَجاج الأشهبِ

---

(١) السّرح: المال السائم، أي الأنعام في المرعى.
(٢) العباس بن مرداس: أبو الهيثم، من مضر، شاعر فارس ومن سادات قومه، أمه الخنساء الشاعرة، أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم قبيل فتح مكة، وكان ممن ذم الخمر وحرّمها في الجاهلية، ومات في خلافة عمر نحو ١٨ ق.هـ ـ نحو ٦٣٩ م. «الأعلام للزركلي ٣/ ٢٦٧».
(٣) العماد الأصفهاني: أو الأصبهاني هو محمد بن محمد عماد الدين الكاتب، مؤرخ عالم بالأدب من أكابر الكتاب، له مؤلفات كثيرة وديوان شعر توفي سنة ٥٩٧ هـ. «الأعلام ٧/ ٢٦».

وقال أبو الفرج الببغاء[١]: [من الكامل]

واليومُ من غَسَقِ العَجاجةِ ليلةٌ والكرُّ يخرَق سَجْفَها الممدودا[٢]

وعلى الصِّفاحِ من الكِفاحِ وصِدقِه رَدْعٌ أحالَ بياضَها توريدا

والطعنُ يَغتصبُ الجيادَ شياتَها والضربُ يقدح في التليل وقودا[٣]

وعلى النفوسِ من الحِمام طلائعُ والخوف يَنشُد صبرَها المفقودا

وأجلُّ ما عند الفوارس حثُّها في طاعة الهربِ الجيادَ القُودا

حتى إذا ما فارقَ الرأيُ الهوى وغدا اليقينُ على الظنون شهيدا

لم يُغنِ غيرُ أبي شجاعٍ والعلا عنه تناجِي النصرَ والتأبيدا

وقال أيضًا ورُوِيَ للبحتريّ: [من البسيط]

مِن كلّ متَّسِعِ الأخلاقِ مبتسِمٌ للخطبِ إن ضاقت الأخلاقُ والحِيلُ

يسعى به البرقُ، إلا أنه فَرَسٌ في صورة الموتِ إلا أنه رجلُ

يلقَى الرماحَ بصدرٍ منه ليس له ظَهرٌ وهادِي جوادٍ ما له كَفَلُ

وقال البحتريّ: [من الخفيف]

معشرٌ أمسكتْ حلومُهُمُ الأر ضَ وكادت لولاهُمُ أن تميدا

فإذا الجدبُ جاء كانوا غيوثًا وإذا النقعُ ثار ثاروا أسودا

وكأنّ الإلـه قال لهُمُ في الـ حرب كونوا حجارةً أو حديدا

وقال مُسْلِم: [من الكامل]

لو أنّ قومًا يخلُقون منيّةً من بأسهم كانوا بني جبريلا

قَومٌ إذا حمِي الوطيسُ لديهِمُ جعلوا الجماجمَ للسيوفِ مَقِيلَا

---

(١) أبو الفرج الببغاء: هو أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي، من أهل نصيبين، أحد أفراد الدّهر في النظم والنثر. «انظر اليتيمة ١/ ٢٩٣».

(٢) العجاجة: العجاج: الغبار، واحدته عجاجة، وفعله التعجيج، وأعجّت الريح: اشتد هبوبها. «اللسان ٢/ ٣١٩». سجفها: السِّجف: الستر، والسدافة: الحجاب، والتسجيف: إرخاء الستر. «اللسان ٩/ ١٤٤».

(٣) التليل: تلل: صرع. والتليل: العنق، «اللسان ١١/ ٧٩».

وقال آخر: [من الكامل]

عِقبانُ رَوْعٍ والسروجُ وكُورها ... وليوثُ حربٍ والقنا آجامُ(١)
وبدورُ تمٍّ والشوائكُ في الوغَى ... هالاتُها والسابريُّ غَمامُ(٢)
جادوا بممنوع التلادِ وجوّدوا ... ضربًا تُخَدُّ به الطُّلا والهامُ(٣)
وتجاورت أسيافُهم وجيادُهم ... فالأرض تُمطَرُ والسماء تُغامُ

وقال آخر: [من الكامل]

قومٌ، شرابُ سيوفِهِمْ ورماحِهِمْ ... في كلّ معتَرِك دمُ الأشرافِ
رجَعتْ إليهم خيلُهم بمعاشرٍ ... كلٌّ لكلٍّ جسيم أمرٍ كافِ
يتحنّنون إلى لقاء عدوّهم ... كتحنّن الأُلّاف للأُلّافِ
ويباشرون ظُبَا السيوف بأنفسٍ ... أمضَى وأقطع من ظُبَا الأسيافِ

وقال ابن حَبّوس(٤): [من الخفيف]

إن تُردْ خُبْرَ حالهِم عن قريبٍ ... فأتِهم يومَ نائلٍ أو نِزالِ
تَلْقَ بيضَ الوجوه سودَ مَثار الـ ... نقع، خُضْرَ الأكنافِ حُمْرَ النصال

ومما قيل في الصبر والإقدام

قال الله عزَّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ

---

(١) وكور: أعشاش ـ وكر الطائر: عشه، والجمع القليل أوكر وأوكار. «اللسان ٥/ ٢٩٢». آجام: جمع أجمة وهي الشجر الكثيف الملتف، وهناك جموع أخرى لأجمة مثل: أُجْمٌ وأُجُمٌ وأُجَمٌ وإجام. «اللسان ١٢/ ٨».

(٢) الشوائك: الشوكة: السلاح، وقيل حدة السلاح ورجل شاكي السلاح وشائك السلاح. «اللسان ١٠/ ٤٥٤». السابري: من الثياب: الرِّقاق ـ وهو من أجود الثياب والأصل فيه الدروع السابرية منسوبة إلى سابور. «اللسان ٤/ ٣٤١ و٣٤٢».

(٣) التلاد: كل مال قديم من حيوان وغيره يورث عن الآباء، ومال متلد: مال قديم. «اللسان ٣/ ١٠٠». تخد: من الفعل خدد: تخد: تشق، ومنها الأخدود: الحفرة تحفرها في الأرض مستطيلة. «اللسان ٣/ ١٦٠ و١٦١».

(٤) ابن حبوس: (٥٠٠ ـ ٥٧٠ هـ = ١١٠٦ ـ ١١٧٤ م) محمد بن حسين بن عبد الله بن حبوس، أبو عبد الله، شاعر من أهل فاس، ولد ونشأ فيها، وقال الشعر في صباه، ورحل إلى تلمسان ومراكش ودخل الأندلس، امتدح الأمراء واشتهر، نعت بشاعر الخلافة المهدية. «الأعلام للزركلي ٦/ ١٠١».

إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ [الأنفال: الآيتان ٤٥، ٤٦]. وقال رسول الله ﷺ: «لا تتمّنوا لقاءَ العدوّ وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاثبتوا وأكثروا من ذكر الله وإن جلبوا وضجّوا فعليكم بالصمت».

ومن كلام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: ربَّ حياةٍ، سببها التعرّض للموت، وربَّ منيّة، سبّبها طلبُ الحياة.

وقالوا: أجمع كلمة قيلت في الصبر قول بعضهم: الصبر مطيّة النصر.

وقال آخر: الصبر مَطِيّةٌ لا تكبو، وإن عَنُفَ عليه الزمان.

وقال آخر: الصبر شَرية[1]، تثمر أريَة.

وقيل للمهلّب بن أبي صفرة: إنك لتُلقي نفسك في المهالك، فقال: إن لم آت الموتَ مسترسلًا، أتاني مستعجلًا، إني لست آتي الموت من حُبّه، وإنما آتيه من بغضه، وتمثّل بقول الحُصَين بن الحمام[2]: [من الطويل]

تأخّرتُ أستبقي الحياةَ فلم أجدْ لنفسِي حياةً مثلَ أن أتقدّما

وهي قصيدة مشهورة منها: [من الطويل]

فلسنا على الأعقاب تَدمَى كلومُنا ولكن على أقدامنا تقطُرُ الدَّما
نفلِّقُ هامًا من كرامٍ أعزّةٍ علينا، وهم كانوا أعقَّ وأظلما
ولما رأينا الصبرَ قد حِيلَ دونه وإن كان يومًا ذا كواكبَ مُظلِما
صبرنا، وكان الصبرُ منا سجيةً بأسيافنا يقطعنَ كفًّا ومِعصما
ولما رأيت الودَّ ليس بنافعي عمدتُ إلى الأمر الذي كان أحزما
فلستُ بمبتاعِ الحياة بسُبّةٍ ولا مُرتقٍ من خَشيةِ الموتِ سُلَّما

وقالت العرب: الشجاعة وقاية، والجُبْن مَقْتلة. وكذلك: إن مَنْ يُقتلُ مدبرًا، أكثر ممن يقتلُ مقبلًا.

---

(١) أرية: الأري: العسل، وأري السحاب: درته، وأري الندى: ما وقع منه على الشجر والعشب فالتزق وكثر. «اللسان ١٤/ ٢٨». شرية: شجر الحنظل والجمع شرْيُ. «اللسان ١٤/ ٤٣٠».

(٢) الحصين بن حمام بن ربيعة المري الذبياني، أبو يزيد، شاعر فارس جاهلي، كان سيد بني سهم بن مرة ويلقب مانع الضيم، في شعره حكمة، وهو ممن نبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية توفي نحو ١٠ ق.هـ ـ نحو ٦١٤ م. «الزركلي ٢/ ٢٦٢».

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد: احرِصْ على الموت، توهَبْ لك الحياة.

وقالت الحكماء: استقبالُ الموت، خير من استدباره.

وقال العلويّ: [من الطويل]

محرّمةٌ أكفالُ خيلي على القنا ودامـيـةٌ لـبّـاتُـهـا ونـحـورُهـا[١]
حـرامٌ عـلى أرماحِنا طعـنُ مدبِر وتندقُّ منها في الصدور صدورُها

وقال أبو تمّام: [من البسيط]

قَلُّوا ولـكـنّـهـمْ طابوا فـأنـجدَهُـمْ جيشٌ من الصّبرِ لا يُحصَى له عَددُ
إذا رأَوا لـلـمـنـايا عـارضًا لـبِـسـوا مـن الـيـقـيـن دروعًـا ما لـهـا زَردُ
نأوا عن المُصْرَخ الأدنى فليس لهم إلّا السيوفَ على أعدائهم مددُ[٢]

وما زالت العرب يتمادحون بالموت قَعْصًا[٣]، ويتسابّون بالموت على الفراش، ويقولون فيه: مات فلانٌ حتفَ أنفه، وأوّل من قال ذلك رسول الله ﷺ.

ومدح أعرابيّ قومًا فقال: [من المنسرح]

يـقـتـحـمـون الـحـربَ كـأنّـمـا يَـلقـونـهـا بـنـفـوس أعـدائـهـم

وقال عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل أخيه مُصْعَب[٤]: إن يقتلْ فقد قُتِل أخوه وأبوه وعمه، إنّا والله لا نموتُ حتفًا ولكن قَعْصًا بأطراف الرماح، وموتًا تحت ظِلال السيوف، وقال السموأل بن عادياء: [من الطويل]

ومـا مـات مـنّـا سـيّـدٌ فـي فـراشه ولا طُـلّ مـنـا حـيـثُ كـان قـتـيـلُ
تسيل على حدّ الظُّبات نفوسُنا وليست على غير الظّبات تسيلُ

---

(١) أكفالها: أعجازها، والمفرد «كفل»: العجز. «اللسان ١١/٥٨٨».
(٢) المصرح: الصرحة: الموضع، والصرحة من الأرض: ما استوى وظهر، يوم مصرّح: ليس فيه سحاب. «اللسان ٢/ ٥١٠ و٥١١».
(٣) قعصًا: القعص: القتل المعجل، مات قعصًا: إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه. وأقعصه بالرمح: طعنه طعنًا، أجهز عليه. «لسان العرب ٧/٧٨».
(٤) مصعب بن الزبير: أبو عبد الله (٢٦ ـ ٧١ هـ = ٦٤١ ـ ٦٩٠ م) أحد الولاة الأبطال في صدر الإسلام، كان مساعد أخيه عبد الله في الحجاز والعراق، حارب مصعب عبد الملك بن مروان إلى أن طعنه أحد قادة عبد الملك ثم قتله وحمل رأسه إلى الخليفة. «فوات الوفيات ٤/ ١٤٣، والزركلي ٧/ ٢٤٨».

وقال أيضًا آخر: [من الطويل]

وإنا لتستحلي المنايا نفوسنا ونتركُ أخرى مُرَّةً ما نذوقُها

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صفّين(١)، وقد قيل له: أتقاتل أهلَ الشام بالغداة، وتظهر بالعشيّ في إزار ورداءٍ؟ فقال: أبالموت تخوّفونني؟ فوالله ما أبالي، أسقطت على الموت، أم سقط الموت عليّ؛ وقال لابنه الحسن: لا تدعوَنَّ أحدًا إلى المبارزة، وإنْ دعيت إليها فأجبْ، فإنّ الداعيَ إليها باغٍ، وللباغي مصرعٌ، وقال رضي الله عنه:

* بقيّةُ السيفِ أنمى عددا *

يريد أن السيف إذا أسرع في أهل بيتٍ كثر عددهُم ونَمَى.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: عقمت النساء أن تأتي بمثل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، لعهدي به يومَ صِفّين، وعلى رأسه عِمامة بيضاء، وهو يقف على شِرذِمةٍ شرذمة من الناس، يحضُّهم على القتال، حتى انتهى إليَّ، وأنا في كنَفٍ من الناس، وفي أغيلمة من بني عبد المطّلب، فقال: يا معشر المسلمين، تجلببوا السكينةَ، وكمّلوا اللأمةَ، وأقلقوا السيوف في الأغماد، وكافحوا بالظُّبا، وصِلوا السيوف بالخُطَا، فإنكم بعين الله، ومع ابن عم رسول الله ﷺ، عاودوا الكرّ، واستحيوا من الفرّ، فإنه عار في الأعقاب، ونار في الحساب، وطيبوا عن الحياة أنفسًا، وسيروا إلى الموت سيرًا سُجُحًا(٢)، ودونكم هذا الرواق الأعظم، فاصبروا، فإن الشيطان راكب صَعْدتَه، قدِّموا للوثبةِ رِجلًا، وأخِّروا للنكوصِ أخرى، فصمدًا صمدًا، حتى يبلغَ الحقُّ أجلَه، والله معكم، ولن يتركم أعمالكم؛ ثم صدَرَ عنا، وهو يقرأ: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [التوبة: الآية ١٤].

وكان معاوية بن أبي سفيان يتمثل يوم صِفّين بهذه الأبيات: [من الوافر]

أبتْ لي شيمتي وأبى بلائي وأخذي الحمدَ بالثمن الربيحِ

---

(١) صفين: المعركة المعروفة في التاريخ، سميت باسم المكان الذي جرت فيه، وصفين موضع بقرب الرقة على شاطىء الفرات من الجانب الغربي. «معجم البلدان ٣/ ٤١٤».

(٢) سُجحًا: سهلًا ـ خُلُق سجيح: لين سهل، مشى فلان مشية سجحا: أي سهلة. «اللسان ٢/ ٤٧٥».

وإقدامي على المكروه نفسي وضربي هامةَ البطلِ المشيحِ[١]
وقولي كلّما جشأتْ لنفسي مكانِك تُحمدِي أو تَستريحي
لأدفعَ عن مآثرَ صالحاتٍ وأحمِيَ بعدُ عن عِرضٍ صحيحِ

وقال قَطَرِيُّ بن الفُجَاءة[٢] أميرُ الخوارج: [من الوافر]

وقولي كلّما جشأتْ لنفسي من الأبطال ويحكِ لا تَراعِي
فإنكِ لو سألتِ بقاءَ يومٍ على الأجل الذي لك لم تطاعِي
فصبرًا في مجال الموت صبرًا فما نَيْلُ الخلود بمستطاعِ
سبيلُ الموت غايةُ كلِّ حيٍّ وداعيه لأهلِ الأرضِ داعِي

وقال عبد الله بن رواحة الأنصاري[٣]: [من السّريع]

يا نفسُ إن لم تُقْتلي تموتِي إن تسلمي اليومَ فلا تفوتِي
أو تُبتَلِي فطالما عُوفيتِ هذي حياضُ الموت قد صَلِيتِ
وما تمنّيتِ فقد لَقيتِ إن تفعلي فعلَهما هُدِيتِ

* وإن تولّيت فقد شَقِيتِ *

يريد بقوله: [من المتقارب]

* فإن تفعلي فعلهما هُديتِ *

فعلَ زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما، وكانا قُتلا في ذلك اليوم بموته. وكان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، يخرج كلّ يومٍ بصِفّين حتى

---

(١) المشيح: الجاد الحذر، وشايح الرجل: جد في الأمر، والمشيح: المقبل إليك والمانع لما وراء ظهره من الفعل «شيح». «اللسان ٢/ ٥٠٠».

(٢) قطري بن الفجاءة: جفونة بن مازن بن يزيد التميمي، (أبو نعامة)، من رؤساء الأزارقة، من أهل قطر قرب البحرين، كان خطيبًا فارسًا شاعرًا، كنيته في الحرب أبا نعامة وهي فرسه، وفي السلم أبا محمد، حيَّر بشجاعته الأمويين، قتل في السنة ٧٨ هـ - ٦٩٧ م. «وفيات الأعيان ٤/ ٩٤، والأعلام ٥/ ٢٠٠».

(٣) هو عبد الله بن رواحة الأنصاري، أبو محمد، من الخزرج، صحابيّ، شهد بدرًا وأحدًا والحديبية والخندق، واستخلفه النبي على المدينة في إحدى غزواته، استشهد في وقعة مؤتة سنة ٨ هـ. «الأعلام ٤/ ٨٦».

يقف بين الصفين ويُنشد: [من الرّجز]

مـن أيّ يـوميَّ مـن الـموتِ أفـرْ ... يـومُ لا يُـقـدَرُ أم يـومُ قُـدِرْ
فـيـومُ لا يُـقـدَرُ لا أرهـبُـهُ ... ثمَّ من المقدورِ لا ينجو الحذِرْ

ومثله قول جرير من قصيدة أولها: [من الكامل]

* هـاجَ الـفـراقُ لـقـلـبـك الـمـهـتـاج *

منها: [من الكامل]

قـل لـلجـبـانِ إذا تـأخّـر سَـرجُـهُ ... ما أنتَ من شَرك المنية ناجي

وقالت امرأةٌ من عبد القيس: [من الطويل]

أبوا أن يَفرُّوا والقنا في نحورهم ... ولم يبتغوا من خشية الموتِ سُلَّما
ولـو أنـهـم فـرُّوا لـكـانـوا أعـزّةً ... ولكن رأَوا صبرًا على الموت أكرما

وقال حبيب بن أوس الطائيّ: [من الطويل]

فأَثبَتَ في مستنقعِ الموتِ رِجلَهُ ... وقالَ لها من تحت أخْمَصك الحشرُ
وقد كان فوتُ الموتِ سهلًا فردَّه ... عليه الحِفاظُ المُرُّ والخُلُقُ الوعْرُ
غـدًا غـدوةً والـحـمـدُ نـسجُ ردائهِ ... فلم يـنـصـرفْ إلا وأكـفـانُه الأجْـرُ
تردَّى ثيابَ الموتِ حُمْرًا فما أتى ... لها الليلُ إلا وَهْيَ من سندس خُضرُ

وقال: [من الكامل]

قومٌ إذا لبسوا الحديدَ حسبتهم ... لـم يـحـسَـبـوا أن الـمـنـيَّـة تُـخـلَقُ
أُنظرْ بحيثُ ترى السيوف لوامعًا ... أبـدًا وفـوق رؤوسـهـم تـتـألّقُ

وقال الببغاء: [من المنسرح]

يسعى إلى الموتِ والقنا قِصَدٌ ... وخـيـلُه بـالـرؤوس تـنـتـعـلُ
كـأنّـه واثـقٌ بـأنَّ لـه ... عُـمـرًا مُـقـيـمًـا ومـا لـه أجـلُ

وقال كعب بن مالك: [من الكامل]

نَصِلُ السيوف إذا قصُرن بخطوِنا ... قُـدَمًـا ونـلحـقُـهـا إذا لـم تُـلحـقِ

ومثله لبعض بني قيس بن ثعلبة: [من البسيط]

لو كان في الألف منّا واحدٌ فدعوا مَنْ فارسٌ؟ خالهم إيَّاه يعنونا
إذا الكماة تنحّوا أن يُصيبَهُمُ حدُّ الظُّبات وصلناها بأيدينا

ومثله قول الآخر: [من الطويل]

إذا قصُرتْ أسيافُنا كان وصلُها خُطانا إلى أعدائنا فنقاربُ

ومثله قول وَدَّاك بن ثُمَيْل المازنيّ[1]: [من الطويل]

مَقاديمُ وصّالون في الرَّوْع خَطوَهم بكلِّ رقيقِ الشَّفرتين يماني
إذا استُنجدوا لم يسألوا مَن دعاهُمُ لأيةِ حربٍ أم بأيّ مكانِ

وقال أبو تمّام في سعة الخطو: [من البسيط]

خَطْوٌ، ترى الصارمَ الهنديّ منتصرًا به، من المارن الخَطّيِّ منتصفا[2]

وقال آخر: [من الوافر]

كأنّ سيوفَه صِيغت عقودًا تجول على الترائب والنحورِ
وسُمرَ رماحِهِ جُعلتْ همومًا فما يخطُرنَ إلا في ضمير

وأجود ما قاله مُحدّثٌ في الصبر قول ابن الروميّ: [من الطويل]

أرى الصبرَ محمودًا وعنه مذاهبٌ فكيف إذا ما لم يكن عنه مذهبُ؟
هناك يحقُّ الصبرُ، والصبرُ واجبٌ وما كان منه كالضرورة أوجبُ
فشدَّ امرؤ بالصبر كفًّا فإنه له عِصمةٌ، أسبابُها لا تقَضّبُ
هو المهربُ المنجي لمن أحدقتْ به مكارهُ دهرٍ ليس منهنّ مَهرَبُ
لبوسُ جمالٍ جُنَّةٌ من شماتةٍ شِفاءُ أسىً يُثنَى به ويُثَوَّبُ
فيا عجبًا للشيء هذي خلالُهُ وتاركُ ما فيه من الحظ أعجبُ
وقد يتظنّى الناس أنّ أساهُمُ وصبرَهُمُ فيهم طِباعٌ مُركَّبُ

---

(١) وداك بن ثميل المازني: شاعر من الفرسان، ممن اختار لهم أبو تمام في الحماسة، وليس له في كتب المعاجم شيئًا يذكر، ويبدو أنه جاهلي. «الأعلام للزركلي ٨/ ١١١».

(٢) الصارم: الصرم: القطع البائن، والانصرام: الانقطاع، والصارم: السيف القاطع. «اللسان ١٢/ ٣٣٥». المارن الخطي: الرمح الصّلب اللّين اللّدن.

فإنهما ليسا كشيء مُصرَّفٍ يصرِّفه ذو نكبة حين يُنكَبُ
فإن شاء أن يأسى أطاع له الأسى وإن شاء صبرًا جاءَه الصبرُ يُجلبُ
وليسا كما ظنوهما بل كلاهما لكلّ لبيبٍ مستطاعٌ مستبُّ
يصرّفه المختارُ منا فتارةً يُراد فيأتي، أو يُذاد فيذهبُ
إذا احتجّ محتجٌّ على النفس لم تكذْ على قدَرٍ يُمنَى لها تتعتَّبُ[1]
وساعَدَها الصبرُ الجميلُ فأقبلتْ إليها له طوعًا جنائبُ تُجنَبُ
وإن هو منَّاها الأباطيلَ لم تزل تقاتل بالعتبِ القضاءَ وتُغلبُ
فيُضحِي جزوعًا إن أصابت مصيبةٌ ويمسي هلوعًا إن تعذّر مطلَبُ
فلا يعذرنَّ التاركُ الصبرَ نفسَهُ بأن قيل: إن الصبرَ لا يُتكسّبُ

ذكر ما قيل في وفور العقل

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [قٓ: الآية ٣٧]، قال المفسرون: عبَّر عن العقل بالقلب، لأنه محلّه وسكنه، وقال تعالى: ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم: الآية ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: الآية ٧]، وقال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾ [الفجر: الآية ٥].

ورُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أوّل ما خلق الله العقلَ، قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي، ما خلقتُ خلقًا أكرم عليّ منك، بك آخذ، وبك أعطي، وبك أثيب، وبك أعاقب».

وعنه ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى قسم العقل على ثلاثة أقسام، فمن كنَّ فيه كمل عقلُه، ومن لم يكن فيه جزء منها، فلا عقلَ له»، قيل: يا رسولَ الله، ما أجزاءُ العقل؟ قال: حسنُ المعرفةِ بالله، وحسنُ الطاعةِ لله، وحسنُ الصبرِ على أمر الله». وعنه ﷺ أنه قال: «ما اكتسب رجل مثل فضلِ عقلٍ يَهدي صاحبَه إلى هدًى، ويردّه عن ردًى، وما تمّ إيمان عبدٍ ولا استقام دينُه، حتى يكمُلَ عقله».

---

(١) يمنى: يُمنى لها: يقدر لها، منّى الله لك ما يسرك: أي قدر لك. وسمي الموت «المنية» لأنه قدر علينا. «اللسان ١٥/ ٢٩٢».

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لتميم الداريّ: ما السؤدد فيكم؟ قال: العقل، قال: صدقتَ، سألتُ رسولَ الله ﷺ كما سألتُك، فقال كما قلتَ، ثمّ قال: سألت جبريل ما السؤدد؟ فقال: العقل.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، بأي شيء يَتفاضل الناسُ في الدنيا؟ قال: بالعقل، قلت: وفي الآخرة؟ قال: بالعقل، قلت: أليس إنما يجزون بأعمالهم! فقال: «يا عائشة، وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله تعالى من العقل، فبقدر ما أُعطوا من العقل كانت أعمالهم، وبقدر ما عملوا يُجزَون».

وعن سعيد بن المسيَّب[(١)]: أن عمر وأبَيَّ بن كعب[(٢)] وأبا هُريرة دخلوا على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، مَنْ أعلمُ الناس؟ قال: العاقل، قالوا: فمَنْ أعبدُ الناس؟ قال: العاقل، قالوا: فمَنْ أفضلُ الناس؟ قال: العاقل، قالوا: أليس العاقلُ من طَهُرت مروءتُه، وظَهَرت فصاحته، وجادتْ كفّه، وعظُمت منزلته؟ فقال عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزّخرُف: الآية ٣٥] إن العاقل هو التقيُّ وإن كان في الدنيا خسيسًا دنيًا.

وورد في الأثر: «أن الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام العقلَ والدينَ والحياءَ، فاختار العقلَ، فقيل للدين والحياء: ارتفعا، قالا: لا، قال: أفعصيتما أمرَ ربِّكما؟ قالا: ما عصينا أمرَ ربِّنا، ولكنّا أُمِرنا أن نتبعَ العقلَ حيث كان».

وقال لقمانَ لابنه: إن غايةَ الشرفِ والسؤددِ في الدنيا والآخرة، حُسنُ العقلِ، لأن العبدَ إذا حسُن عقلُهُ، غطّى ذلك عيوبَه، وأصلح مساوِيَهُ، ورضيَ عنه خالقُه، وكفى بالمرء عقلًا أن يسلمَ الناس من شرِّه.

وقيل: مكتوبٌ في حكمة آل داود عليه السلام: على العاقلِ أن يكون عالمًا بأهل زمانه. مالكًا للسانه، مقبلًا على شأنه.

---

(١) سعيد بن المسيب: (١٣ ـ ٩٤ هـ = ٦٣٤ ـ ٧١٣ م) المخزومي القرشي، أبو محمد، سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة في المدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والزرع، وكان يعيش من التجارة بالزيت، توفي بالمدينة.

(٢) أُبي بن كعب: من بني النجار، من الخزرج، أبو المنذر، صحابي أنصاري، كان قبل الإسلام حبرًا من أحبار اليهود، مطلعًا على الكتب القديمة، يكتب ويقرأ على قلة العارفين بالكتابة في عصره، ولما أسلم كان من كتاب الوحي، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ مات بالمدينة سنة ٢١ هـ ـ ٦٤٢ م. «الزركلي ١/ ٨٢، وفهرست ابن النديم ص: ٤٠».

وقال بعضُ الحكماء: كلُّ شيءٍ يعِزُّ إذا قلّ، والعقلُ كلّما كان أكثر كان أعزّ وأغلى، ولو بيع، لما اشتراه إلا العاقلُ لمعرفته بفضله، وأوّلُ شرفِ العقل أنه لا يُشتَرى بالمال.

قال أبو عطاء السّنديّ[١]: [من الوافر]

فإنّ العقلَ ليس له إذا ما　　تذكّرتَ الفضائلَ من كفاءِ

وقالوا: العلمُ قائدٌ، والعقلُ سائقٌ، والنفسُ بينهما حرون[٢]، فإذا كان قائدٌ بلا سائقٍ هلكتْ، وإن كان سائق بلا قائد أخذَتْ يمينًا وشمالًا، فإذا اجتمعا أجابت طوعًا أو كُرْهًا.

ذكر ما قيل في حدّ العقل وماهيّته وما وصف به

وقد اختلف الحكماء، في حد العقل، فقيل: حدّه الوقوف عند مقاديرِ الأشياءِ قولًا وفعلًا، وقيل: النظرُ في العواقب، وقال المتكلمون: هو اسم لعلوم إذا حصلت للإنسان صحّ تكليفُه. وقيل: العاقلُ من له رقيبٌ على شهواته، وقيل: هو من عقلَ نفسَه عن المحارم، وقال عمرو بن العاص: أن يَعرِفَ خيرَ الخيريْن، وشرَّ الشريْن.

قال أبو هلال: ومن العجب أن العربَ تمثّلت في جميع الخصال، بأقوام جعلوهم أعلامًا فيها، فضربوا بها المثل إذا أرادوا المبالغة، فقالوا: أحلمُ من الأحنف، ومن قيس بن عاصم، وأجودُ من حاتم، ومن كعبِ بن مامة، وأشجعُ من بِسطام، وأَبْين من سَحبان، وأرمَى من ابن تِقْنٍ، وأعلمُ من دَغْفَل، ولم يقولوا: أعقلُ من فلان، فلعلّهم لم يستكملوا عقلَ أحدٍ، على حسب ما قال الأعرابيُّ، وقد قيل له: حِدَّ لنا العقلَ، فقال: كيف أحِدُّه ولم أره كاملًا في أحدٍ قطُّ.

وقيل لحكيم: ما جماع العقل؟ فقال: ما رأيته مجتمعًا في أحدٍ فأصفُه، وما لا يوجد كاملًا فلا حدّ له.

وقالوا: لكلّ شيءٍ غايةٌ وحدٌّ، والعقلُ لا غايةَ له ولا حدَّ، ولكن الناسَ يتفاوتون فيه كتفاوت الأزهار في الرائحة والطِّيب.

---

(١) أبو عطاء السندي: اسمه مرزوق، مولى أسد بن خزيمة، وكان جيد الشعر وكانت فيه عجمة. «الشعر والشعراء ص ٥٢١».

(٢) حرون: من الفعل حرن: فرس حرون: لا ينقاد، إذا اشتد به الجري وقف، والحرون اسم فرس كان لباهلة، إليه تنسب الخيل الحرونية. «اللسان ١٣/ ١١٠».

واختلفوا في ماهيّة العقل، كما اختلفوا في حدّهِ، فقال بعضهم: هو نورٌ وضعه الله تعالى طبعًا وغريزةً في القلب، كالنور في العين وهو البصرُ، فالعقل نورٌ في القلب، والبصرُ نورٌ في العين، وهو ينقصُ ويزيدُ، ويذهبُ ويعودُ، وكما يُدرَكُ بالبصر شواهدُ الأمور، كذلك يُدرَكُ بالعقل كثيرٌ من المحجوب والمستور، وعَمَى القلبِ كعَمَى البصرِ، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحجّ: الآية ٤٦].

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليس الأعمى من عمِيَ بصرُه، ولكن من عَمِيَتْ بصيرتُهُ».

وقال عبد الله بن عمر بن معاوية بن عمر بن عُتبةَ المعروف بالعتبيّ: العقل عقلان، عقلٌ تفرّدَ الله تعالى بصنعه، وهو الأصلُ، وعقلٌ يستفيده المرء بأدبه وهو الفرعُ، فإذا اجتمعا، قوّي كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه، تقويةَ النارِ في الظُّلمة للبصر.

نظم بعض الشعراء هذا اللفظ فقال، ويُروَى لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: [من الهزج]

رأيتُ العقلَ عقلينِ ... فمطبوعٌ ومسموعُ
ولا ينفعُ مسموعٌ ... إذا لم يكُ مطبوعُ
كما لا تنفعُ الشمسُ ... وضوءُ العينِ ممنوعُ

وأكثرُ الناس على أنَّ العقلَ في القلب، ودليله قوله عزَّ وجلّ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجّ: الآية ٤٦].

ورُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «العقل في القلب يفرق به بين الحقّ والباطل».

وقال بعضهم: هو في الدماغ، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه.

وأما ما وُصف به فقيل: العقلُ وزيرٌ رشيد، وظهيرٌ سعيد، من عصاه أرداه، ومن أطاعه أنجاه.

وقال سَعِيد بن جُبَير: لم ترَ عينايَ أجلَّ من فضلِ عقلٍ يتردَّى به الرجلُ، إن انكسر جَبرَه، وإن تصدّع أنعشَه، وإن ذلّ أعزّه، وإن اعوجَّ أقامَه، وإن عثر أقاله، وإن افتقر أغناه، وإن عرى كساه، وإن غوى أرشده، وإن خاف أمّنه، وإن حزن أفرحه،

وإن تكلّم صدقه، وإن أقام بين أظهرِ قوم اغتبطوا به، وإن غاب عنهم أسفوا عليه، وإن بسط يَده قالوا: جوادٌ، وإن قبضها قالوا: مقتصدٌ، وإن أشار قالوا: عالمٌ، وإن صام قالوا: مجتهدٌ، وإن أفطر قالوا: معذورٌ.

قال بعضُ الشعراء: [من الطويل]

يُعَدُّ رفيعُ القوم من كان عاقلًا ... وإن لم يكن في قومه بحسيبِ
وإن حلّ أرضًا عاش فيها بعقلهِ ... وما عاقلٌ في بلدةٍ بغريبِ

وقال بعض الحكماء: إذا غلبَ العقلُ الهوى، صرفَ المساوىء إلى المحاسن، فجعل البلادةَ حِلمًا، والحدَّة ذكاءً، والمكرَ فِطنةً، والهذرَ بلاغةً، والعِيَّ صمتًا، والعقوبةَ أدبًا، والجُبنَ حَذْرًا، والإسرافَ جُودًا.

وقيل: لو صُوِّر العقلُ، لأضاء معه الليلُ، ولو صُوِّر الجهلُ، لأظلم معه النهارُ. قال المتنبّي: [من الكامل]

لولا العقولُ لكان أدنَى ضيغمٍ ... أدنَى إلى شرَفٍ من الإنسانِ

وقد نُدبَ إلى صحبة العقلاء.

قال الزُّهريّ: إذا أنكرتَ عقلَك، فاقدحْه بعاقلٍ. قال ابن زُرارةَ: جالِس العقلاءَ أعداءً كانوا أم أصدقاءً، فإنّ العقلَ يقعُ على العقل.

قال بعض الشعراء: [من المتقارب]

عدوُّك ذو العقل أبقَى عليكَ ... وأبقى من الوامق الأحمقِ

وقال آخر: [من السَّريع]

لله دَرُّ العقلِ من راشدٍ ... وصاحبٍ في اليسرِ والعسرِ
وحاكمٍ يقضِي على غائبٍ ... قضيَّةَ الشاهد للأمْرِ
وإنَّ شيئًا بعضُ أحوالِهِ ... أن يفصلَ الخيرَ من الشرِّ
له قُوًى، قد خصّه ربُّه ... بخالِص التقديس والطُّهْرِ

وقال آخر: [من الطويل]

إذا لم يكن للمرء عقلٌ فإنّه ... ـ وإن كان ذا قدر على الناس ـ هيِّنُ
وإن كان ذا عقلٍ أُجِلَّ لعقله ... وأفضلُ عقلٍ عقلُ من يَتَبيَّنُ

وقال آخر: [من البسيط]

العقلُ حُلةُ فخرٍ مَنْ تَسربلَها ... كانت له نَسبًا يغني عن النَّسَبِ
وأفضلُ العقل ما في الناس كلّهِم ... بالعقل ينجو الفتى من حومةِ العطب

وقال ابن دُرَيد[1]: [من الطويل]

وأفضلُ قِسمِ اللهِ للمرء عقلُه ... فليس من الخيرات شيءٌ يقاربُهْ
فَزينُ الفتى في الناس صحّةُ عقله ... وإن كان محظورًا عليه مَكاسبُهْ
ويُزري به في الناس قِلَّةُ عقله ... وإن كرُمتْ أعراقُه ومَناسِبُهْ
إذا أكمل الرحمنُ للمرءِ عقلَه ... فقد كمُلتْ أخلاقُه ومآربُهْ

وقال آخر: [من المنسرح]

ما وهب الله لامرىءٍ هِبةً ... أشرفَ من عقله ومن أدبِهْ
هما جمالُ الفتى، فإن عدمَا ... فإنَّ فقدَ الحياةِ أنفعُ به

وقال آخر: [من الطويل]

ولم أرَ مثلَ الفقرِ أوضعَ للفتى ... ولم أرَ مثلَ المالِ أرفعَ للنَّذْلِ
ولم أرَ من عُدْمٍ أضرَّ على الفتى ... إذا عاش بين الناس من عَدَمِ العقلِ

ذكر ما قيل في الصدق

قال الله عزّ وجلّ مبشّرًا للصادقين: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [المائدة: الآية ١١٩].

وقال رسولُ الله ﷺ: «تحرُّوا الصدقَ، فإن الصدقَ يَهدِي إلى البرّ، والبِرُّ يَهدي إلى الجنة، وإن المرء ليتحرَّى الصدقَ، حتى يُكتَبَ صِدِّيقًا».

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ وقال: يا رسول الله، ما عَمَلُ أهلِ الجنّة؟ قال: الصدق، إذا صدق العبد بَرَّ، وإذا برَّ أَمِنَ، وإذا أَمِنَ دخل الجنّة. قال: يا رسول الله ما عملُ أهلِ النار؟ قال: الكذبُ، إذا كذب العبدُ فجر، وإذا فجر كفر، وإذا كفر دخل النار.

---

(١) ابن دريد: هو محمد بن الحسن الأزدي، أبو بكر، من أئمة اللغة والأدب، قالوا: ابن دريد أشعر العلماء، وأعلم الشعراء، توفي سنة ٢٣١ هـ. «الأعلام ٦/ ٨٠».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسولَ الله ﷺ، بمَ يُعرفُ المؤمنُ؟ قال: بوقارِه، ولِينِ كلامه، وصدقِ حديثه. ومن كلام عليّ رضي الله عنه: الإيمان أن تؤثرَ الصدقَ حيث يضرُّك، على الكذبِ حيث ينفعُك.

وقال بعض الحكماء: الصدقُ أزينُ حليةً، والمعروف أربحُ تجارةً، والشكرُ أدومُ نعمةً. وقال بعضهم: رأيت أرسطاطاليس في المنام، فقلت: أيُّ الكلامِ أحسنُ؟ فقال: ما صدق قائله، قلتُ: ثمّ ماذا؟ قال: ما استحسنه سامعه، قلت: ثمّ ماذا؟ قال: كلُّ كلامٍ جاوز هذا فهو ونهيقُ الحمارِ بمنزلةٍ.

وقال الأحنف لابنه: يا بنيَّ، يكفيك من شرف الصدق، أن الصادقَ يُقبَل قولُه في عدوّه، ومن دناءةِ الكذبِ، أن الكاذبَ لا يُقبل قولُه في صديقه ولا عدوّهِ، لكلِّ شيءٍ حليةٌ. وحليةُ المنطق الصدقُ يدل على اعتدال وزن العقل.

قال عامر بن الظَّرِب العَدْوانيّ(١) في وصيّته: إني وجدتُ صدق الحديث طرفًا من الغيب فاصدقوا، من لزم الصدق وعوّده لسانه، فلا يكاد يتكلّم بشيء يظنّه، إلا جاء على ظنّه.

وقالوا: ما السيف الصارم. في كفّ الشجاع، بأعزّ من الصدق.

وقيل: مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بعجوز تبيع اللبنَ، فقال لها: يا عجوز، لا تغشّي المسلمين، ولا تشوبي لبنَك بالماء، قالت: نعم يا أمير المؤمنين، ثم مرّ بها بعد ذلك، فقال يا عجوز، ألم أعهد إليك أن لا تشوبي لبنَك بالماء؟ فقالت: والله ما فعلتُ يا أمير المؤمنين، فتكلّمتْ بنتٌ لها من داخل الخباء، فقالت: يا أمّاه، أغِشًّا وحِنْثًا جمعتِ على نفسك؟ فسمعها عمر فأعجبته، فقال لولده: أيّكم يتزوّجها؟ فلعلّ الله أن يُخرج منها نَسَمةً طيّبةً، فقال ابنه عاصم: أنا أتزوّجها يا أمير المؤمنين، فزوّجها منه، فأولدها أمَّ عاصم، تزوّجها عبد العزيز بن مروان فأولدها عمرَ بن عبد العزيز.

---

(١) عامر بن الظرب العدواني: حكيم خطيب رئيس من الجاهليين، كان إمام مضر وحكمها وفارسها، وممن حرم الخمر في الجاهلية، وهو أحد المعمرين في الجاهلية وأول من قرعت له العصا، وكان يقال له ذو الحلم وفيه قول الشاعر:

إن العصا قرعت لذي الحلم

«الزركلي ٣/ ٢٥٢».

ورُوِيَ أنّ بِلالًا لم يكذب منذ أسلم، فبلغ ذلك بعض من يحسده، فقال: اليوم أكذبه فسايره، فقال له: يا بلال ما سنُّ فرسكِ؟ قال: عَظْمَ، قال: فما جريه؟ قال: يُحضِر ما استطاع، قال: فأين تنزلُ؟ قال: حيث أضع قدمي، قال: ابنُ من أنت؟ قال: ابن أبي وأمي، قال: فكم أتى عليك؟ قال: ليالٍ وأيامٌ، الله أعلم بعددها، قال: هيهات، أعيتْ فيك حيلتي، ما أتعبُ بعد اليوم أبدًا.

ذكر ما قيل في الوفاء والمحافظة والأمانة

قال الله عزّ وجل: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: الآية ٣٤]. وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٤٠]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: الآية ٥٨]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾ [المؤمنون: الآية ٨].

ورُوِيَ: أنّ رسول الله ﷺ قال لأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه: عليك بصدقِ الحديث، ووفاءِ العهد، وحفظِ الأمانة، فإنها وصيّة الأنبياء.

كان أبو العاص بن الربيع بن عبد العُزَّى بن عبد شمس، خَتَنُ[1] رسول الله ﷺ على ابنته زينب، تاجرًا تضاربه قريشٌ بأموالهم، فخرج إلى الشام سنة الهجرة، فلما قدم، عرَض له المسلمون، وأسروه، وأخذوا ما معه، وقدموا به المدينة ليلًا، فلما وصلوا الفجرَ، قامت زينبُ على باب المسجد، فقالت: يا رسول الله، قد أجرتُ أبا العاص وما معه، فقال رسول الله ﷺ: قد أجرنا من أجرتِ ودفع إليه ما أخذوه منه، وعرضَ عليه الإسلام، فأبى، وخرج إلى مكّة، ودعا قريشًا، فأطعمهم، ثم دفع إليهم أموالَهم، ثم قال: هل وفَيتُ؟ قالوا: نعم، قد أدّيتَ الأمانةَ وَوَفَيْتَ، قال: اشهدوا جميعًا، إني أشهد أن لا إلـه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وما منعني أن أسلم إلا أن يقولوا: أخذ أموالَنا، ثمّ هاجر، فأقرّه رسول الله ﷺ على النكاح. وتُوفّي في سنة اثنتي عشرة.

وقيل لـمّا قوي أمرُ بني العباس وظهر، قال مروان بن محمد[2] لعبد الحميد بن يحيىٰ[3] كاتبه: إنّا نجِد في الكتب، أن هذا الأمرَ زائل عنا لا محالةَ،

---

(١) الختن: زوج البنت.

(٢) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي المعروف بالجَعْدي، آخر ملوك بني أميّة قتل سنة ٩١ هـ. «الأعلام ٧/٢٠٨».

(٣) هو عبد الحميد بن يحيىٰ المعروف بعبد الحميد الكاتب، من أئمة الكتّاب، عالم بالأدب=

وسيظهر الله هؤلاء القوم، يعني ولد العباس، فصِرْ إليهم، فإني لأرجو أن تتمكن منهم، فتنفعني في مخلفي، وفي كثير من أموري، فقال: وكيف لي بعلم الناس جميعًا أن هذا عن رأيك، وكلّهم يقول: إني غدرت بك، وصرت إلى عدوّك؟ وأنشد: [من الطويل]

أُسِرُّ وفاءً ثم أُظهرُ غدرَةً ... فمن لي بعُذرٍ يوسِع الناسَ ظاهِرُهْ

ثم قال: [من الوافر]

ولؤمٌ ظاهرٌ لا شكَّ فيه ... للائمةٍ وعذري بالمعيبِ

فلما سمع مروان ذلك، علم أنه لا يفعل، ثم قال له عبد الحميد: إن الذي أمرتَني به، لأنفعُ الأمرين لك، وأقبحهما بي، ولك عليَّ الصبر معك، إلى أن يفتح الله عليك، أو أقتلَ معك.

والعرب تضرِب المثل في الوفاء بالسموأل بن عادياء الأزديّ، وقيل: إنه من ولد الكاهن بن هارون بن عمران، وكان من خبره، أن امرأ القيس بن حُجْر، أودعه أدراعًا مائة، فأتاه الحارث بن ظالم، ويقال الحارث بن أبي شمر الغسّانيّ، ليأخذها منه، فتحصّن منه السموأل، فأخذ ابنًا له غلامًا وناداه: إما أن أسلمتَ إليَّ الأدرع، وإما أن قتلت ابنك، فأبى أن يسلمَها، فقتل ابنه بالسيف، ففي ذلك يقول: [من الوافر]

وفَيتُ بأدْرُعِ الكِنْدِيِّ، إني ... إذا ما القومُ قد غَدُروا وفَيتُ
وأوصَى عاديًا يومًا بأن لا ... تُهَدِّمْ يا سموألُ ما بَنَيتُ

وفيه يقول الأعشى: [من البسيط]

كنْ كالسّموألِ إذْ طاف الهُمامُ به ... في جَحْفَلٍ كَسَواد الليل جَرّارِ
الأبلقُ الفردُ من تَيْمَاء منزِلُه ... حِصن حصينٌ وجارٌ غيرُ غَدّارِ(١)
قد سامه خُطَّتَيْ خسفٍ فقال له ... قل ما بدَا لك إني سامعٌ حَارِ
فقال: ثكلٌ وغدرٌ أنت بينهما ... فاخْتَرْ وما فيهما حظٌّ لمختارِ
فحار غيرَ طويلٍ ثم قال له ... أُقتلْ أسيرَك إنّي مانع جاري

= ويضرب به المثل في البلاغة والترسُّل قتل بمصر سنة ١٣٢ هـ. «الأعلام ٣/ ٢٨٩».
(١) الأبلق: البلق: سواد وبياض، والأبلق: ارتفاع التحجيل إلى الفخذين. «اللسان ١٠/ ٢٥».

ومن وفاء العرب، ما فعله هانىء بن مسعود الشَّيْبانيّ[١]، حتى جرّ ذلك يوم ذي قار، وكان من خبره: أن النعمان بن المنذر لما خاف كسرى، وعلم أنه لا منجى منه ولا ملجأ، رأى أن يضع يده في يده، فأودع ماله وأهله عند هانىء، ثمّ أتى كسرى فقتله، وأرسل إلى هانىء يطالبه بوديعة النعمان، وقال له: إن النعمان كان عاملي، فابعث إليَّ بوديعته، وإلا بعثت إليك بجنود تقتل المقاتلةَ وتَسْبي الذُّرّية، فبعث إليه هانىء: أن الذي بلغك باطل، وإن يكن الأمر كما قيل، فأنا أحدُ رجلين، إما رجل استُودَع أمانةً، فهو حقيقٌ أن يردَّها على من استودعه إياها، ولن يسلّم الحرّ أمانته، أو رجلٌ مكذوبٌ عليه، وليس ينبغي للملك أن يأخذه بقول عدوّ، فبعث كسرى إليه الجنود، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب، وبعث معه الكَتِيبة الشَّهْبَاء والأساورة[٢]، فلما التقوا، قام هانىء بن مسعود، وحرّض قومه على القتال، وجرى بينهم حروب كثيرة ليس هذا موضع ذكرها، وسنذكرها إن شاء الله في وقائع العرب، فانتصر هانىء وانهزمت الفُرْسُ، وكانت وقعة مشهورة، قيل: وكان مِرْداس[٣] في سجن عبيد الله بن زياد بن أبيه، فقال له السجّان: أنا أُحِبّ أن أوليَك حسنة، قال: فإن أذنتُ لك في الانصراف إلى دارك أفتُدلج عليّ؟ قال: نعم، فكان يفعل ذلك به، فلما كان ذات يوم، قتل بعضُ الخوارجِ صاحبَ شرطة ابن زياد، فأمر أن يقتل من في السجن من الخوارج، وكان مرداس إذ ذاك خارجًا، فقال له أهله: اتّقِ اللهَ في نفسك، فإنك مقتول إن رجعت، فقال: ما كنت لألقى الله غادرًا، وهذا جبّار، ولا آمن أن يقتلَ السجّانَ، فرجع وقال للسجّان: قد بلغني ما عزم صاحبك عليه من قتل أصحابنا، فبادرت لئلا يلحقَك منه مكروه، فقال له السجّان: خذ أيّ طريقٍ شئت، فانجُ بنفسك.

خرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المُهَلّب إلى بعض جبابين الشام، وإذا بامرأة جالسة عند قبر تبكي، فجاء سليمان ينظر إليها، فقال لها يزيد، وقد عجب

---

(١) هاني بن مسعود الشيباني: أحد الشجعان الفصحاء في أواخر العصر الجاهلي، كان سيد بني شيبان، وقيل أدرك هانىء الإسلام ومات بالكوفة، ولكن هذا الخبر ضعيف، والأغلب أنه المترجَم جاهلي لم يدرك الإسلام. «الأعلام للزركلي ٨/٦٨».

(٢) الشهباء: الفرقة العظيمة من الجيش الكثيرة السّلاح والأساورة: قومٌ من العجم نزلوا البصرة.

(٣) مرداس: ابن جدير الحنظلي التميمي، أبو بلال، من عظماء الخوارج الشراة، وأحد الخطباء، شهد صفين مع الإمام علي، وأنكر التحكيم، سجنه عبيد الله بن زياد في الكوفة، ونجا من السجن، قتل في معركة مع جماعة ابن زياد سنة ٦١ هـ ـ ٦٨٠ م. «الأعلام للزركلي ٧/ ٢٠٢».

سليمان من حسنها: يا أَمَةَ الله، هل لك في أمير المؤمنين؟ فنظرت إليهما، ثم نظرت إلى القبر، وقالت: [من الطويل]

فإن تسألاني عن هوايَ فإنّهُ بِحَوماءِ هذا القبرِ يا فتيانِ[1]

وإني لأَستحْيِيه والتُّربُ بيننا كما كنتُ أستحييه وهو يَرَانِي

ومن أحسن الوفاء، ما حُكيَ عن نائلة بنت الفُرافصة زوج عثمان بن عفّان رضي الله عنه: أن معاوية خطبها فردّته، وقالت: ما يعجب الرجال منّي؟ قالوا: ثناياكِ فكَسرتْ ثناياها، وبعثت بها إلى معاوية، فكان ذلك مما رغَّب قريشًا في نكاح نساء كلب. وامرأة هُذْبة لما قُتِل زوجها، قَطَعت أنفَها وشفَتَيْهَا، وكانت جميلةَ الوجه، لئلا يُرغبَ فيها.

وحيث ذكرنا الوفاء والمحافظة، فلنذكر بيعةَ خليفةٍ ويَمينٍ، ذكرها بعض أهل الأدب في تصنيفه، وهي: تبايع عبد الله الإمام أمير المؤمنين، بيعةَ طوعٍ وإيثار ورِضا واختيار واعتقاد وإضمار وإعلان وإسرار وإخلاصٍ من طويتك وصِدقٍ من نيتك، وانشراحٍ من صدرك، وصحةٍ من عزيمتك، طائعًا غير مُكْرَه، ومنقادًا غيرَ مُجْبَر، مُقرًّا بفضلها، مُذْعِنًا بحقها، ومعترِفًا ببركتها، ومُعتَدًّا بحسن عائدتها، وعالِمًا بما فيها، وفي توكيدها من صلاح الكافّة، واجتماع كلمة الخاصّة والعامّة، ولمِّ الشَّعثِ، وأمنِ العواقبِ، وسكون الدَّهْمَاءِ[2]، وعِزّ الأولياء، وقَمْع الأعداء، على أن فلانًا عبد الله وخليفته المفترضَ عليك طاعتُه، الواجب على الأمة إمامتُه وولايته، اللازم لهم القيام بحقه، والوفاء بعهده، لا تَشُكّ فيه، ولا تَرتاب به، ولا تُداهِن من أمره، ولا تميل، ولكنك وليّ أوليائه، وعدوّ أعدائه، من خاصّ وعامّ، وقريبٍ وبعيدٍ، وحاضرٍ وغائبٍ، متمسكٌ في بيعته بوفاء العهد، وذمّة العقد، سريرتُك مثل علانِيَتِك، وضميرك فيه وَفْق ظاهرك، على أن إعطاءك هذه البيعة من نفسك، وتوكيدك إياها في عنقك، لفلان أمير المؤمنين، على سلامة من قلبك، واستقامة من عزمك، واستمرار من هواك ورأيك، على أن لا تتأوّل عليه فيها، ولا تسعى في نقض شيءٍ منها، ولا تقعد عن نصرة له في الرخاء والشدّة، ولا تدعِ النُّصْحَ له في

(١) حوماء هذا القبر: موضع هذا القبر، وحومة القتال: معظمه وأشد موضع فيه. «اللسان ١٢/ ١٦٢».

(٢) الدّهماء: أكثر ليالي الشهر ظلمة وهي ليلة ٢٩ـ وإدهام الشيء: اسوداده، والدهماء: العدد الكبير من الناس، والدهماء: الأمر العظيم. «اللسان ١٢/ ٢١٢».

كل حال راهنة وحادثة، حتى تلقى الله مُوفِيًا بها، مؤدِّيًا للأمانةِ فيها، إذ كان الذين يبايِعون وُلَاة الأمر وخلفاء الله في الأرض ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح: الآية ١٠] عليك بهذه البيعةِ التي طوّقتها عنقَك، وبسطت لها يدَكَ، وأعطيتَ ما شُرط عليك فيها، من وفاء، ونُصْح، ومُوَالاة، ومشايعة، وطاعة، وموافقة، واجتهاد، ومبالغة؛ عهد الله إن عهده كان مسؤولًا، وما أخذ الله على أنبيائه ورسله عليهم السلام، وعلى من أخذ من عباده من وَكَدات مواثيقه، ومُحْكَمَات عهوده، وعلى أن تتمسك بها، فلا تُبدل، وتستقيم، فلا تميل، وإن نكثتَ هذه البيعة، وبدّلتَ شرطًا من شروطها، أو عفّيتَ رسمًا من رسومها، أو غيرّتْ حكمًا من أحكامها، معلنًا أو مسرًّا، محتالًا أو متأولًا، أو زُغْتَ عن السبيل التي يسلكها من لا يحتقر الأمانة، ولا يستحِلّ الغدرَ والخيانةَ، ولا يستجيزُ حلَّ العقودِ والعهودِ، فكلّ ما تملكه من عينٍ أو وَرِق، أو آنيةٍ أو عَقَارٍ أو سائمةٍ أو زرع أو ضرع أو غير ذلك من صنوف الأملاك المعتقدة، والأموال المدّخرة، صدقةٌ على المساكين، يحرّم عليك أن ترجعَ شيئًا من ذلك إلى مالكَ، بحيلة من الحيل، على وجه من الوجوه، أو سبب من الأسباب، أو مخرج من مخارج الإيمان، فكلّ ما تفيده عمرك من مال يقلّ خطره أو يجلّ فتلك سبيله إلى أن تتوفاك منيتك، أو يأتيك أجلك، وكل مملوك لك اليوم من ذكر وأنثى أو تملكه إلى آخر أيامك أحرار سائبون لوجه الله تعالى، ونساؤك يوم يلزمك الحِنْث وما تتزوّج بعدهن مدة بقائك طوالق ثلاثًا، طلاق الحَرَج والسنّة لا مثنويّة فيها ولا رجعة، وعليك المشيُ إلى بيت الله الحرام، ثلاثين حجّةً حافيًا راجلًا، لا يرضى الله منك إلا بالوفاء بها، ولا يقبل الله صرفًا ولا عدلًا، وخَذَلَك يوم تحتاج إليه، وبرَّأكَ من حوله وقوّته، وألجأك إلى حولك وقوّتك والله عزَّ وجلّ بذلك شهيد ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النّساء: الآية ٧٩] والله على ما تقول وكيل.

ذكر ما قيل في التواضع

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المَائدة: الآية ٥٤]. وقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: الآية ٨٨]. وقال قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحَج: الآية ٣٤] قال: هم المتواضعون. وكان رسولُ الله ﷺ يأكل على الأرض متواضعًا.

وقال أنسُ بن مالك: كان رسول الله ﷺ يعود المريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوةَ المملوك ويركب الحمار، ولقد رأيته يوم حُنَين على حِمار، خِطَامه[1] ليف. وقال ﷺ: «إن العفو لا يزيد العبد إلا عزًّا فاعفُوا يُعزّكم الله، وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رِفْعة فتواضعوا يرفعْكُم الله، وإن الصدقةَ لا تزيدُ المالَ إلا نماءً فتصدّقوا يزدْكمُ الله». وقال عروة بن الزبير[2]: التواضعُ أحدُ مصايدِ الشرف، وفي لفظٍ «سلّم الشرف». وقال جعفر بن محمد: رأسُ الخيرِ التواضع، فقيل له: وما التواضعُ؟ فقال: أن ترضى من المجلس بدون شرفك، وأن تُسَلِّم على من لَقِيت، وأن تترك المِرَاء وإن كنت مُحِقًّا.

وعن علي رضي الله تعالى عنه ولم يذكر المِرَاء فيه وزاد فيه: وتكره الرياء والسمعة. وقيل: ثمرةُ القناعةِ الراحةُ، وثمرةُ التواضعِ المحبةُ، وقيل: التواضعُ نعمةٌ لا يفطن لها الحاسد، وقيل: التواضع كالوَهْدة يجتمع فيها قَطرها وقطر غيرها.

وقال عبد الله بن المعتز: متواضِع العلماء أكثرُهم علمًا، كما أن المكان المنخفض أكثرُ الأماكن ماءً.

وكان يحيىٰ بن خالد يقول: لست أرى أحدًا تواضع في إمارةٍ إلا وهو في نفسه أكبر مما نال من سلطانه.

ومن التواضع المأثور ما رُوِيَ: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ ويَدُه على المُعَلّى بن الجارود فلقيته امرأة من قريش، فقالت له: يا عمر، فوقف لها، فقالت له: كنا نعرِفك مرّة عُمَيْرًا ثم صرتَ بعدَ عُمَيْرٍ عُمَرَ ثم صرت بعد عمرَ أَمِيرَ المؤمنين فاتقِ الله يابنَ الخطّاب، فانظرْ في أمور الناس، فإنّه من خاف الوعيد، قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت، خشيَ الفوت، فقال لها المعلّى، إيهًا، إليك يا أَمَةَ اللهِ لقد أبكيتِ أمير المؤمنين، فقال له عمر أتدري مَنْ هذه؟ ويحك! هذه خَوْلة بنت حكيم التي سمع الله قولها من سمائه، فعمرُ أحرى أن يسمعَ قولها ويقتديَ به. وقال

---

(١) الخطام: الزّمام، ومن كل دابة مقدم أنفها وفمها، والمخاطم: الأنوف. «اللسان ١٢/١٨٦».

(٢) عروة بن الزبير: (٢٢ ـ ٩٣ هـ = ٦٤٣ ـ ٧١٢ م) أبو عبد الله القرشي، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، كان عالمًا بالدين صالحًا كريمًا، وهو أخو عبد الله بن الزبير لأبيه وأمه، وبئر عروة بالمدينة منسوبة إليه، توفي بالمدينة. «الزركلي ٤/٢٢٦».

عديّ بن أَرْطاة[١] لإياس بن معاوية[٢]: إنك لسريعُ المشيةِ، قال: ذلك أبعد من الكِبْر وأسرع إلى الحاجة. وقال عمر رضي الله عنه وقد قيل له مثل هذا: أنجحُ للحاجةِ وأبعد من الكِبْر. أما سمعت قوله عزَّ وجلّ: ﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمَان: الآية ١٩].

وقد مدح الشعراء أهل التواضع، فمن ذلك قول أبي تمّام حبيب: [من الكامل]

مُتَبَذِّلٌ في القوم وهو مُبَجَّلٌ ... متواضع في الحَيِّ وهو مُعَظَّمُ

وقال آخر: [من الكامل]

متواضعٌ والنُّبْلُ يَحْرُس قدرَه ... وأخو النباهة بالنباهة يَنْبُلُ

وقال البحتريّ: [من الوافر]

دَنَوْتَ تواضعًا وعلَوْتَ مجدًا ... فشأناك انحدارٌ وارتفاعُ

كذاك الشمسُ تبعدُ أن تُسامَى ... ويدنو الضوءُ منها والشُّعَاعُ

وقال أبو محمد التيميّ: [من الطويل]

تواضَعَ لـمّا زاده الله رِفْعةً ... وكلُّ رفيعٍ قدرهُ متواضِعُ

وقال آخر: [من الوافر]

دَنوتَ تواضعًا وعلوت قدرًا ... ففيك تواضعٌ وعُلُوُّ شانِ

ذكر ما قيل في القناعة والنزاهة

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: الآية ٩٧] أن المراد بالحياة الطيبة: القناعة.

---

(١) عدي بن أرطاة: أبو واثلة، الفزاري، أمير من أهل دمشق، كان من العقلاء الشجعان، ولّاه عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة ٩٩ هـ. فاستمر إلى أن قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط في فتنة أبيه يزيد بالعراق سنة ١٠٢ هـ - ٧٢٠ م. «الزركلي ٤/ ٢١٩».

(٢) إياس بن معاوية: المزني، أبو واثلة، قاضي البصرة وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء، قال فيه الجاحظ: إياس من مفاخر مضر ومن حقد في القضاة، كان عجيب الفراسة وجيهًا عند الخلفاء، ولد سنة ٤٦ هـ - ٦٦٦ م، وتوفي بواسط سنة ١٢٢ هـ - ٧٤٠ م. «الأعلام للزركلي ٢/ ٣٣».

وقال رسول الله ﷺ: «القناعة مال لا يَنْفَدُ». وقال عليه السلام: «ما عَالَ مَنِ اقْتَصَد». ومن كلام علي رضي الله عنه: كفى بالقناعة مُلْكًا، وبحسن الخُلُق نعيمًا.

وقال جعفر بن محمد: ثمرة القناعة الراحة.

وقال علي بن موسى: القناعة تجمع إلى صيانة النفس، وعز القدرة طَرْح مؤونة الاستكثار والتعبّدِ لأهل الدنيا، ولا مَلَكَ طريقَ القناعة إلّا رجلان، إما متقلّلٌ يريد أجرَ الآخرة، أو كريمٌ يتنزّه عن آثامِ الدنيا.

وقال الراضي: القانعُ يعيش آمنًا مطمئنًا مستريحًا مريحًا، والشَّرِهُ لا يعيش إلا تعِبًا نَصِبًا في خوفٍ وأذًى.

وقال بعض الحكماء: عزُّ النزاهةِ أحبُّ إليَّ من فرح الفائدة، والصبرُ على العسرةِ أحبُّ إليَّ من احتمال المِنَّة. وقال أبو ذؤيب الهُذَلِيّ: [من الكامل]

والنفسُ راغبةٌ إذا رغّبتَها ... وإذا تُرَدُّ إلى قليل تَقْنَعُ

وقال سالم بن وابصة[1]: [من الطويل]

غِنَى النفسِ ما يكفيكِ في سَدِّ فاقةٍ ... فإن زاد شيئًا عادَ ذاك الغنَى فَقْرا

وقال أبو هلال العسكري: [من الوافر]

أَلَا إنَّ القناعةَ خيرُ مالٍ ... لذي كَرَمٍ يروحُ بغيرِ مالِ
وإن يصبرْ فإن الصبر أولى ... بمَنْ عثرت به نُوَبُ الليالي
تَجمّلْ إن بُليتَ بسوء حالٍ ... فإنَّ من التجملِ حسنَ حالِ

ذكر ما قيل في الشكر والثناء

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: الآية ٧] فالشكر مما يوجب الزيادة.

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: لا يُزَهِّدك في المعروفِ من لا يشكرك عليه، فقد يشكرُكَ عليه من لا يستمتعُ بشيءٍ منه، وقد يُدركُ من شكرِ الشاكر، أكثر مما أضاع الكافر، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٣٤؛ المائدة: الآية ٩٣].

---

(١) سالم بن وابصة: الأسدي، أمير، شاعر، من أهل الحديث، من التابعين، دمشقي سكن الكوفة، وولي إمره «الرقة» لمحمد بن مروان، واستمر بها نحو ثلاثين عامًا، ومات في آخر خلافة هشام بن عبد الملك نحو ١٢٥ هـ ـ ٧٤٣ م. «الأعلام للزركلي ٣/٧٣».

ومما تعزيه الفرس إلى إسفنديار: الشكرُ أفضلُ من النعمةِ لأنه يبقى وتلك تفنى. وقال موسى بن جعفر: المعروفُ لا يفكّه إلا المكافأة أو الشكر، وقال: قلّة الشكر تُزهِّد في اصطناع المعروف.

وقيل: إذا قصرت يدُكَ عن المكافأة، فليطلْ لسانك بالشكر. وقيل: للشكر ثلاث منازل: ضميرُ القلبِ، ونشرُ اللسانِ، ومكافأة اليدِ. قال الشاعر: [من الطويل]

أفادتكما النَّعْماءُ منّي ثلاثةً ... يدي ولساني والضمِيرَ المُحَجَّبَا

وقال يحيىٰ بن زياد الحارثيّ بن كعب: [من الطويل]

حلفتُ بربِّ العِيسِ تَهْوِي بِرَكْبِها ... إلى حَرَمٍ ما عنه للناسِ معدِلُ
لما يبلغ الإنعام في النفعِ غايةً ... على المرءِ إلا مبلغ الشكرِ أفضلُ
ولا بلغتْ أيدي المُنِيلينَ بَسْطةً ... من الطُّول إلا بسطةُ الشكرِ أطولُ
ولا ثقُلَتْ في الوزن أعباءُ مِنَّةٍ ... على المرء إلا مِنَّةُ الشكرِ أثقلُ
فمن شَكَر المعروفَ يومًا فقد أتى ... أخا العرفِ من حُسن المكافاة من علُ

وقال رجل من غطفان: [من البسيط]

الشّكر أفضلُ ما حاولتَ ملتَمِسًا ... به الزيادَة عندَ اللهِ والناسِ

وقال أبو بَجِيلة: [من الطويل]

شكرتُك إنّ الشكرَ حَبْلٌ من التُّقى ... وما كلّ من أوليتَه نِعمةً يقْضِي
ونَبّهتَ لِي ذِكْرى وما كان خامِلًا ... ولكنّ بعضَ الذِّكْر أنبهُ منْ بعِضِ

وقال آخر: [من الطويل]

سأشكرُ عَمرًا ما تراختْ مَنِيَّتِي ... أَيادِيَ لم تُمْنَن وإن هِي جَلَّتِ
فتى غير محجوبِ الغِنى عن صديقه ... ولا مُظهِر الشكوى إذا النعلُ زَلَّتِ
رأى خلَّتِي من حيث يَخفَى مكانُها ... فكانتْ قَذَى عينيهِ حتَّى تَجَلَّتِ

وقال أبو تمام: [من السريع]

كَمْ نِعمةٍ منك تَسَرْبلتُها ... كأنّها طُرَّةُ بُردٍ قَشِيب(١)
من اللواتي إن ونَى شاكر ... قامت لمُسْديها مقامَ الخطيب

---

(١) طرة: طرة الثوب: موضع هدبه ـ وهي حاشيته التي لا هدب لها ـ وطرة كل شيء: حرفه والجمع طُرَرٌ وطِرار. «اللسان ٤/ ٥٠٠». برد قشيب: ثوب مخطط جميل.

وقال أبو عُيَيْنة بن محمد بن أبي عُتْبَة المُهَلَّبيّ: [من البسيط]

يا ذَا اليَمِينَين قد أوليتَني مِنَنًا ... تَتْرَى هي الغايةُ القُصْوى من المِنَنِ
ولستُ أسطيعُ من شكرٍ أجيءُ به ... إلا استطاعة ذِي جِسْم وذي بدنِ
لو كنتُ أعرِف فوقَ الشكرِ منزلةً ... أوفى من الشكرِ عند اللهِ في الثَّمَنِ
أخلصتُها لك من قلبي مُهَذَّبةً ... حَذْوًا على مثل ما أوليتَ من حَسَنِ

قالوا: وأجودُ ما قيل في عِظم النعمة وقصور الشكر من قديم الشِّعر قول طُرَيح بن إسماعيل[1]: [من الطويل]

سعيتُ ابتغاء الشكر فيما صنعتَ لي ... فقصّرتُ مغلوبًا وإنِّي لشاكرُ
لأنك تُولِيني الجميلَ بَدَاهةً ... وأنت لما استكثرتُ من ذاك حاقِرُ
فأَرْجِعُ مَغْبوطًا وترجِعُ بالَّتِي ... لها أوّلٌ في المكَرماتِ وآخرُ

وقال دعبِل: [من الطويل]

هجَرتُك لا عن جَفْوةٍ ومَلَالَةٍ ... ولا لِقِلّى أبطأتُ عنك أَبا بَكرِ
ولكنَّني لما رأيتُك راغِبًا ... فأفرطتَ في بِرِّي عَجزتُ عن الشكرِ
فَمِلآنَ لَا آتيك إلا تعذُّرًا ... أزوركَ في الشهرينِ يومًا وفي الشهرِ

وقال البحتريّ: [من البسيط]

هاتِيك أخلاقُ إسماعيل في تَعبٍ ... من العُلَا والعُلَا منهنَّ في تَعبِ
أبثُ شكري فأُمسي منك في نَصَبٍ ... أَقْصِرْ فما ليَ في جَدواك مِنْ أَربِ
لا أقبلُ الدهرَ نَيْلًا لا يقوم له ... شكري ولو كان يُسديه إليَّ أَبِي
لما سألتُك وأفاني نَدَاك على ... أضعافِ شكري فلم أظْفَر ولم أَخِبِ

وقال أيضًا: [من الكامل]

إنّي هجرتُك إذ هجرتُك وَحْشةً ... لا العَودُ يذهبُها ولا الإبداءُ
أخجلتَنِي بِنَدى يَدَيْك فسوّدتْ ... ما بيننا تلك اليدُ البيضاءُ
وقطعتَنِي بالجود حتَّى إنَّني ... مُتَخَوِّفٌ أن لا يكون لِقاءُ

---

(١) هو طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد الثقفي، أبو الصلت، شاعر الوليد بن يزيد الأموي وخليله، عاش إلى أيام الهادي العبّاسي، مات سنة ١٦٥ هـ. «الأعلام ٣/ ٢٢٦».

صِلَةٌ غَدَتْ للناس وَهيَ قطيعةٌ عَجَبًا وبِرٌّ راح وهو جَفَاءُ
ليواصِلَنَّك رَكْبُ شِعرٍ سائرٍ يرْويهِ فيكَ لحسنهِ الأعداءُ
حتى يتِمَّ لك الثناءُ مُخَلَّدًا أبدًا كما تمّتْ لك النَّعماءُ
فتظلّ تحسدُك الملوكُ الصِّيدُ بي وتظلّ تحسدُني بك الشعراءُ

وقال الحسن بن هانىء: [من الكامل]

قد قلتُ للعباس معتذِرًا من عُظمِ شكريهِ ومعترِفَا
أنت امرؤ جلَّلْتَنِي نِعَمًا أوهتْ قُوَى شكري فقد ضَعُفَا
لا تُسْدِيَنَّ إليَّ عارِفةً حتَّى أقومَ بشكرها سَلَفَا

وقال الحسين بن الضحّاك للواثق من أبيات: [من الطويل]

إذا كنتُ من جَدْواك في كلِّ نعمةٍ فلا كنتُ إنْ لم أفْنِ عُمْرِي بشكركا

وقال البحتريّ: [من الطويل]

إذا أنا لم أشكر لنُعماك جاهِدًا فلا نلتُ نُعْمَى بعدها تُوجب الشُّكرا

وقال عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر: [من الكامل]

إنّي لشاكرُ أَمْسِهُ ووليُّهُ في يومه ومُؤَمِّلٌ عنه غدَا

وقال آخر: [من البسيط]

وكيف أنساك؟ لا نُعْماك واحدة عندي ولا بالذي أوليتَ من قِدَمِ

وقال عبدُ الأعْلى بن حمّاد: دخلتُ على المتوكّل، فقال لي: قد هممنا أن نصِلَك، فتدافعت الأمور، فقلت: يا أمير المؤمنين، قد بلغني عن جعفر بن محمد الصادق أنه قال: من لم يشكر للهِمَّة، لم يشكر للنعمة، وأنشدته قول الباهِليّ: [من البسيط]

لأشكرنَّك معروفًا هممتَ به إن اهتمامَك بالمعروف معروفُ
ولا ألومُك إن لم يُمضِه قَدَرٌ فالشيءُ بالقَدَر المحتومِ مصروفُ

وقال ابن الروميّ: [من الكامل]

كم من يدٍ بيضاءَ قد أسديتَها تَثْنِي إليك عِنَانَ كلِّ وِدَادِ
شَكَرَ الإلهُ صنائِعًا أوليتَها سَلَكَتْ مع الأرواحِ في الأجسادِ

وقال آخر: [من الطويل]

وأحسنُ ما قال امرؤ فيك مِدْحةً تلاقَتْ عليها مِنَّةٌ وقَبُولُ
وشكرٌ كأن الشمسَ تعنَى بنشره ففي كلِّ أرضٍ مُخْبِرٌ ورسولُ

ومن كلام الحسن بن وهب: من شكر لك على درجةٍ رفعتَه إليها، أو ثروةٍ أفدتَه إيّاها، فإن شكري لك على مهْجة أحييتَها، وحُشَاشةٍ أبقيتَها، ورَمَقٍ أمسكتَه، وقمتَ بين التَّلَف وبينه، ولكل نعمةٍ من نعم الدنيا حدٌّ يُنتهَى إليه، ومدًى توقَف عليه، وغاية من الشكر يسمو إليها الطرْف، خلا هذه النعمةِ التي فاتَتِ الوصفَ، وطالتِ الشكرَ، وتجاوزتْ كلَّ قَدْر، وأتت من وراء كلِّ غاية، وردت عنّا كَيْدَ العدوّ، وأرغمتْ أنفَ الحسود، نلجأ منها إلى ظِلٍّ ظليل، وكَنَفٍ كريم، فكيف يشكر الشاكر، وأين يبلغُ جهد المجهود.

وقال الشريف الرضيّ: [من الكامل]

ألبستني نِعَمًا على نِعَمِ ورفعتَ لي عَلَمًا على عَلِمَ
وعلوتَ بي حتى مشيتُ على بُسُطٍ من الأعناق والقِمَمِ
فلأشكرَنَّ يديك ما شكرت خُضْرُ الرِّياضِ مَصَانِعَ الدِّيَمِ
فالحمدُ يُبْقي ذِكَرَ كلِّ فَتًى ويُبينُ قَدْرَ مواقِعِ الكَرَمِ
والشكر مَهْرٌ للصنيعةِ إنْ طُلِبَتْ مُهُورُ عقائِلِ النِّعمِ

وقال أبو الحسن الكاتب المغربيّ: [من الطويل]

سأشكر نُعمَاك التي انبسطَتْ بها يَدِي ولساني فهو بالمَجْدِ يَنْطِقُ
وأُثني بما أوليتَنِي من صنيعَةٍ ومن مِنَّةٍ تَغْدُو عليَّ وتَطْرُقُ
وكلُّ امرئٍ يرجو نداك مُوفَّقٌ وكلُّ امرئٍ يُثْنِي عليك مُصَدَّقُ

وقال ابن رشيق القيروانيّ(١): [من الخفيف]

خُذْ ثَنَاءً عليك غِبَّ الأيادي كَثَناءِ الرُّبَى على الأمطارِ
سَقَط الشكرُ وهو موجبُ نُعْما ك سُقُوطَ الأنواءِ بالأثمارِ

---

(١) ابن رشيق القيرواني: أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي، ولد عام ٣٩٠ هـ في المسيلة بالمغرب ـ ٩٩٩ م، وتوفي سنة ٤٥٦ هـ ـ ١٠٦٤ م وروى البعض أن وفاته كانت سنة ٤٦٣ هـ ـ ١٠٧١ م، وابن رشيق أديب نقاد باحث، له عدة كتب منها العمدة، الشذوذ في اللغة، تاريخ القيروان. «الزركلي ٢/ ١٩١».

ومن المُنْعِمِين من رأى أن الشكر بإظهار النعمة، أبلغ منه بالنطق باللسان، وعاقب على ذلك بالحِرْمان.

فمن ذلك ما رواه أبو هلال العسكريّ يسنده إلى العُتْبيّ قال: أراد جعفر بن يحيىٰ حاجةً كان طريقُه إليها على باب الأَصْمَعِيّ، فدفع إلى خادم له كيسًا فيه ألُف دينار وقال: إني سأنزِل في رَجْعَتي إلى الأَصْمَعِيّ، ثم سيحدّثني ويُضحِكُني، فإذا ضحِكت، فضعِ الكِيسَ بين يَدَيْه، فلما رجع، ودخل إليه، رأى حبًّا[١] مكسورَ الرَّأس، وجَرَّةً مكسورةَ العُنُقِ، وقَصْعة مشعبة، وجَفْنة أعشارًا، ورآه على مُصلًّى بالٍ، وعليه بَرْنَكان[٢] أجْردُ، فغمز غلامَه أن لا يضعَ الكيسَ بين يديه، فلم يدع الأَصْمَعِيّ شيئًا ممّا يُضْحك الثّكلان والغضبان إلا أورده عليه فلم يتبسم، ثمّ خرج، فقال لرجل يسايره: من استرعى الذئب ظَلَم، ومن زَرَع السبخة[٣] حصد الفقر، إني والله لما علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل، ما حفِلتُ بنشره له باللسان، وأين يقعُ مديحُ اللسان من آثار العيان؟ إن اللسان قد يكذِب، والحالُ لا تكذِب، ولله در نُصَيب حيث يقول: [من الطويل]

فعاجُوا فَأَثْنَوْا بالذي أنت أهلُه ولو سَكتوا أثنتْ عليك الحقائِبُ

ثم قال: أُعلمتُ أن ناووس أبرويز، أمدح لأبرويز من زُهَيْر لآل سِنَان؟ وقالت الحكماء: لسانُ الحالِ، أصدقُ من لسان الشكوى.

وقد أجاد ابن الروميّ في هذا المعنى فقال: [من البسيط]

حالي تَبُوح بما أَوْلِيتَ من حسَنٍ فكلُّ ما تدعيه غيرُ مردودِ

كلّي هجاءٌ، وقتلي لا يحِلُّ لكم فما يداويكُمُ منّي سوى الجُودِ

وقالوا: شهاداتُ الأحوال، أعدلُ من شهادات الرجال.

---

(١) الحُبُّ: الخابية، والجرّة: الضخمة.
(٢) برنكان: ضرب من الثياب، وهو على وزن الزعفران: ضرب من الأكسية، وقيل: البرنكان: كساء من صوف له علمان. «لسان العرب ١٠/ ٤٠٠».
(٣) السبخة: أرض ذات ملح، أرض مالحة، أو مكان يُنبِت الملح وتسُوخ في الأقدام. «اللسان ٣/ ٢٤».

ذكر ما قيل في الوَعْد والإنجاز

رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وعدُ المؤمن كأخذٍ باليد». وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: الوعدُ مرضٌ في الجود، والإنجازُ دواؤه. ومن كلامه: المسؤولُ حُرٌّ حتَّى يَعِدَ، ومستَرَقٌّ بالوعد حتى يُنْجِزَ.

وقال الزُّهْرِيُّ: حقيقٌ على من أزهر بالوعد، أن يُثْمِرَ بالفعل.

وقال مسلم بن الوليد عن أبيه قال: سألتُ الفضل بنَ سَهْلٍ حاجة، فقال: أسُرُّك اليومَ بالوعد، وأحبوك غدًا بالإنجاز، فإني سمعتُ يحيىٰ بنَ خالد يقول: المواعيدُ شَبَكَةٌ من شِباك الكرام، يَصِيدون بها محامِدَ الأحرار، ولو كان المُعْطى لا يعد، لارتفعتْ مفاخرُ إنجاز الوعد، ونقص فضلُ صدقِ المقال.

وقال الأَبْرَش الكلبيُّ[1] لهشام بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين، لا تصنع إليّ معروفًا حتى تَعِدَني، فإنه لم يأتني منك سَيْب على غير وعد، إلا هان عليَّ قَدْرُه، وقلّ منّي شكره، فقال له هشام: لئن قلتَ ذلك، لقد قال سيّدُ أهلِك أبو مسلم الخَوْلانِيّ: أنجعُ المعروف في القلوب، وأبردُه على الأكباد، معروفٌ منتظَرٌ مِن وعد لا يُكَدّرُ بالمطل.

وكان يحيىٰ بن خالد[2] لا يقضي حاجةً إلا بوعد.

وقالت أعرابيّة لرجل: ما لك تعطِي ولا تَعِد، فقال: ما لكِ والوعد؟ قالت: ينفسِح به البصرُ، ويُنشرُ فيه الأملُ، وتطيبُ بذكره النفسُ، ويَرخَى به العيشُ، وتربحُ به المدحَ بالوفاء.

---

(١) الأبرش الكلبي: عطية بن الأسود الكلبي، شاعر شامي، كان في العصر الأموي، نظم أبياتًا يهجو بها مروان بن محمد، ويحرض اليمانيين على الثورة. فقتله مروان نحو ١٣٠ هـ ـ ٧٤٨ م. «الأعلام للزركلي ٤/ ٢٣٧».

(٢) يحيىٰ بن خالد: (١٢٠ ـ ١٩٠ هـ = ٧٣٨ ـ ٨٠٥ م) البرمكي، أبو الفضل، الوزير الجواد، سيد بني برمك وأفضلهم، وهو مؤدب الرشيد العباسي ومعلمه ومربيه، ولما ولي هارون الخلافة دفع خاتمه إلى يحيىٰ وقلده أمره، واستمر على ذلك إلى أن نكب الرشيد بالبرامكة فقبض عليه وسجنه في الرقة إلى أن مات سنة ١٩٠ هـ ـ ٨٠٥ م، وأخباره كثيرة جدًا. «الزركلي ٨/ ١٤٤».

قيل: كلّم منصور بن زياد[١] يحيىٰ بن خالد في حاجة لرجل فقال: عِدْه عنّي قضاءَها، قال: وما يدعوك أعزّك الله إلى العِدّة مع وجود القُدْرة؟ فقال يحيىٰ: هذا قول من لا يعرف موضِع الصنائع من القلوب، إن الحاجةَ إن لم تتقدمها بوعد ينتظر به نُجْحها؛ لم تتجاذبِ الأنفسُ بسرورها، ولم تتلذذ بتأميلها، وإن الوعد تطعُّمٌ، والإنجاز طعامٌ، وليس من فاجأه طعام، كمن وجد رائحته، وتمطّق[٢] له وتطعّمه، ثم طَعِمه، فدع الحاجة تحتّم بالوعد، ليكونَ لها عند المصطنع إليه حسنُ موقعٍ، ولطفُ مَحلٍّ.

وقال عيسى بن ماهان[٣]: إني أُحِبُّ أن أَهِبَ بلا وعدٍ، وأُحِبُّ أن أَعِدَ، لأَخرجَ من جملة المخلفين، وأدخلَ في عدد الوافين، ويُؤْثَر عنّي كرم المُنْجزين، فإن من سبق فعلُه وعدَه، وُصِف بكرم فرد، وسقط عنه جميع ما ذكرت.

قال: ذَكر العباس المأمون فقال: إنه أَلْقَحَ معروفه عندي بالوعد، ونتجه بالنُّجْح، وأرضعه بالزيادة، وشيَّبه بالتعهد، وهرَّمه باستتمامه من جِهاته، وهنأه بترك الامتنان به.

وشكا رجلٌ جعفرَ بن يحيىٰ لأبيه: أنه وعده وعدًا ومَطَله به، فوقّع: يا بَنِيَّ، أنتم معاقل الأحرار ومَظانّ المطالب ومعادِنُ الشكوى، فكونوا سَواءً في الأقوال والأفعال، فإن الحُرَّ، يدّخِر وعدَ الحر ويعتقده وينفقه قبل مَلْكته، فإن أخفق أملُه، كان سببًا لذمّه واتّهامه وسوءِ ظنّه، حتّى يواريَ قُبْحُ ذلك حُسنَ يقينه، فأنجِزِ الوعدَ، وإلا فأَقْصِرِ القولَ، فإنه أعذرُ والسلام.

قال: كُلِّم المأمونُ في الحسين بن الضحّاك الخليع أن يردّ عليه رزقَه، فقال: أليس هو القائل في الأمين: [من الطويل]

فلا فَرِح المأمونُ بالمُلْك بعدَه   ولا زالَ في الدُّنيا طَرِيدًا مشردا

---

(١) منصور بن زياد: أحد القادة العباسيين، كان حيًّا على عهد الرشيد العباسي، وعندما ولي الرشيد هرثمة بن أعين ولاية مصر، اتجه هرثمة هذا هو ومنصور بن زياد إلى إفريقية سنة ١٧٨ هـ. «ولاه مصر للكندي ص ١٦١».

(٢) تمطق: التمطّق: التذوّق.

(٣) عيسى بن ماهان: أحد القادة في مطلع العصر العباسي، وثب عليه الجند وقتلوه بعد خروج زياد بن صالح على أبي مسلم الخراساني سنة ١٣٥ هـ. «الكامل في التاريخ ٥/ ٤٥٥».

فما زالوا يتلطفون معه في القول، إلى أن أَذِن له أن يُنْشِده، فأنشده: [من الطويل]

أَبِنْ لي فإني قد ظَمِئْتُ إلى الوعدِ ... متى تُنْجِزِ الوعدَ المؤَكَّدَ بالعهدِ؟

أُعِيذُكَ من صَدِّ الملوك وقد ترى ... تقطُّعَ أنفاسي عليك من الوَجْدِ

فما لي شَفِيعٌ عند حسنك غيره ... ولا سببٌ إلا التمسكَ بالوُدِّ

أيبْخَلُ فَرْدُ الحُسنِ فردُ صفاتهِ ... عليّ وقد أفردتُه بِهَوًى وحدي

رأى اللهُ عبدَ اللهِ خيرَ عباده ... فملّكه واللهُ أعلمُ بالعبد

فقال له المأمون: هذه بتلك، وقد عفونا عنك فقال: يا أمير المؤمنين، فأتبعْ عفوَك إحسانَك، فأمر بردِّ أرزاقه عليه، وكانت في كلّ شهر خَمْسَمِائةِ دينارٍ، فقال المأمون: لولا أني نويتُ عفوًا عنه، وجعلت ذلك وعدًا له من قبل، ما فعلته، وإنما ذكرُ الوعد في تشبيبه يذكرنِيه.

وقال بعض ملوك العجم: البخلُ بعد الوعد، يضعفُ قبحه على البحل قبلَه، فما قولك في أمرٍ، البخل أحسن منه؟

وقال بعض الشعراء: [من الطويل]

ولي منك مَوْعودٌ طلبتُ نجاحَهُ ... وأنت امرؤٌ لا تُخلف الدهرَ مَوْعِدَا

وعوّدتَني أن لا تزالَ تُظِلُّني ... يدٌ منك قد قدَّمتَ من قبلها يَدَا

فلو أن مجدًا أو ندًى أو فضيلةً ... تُخَلِّد شيئًا كنتَ أنت المخلَّدَا

وقال بشّار: [من الكامل]

وعدُ الكريمِ يَحُثُّ نائِلَه ... كالغَيْثِ يَسْبِقُ رعدُهُ مَطَرَهْ

وقال ابن الروميّ: [من الخفيف]

يتخَطّى العِدات عمدًا إلى البَذْ ... لِ كسَحِّ الحَيا بلا إيماضِ[1]

ذكر ما قيل في الشفاعة

قال الله عزّ وجل: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النّساء: الآية ٨٥].

(١) الإيماض: ومض البرق وغيره: يمض ومضًا وميضًا ومضانًا وتوْماضًا: أي لمع لمعًا خفيًا ولم يعترض في نواحي الغيم، وومض البرق إيماضًا: المعنى السابق نفسه، وسحّ الحيا: نزول المظر. «لسان العرب ٧/ ٢٥٢».

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يسألُ العبدَ عن جاهه كما يسأله عن عمره، فيقول له: جعلت لك جاهًا، فهل نصرتَ به مظلومًا، أو قمعتَ به ظالمًا، أو أعنتَ به مكروبًا»؟ وقال ﷺ: «أفضلُ الصدقةِ أن تعين بجاهك من لا جاهَ له» وقال: «الخلقُ عيالُ اللهِ، فأحبُّهم إليه، أنفعُهم لعياله». وقال: «الشفيعُ جَناحُ الطلب».

وقيل: قصد ابن السمّاكِ الواعظ رجلًا في حاجةٍ لرجلٍ سأله الشفاعةَ فيها، فقال ابن السمّاك: إني أتيتك في حَاجةٍ، وأن الطالبَ والمطلوبَ إليه عزيزان إن قُضيتْ الحاجةُ، وذليلان إن لم تُقْضَ، فاخترْ لنفسك عزَّ البذل، على ذلّ المنع، واختر لي عزَّ النُّجح، على ذلّ الردّ، فقضى حاجته.

قال أبو تمام: [من الكامل]

وإذا امرؤ أسدى إليك صنيعةً ... من جاهه فكأنها من مالهِ

وقال رجل لبعض الملوك: إن الناس يتوسّلون إليك بغيرك، يسألون معروفَك، ويشكرون غيرَك، وأنا أتوسّلُ إليك بك، ليكون شكري لك لا لغيرك.

قال بعض الشعراء: [من الطويل]

إذا أنتَ لم تَعطفْك إلا شفاعةٌ ... فلا خيرَ في ودٍّ يكون بشافِعِ

ذكر ما قيل في الاعتذار والاستعطاف

رأيتُ جماعةً من أهل الأدب قد ألحقوا الاعتذار والاستعطاف بالمدح، كالحمدونيّ في تذكرته، وغيره، فلذلك أضفته إليه، وجعلته من فصوله. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ﴾ [النور: الآية ٢٢].

ورُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من اعتذر إليه أخوه المسلمُ، فلم يقبلْ، لم يَرِدْ على الحوض».

وقال عليّ رضي الله عنه: أَوْلَى الناس بالعفو، أقدرُهم على العقوبة. وقال: العفوُ زكاةُ الظَّفرِ. وقال: إذا قدرتَ على عدوِّك، فاجعلْ عفوَكَ عنه شكرَ المقدرةِ عليه.

وقال الحسن بن عليّ رضي الله عنهما: لا تعاجلِ الذنبَ بالعقوبة، واجعلْ بينهما للاعتذار طريقًا. وقال: أوسعُ ما يكونُ الكرمُ بالمغفرةِ، إذا ضاقت بالذنبِ المعذرة.

وقال جعفر بن محمد الصادق: شفيعُ المذنبِ إقرارُه، وتوبةُ المجرمِ الاعتذارُ.

وقالوا ما أذنبَ من اعتذر، ولا أسى من استغفر.

وأوصى بعض الحكماء ولدَهُ فقال: يا بنيّ لا يعتذرُ إليك أحدٌ من الناس، كائنًا من كان، في أي جرمٍ كان، صادقًا كان أو كاذبًا، إلا قبلتَ عذرَه، فكفاكَ بالاعتذار بِرًّا من صديقك، وذلاً من عدوِّك.

قال بعض الشعراء: [من الطويل]

فإن كنتَ ترجو في العقوبةِ راحةً فلا تزهدَنْ عندَ التجاوزِ في الأجْرِ

وقال أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكريّ: الاعتذارُ ذِلّةٌ، ولا بدَّ منه، لأن الإصرارَ على الذنب، فيما بينك وبين خالقك هلكةٌ، وفيما بينك وبين صديقِك فُرقةٌ، وعند سائر الناس مثلبةٌ وهُجنة، فعليك به، إذا واقعت الذنبَ، وقارفت الجرمَ، ولا تستنكف من خضوعك وتذلّلِكَ فيه، فربما استثيرَ العزُّ من تحت الذلة، واجتُنِيَ الشرفُ من شجرة النذالة، وربّ محبوبٍ في مكروه، والمجدُ شهدٌ يُجتَنَى من حنظل.

قال: ومما خُصّ به الاعتذارُ أنّ الحقَّ لا يثبتُ لباطلِه، والحقيقةَ لا تقومُ مع تخييله وتمويهه، وأنّ ردَّه لا يسعُ مع الكذبِ اللائح في صفحاته.. وقالوا: لا عذرَ في ردِّ الاعتذار، والمعتذرُ من الذنبِ، كمن لا ذنبَ له، وهذه خَصلةٌ لا يشركُهُ فيها غيرُهُ.

قال بعضهم: كنت بحضرة عُبيد الله بن سليمان[١]، فوردت عليه رقعةٌ من جعفر بن توّابة، نسختُها: قد فتحتَ للمظلومِ بابَك، ورفعتَ عنه حجابَك، فأنا أحاكمُ الأيّام إلى عدلك، وأشكو صُروفَها إلى فضلك، وأستجيرُ من لؤم غلَبتِها بكرم قدرتِك، وحسن ملكتِك، فإنها تؤخّرني إذا قدَّمَتْ، وتَحرِمني إذا قسَّمتْ، فإن أعطت أعطت يسيرًا، وإن ارتجعتْ ارتجعتْ كثيرًا، ولم أشكُها إلى أحد قبلك، ولا أعددتُ الانتصافَ منها إلا إلى فضلك، ولي مع ذمام المسألة لك، وحقِّ الظُّلام إليك، ذمامُ تأميلك، وقَدمُ صدقٍ في طاعتك، والذي يملأ من النَّصَفَة يدي، ويُفرغَ الحقَّ عليّ،

---

(١) عبد الله بن سليمان: (٢٢٦ ـ ٢٨٨ هـ = ٨٤٠ ـ ٩٠١ م) أبو القاسم، ابن وهب الحارثي، وزير، من أكابر الكتاب، استوزره المعتمد العباسي، وأمره بعده المعتضد، واستمرت وزارته عشر سنين إلى وفاته، «الزركلي ٤/ ١٩٤».

حتى تكونَ لي محسِنًا، وأكونَ بك إلى الأيام مقرّبًا، أن تخلطني بخواصِّ خدمك الذين نقلتهم من حدّ الفراغِ إلى الشغل، ومن الخمول إلى النباهةِ والذِّكر، فإن رأيتَ أنْ تُعْدِيَني فقد استعديتُ إليك، وتنصُرَني فقد عذتُ بك، وتُوسعَ لي كنفَك فقد أويتُ إليه، وتسمَني بإحسانك فقد عوّلت عليه، وتستعملْ يدي ولساني فيما يصلحان له من خدمتك، فقد درستُ كتبَ أسلافك، وهم القدوةُ في البيانِ، واستضأتُ بآرائهم، واقتفوتُ آثارَهم اقتفاءً جعلني بين وحشيّ الكلامِ وأنيسه، ووقفني منه على جادةٍ متوسطةٍ، يرجعُ إليها العالي، ويلحق بها المقصّر التالي، فعل إن شاء الله. قال: فعل إن شاء الله! قال: فجعل عبيدَ الله يردِّدُها ويستحسنها؛ ثم قال: هذا أحقُّ بديوان الرسائل.

ومن الاستعطاف: ما حكيَ أن محمد بن الحنفيّة[1]، جرى بينه وبين أخيه الحسين، كلامٌ افترقا بسببه متغاضبين؛ فلما وصل محمد إلى منزله، كتب إلى الحسين رقعة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإن لك شرفًا لا أبلغُهُ، وفضلًا لا أدركُه، أبونا عليٌّ، لا أفضلُكَ فيه ولا تفضلني، وأمّي امرأة من بني حنيفة، وأمّك فاطمةُ بنت رسول الله ﷺ، ولو كان ملءُ الأرضِ نساءً مثلَ أمي ما وفين بأمّك، فإذا قرأتَ رقعتي هذه فالبسْ رداءَك ونعليك وتعالَ لتترضّاني، وإياك أن أسبقك إلى هذا الفضل الذي أنت أولى به مني والسلام. فلبس الحسين رداءَه ونعليه وجاء إلى محمد وترضّاه.

وقيل: وقَّع جعفر بن يحيىٰ في رقعة معتذرٍ: قد تقدمتْ طاعتُكَ ونصيحتُكَ، فإن ثبتَ منك هفوةٌ فلن تغلبَ سيئةٌ حسنتين.

وقال شاعر: [من الخفيف]

إِرضَ للسائلِ الخضوعَ وللقا　　　رفِ ذنبًا مَذلَّةَ الاعتذارِ

قال أبو هلال العسكريّ: لم يُروَ عن أحد قبل النابغة الذبيانيّ في الاعتذار شعرٌ؛ فمن أجودِ ما رُويَ له فيه، قوله حين سعى به المنخَّل

(١) محمد بن الحنفية: (٢١ ـ ٨١ هـ = ٦٤٢ ـ ٧٠٠ م) ابن الإمام علي بن أبي طالب، أبو القاسم، أخو الحسن والحسين لأبيهما، كان واسع العلم ورعًا، وأحد الأبطال الشجعان في صدر الإسلام، أخذ واصل بن عطاء علم الكلام عنه، ولد وتوفي بالمدينة. «طبقات المعتزلة ص ١٥، والأعلام للزركلي ٦/ ٢٧٠».

اليشكري(١) إلى النّعمان، وزعم أنه غشيَ المتجرّدةَ حظيّة النعمان، وذلك حين وصفها النابغة في شعره فقال: [من الكامل]

وإذا لمستَ، لمستَ أختَمَ جاثمًا   متحيِّزًا بمكانه ملءَ اليدِ(٢)
وإذا طعنتَ، طعنتَ في مستهدِفٍ   رابي المحبّسةِ بالعبير مقرمَدِ(٣)
وإذا نزعتَ، نزعتَ من مستحصِفٍ   نزعَ الحَزَوَّر بالرِّشاء المحصَدِ(٤)

فقال المنخَّل للنعمان: هذا وصفُ من ذاقها، فوقَر ذلك في نفس النعمان، ثم وفد عليه رهطٌ من بني سعد بن زيد مناة من بني قُرَيع، فأبلغوه أن النابغة ما يزال يذكرها ويصف منها، فأجمع النعمانُ على الإيقاع بالنابغة، فعرَّفه بذلك عِصام حاجب النعمان، وهو الذي قيل فيه: [من الوافر]

* نفسُ عِصامٍ سوّدتْ عِصاما *

فانطلق النابغةُ إلى آل غسّان وكانوا قتلوا المنذرَ والدَ النعمان، فزاده لحاقُ النابغة بهم حشمة؛ ثم اتصلت بالنعمان كثرة مدائح النابغة لهم، فحسدهم عليه وأمّنه وراسله في المصير إليه، فأتاه وجعل يعتذر ممّا قذف به ومن مدحه آل غسّان فقال: [من الطويل]

حلفتُ فلم أترك لنفسك رِيبَةً   وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مذهبُ
لئن كنتَ قد بُلّغتَ عني جنايةً   لَمُبلغُك الواشي أغشُّ وأكذبُ
ولستَ بمستبقٍ أخا لا تَلُمُّهُ   على شعثٍ! أيّ الرجال المهذبُ؟
فإن أكُ مظلومًا، فعبدٌ ظلمتَه   وإن تك ذا عُتبى، فمثلُكَ يعتبُ

يقول: مثلك يعفو ويُحسِنُ وإن كان عاتبًا، وفي كرمك ما يفعلُ ذلك، ولك العتبى والرجوع إلى ما تحبّ. ومنه قوله أيضًا للنعمان: [من الطويل]

أتاني أبيتَ اللّعنَ! أنك لمتني   وتلك التي تستكُّ منها المسامعُ

---

(١) المنخل اليشكري: شاعر جاهلي، كان ينادم النعمان بن المنذر، وهو الذي سعى بالنابغة الذبياني إلى النعمان في أمر «المتجردة». توفي نحو سنة ٢٠ ق.هـ ـ نحو ٦٠٣ م. «الشعر والشعراء ص ٢٦٠، والأعلام للزركلي ٧/ ٢٩١».

(٢) أختم: ختم الشيء: عَرَّضَه، وأنف أختم: عريض الأرنبة.

(٣) مقرمد: كل ما طلي به، ثوبٌ مقرمد بالزعفران: أي مطلي به، والمقرمد: المضيق. «لسان العرب ٣/ ٣٥٢».

(٤) الحزوَّر: الغلام إذا اشتد وقوي وخدم. «اللسان ٤/ ١٨٦». والرشاء: الحبل، والمحصد: المفتول.

مـقـالـةُ أن قـد قـلتَ سـوف أنـالُه وذلـك مـن تِـلقـاءِ مـثـلِكَ رائـعُ
فـبـتُّ كـأنِّـي سـاورتـنـي ضـئـيـلـةٌ من الرُّقش في أنيابها السمُّ ناقعُ(١)
وكَـلَّـفـتـنـي ذنـبَ امـرئٍ وتـركـتـه كذي العُرّ يُكوى غيرُه وهو راتعُ(٢)

إلى أن قال: [من الطويل]

فإن كنتُ، لا ذو الضِّغْن عني مكذَّبٌ ولا حَـلِـفـي عـلى الـبـراءةِ نـافـعُ
ولا أنـا مـأمـونٌ بـشـيءٍ أقـولُه وأنـت بـأمـرٍ لا مـحـالـةَ واقـعُ
فـإنـك كـالـلـيـل الـذي هـو مـدركـي وإن خلتُ أن المنتأى عنك واسعُ

وقال أيضًا: [من البسيط]

أنـبـئـت أن أبـا قـابـوس أوعـدنـي ولا قَـرارَ عـلى زأرٍ مـن الأسـدِ
مـهـلًا، فـداءٌ لـك الأقـوامُ كـلُّـهـم ومـا أُثـمِّـرُ مـن مـالٍ ومـن ولـدِ
لا تـقـذفنِّـي بـركـنٍ لا كِـفَـاءَ بـه وإن تـأثّـفـك الأعـداءُ بـالـرِّفَـدِ(٣)
ما قلتُ من سيىء ممَّا أُتيتَ به إذًا فلا رفعتْ سوطي إليّ يدي

قال: فخلع عليه النعمان خِلعَ الرضى، وكنّ حبراتٍ خُضرًا مطّوقةً بالجوهر قال العسكريّ: ولم يسلك أحد طريقته فأحسن فيها كإحسان البحتريّ، فمن اعتذاراته قوله في قصيدته التي أوّلها: [من المتقارب]

* لـوت بـالـسـلام بـنـانـا خـضـيـبـا *

قال منها: [من المتقارب]

فـديـنـاك مـن أيّ خـطـبٍ عَـرَى ونـائـبـةٍ أوشـكـتْ أن تـنـوبـا
وإن كـان رأيُـك قـد حَـالَ فـيَّ وأولـيـتـنـي بـعـدَ سُـرٍّ قُـطـوبـا
يـريـبُـنـيَ الـشـيءُ تـأتـي بـه وأكـبِـرُ قـدرَك أن أسـتـريـبـا

(١) الضئيلة: الحية الدقيقة. «اللسان ١١/ ٣٨٩». ناقع: بالغ وقاتل، وقد نقعه أي قتله. «اللسان ٨/ ٣٦٠».
(٢) العر: الجرب، واستعر الجرب الإبل: فشا فيهم. «اللسان ٤/ ٥٥٥». راتع: الرتع: الرعي في الخصب، وأرتعت الأرض: كثر كلؤها. «اللسان ٨/ ١١٣».
(٣) تأثفك: تأثفوا بالمكان: أي أقاموا فلم يبرحوا، وتأثفوا على الأمر: تعاونوا - والآثف: التابع - ومعنى البيت: «أي لا ترمني بركن لا مثل له، وإن تأثفك الأعداء واحتوشوك متوازرين أي متعاونين». «لسان العرب ٩/ ٣ و٤».

وأكره أنْ يتمادى عليَّ سبيلُ اغـ ... ـترارِ فألقى شَعوبا
أكذّبُ نفسي بأن قد سخطتَ ... وما كنتُ أعهد ظنّي كذوبا
ولو لم تكن ساخطًا لم أكن ... أذمُّ الزمانَ وأشكو الخطوبا
أيُصبح ودّيَ في ساحتيـ ... ـك طَرْقًا ومرعايَ مَحْلًا جديبا[1]
وما كان سخطُك إلا الفراقُ ... أفاضَ الدموعَ وأشجى القلوبا
ولو كنتُ أعرفُ ذنبًا لما كا ... ن خالجني الشكُ في أن أتوبا
سأصبرُ حتى ألاقي رضا ... ك إما بعيدًا وإما قريبا
أراقبُ رأيَك حتى يصحَّ ... وأنظرُ عَطفَك حتى يثوبا

وقوله: [من الطويل]

عَذيري من الأيّام رنّقنَ مشربي ... ولقّينني نحسًا من الطيرِ أشأما[2]
وأكسبنني سخط امرىءٍ بتُّ مَوْهِنًا ... أرى سخطه ليلًا مع الصبح مظلما
تبلّج عن بعض الرضى، وانطوى على ... بقيةِ عتبٍ شارفَتْ أن تَصَرَّما
إذا قلتُ يومًا: قد تجاوز حدُّها ... تلبَّثَ في أعقابها وتلوّما
وأصْيدُ إنْ نازعتُه الطرفَ ردّهُ ... قليلًا، وإن راجعتُه القول جمجما
ثناه العِدا عني، فأصبح مُعرِضًا ... ووهَّمه الواشون حتى توهّما
وقد كان سهلًا واضحًا فتوعّرت ... رباه، وطَلْقًا ضاحكًا فتجهّما
أمتّخذٌ عندي الإساءة محسنٌ ... ومنتقمٌ مني امرؤ كان مُنعما
ومكتسِبٌ فيَّ الملامةَ ماجدٌ ... يرى الحمدَ غُنمًا والملامةَ مَغْرما
يخوِّفُني من سوءِ رأيك معشرٌ ... ولا خوفَ إلا أن تجورَ وتظلما
أعيذُك أن أخشاك من غير حادثٍ ... تَبَيَّنَ، أو جُرمٍ إليك تقدما
أَلستُ الموالي فيك نظمَ قصائدٍ ... هي الأنجمُ اقتادت مع الليل أنجما؟
أعِدْ نظرًا فيما تسخطْتَ، هل ترى ... مقالًا دنيئًا أو فَعالًا مذمَّما؟

---

(١) الطَّرْقُ: الماء المجتمع الذي خيض فيه وبيل وبُعِّر فكدر، والجمع أطراق، وطرقت الإبل الماء إذا بالت فيه وبعرت، والطرق أيضًا: ماء السماء الذي تبول فيه الإبل وتبعر. «اللسان ١٠/ ٢١٦».

(٢) رنَّقْنَ: الرنق، تراب في الماء من القذى ونحوه، وترنق: كَدِر. «اللسان ١٠/ ١٢٦ و١٢٧».

وكـان رجـائـي أن أؤوب مـمـلّكًـا فـصـار رجـائـي أن أؤوب مـسـلّمـا
حياءٌ فلم يذهبْ بيَ الغيُّ مذهبًا بعيدًا، ولم أركب من الأمر مُعظَما
ولـم أعرفِ الذنبَ الذي سؤتني له فـأقـتـلَ نـفـسـي حـسـرةً وتـنـدّمـا
ولـو كـان مـا خُـبّـرتُـه أو ظـنـنـتـهُ لـمـا كـان غـروًا أن ألـومَ وتـكـرمـا
أذكّـرك الـعـهـدَ الـذي لـيـس سؤددًا تناسيه، والـودَّ الـصحيحَ المسلّما
ومـا حـمـلَ الـركـبـانُ شـرقًا ومـغـربًا وأنـجـد فـي أعـلـى الـبـلاد وأتـهـمـا
أُقـرُّ بـمـا لـم أجـنِـهِ مـتـنـصّـلًا إلـيـك، عـلـى أنـي إخـالُكَ ألـومـا
ليَ الذنبُ معروفًا. فإن كنتُ جاهلًا بـه، فـلك الـعـتـبـى عـليّ وأنـعـمـا
ومـثـلُـكَ، إن أبـدى الـفَـعـال أعـاده وإنْ صُـنِـعَ الـمـعـروفُ زاد وتـمّـمـا

وقال سعيد بن حُميد[1]: [من المنسرح]

لـم آتِ ذنـبًـا، فـإن زعـمـت بـأن أتـيـتُ ذنـبًـا، فـغـيـر مـعـتـمـدِ
قد تطرِفُ الكفُّ عينَ صاحبِها فـلا يـرى قـطـعَـهـا مـن الـرشـدِ

وقال آخر: [من الطويل]

وكنتُ إذا ما جئتُ أدنيتَ مجلسي ووجهُكَ من ماءِ البشاشة يقطُر
فمن ليَ بالعين التي كنتَ مرّةً إليَّ بها في سالف الدهر تنظرُ؟

وقال آخر: [من الخفيف]

اغـتـفـرْ زلّتي لـتُـحـرز فـضـل الـ ـعـفـوِ عـنـي ولا يـفـوتُـكَ أجـري
لا تـكِـلْـنـي إلـى الـتـوسّـلِ بـالـعـذ رِ لـعـلّـي أن لا أقـومَ بـعـذري

وقال بعض فضلاء الأندلس: [من الكامل]

إني جنيتُ ولم يزلْ أهلُ النهى يَـهـبـونُ لـلـجـانـيـن مـا يـجـنـونَـهُ
ولقد جمعتُ من الذنوبِ فنونَها فاجمعْ من الصفحِ الجميلِ فنونَهُ
مَن كان يرجو عفوَ مَن هو فوقه فليعفُ عن ذنبِ الذي هو دونَهُ

---

(١) هو سعيد بن حميد، أبو عثمان، كاتبٌ مترسّل، من الشعراء، أصله من النهروان، من أبناء الدهاقين، أكثر أخباره مع فضل الشاعرة وله مناقضات معها مات نحو سنة ٢٥٠ هـ. «الأعلام ٣/ ٩٣».

الباب الثاني
من القسم الثالث من الفن الثاني
في الهجاء، وفيه أربعة عشر فصلًا

ما قيل في الهجاء ومن يستحقّه.

ما قيل في الحسد.

ما قيل في السعاية والبغي.

ما قيل في الغيبة والنميمة.

ما قيل في البخل واللؤم وأخبار البخلاء واحتجاجهم.

ما قيل في التطفيلِ ويتّصلُ به أخبار الأَكَلَة والمؤاكلة.

ما قيل في الجبن والفرار.

ما قيل في الحمق والجهل.

ما قيل في الكذب.

ما قيل في الغدر والخيانة.

ما قيل في الكبر والعجب.

ما قيل في الحرص والطمع.

ما قيل في الوعد والمطل.

ما قيل في العيّ والحَصَر.

ذكر ما قيل في الهجاء ومن يستحقه

قال الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: الآيات ٢٢٤ - ٢٢٧]. فهذه رخصة لمن ظلم في الانتصار.

وقال حسّان بن ثابت الأنصاريّ يردّ على أبي سفيان بن الحارث: [من الوافر]

ألا أبلغ أبا سفيان عني مغلغَلةً فقد برح الخفاءُ[1]

---

(١) المغلغلة: الرسالة، ورسالة مغلغلة: محمولة من بلد إلى بلد. «لسان العرب ١١/ ٥٠٥».

هجوتَ محمَّدًا، فأجبتُ عنه ... وعندَ اللهِ في ذاك الجزاءُ
أتهجوه ولستَ له بكفءٍ ... فشرّكما لخيركما الفداءُ
لنا في كلِّ يومٍ من معدٍّ ... سبابٌ أو قتالٌ أو هجاءُ
لساني صارمٌ لا عيبَ فيه ... وبحري لا تكدّرُه الدِّلاءُ
فإنّ أبي ووالدتي وعِرضي ... لعرضِ محمَّدٍ منكم وِقاءُ

ويستحقّ الهجاءَ من اتصف بسوءِ الخصال، واتسم بأخلاق الأرذال والأنذال، وجعل اللؤم جلبابَه وشعارَه، والبخل وِطاءه ودثاره، وسأذكر جِماع ما اتصفوا به من سوء الفعال، وأسّسوا بنيانهم عليه من قبح الخلال.

قال بعض الحكماء: أربعةٌ من علامات اللؤم: إفشاءُ السرّ، واعتقادُ الغدر، وغِيبة الأحرار، وإساءةُ الجوَار.

وسأل عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف عن خلقه، فتلكأ عليه وأبى أن يخبرَه فأقسم عليه فقال: حسودٌ، كنودٌ، حقودٌ، فقال عبد الملك: ما في إبليس شرٌّ من هذه الخلال؛ فبلغ ذلك خالد بن صفوان فقال: لقد انتحل الشرَّ بحذافيره، ومرق من جميع خلال الخير، وتأنّقَ في ذمّ نفسه، وتجرَّدَ في الدلالة على لؤم طبعه، وأفرط في إقامة الحجّةِ على كفره، وخرج من الخلال الموجبة رضي ربّه.

قال أبو تمام: [من البسيط]

تأنّستْ بذميمِ الفعلِ طلعتُه ... تأنُّسَ المقلة الرمداء بالظلَمِ

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «أربعةٌ، من كنّ فيه فهو منافقٌ، مَن إذا حدّثَ كذب، وإذا وعد أخلفَ، وإذا عاهد غدرَ، وإذا أؤتمن خان».

وقالوا: اللئيمُ كذوبُ الوعدِ، خؤونُ العهدِ، قليلُ الرفدِ. وقالوا: اللئيم إذا استغنى بطر، وإذا افتقر قنط، وإذا قال أفحش، وإذا سئِلَ بخل، وإن سأل ألحَّ، وإن أُسدِيَ إليه صنيعٌ أخفاه، وإن استُكتِمَ سرًّا أفشاه، فصديقه منه على حذر، وعدوّه منه على غَرَر[١].

وإنَّ للشعراء والبلغاء في الذمّ والهجاء نظمًا ونثرًا سنورد منه طُرَفًا، ونشرحُ ما يجعل ضوء النهار على المقول فيه سَدَفًا[٢].

---

(١) الغرر: الغفلة، والتعرّض للهلكة. «اللسان ٥/١٦».
(٢) السدف: الظلام الدامس.

فمن ذلك ما قاله أحمد بن يوسف الكاتب في بني سعيد بن مسلم بن قتيبة: محاسنُهم مساوىءُ السِّفَل، ومساوئهم فضائحُ الأمم، وألسنتهم معقودةٌ بالعِيّ، وأيديهم معقولةٌ بالبخل، وأعراضهم أغراض الذمّ، فهم كما قيل: [من البسيط]

لا يَكْثُرون وإن طالتْ حياتهمُ ... ولا تَبِيد مخازيهم وإن بادوا

وذمّ أعرابيٌّ قومًا فقال:

هم أقلُّ الناسِ ذنوبًا إلى أعدائهم، وأكثرهم تجرؤًا على أصدقائهم، يصومون عن المعروف، ويُفطِرون على الفحشاء.

وذمّ أعرابيٌّ قومًا فقال: قوم سُلِخت أقفاؤهم بالهجاء، ودُبغت جلودُهم باللؤم، فلباسهم في الدنيا الملامةُ، وفي الآخرة الندامةُ.

وكان عيسى بن فرخان شاه يتيه على أبي العَيْناء[1] حال وزارته، فلما صُرفَ عن الوزارة لقي أبا العيناء في بعض السكك فسلّم عليه سلامًا خفيفًا، فقال أبو العيناء لقائده: من هذا؟ قال: أبو موسى، فدنا منه حتّى أخذ بعنَان بغلته وقال: لقد كنت أقنعُ بإيمائك دون بَنَانك، وبلحظِكَ دون لفظِك، الحمدُ لله على ما آلت إليه حالك، فلئن كانت أخطأت فيك النعمةُ، لقد أصابت فيك النِّقمةُ؛ ولئن كانت الدنيا أبدت صفحاتِها بالإقبال عليك، لقد أظهرت محاسنَها بالإدبارِ عنك، ولله المِنَّةُ إذ أغنانا عن الكذبِ عليك، ونزّهنا عن قولِ الزورِ فيك، وقد واللهِ أسأتَ حمل النعمة، وما شكرتَ حقَّ المنعم؛ ثم أطلق يده من عِنانه، ورجع إلى مكانه فقيل له: يا أبا عبد الله! لقد بالغتَ في السَّبِّ؛ فما كان الذنبُ؟ قال: سألته في حاجة أقلّ من قيمته، فردّني عنها بأقبح من خلقته.

قال بعض الأعراب: نزلتُ بذاك الوادي فإذا ثيابُ أحرارٍ على أجسام عبيد، إقبالُ حظِّهم، إدبارُ حظِّ الكرام؛ أَلَمَّ بهذا المعنى شاعر فقال: [من الوافر]

أرى حُلَلًا تُصانُ على رجالٍ ... وأعراضًا تُذَالُ ولا تُصَانُ
يقولون الزمانُ به فسادٌ ... وهم فسدوا وما فَسَدَ الزمانُ

(١) أبو العيناء: هو محمّد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي، أديب فصيح من ظرفاء العالم، ومن أسرع الناس جوابًا، اشتهر بنوادره ولطائفه، وكان ذكيًا جدًّا وحسن الشعر، مات سنة ٢٨٣ هـ. «الأعلام ٦/ ٣٣٤».

وسئل بعضُ البلغاء عن رجل فقال: هو صغير القَدْر، قصير الشِّبْر، ضيِّق الصدر، لئيم النَّجر، عظيم الكِبْر، كثير الفخر.

وذمّ أعرابيّ رجلًا فقال: هو عبدُ البدَنِ، حُرُّ الثيابِ، عظيم الرّواق، صغيرُ الأخلاقِ، الدهرُ يرفعُه، ونفسُه تَضَعُهُ.

وقال آخر: فلانٌ غَثٌّ في دينه، قَذِرٌ في دنياه، رَثٌّ في مُرُوءته، سَمِج في هيئته، منقطعٌ إلى نفسه، راضٍ عن عقله، بخيلٌ بما أنعم الله عليه، كتومٌ لما آتاه الله من فضله، حَلّافٌ لَجُوج، إنْ سأل ألحف، وإن وعد أخلف، لا يُنْصِف الأصاغر، ولا يعرِف حقَّ الأكابر.

وترجم الفتحُ بن عبد الله القَيْسي[١] صاحبُ قلائد العِقْيان في كتابه عن أبي بكر بن ماجة المعروف بابن الصائغ فقال: هو رَمَدُ جَفْنِ الدِّين، وكَمَدُ نفوسِ المهتدين، اشتهر سخفًا وجنونًا، وهجر مَفْرُوضًا ومَسْنُونًا، فما يشرعُ، ولا يأخذُ في غيرِ الأضاليلِ ولا يشرعُ، ناهيك به من رجل ما تَطَهّر من جنابه، ولا أظهر مَخِيلةَ إنابه[٢]، ولا استنجى[٣] من حَدَث، ولا أشْجَى فؤادَه مُوارًى في جَدَث، ولا أقرّ ببارئه ومُصوِّره، ولا فرَّ عن تباريه في ميدان تهوّره، الإساءةُ إليه أجدَى من الإحسان، والبهيمةُ أهدَى عنده من الإنسان، نظرَ في تلك التعاليم، وفكّر في أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم، ورفَضَ كتَّابَ اللهِ الحكيمِ العليم، ونبذه وراء ظهرِه، ثانِيَ عِطْفِه[٤]، وأراد إبطالَ ما لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، واقتصرَ على الهيئة، وأنكر أن يكونَ له عند الله تباركَ وتعالى فيئة، وحكم للكواكب بالتدبير، واجترم على الله اللطيفِ الخبير، واجترأ عند سماع النهي والإيعاد، واستهزأ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾ [القَصَص: الآية ٨٥] فهو يعتقد أن الزمان دَوْر، وأن الإنسان نبات له نَوْر، حِمَامُه تَمَامُه، واختلافه فطامه، قد مُحِي الإيمانُ من قلبه فما له فيه رسمٍ، ونَسِيَ الرحمٰنَ لسانُه فما يمرُّ له عليه اسم، وانتمت نفسه للضلال

(١) الفتح بن عبد الله القيسي: هو الفتح بن خاقان، أبو نصر، كاتب مؤرّخ من أهل إشبيلية كان كثير الأسفار والرّحلات، قتل بمراكش سنة ٥٢٨ هـ. «الأعلام ٥/ ١٣٤».

(٢) أظهر مخيلة إنابه: أي أنّه لم يظهر شيئًا يدلّ على توبته وإنابته إلى الهدى.

(٣) استنجى من حدث: أي اغتسل وتطهّر.

(٤) عِطْفِه: العطف هو المنكب، وعطفا الرجل: جانباه عن يمين وشمال، وعطفا كل شيء: جانباه. «لسان العرب ٩/ ٢٥٠».

وانتسبت، ونفت يومًا تُجزَى فيه كُلُّ نَفْسٍ بما كسبتْ، فقصَّرَ عمرَه على طَرَبٍ ولهوٍ، واستشعر كل كِبَرٍ وزهوٍ، وهو يَعْكِفُ على سماع التلاحين، ويقف عليها كلَّ حين، يعلن بذلك الاعتقاد، ولا يؤمنُ بشيء قادنا إلى الله في أسلس مَقَاد، مع منشإٍ وخيم، ولؤمِ أصلٍ وخيم[1] وصورةٍ شوّهها الله وقبَّحها، وطلعةٍ لو رآها كلب لنبحها، وقذارةُ يؤذي البلادَ نفَسُها، ووضارةٍ يحكي الحدادُ دَنَسَها وَفَنَدٍ لا يَعمُر إلا كنفه، ولددٍ[2] لا يُقوِّم إلا الصِّفادُ[3] جَنَفه[4].

وكتب أحمد بن يوسف: أما بعد فإني لا أعرف للمعروفِ طريقًا أوعرَ من طريقه إليك، لأنه يحصل منك بين حسبٍ دنيءٍ، ولسانٍ بَذِيءٍ، وجهل قد ملك عليك طِباعَك، فالمعروفُ لديك ضائعٌ، والشكرُ عندك مهجورٌ، وإنما غايتك في المعروف أن تُحَوِّره، وفي وَلِيّه أن تُكفِّره.

ومما قيل في الهجاء من النظم

فمن ذلك قول جرير وهو أهجى بيت قالته العرب: [من الوافر]

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيْرٍ فلا كَعْبًا بلغتَ ولا كِلَابَا
ولو وُضِعَتْ فِقَاحُ بَنِي نُمَيْرٍ على خَبَثِ الحَدِيدِ إذًا لَذَابَا[5]

وقال عبد الملك بن مروان يومًا لجلسائه: هل تعلمون أهلَ بيتٍ قيل فيهم شعرٌ ودُّوا أنهم افتدَوْا منه بأموالهم، وشعرٌ لم يسرّهم به حُمْر النَّعم فقال أسماء بن خارجة: نحن يا أمير المؤمنين! قال: وما قيل فيكم: قال: قول الحارث بن ظالم: [من الوافر]

وما قومي بثعلبة بن سعدٍ ولا بفزارةِ الشُّعْرِ الرِّقابا[6]

---

(١) الخيم: السّجية.
(٢) اللدد: الخصومة الشديدة. «لسان العربْ ٣/ ٣٩٠ و٣٩١».
(٣) الصِّفاد: حبل يُوثق به أو غل، والصفد: الوثاق والجمع أصفاد ـ وصفدت الرجل: أوثقته بالأغلال. «لسان العرب ٣/ ٢٥٦».
(٤) جنفه: الجنف هو الميل والجور، وجنف عليه: مال عليه في الحكم والخصومة والقول. «لسان العرب ٩/ ٣٢ و٣٣».
(٥) فقاح: حلقة الدبر، وقيل الدبر الواسع، والجمع فقاح. وفقح الشيء يفقحه فقحًا: سَفَّه كما يسف الدواء. «لسان العرب ٢/ ٥٤٦».
(٦) هو الحارث بن ظالم المرّي، أبو ليلى، أشهر فتّاك العرب في الجاهلية قتل في حوران نحو سنة=

فوالله يا أميرَ المؤمنين! إني لألْبَسُ العِمَامة الصفيقة[1] فيخيّل إليّ أن شعر قفاي قد بدا منها، وقول قيس بن الخطيم[2]: [من الوافر]

هَـمَـمْـنـا بـالإقـامـة يـومَ سِـرْنـا　　　مَـسِـيـر حُـذَيْـفَـةِ الـخـيـرِ بـن بـدرِ

فما يسرّنا أنّ لنا بها أو بِهِ حُمْرَ النَّعم، فقال هانىء بن قبيصة النُّمَيْرِيّ[3]: أولئك نحن يا أمير المؤمنين! قال: ما قيل فيكم؟ قال قول جرير: [من الوافر]

* فَـغُـضِّ الـطَّـرْفَ إنـك مـن نُـمَـيْـرِ *

والله لودِدْنا أننا افتديناه بأملاكنا، وقول زياد الأعجم: [من الوافر]

لـعـمـرُكَ مـا رِمـاحُ بـنِـي نُـمَـيْـرِ　　　بـطـائـشـةِ الـصُّـدور ولا قِـصَـارُ

فوالله ما يسرّنا به حُمْر النَّعم.

قال العسكريّ وذكر أن جريرًا لما قال: [من الكامل]

والـتَّـغـلَـبِـيُّ إذا تَـنَـحْـنَـحَ لِلْقِرَى　　　حَـكَّ اسْـتَـهُ وتَـمَـثَّـلَ الأَمْـثَـالَا

قال: قلت فيهم بيتًا أو طُعِنَ أحدُهم في استه لم يَحُكّها! وقالوا: مرت امرأة ببني نُمَير فتغامزوا إليها فقالت: يا بني نمير! لم تعملوا بقول الله ولا بقول الشاعر، يقول الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النّور: الآية ٣٠] ويقول الشاعر: [من الوافر]

* فَـغُـضِّ الـطَّـرْفَ إنَّـكَ مِـنْ نُـمَـيْـرِ *

فخجلوا؛ وكان النُّمَيريّ إذا قيل له: ممن أنت؟ قال: من نُمَير، فصار يقول: من بني عامر بن صَعْصَعَةَ.

قال العسكريّ: ولو قيل إنَّ أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو: [من الوافر]

ولـو تُـرْمَـى بِـلُؤْمِ بَـنِـي كُـلَـيْـبٍ　　　نُجومُ الليلِ ما وَضَحَتْ لِسَارِي

= ٢٢ ق.هـ. «الأعلام ٢/ ١٥٥».

(١) الصفيقة: الجيّدة النسج الكثيفة.

(٢) هو قيس بن الخطيم بن عديّ الأوسي، أبو يزيد شاعر الأوس في الجاهلية وأحد صناديدها، مات نحو سنة ٢ ق.هـ. «الأعلام ٥/ ٢٠٥».

(٣) هانىء بن قبيصة النميري، هو همّام بن قبيصة بن مسعود التميري، سيّد قومه في زمن يزيد بن معاوية، وأحد شجعان العصر الأموي قتل بمرج زهط سنة ٦٥ هـ. «الأعلام ٨/ ٩٤».

ولـو يُـرْمَـى بِـلُؤْمِـهُـمُ نـهـارٌ لـدنَّـسَ لـؤمُـهُـم وَضَـحَ الـنَّـهـارِ
ومـا يَـغْـدُو عَـزِيـزُ بـنـي كُـلَيْـبِ لـيـطـلـبَ حـاجـةً إلا بِـجَـار

ومثله قول الآخر: [من الطويل]

ولَوْ أَنَّ عَبْدَ القَيْسِ ترمي بلؤمها على الليلِ لم تَبْدُ النجومُ لِمَنْ يَسْرِي

وقالوا: أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى: [من الطويل]

تَبِيتون في المَشتا مِلاءً بطونكم وجاراتُكم غَرثَى يَبِتْنَ خَمائِصَا[١]

وهذا البيت من أبيات ولها سببٌ تذكرُه الآن في هذا الموضع وإن كان خارجًا عن مكانه وذلك: أن عامر بن الطُّفَيل بن مالك وعلقمة بن عُلاثَةَ تنازعا الزعامة فقال عامر: أنا أفضلُ منك! وهي لعَمّي ولم يمت، وعمُّهُ عامرُ بن مالك بن جعفر بن كلاب وكان قد أُهتر[٢] وسقط، وقال علقمة: أنا أفضلُ منك! أنا عفيفٌ، وأنت عاهرٌ، وأنا وفِيٌّ وأنت غادرٌ، وأنا وَلُودٌ وأنت عاقرٌ، وأنا أدنَى إلى ربيعةَ، فتداعيا إلى هَرِم بن قُطْنة[٣]؛ ليحكمَ بينهما فرحلا إليه ومع كل واحد منهما ثلاثمائة من الإبل، مائة يُطعمها مَنْ تبعَهُ، ومائة يُعْطِيها للحاكم، ومائة تُعقر إذا حكم؛ فأبى هرم بن قُطْنة أن يحكم بينهما مخافةَ الشَّرِّ وأبيا أن يرتحلا؛ فخلا هَرِم بعلقمةَ وقال له: أترجو أن ينفَّرَكَ رجلٌ من العرب على عامرِ فارِس مُضَر؛ أندى الناس كفًّا، وأشجعهم لِقَاءً، لَسِنانُ رمح عامرٍ أذكرُ في العرب من الأحوص، وعمُّه ملاعبُ الأسنةِ، وأمُّه كبشةُ بنت عُروة الرَّحال، وجَدَّتُهُ أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الضَّحْياء، وأمكَ من النَّخع، وكانت أمُّه مُهَيْرة، وأمّ عُلاثة أخيذة من النَّخع، ثم خلا بعامر فقال له: أَعَلى علقمة تفخرُ؟ أنت تناوئه؛ أَعَلَى ابن عوف بن الأحْوَص؛ أعفُّ بني عامر وأيمنُهم نقيبةً، وأحلمُهُم وأسودُهُم وأنت أعورُ عاقرٌ مشؤومٌ! أما كان لك رأي يزغك عن هذا! أكُنتَ تظنّ أن أحدًا من

(١) غرثى: الغرث: أيسر الجوع، وقيل شدته، وقيل هو الجوع عامة. وفي حديث علي عليه السلام: «أبيت مبطانًا وحولي غرثى». والتغريث: التجويع. «لسان العرب ٢/ ١٧٢».

(٢) أهتر: الهتر: ذهاب العقل من كبر أو مرض أو حزن، والمهتر: الذي فقد عقله، وأُهتِر الرجل: فقد عقله من الكبر وصار خرِفًا. «لسان العرب ٥/ ٢٤٩ و٢٥٠».

(٣) هرم بن قطنة الفزاري، أبو سنان، من قضاة العرب في الجاهلية، أسلم في عهد النبي ﷺ وكان حيًا في خلافة عمر، كان من الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء، توفي بعد سنة ١٣ هـ ـ بعد ٦٣٤ م. «الأعلام للزركلي ٨/ ٨٣».

العرب يُنفّرُكَ عليه؟ فلما اجتمعا وحضر الناس للقضاء قال: أنتما كركبتَي الجمل فتراجعا راضِيين.

قال العسكريّ: والصحيح أنه توارى عنهما ولم يقل شيئًا فيهما ولو قال: أنتما كركبتي الجمل لقالَ كلُّ واحدٍ منهما: أنا اليُمنَى، فكان الشرّ حاضرًا؛ قال وسأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد ذلك بحين: لمن كنتَ حاكمًا لو حكمت؟ فقال: أعفِني يا أمير المؤمنين! فلو قلتها لعادت جدعة[١]. فقال عمر: صدقتَ! مثلُك فليَحْكُم.

قال فارتحلوا عن هَرِم لما أعياهم نحوَ عُكاظ[٢] فلقيهم الأعشى منحدرًا من اليمن، وكان لمّا أرادها قال لعلقمة: اعقد لي حَبْلًا فقال: أعقدُ لك من بني عامر! قال: لا يغني عنّي قال: فمن قيس! قال: لا. قال: فما أنا بزائدك، فأتى عامرُ بن الطفيل فأجاره من أهل السماء والأرض فقيل له: كيف تجيرُه من أهل السماء؟ قال: إن مات ودَيتُه، فقال الأعشى لعامر: أَظهِرْ أنكما حَكّمتُمانِي ففعل؛ فقام الأعشى فرفع عَقِيرتَه (أي صوته) في الناس فقال: [من السّريع]

حَكّمتُموه فَقَضى بينكم ... أبلجُ مثلُ القَمَرِ الزاهِرِ
لا يأخذ الرِّشوةَ في حُكمِهِ ... ولا يبالي خُسُرَ الخاسِرِ
علقمُ لا لستَ إلى عامرِ الـ ... ـناقضِ الأوتارِ والواتِرِ
واللابس الخيلِ بخيلٍ إذا ... ثار عَجَاجُ الكَبّةِ الثائِرِ[٣]
إن تَسُدِ الحوصَ فلم تعدُهم ... وعَامِرٌ سادَ بَني عَامِرِ
سادَ وأَلْفَى رهْطَه سادةً ... وكابِرًا سادُوك عن كَابِرِ

قال وشدَّ القومُ في أعراض الإبل المائة فعقروها وقالوا: نُفِّر عامرٌ، وذهبت بها الغوغاء، وجهد علقمةُ أن يردَّها فلم يقدر على ذلك، فجعل يتهدّد الأعشى

---

(١) جدعة: المجادعة: المخاصمة - وجادعه مجادعة: خاصمه - والجذع: القطع، وحمار مجدوع: مقطوع الأذن. «لسان العرب ٨/ ٤٠ و٤١».

(٢) عكاظ: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية، وكانت قبائل العرب تجتمع بعكاظ في كل سنة ويتفاخرون فيها فيعكظ بعضهم بعضًا بالفخار أي يذعك، ويقال عكظ الرجل دابته إذا حبسها، وتقع عكاظ في واد قريب من الطائف. «معجم البلدان ٤/ ١٤٢».

(٣) عجاج الكَبة: الكبة بالفتح: الحملة في الحرب والدفعة في القتال والجري. والكُبة بالضم: جماعة الخيل. «لسان العرب ١/ ٦٩٦».

فقال: [من الطويل]

أتاني وعيدُ الحوصِ من آل عامر ... يا عبدَ عمرو لو نهيتَ الأحاوِصَا
فما ذنبُنا إن جاش بحرُ ابنِ عَمِّكم ... وبحرُكَ ساجٍ لا يواري الدَّعامِصَا[1]
كِلا أَبَويكم كان فَرْعا دَعامةٍ ... ولكنَّهم زادوا وأصبحتَ ناقِصَا
تبيتون في المشتا مِلاءً بطونكم ... وجاراتُكم غَرْثَى يَبِتْنَ خَمائِصا
يراقبْنَ من جوعٍ خِلَالَ مخافةٍ ... نجومَ العِشاء العاتِمات الغَوامِصَا
رمى بكَ في أُخراهمُ تركُك النَّدَى ... وفضّلَ أقوامًا عليك مراهِصَا[2]
فعضّ حديدَ الأرضِ إن كنت ساخطًا ... بفيك وأحجارَ الكلاب الرّواهِصَا[3]

قال فبكى علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكاؤه زيادة عليه في العار، والعرب تعيّر بالبكاء؛ قال مهلهل: [من البسيط]

يُبكَى علينا ولا نبكي على أحدٍ ... ونحنُ أغلظُ أكبادًا من الإبلِ

وقال جرير: [من الطويل]

بكى دَوْبلٌ لا يُرقِىءُ اللهُ دَمْعَه ... أَلَا إنما يبكي من الذُّل دَوْبَلُ

قال عبد الملك بن مروان لأمية: مالَكَ وللشاعرِ إذ يقول: [من الطويل]

إذا هتفَ العصفورُ طارَ فؤادهُ ... وليثٌ حديدُ النابِ عندِ الثرائدِ

فقال: أصابه حدٌّ من حدود الله فأقمته عليه قال: فهلّا درأته عنه بالشُّبُهات؟ قال: كان أهونُ عليّ من أن أُعطِّل حدًّا من حدود الله فقال: يا بني أمية! أحسابُكم أحسابُكم، أنسابُكم أنسابُكم، لا تعرضوا للفصحاء فإن للشعر مواسمَ لا يزيدها الليل والنهار إلا جِدّة، واللهِ ما يسرُّني أني هجيتُ ببيت الأعشى حيث يقول: تبيتون في المشتا الخ ولي الدنيا بحذافيرها ولو أن رجلًا خرج من عَرَض الدنيا كان قد أخذ

(١) الدعامص: الدعموص: دويبة صغيرة تكون في مستنقع الماء والجمع الدعاميص والدعامص. والدعموص أيضًا: أول خلق الفرس وهو علقة في بطن أمه إلى أربعين يومًا. «لسان العرب ٧/ ٣٦».

(٢) المراهص: مفردها المرهَصة وهي الدرجة والمرتبة. «لسان العرب ٧/ ٤٤».

(٣) الرواهص: الصخور المتراصة الثابتة، واحدتها راهصة، والرهص: شدة العصر. «لسان العرب ٧/ ٤٤».

عوضًا لقول ابن حُرْثان: [من الطويل]

على مكثرِيهم حقٌّ من يعتريهمُ وعند المُقِلّين السماحةُ والبذْلُ

وهذا البيت لزهير.

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الحطيئة في الزِّبْرِقان بن بدر[١]: [من البسيط]

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغْيتِها واقعُدْ فإنك أنتَ الطاعِمُ الكاسي

ولهذا الشعر حكاية نذكرها في أخبار الحطيئةِ في البخلاء. وقيل: اتفق جماعة من الشعراء على أن أهجى بيتٍ قالته العرب، قول الفرزدق في جرير: [من الكامل]

أنتم قرارةُ كلِّ معدنِ سَوْءةٍ ولكلِّ سائلةٍ تسيلُ قَرَارُ[٢]

أخذه أبو تمام فقال: [من الوافر]

وكانت زفرةٌ ثم اطمأنتْ كذاك لكلِّ سائلةٍ قَرارُ

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل لجرير: [من البسيط]

ما زال فينا رباطُ الخيلِ مُعْلمة وفي كليبٍ رِباطُ اللُّؤمِ والعَارِ
قوم إذا استنبحَ الأضيافُ كَلْبَهمُ قالوا لأمهم: بُولي على النَّارِ

قالت بنو تميم: ما هجينا بشيء، هو أشدّ علينا من هذا البيت، وهو يتضمن وجوهًا شتَّى من الذَّم: جعلهم بخلاء بالقِرَى، وجعل أمّهم خادمهم، يأمرونها بكشف فَرْجها، وجعلهم يبخلون بالماء أن يطفئوا به النار، وجعل نارهم من قلّتها تطفى ببولةٍ، وأغرى بينهم وبين المجوس، لتعظيم المجوس للنار، وإهانتهم لها إلى غير ذلك.

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الطرمّاح: [من الطويل]

تميمٌ بِطُرْق اللؤمِ أهدى من القَطَا ولو سلكتْ طُرْقَ المكارمِ ضَلَّتِ[٣]

---

(١) الزبرقان بن بدر: التميمي السعدي، صحابي من رؤساء قومه، قيل اسمه الحصين ولقب بالزبرقان لحسنه، والزبرقان من أسماء القمر، ولاه رسول الله ﷺ صدقات قومه فثبت إلى زمن عمر، وكف بصره في آخر عمره، وتوفي في أيام معاوية نحو ٤٥ هـ ـ نحو ٦٦٥ م ـ وكان فصيحًا شاعرًا ـ «الأعلام للزركلي ٣/ ٤١».

(٢) القرار: المستقرّ.

(٣) القطا: طائر معروف، سمي بذلك لثقل مشيه، واحدته قطاة، والجمع قطوات وقطيات، ومشيها=

وقيل أهجى بيت قالته العرب قول الأعرابيّ: [من البسيط]

اللؤمُ أكرمُ من وَبْرٍ ووالدهِ ... واللؤمُ أكرمُ من وَبْرٍ وما وَلَدا

قوم إذا ما جَنَى جانيهمُ أَمِنُوا ... من لؤمِ أحسابِهم أن يُقتَلوا قَوَدَا[1]

وقال مسلم بن الوليد يهجو دِعْبِل الخُزاعيّ: [من الكامل]

أمّا الهِجَاءُ فدقَّ عِرْضُك دُونَه ... والمَدْحُ عنك كما علمتَ جَليلُ

فاذهبْ فأنتَ طليقُ عِرْضِك إنَّه ... عرضٌ عززتَ به وأنت ذليلُ

وكان سبب ذلك أنه كان بخراسان عندَ الفضلِ بن سهل[2]، فبلغ دعبل ما هو فيه من الحَظْوَة عنده، فصار إلى مَرْو[3]، وكتب إلى الفضل بن سهل: [من الكامل]

لا تعبأنْ بابنِ الوليد فإنّهُ ... يرميك بعدِ ثلاثةٍ بمَلالِ

إنّ المَلُول إذا تقادم عهدُه ... كانت مودّتُه كَفَيْءِ ظلالِ

فدفع الفضلُ الرّقعة إلى مسلم، فلما قرأها قال: هل عرفت لقب دعبل وهو غلام أمرد يُفْسَق به؟ فقال: لا، قال: كان يُلَقَّب بِمَيّاس، وكتب إليه: [من الكامل]

ميّاسُ قل لي: أين أنتَ من الورى؟ ... لا أنت معلومٌ ولا مجهولُ

أما الهجاء الخ، ومنه أخذ إبراهيم بن العباس فقال: [من المتقارب]

فكنْ كيفَ شئتَ وقُلْ ما تَشَاءُ ... وأبْرِقْ يميناً وأرعِدْ شِمَالَا

نجا بك لؤمُك مَنْجا الذُّبابِ ... حمتْهُ مقاذِيرُه أن يُنَالَا

= الأقطيطاء، وفي المثل: لو ترك القطا لنام؛ يضرب لمن يَهيج إذا تُهُيِّج. «لسان العرب ١٥/ ١٨٩».

(١) قَوَدًا: القود هو قتل النفس بالنفس، وأقدْت القاتل بالقتيل: أي قتلته به. والقود: القِصاص، وقتل القاتل بدل القتيل. «لسان العرب ٣/ ٣٧٢».

(٢) الفضل بن سهل السرخسي (١٥٤ ـ ٢٠٢ هـ = ٧٧١ ـ ٨١٨ م) أبو العباس، وزير المأمون وصاحب تدبيره، اتصل به في صباه وأسلم على يده، سنة ١٩٠ هـ، وكان مجوسيًا، وصحبه قبل أن يلي الخلافة، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معًا، فكان يلقب بذي الرياستين، ولد وتوفي في سرخس (بخراسان) قتله جماعة أثناء وجوده في الحمام، وكان حازمًا عاقلًا فصيحًا. «الزركلي ٥/ ١٤٩».

(٣) مرو: المرو: الحجارة البيض تُقتدح بها النار ـ تسمى مرو الشاهجان لعظمتها، والشاهجان: تعني نفس السلطان، وهي أشهر مدن خراسان وقصبتها. «معجم البلدان ٥/ ١١٢ و١١٣».

وأنشد الجاحظ: [من مجزوء الكامل المرفّل]

وَوَثِقْتُ أَنَّكَ لَا تُسَبُّ   حَمَاكَ لُؤْمُكَ أَنْ تُنَالَا

وقال الآخر: [من الوافر]

بِذِلَّةِ والديك كُسِيتَ عِزًّا   وباللؤمِ اجترأتَ على الجَوابِ

وقال آخر: [من المتقارب]

دناءةُ عِرْضِك حِصْنٌ مَنِيعُ   يقيكَ إذا ساء مِنك الصنيعُ
فقل لعدوِّكَ ما تشتهي   فأنتَ المَنِيعُ الرفيعُ الوَضِيعُ

وقال أبو نُوَاس: [من السّريع]

ما كان لو لم أهجُهُ غالبٌ   قامَ له هجوي مقامَ الشرفْ
يقول: قد أسرفَ في هجونا   وإنما سادَ بذاك السَّرفْ
غالبُ، لا تسعَ لتبني العلا   بلغتَ مجدًا بهجائي، فقِفْ
قد كنتَ مجهولًا ولكنّني   نوّهتُ بالمجهولِ حتى عُرِفْ

وقال أبو هلال العسكريّ: [من الطويل]

أهنتُ هجائي يابن عُروةَ، فانتحي   عليّ ملامُ الناسِ في البعدِ والقربِ
وقالوا: أتهجو مثلَهُ في سقوطه؟   فقلتُ لهم: جرَّبتُ سيفيَ في كلبِ

وقال ابن لنكك: [من البسيط]

وعصبةٍ لمّا توسَّطتهمْ   صارت عليّ الأرضُ كالخاتَمِ
كأنّهم من سوءِ أفهامِهِم   لم يخرجوا بعدُ إلى العالَمِ
يَضحكُ إبليسُ سرورًا بهم   لأنهم عارٌ على آدَمِ

وقالوا أهجى بيت قالهُ محدّث قول الآخر: [من الكامل]

قَبُحَتْ مَناظِرُهم، فحين خبرتُهم   حسُنتْ مناظرُهم لقبح المَخْبرِ

وقال العسكريّ: ولست أعرف في الهجاء أبلغَ من قول الأوّل: [من مجزوء الكامل]

إن يفجُروا أو يغدروا   أو يبخلوا لم يحفِلوا
وغدوا عليك مُرجّلـ   ـين كأنّهم لم يفعلوا!

ومن البليغ قولُ حسّان: [من البسيط]

أبناء حار، فلن تلقى لهم شبهًا ... إلا التيوسَ على أكتافها الشَّعَرُ
إن نافروا نُفِروا، أو كاثروا كُثِروا ... أو قامروا الربحَ عن أحسابهم قُمِروا
كأنّ ريحهُمُ في الناس إن خرجوا ... ريحُ الكلابِ إذا ما مسَّها المطرُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

أبـوك أبـو سـوءٍ وخـالُك مـثـلُه ... ولستَ بخيرٍ من أبيك وخالِكا
وإن أحـقَّ الـنـاسِ أن لا تـلـومَـه ... على اللؤم من ألفى أباه كذلكا

وقال الآخر: [من المتقارب]

سـلِ اللهَ ذا الـمـنِّ مـن فـضـلـه ... ولا تـسـألـنَّ أبـا واثـلـهْ[1]
فـمـا سـألَ اللهَ عـبـدٌ لـه ... فـخـاب ولـو كـان مـن بـاهـلهْ[2]

وقال آخر: [من المتقارب]

ولـو قـيـل لـلـكـلـبِ: يـا بـاهـلـيُّ ... لأعـولَ مـن قُـبْـحِ هـذا الـنـسـبْ!

وقال زياد: ما هُجيتُ ببيتٍ قطّ أشدَّ عليَّ من قول الشاعر: [من البسيط]

فَكِّرْ، ففي ذاك إن فكّرتَ معتبرٌ ... هـل نـلـتَ مـكـرُمـةً إلّا بـتـأمـيـرِ
عاشت سُميَّةُ ما عاشت وما علمتْ ... أن ابنَها من قريشٍ في الجماهير

وقال إبراهيم بن العباس[3]: [من المتقارب]

ولـمّـا رأيـتُـكَ لا فـاسـقًـا ... تُـهـابُ ولا أنـت بـالـزاهـدِ
ولـيـس عـدوُّك بـالـمـتَّـقّـي ... ولـيـس صـديـقُـك بـالـحـامـدِ
أتيتُ بك السوقَ سوقَ الهوان ... فناديت: هل فيك من زائدِ؟
عـلى رجـلٍ غـادرٍ بـالـصـديـقِ ... كـفـورٍ لـنـعـمـائـه جـاحـدِ

---

(١) واثلة: من الأسماء، مأخوذ من الوثيل، والوثيل: الحبل من الليف، والوثيل: الضعيف، والوثيل: الليف نفسه. «لسان العرب ١١/ ٧٢٢».
(٢) باهلة: اسم قبيلة من قيس عيلان. «لسان العرب ١١/ ٧٢».
(٣) هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، أبو إسحق، كاتبٌ شاعر قال المسعودي: لا يعلم فيمن تقدم وتأخر من الكتاب أشعر منه مات سنة ٢٤٣ هـ. «الأعلام ١/ ٤٥».

فـمـا جـاءنـي رجُـلٌ واحـد يــزيــدُ عــلى دِرهــم واحــدِ
سوى رجُلٍ حان منه الشقاءُ وحـلّت بـه دعـوةُ الـوالـدِ
فـبـعـثُـك مـنـه بـلا شـاهـدٍ مـخـافـةَ ردِّك بـالـشـاهـدِ
وأبـتُ إلـى مـنـزلـي سـالـمًـا وحـلّ الـبـلاءُ عـلى الـنـاقـد

وقال العسكريّ: [من المنسرح]

إن كـان شـكـلُك غـيـرَ متّـفِـقٍ فـكـذا خـلالُكَ غـيـر مـؤتـلفَـهْ
صُـوّرْتَ من نُطَفٍ قد اختلفتْ فـأتـت خـلالُك وهـي مـخـتـلفَـهْ
مـن عـصـبةٍ شتّى إذا اجـتـمعوا شـبّـهـتُ دارُكـم بـهـم عـرفَـهْ
فـورثْـتَ مـن ذا قُـبْـحَ مَـنـظَـرِه وورثْـتَ ذاك خـنـاه أو صـلفَـهْ

وقال الحسن بن مطران شاعر اليتيمة: [من السريع]

كم غصتُ في مدحِكَ فكرًا على درٌ نـفـيـسٍ غـيـرِ مـثـقـوبِ
ولـم يـغـصْ رأيُـك يـومًـا عـلى بــرّي، ولا رأيٌ لـمـكـذوبِ
إن كـان مـوعـودك فـي الـجـود لـي أكـذبُ مـن مـوعـودِ عُـرقـوبِ
فـإنّ أخـبـارك فـي مـدحـتـي أكـذبُ مـن ذئـبِ ابـن يـعـقـوبِ

وقال أحمد بن محمد بن حامد شاعر الخريدة: [من الطويل]

بُليتُ بقومٍ ما لهم في العلا يدٌ ولا قدمٌ تسعى لبذل الصنائعِ
إذا نظَرتْ عيني إليهم تنجّستْ بـرؤيـتـهـم طـهّـرتُـهـا بـالـمـدامـعِ

وقال المتنبيّ: [من المجتث]

إنْ أوحـشـتـك الـمـعـالـي فـإنّـهـا دار غُـربَـةْ
أو آنـسـتـك الـمـخـازي فـإنـهـا بـك أشـبَـهْ

وقال أبو عبد الله الحسن بن محمد بن الحجّاج[1]: [من مجزوء الكامل المرفّل]

ولـقـد عـهـدتُـكَ تـشـتـهـي قـربـي، وتـسـتـدعـي حـضـوري

(١) ابن الحجّاج: هو أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن الحجّاج، أحد سحرة الشّعر وعجائب العصر، فرد زمانه في فنه الذي شهر به. «انظر اليتيمة ٣/ ٣٥».

وأرى الجفا بعد الوفا مثل الفُسا بعد البخورِ
يا خرْيةَ العدسِ الصحـ ـيح النِّيىءِ والخبزِ الفطيرِ
في جوفِ منحلِّ الطبيـ ـعة والقُوَى شيخٍ كبيرِ
يخرَى فيخرجُ سُرمُه شِبرينِ من وجعِ الزحيرِ
يا فَسوةً بعد العَشا بالبَيْضِ واللبن الكثيرِ
وفطائرٍ عُجنتْ بلا الْـ ـمِلحِ الجريشِ ولا الخميرِ
يا نتنَ رائحةِ الطبيـ ـخِ إذا تغيّرَ في القدورِ
يا عُشَّ بيضِ القمْلِ فـ ـرَّخَ في السوالف والشعورِ
يا بَولَ صبيان الفِطا مِ ويا خراهم في الحجورِ
يا بعض تدخين الحشا في الصوم من تُخَم السَّحورِ
يا حَرَّ قُولَنج البطو نِ، وبردَ أعصابِ الظهورِ[1]
يا ذِلّة المظلوم أصـ ـبحَ وهو معدومُ النصيرِ
يا سوءَ عاقبة التفـ ـقُّد عند تسييب الأمورِ
يا كلَّ شيءٍ مُتعِبٍ متعقِّدٍ صعبٍ عسيرِ
يا خَيْرةَ الشيخ الأصـ ـمِّ، وحسرةَ الحَدَثِ الضريرِ
يا قعدةً في دِجلةَ والريحُ تلعبُ بالجسورِ
يا قرحةَ السلّ التي هدّتْ شراسيفَ الصدورِ[2]
يا أربعاء لا تدو رُ به مخافاتُ الشهورِ
يا هدَّة الحيطانِ تُنـ ـقَضُ بالمعاوِلِ والمُرورِ
يا قَرحةً في ناظرٍ غلطوا عليها بالذّرورِ
فتسلّخت مع ما يليـ ـها في الجفون من البُثورِ
يا خيبةَ الأملِ الذي أمسَى يُعلَّل بالغرورِ
يا غُلمةَ المتخدّرا تِ وراء أبواب القُصورِ

---

(١) القولنج: مرض يصيب المعدة بالإسهال والمغص.

(٢) شراسيف: الشرسوف: غضروف معلق بكل ضِلع مثل غضروف الكتف، وقال الأصمعي: الشراسيف هي أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن وقال ابن الأعرابي: الشرسوف: رأس الضلع. «لسان العرب ٩/ ١٧٥».

يـا وحـشـةَ الـمـوتـى إذا صاروا إلـى ظُـلَم الـقـبـورِ
يـا ضجـرةَ الـمـحـموم بالـ غـدَواتِ مـن مـاء الـشـعـيـرِ
يـا شـؤمَ إقـبـالِ الـشـتـا ءِ أضـرَّ بـالـشـيـخ الـفـقـيـرِ
يـا دولـةَ الـحُـسْـن الـتـي خُـسِـفَـتْ بـأيّـام الـسّـرورِ
يـا ضجّـةَ الـضَّـجِرِ الـمصـ لَدّعِ بـالـتـنـازُع والـشّـرورِ
يـا عـثـرَةَ الـقـلم الـمرشّـ ش بـيـن أثـنـاءِ الـسـطـور
يـا لـيـلةَ الـعُـريـانِ غِـ بّ عـشـيّـةِ الـيـوم الـمَـطـيـرِ
يـا نـومـةً فـي شـمـسِ آ بَ على الترابِ بلا حَصيرِ
يـا فـجـأةَ الـمـكـروهُ فـي الـ يـوم الـعـبـوس الـقَـمـطـريـرِ
يـا نـهـمـةَ الـكَـلْبِ الـرضيـ عِ ونَـكـهـةَ الـليـثِ الـهـصـور
يـا عـيـشَ عـانٍ مـوثَـقٍ فـي الـقَـيْـد مـغلولٍ أسـيـرِ
يـا جِـدّةَ الـرَّمَـد الـذي لا يـسـتـفـيـقُ مـن الـقُـطـورِ
يـا غـمَّـة الـكـنّـاس مـن شَـمِّ الـذرائـرِ والـعـبـيـرِ[1]
يـا حَـيْـرة الـعـطـشـانِ وقـ تَ الظُّهر في وسَط الهبيرِ[2]
مـن لـي بـأن تـلـقـاك خـيـ لُ بـنـي كـلاب بـلا خـفـيـرِ
وأرى بعيني لحمَك المطبـ وخَ فـي حَـرّ الـهـجـيـرِ
فـي الأرض مـا بـيـن الـسـبـا عِ وفـي الـسـمـا بـيـن الـنُّسـورِ

وقال المتنبيّ: [من الكامل]

يـمـشـي بـأربـعـةٍ عـلى أعـقـابـه تـحت الـعلوجِ ومـن وراء يُلجَمُ
وجـفـونُـه مـا تـسـتـقـرّ كـأنـهـا مـطـروفـةٌ أو فُـتَّ فـيـهـا حِـصـرِمُ
وتـراه أصـغـرَ مـا تـراهُ نـاطـقًـا ويكون أكذبَ ما يكونُ ويُقسمُ
وإذا أشـار مـكـلّـمًـا فـكـأنـه قِـردٌ يُـقـهـقِـهُ أو عـجـوزٌ تَـلطِمُ
يَـقـلَى مُـفـارقـةَ الأكـفّ قَـذالُه حـتـى يـكـادَ عـلى يـدٍ يـتـعـمَّـمُ

(١) الذرائر: الذريرة: ما أنتجت من قصب الطيب، والذريرة: فتات من قصب الطيب الذي يُجاء به من بلد الهند يشبه قصب النشاب. «لسان العرب ٤/٣٠٣».
(٢) الهبير: الضرب بالسيوف، أي في وسط المعركة، وهبرة بالسّيف: ضربه.

ومما يذمُّ به الرجل أن يكون ثقيلًا، فأبلغ ما قيل في ذلك قول بعضهم: [من الخفيف]

وثقيلٌ أشدُّ من غَصِص المو ... تِ ومن زَفْرةِ العذابِ الأليمِ
لو عَصَتْ ربَّها الجحيمُ لما كا ... ن سِواءُ عقوبةً للجحيمِ

وأبلغ ما قيل في هذا المعنى قول بشار: [من الخفيف]

ولقد قلتُ حينَ وَتَّدَ في الأر ... ضِ ثقيلٌ أرْبَى على ثَهْلانِ(١)
كيف لم تَحْمِلِ الأمانةَ أرضٌ ... حَمَلت فوقَها أبا سُفْيانِ

ومما هجي به أهلُ الوقت على الإطلاق. فمن ذلك قول أبي هلال العسكريّ: [من مجزوء الكامل المرفّل]

كم حاجةٍ أنزلتُها ... بكريم قومٍ أو لئيمِ
فإذا الكريمُ من اللئيـ ... ـم أو اللئيمُ من الكريمِ
سبحانَ ربٌّ قادرٍ ... قَدَّ البريَّةَ من أدِيمِ
فشريفُهم ووضيعُهم ... سيَّان في سَفَهٍ ولُوم
قد قلّ خيرُ غنيِّهم ... فغَنيُّهم مثلُ العَديمِ(٢)
وإذا اختبرتَ حميدَهم ... ألفَيْتَهُ مِثلَ الذَّمِيمِ

ومما قيل في هجاء بعض العشيرة ومدح بعضهم، فمن ذلك قول أبي عُيينة ليهجوَ خالدَ بنَ يزيد المُهلّبيّ ويمدحُ أباه: [من الطويل]

أبوك لنا غَيْثٌ نعيشُ بفضلِه ... وأنت جَرادٌ ليس يُبْقي ولا يَذَرْ
له أثرٌ في المَكْرُمات يَسرُّنَا ... وأنت تُعفِّي دائبًا ذلك الأَثَرْ
لقد قُنِّعتْ قحطانُ خِزْيًا بخالدٍ ... فهل لك فيه يُخْزِك اللهُ يا مُضَرْ؟

وله في قَبِيصة بن رُوح، يُفَضِّل عليه ابنَ عَمِّه داودَ بنَ يزيد بن حاتم: [من الكامل]

أَقَبِيصُ لستَ وإن جهدتَ ببالغٍ ... سَعْيَ ابنِ عَمِّكَ ذِي النَّدى دَاودِ

---

(١) ثهلان: موضع بالبادية، جبل لبني نمير بن عامر بن صعصعة في نجد، به ماءٌ ونخيل. «لسان العرب ١١/ ٩٥، ومعجم البلدان ٢/ ٨٨».
(٢) العديم: الفقير المقتر.

شَتَّان بينكَ يا قبيصُ وبينَهُ إن المُذَمَّمَ ليسَ كالمحمودِ
داودُ محمودٌ وأنت مُذَمَّمٌ عجَبًا لذاك وأنتما من عُود
ولرُبَّ عُودٍ قد يُشَقُّ لمسجِدٍ نصفًا وسائرهُ لحشٍّ يَهُودِي(١)

وقال حسّان في أبي سُفْيان بن الحارث: [من الطويل]

أبوكَ أبٌ حُرٌّ وأمُّك حُرَّةٌ وقد يَلِدُ الحُرَّان غيرَ نجيبِ
فلا تعجبنّ الناسُ منك ومنهما فما خَبَثُ من فِضَّةٍ بعجيبِ(٢)

ذكر ما قيل في الحسد

ومما يذمُّ به الرجلُ، أن يكون حسودًا، وقد أمر الله تعالى نبيّه عليه الصلاة والسلام، أن يتعوّذ من شرِّ الحاسد إذا حَسَد.

قال ابن السمَّاك:

أنزل الله تعالى سورة جعلها عُوذةً لخَلْقه من صنوف الشرّ، فلما انتهى إلى الحسَد، جعله خاتمًا إذ لم يكن بعده في الشرّ نهاية، والحسد أوّل ذنب عُصِيَ الله تعالى به في السماء، وأول ذنب عُصِيَ به في الأرض، أما في السماء، فحسدُ إبليسَ لآدمَ، وأما في الأرض، فَحَسدُ قابيلَ لهابيلَ، وذهب بعضُ أهل التفسير في قوله عزّ وجلّ إخبارًا عن أهل النّار ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [فصّلَت: الآية ٢٩] أن المراد بالجنّ إبليس، وبالإنس قابيل، وذلك أن إبليسَ أوّلُ من سَنّ الكفرَ، وقابيلَ أوّلُ من سَنّ القتلَ، وأصل ذلك كلّه الحسدُ.

وقال عبد الله بن مسعود(٣): لا تُعادُوا نِعَمَ الله، فقيل له: ومن يُعَادي نِعَمَ الله؟ قال: الذين يَحْسدُون الناسَ على ما آتاهم الله مِن فَضْلِهِ، يقول الله تعالى في بعض الكتب: الحَسُودُ عدوُّ نِعْمتي، مسخِط لقضائي، غيرُ راض بقسمتي.

---

(١) الحشّ: الكنيف.
(٢) الخبث: الصّدأ، وما يسقط من المعدن عند ضربه.
(٣) عبد اللّه بن مسعود الهذلي، أبو عبد الرحمٰن صحابي، من أكابرهم فضلًا وعقلًا، وقربًا من رسول الله ﷺ، وهو من أهل مكة ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن في مكة، وكان خادم رسول الله الأمين، ورفيقه في حله وترحاله وغزواته، ولي بعد وفاة النبي ﷺ بيت مال الكوفة، ثم قدم المدينة في خلافة عثمان فتوفي فيها سنة ٣٢ هـ ـ ٦٥٣ م عن ستين عامًا. . له ٨٤٨ حديثًا. «الأعلام للزركلي ٤/ ١٣٧».

وقالت الحكماءُ: إذا أراد الله، أن يُسَلِّطَ على عبدٍ عدوًّا لا يرحمُهُ، سلّط عليه حاسدًا.

وكان يقال في الدعاء على الرجل: طلبُكَ من لا يقصِّر دون الظَّفر، وحسدُكَ من لا ينام دون الشَّقَاء.

وقالوا: ما ظنُّك بعداوةِ الحاسدِ، وهو يرى زوالَ نعمتِكَ نعمةً عليه؟

قال أبو الطيب المتنبي: [من الوافر]

سوى وجعِ الحُسَّاد داوِ فإنه ... إذا حَلَّ في قلبٍ فليس يَحُولُ
ولا تطمعَنْ مِن حاسِدٍ في مَوَدَّةٍ ... وإن كنتَ تُبدِيها له وتُنِيلُ

وقال البَبَّغاءُ: [من الكامل]

ومن البلية أن تُداويَ حِقْدَ مَنْ ... نِعَمُ الإلهِ عليك من أحقادِهِ

وقال عليّ رضي الله عنه:

لا راحةَ لحَسُودٍ، ولا أخ لِمَلُولٍ، ولا مُحِبَّ لسيِّىءِ الخُلُق.

وقال الحسن:

ما رأيت ظالمًا أشبهَ بمظلوم من حاسد؛ نَفسٌ دائمٌ، وحزنٌ لازمٌ، وغَيْرةٌ لا تنفدُ، ثم قال: لله دَرُّ الحسد ما أعدلَه! يقتل الحاسدَ قبل أن يَصِلَ إلى المحسود.

وقال الجاحظ: من العدل المَحْضِ، والإنصافِ الصحيحِ، أن تَحُطَّ عن الحاسد نِصفَ عِقابه، لأن أَلَم جسمه، قد كفاك مَؤُونَة شطر غيظك عليه.

وقيل: الحسدُ أن تتمنّى زوال نعمةِ غيرك، والغبطةُ أن تتمنى مثلَ حالِ صاحِبك. وفي الحديث: «المُؤْمِنُ يَغْبِطُ، والمنافق يَحْسدُ».

وقال أرسطاطاليس(١): الحسدُ حسدان: محمودٌ، ومذمومٌ، فالمحمودُ أن ترى عالمًا فتشتهي أن تكون مثله، وزاهدًا فتشتهي مثل فعله، والمذمومُ أن ترى

---

(١) أرسطاطاليس: ومعناه محب الحكمة، ويقال الفاضل الكامل، وهو أرسطاليس بن نيقوماخس، من ولد اسقلبيادس الذي اخترع الطب لليونانيين، كان من مدينة يونانية تدعى «أسطاغاريا» وهو من تلاميذ أفلاطون، توفي وله ست وستون سنة في آخر أيام الإسكندر، له كتب كثيرة. «الفهرست لابن النديم ص ٣٤٥ و٣٤٦».

عالمًا وفاضلًا فتشتهي أن يموتا. وقيل: الحسودُ غضبانٌ على القَدَر، والقدرُ لا يعْتبه.

قال منصور الفقيه: [من المتقارب]

ألا قُلْ لمن كان لي حاسدًا أتدري على من أسأتَ الأدبْ؟
أسأتَ على الله في فضله إذا أنتَ لم تَرْضَ ما قَدْ وَهَبْ

وقال المتنبيّ: [من الطويل]

وأظلمُ أهلِ الأرضِ من بات حاسدًا لمن بات في نَعْمَائِهِ يتقلَّبُ

ومن أخبار الحَسَدة: ما حُكي، أنه اجتمع ثلاثةُ نفرٍ منهم، فقال أحدهم لصاحبه: ما بلغَ من حسدِك؟ قال: ما اشتهيتُ أن أفعل بأحد خيرًا قطُّ، فقال الثاني: أنت رجلٌ صالحٌ، أنا ما اشتهيت أن يفعل أحدٌ بأحدٍ خيرًا قطُّ، فقال الثالث: ما في الأرض أفضلُ منكما، أنا ما اشتهيت أن يفعل بي أحدٌ خيرًا قطُّ.

ومما قيل من الشعر في تفضيل المحسود ومدحه. وهجاء الحاسد وذمّه، قال بعض الشعراء: [من البسيط]

إن يحسُدوني فإني غيرُ لائمِهم قبلي من الناس أهلُ الفضلِ قد حَسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهمُ ومات أكثَرُنا غمًّا بما يَجِدُ

وقال آخر: [من الكامل]

إن الغُرابَ وكان يمشي مِشْيةً فيما مضى من سالفِ الأجيالِ
حسَدَ القَطاةَ ورامَ يَمْشِي مشيَها فأصابه ضَرْبٌ من العقَّالِ(١)

وقال آخر: [من الكامل]

حَسَدوا الفَتَى إذْ لم ينالُوا سَعْيَه فالقومُ أعداءٌ له وخُصُومُ
كضرائِرِ الحَسْنَاءِ قُلْن لوجهِهَا حَسَدًا وبَغْيًا إنّه لدَمِيمُ

وقال البُحتريّ: [من المنسرح]

لا تحسُدوه فَضْلَ رُتْبَته التي أعْيتْ عليكم وافعلوا كفِعَالِهِ

---

(١) العقّال: داء في رجل الدابة إذا مشى خلع ساعة ثم انبسط وأكثر ما يعتري في الشتاء. «اللسان ١١/٤٦٣».

وقال السَّرِيّ الرفّاء: [من الكامل]

نالتْ يَداه أقاصِيَ المَجدِ الّذي بَسَط الحسود إليه باعًا ضَيِّقَا
أَعَدوَّهُ هل للسِّماك جَرِيرَةٌ في أَنْ دَنَوتَ من الحَضِيضِ وحَلَّقَا؟
أم هل لِمَنْ مَلأ اليَدَيْنِ من العُلَا ذَنْبٌ إذا ما كنتَ منها مُمْلِقَا؟

وقال أبو تمّام الطائيّ: [من الكامل]

وإذا أراد الله نَشْرَ فضيلةٍ يومًا أتاح لها لِسَانَ حَسودِ
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتْ ما كان يُعرفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ

وقال البُحتريّ: [من الطويل]

ولن يَسْتَبِينَ الدَّهْرَ مَوْضِعُ نِعْمةٍ إذا أَنْت لم تُدْلَلْ عليها بحاسدِ

وقال محمد بن مُناذِر(١): [من المنسرح]

يا أيُّها العاتي وما بِيَ مِنْ عَتْبٍ ألا تَرْعَوِي وتَزْدَجِرُ!
هل لك عندي وِتْرٌ فتطلبُهُ أم أنت مِمّا أتيتَ مُعْتَذِرُ؟
إن يك قِسْمُ الإلٰهِ فَضّلني وأنت صَلْدٌ ما فيك مُعْتَصَرُ
فالحمدُ والشكرُ والثناءُ له وللحسودِ التُّرابُ والحَجَرُ
ماذا الذي يَجْتَنِي جليسُكَ أو يبدُو له منك حين يَخْتَبِرُ
اِقْرَأْ لنا سورةً تُذَكِّرُنَا فإن خيرَ المواعظِ السُّوَرُ
أَوْ صِفْ لنا الحُكْمَ في فرائضنا ما تستَحِقُّ الأُنْثَى أو الذَّكَرُ
أَوِ ازْوِ فِقْهًا تُرْوِي القلوبَ بِهِ جاء به عن نَبِيِّنَا الأَثَرُ
أو من أحادِيثِ جاهِلِيَّتِنَا فإنها حكمةٌ ومفتَخَرُ
أَوِ أْرْوِ عن فارِسٍ لنا مَثَلًا فإن أمثالَها لنا عِبَرُ

(١) محمد بن مناذر: اليربوعي بالولاء، أبو جعفر، شاعر كثير الأخبار والنوادر، كان من العلماء بالأدب واللغة، تفقه وروى الحديث، وتزندق، فغلب عليه اللهو والمجون، أصله من عدن أو من البصرة، ومنشؤه وشهرته في الثانية، اتصل بالبرامكة ومدحهم، ورآه الرشيد بعد نكبتهم، فأمر به أن يُلطم ويسحب، وأخرج من البصرة لهجائه أهلها، وذهب إلى مكة فتنسك ثم تهتك ومات فيها سنة ١٩٨ هـ ـ ٨١٣ م. «الزركلي ٧/ ١١١، والشعر والشعراء ص ٥٩٩».

أو غَنِّ صوتًا تُشجِي النُّفوسَ به   وذَنْبُ ما قد أتيتَ مُغْتَفَرُ
فإن تكنْ جَهلتَ ذاك وذا   ففيك للناظرين مُعْتَبَرُ

ذكر ما قيل في السِّعاية والبَغْي والغِيبة والنَّمِيمةِ

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يُونس: الآية ٢٣]. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: الآية ٦٠]. وقال تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾ [القَلَم: الآيات ١١ - ١٣]. وقال رسول الله ﷺ: «من كان يُؤمنُ بالله واليوم الآخر فلا يرْفَعَن إلينا عَورَةَ أخيه المؤمِن». وقال ﷺ: «لا يرَاحُ القَتَّاتُ رَائِحَة الجَنَّةِ». وفي لفظِ «لا يدخُل الجنَّةَ قَتَّاتٌ»؛ والقَتَّاتُ: النَّمّام.

قال بعض الشعراء: [من الوافر]

فلا تسعَى على أحدٍ بِبَغْيٍ   فإنّ البَغْيَ مَصْرَعُهُ وَخِيمُ

وقال العتَّابِيّ: [من الوافر]

بَغَيتَ فلم تَقَعْ إلّا صَرِيعًا   كذاك البغيُ مصرعُ كلِّ بَاغِي

وسأل رجلٌ عبد الملك بن مروان الخَلْوَةَ، فقال لأصحابه: إذا شِئْتُم، فقاموا، فلما تهيّأ الرجلُ للكلام، قال له: إياك أن تمدحَني فإني أعلمْ بنفسي منك، أو تَكْذِبني، فإنه لا رأْي لِكَذُوب، أو تسعى إليّ بأحد، وإن شئتَ أقلتُك، قال: أقلني.

قال: ولما وَلِي عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك دِمَشْقَ، ولم يكن في بني أُمَيَّة ألبَّ منه في حداثةِ سنِّه، قال أهلُ دمشق: هذا غلام شابٌّ، ولا علمَ له بالأمور، وسيسمعُ منا، فقام إليه رجلٌ، فقال: أصلحَ الله الأميرَ، عندي نصيحةٌ، فقال له: يا ليتَ شعري، ما هذه النصيحةُ التي ابتدأتني بها من غير يدٍ سبقتْ منّي إليك؟ فقال: جارٌ لي عاصٍ، متخلِّفٌ عن ثَغْره، فقال له: ما اتقيتَ الله، ولا أكرمتَ أميرَك، ولا حفظتَ جِوارَك، إن شئتَ، نظرْنا فيما تقول، فإن كنتَ صادقًا؛ لم ينفعْكَ ذلك عندنا، وإن كنتَ كاذبًا، عاقبناك، وإن شئتَ، أقلناك، قال: أقلني، قال: اذهب حيث شئتَ، لا صَحِبك الله، ثم قال: يا أهلَ دِمَشْق، ما أعظَمتم ما جاء به الفاسقُ، إن السِّعاية أحْسَبُ منه سجيّةً، ولولا أنه لا ينبغي للوالي أن يعاقِبَ، قبل أن يُعاتِبَ، كان لي فيه رأيٌ، فلا يأتني أحدٌ منكم بِسِعاية على أحد، فإن الصادقَ فيها فاسقٌ،

والكاذبَ بَهّاتٌ[١]. وسعى رجل برجل إلى عُمَرَ بن عبد العزيز رضي الله عنه، فقال: إن شئتَ نظرنا في أمرك، فإن كنتَ كاذبًا، فأنت من هذه الآية: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾ [الحجرات: الآية ٦] وإن كنتَ صادقًا، فأنت من هذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القَلَم: الآية ١١] وإن شئت عفونا عنك، قال: العفوُ يا أمير المؤمنين، قال: على أن لا تعودَ.

وكتب محمد بن خالد إلى ابن الزيّات[٢]: إن قومًا صاروا إليّ مُتَنَصِّحِين، فذكروا أن رُسُومًا للسلطان قد عَفَتْ ودَرَسَتْ، وأنه توقّف عن كشفها إلى أن يعرف مَوقِع رأيه فيها، فوقَّع على رُقْعته: قرأت هذه الرُّقعةَ المذمومة، وسُوقُ السُّعاةِ مُكْسِدٌ عندنا، وألسنتُهم تَكِلُّ في أيامنا، فاحمل الناسَ على قانونك، وخذهم بما في ديوانك، فلم تردْ للناحية لكشفِ الرسوم العافية، ولا لِتُحْيِيَ الأعلام الداثرة، وجنّبني وتجنّب قول جرير: [من الوافر]

وكـنـتَ إذا حَـلَلْت بـدارِ قـومٍ رَحَـلْتَ بِـخِـزْيـةٍ وتـركـتَ عـارًا

قالوا: وكان الفضلُ بن يحيى يكره السّعاةَ، فإذا أتاه ساعٍ، قال له: إن صَدَقْتنا، أبغضناك، وإن كَذَبْتَنا، عاقبناك، وإن استقلتنا، أَقَلْناك.

وحكى صاحب العقد قال: قال العُتْبِيُّ، حدّثَني أبي عن سعيد القصريّ، قال: نظر إليّ عمرو بن عُتْبة ورجل يشتُم بين يَدَيّ رجلًا، فقال لي: وَيْلَك، وما قال لي ويلك قبلها: نَزِّه سمعَكَ عن استماع الخَنَا، كما تُنَزِّه لسانَك عن الكلام به، فإن السامعَ شريكُ القائل، وإنه عمدَ إلى شرِّ ما في وِعَائه، فأفرغه في وِعَائك، ولو رُدَّتْ كلمةُ جاهل في فيه، لَسَعَدَ رادُّها، كما شَقي قائلُها، وقد جعله الله تعالى شريك القائل، فقال: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِۚ﴾ [المَائدة: الآية ٤٢].

ومما قيل في الغيبة والنَّمِيمة، رُوِيَ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «إذا قلتَ في الرجل ما فيه فقد اغتبتَه وإذا قلتَ ما ليس فيه فقد بهتّه».

اغتاب رجلٌ رجلًا عند قُتَيبةَ بن مسلم، فقال له: أَمْسِكْ عنه أيُّها الرجلُ، والله لقد تلمظت بمُضْغةٍ طالما لفظتْها الكرام.

---

(١) البهّات: الذي يحدث حديث الزور والباطل.

(٢) ابن الزّيّات: هو محمد بن عبد الملك بن حمزة، أبو جعفر، وزير المعتصم والواثق العباسيين، من بلغاء الشعراء والكتّاب مات ببغداد سنة ٤٣٣ هـ. «الأعلام ٦/٢٤٨».

وذُكِرَ في مجلسه رجلٌ، فنال منه بعض جلسائه، فقال له: يا هذا أوحشتَنا من نفسك، وأيأستَنا من مودّتك، ودللْتنا على عَوْرتك.

واغتابَ رجلٌ عند بعض الأشراف، فقال له: قد استدللتُ على كثرة عيوبك، بما تَذْكُر من عيبِ الناس، لأنّ الطالبَ للعيوبِ، إنما يطلبُها بقدر ما فيه منها، أما سمعتَ قول الشاعر: [من البسيط]

لَا تَهْتِكَنْ من مَساوِي النَّاسِ ما سَتَرُوا ... فيهتِكُ اللهُ سِتْرًا من مساوِيكَا
واذْكرْ محاسنَ ما فيهم إذا ذُكِرُوا ... ولا تَعِبْ أحدًا منهم بِمَا فيكَا

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما:

اذكرْ أخاك إذا غاب عنك بما تُحِبُّ أن يذكرَك به، ودَعْ منه ما تَحِبُّ أن يَدَعَ منك.

وقال بعضُ الملوك لولده وهو وليّ عهده: يا بُنَيّ ليكنْ أبغضُ رعيتِك إليك، أشدَّهم كشفًا لمعايبِ الناس عندك، فإنَّ في الناس معايِبَ وأنت أحقُّ بِسَتْرِها، وإنما تحكمُ فيما ظهر لك، والله يحكُم فيما غابَ عنك، واكرهِ للناسِ ما تكرهُه لنفسك، واستُرِ العَورةَ، يَسْتُرِ اللهُ عليك، ما تَحِبُّ ستْرَه، ولا تعجّلْ إلى تصديق ساعٍ، فإن الساعِيَ غاشٌّ، وإن قال قَوْلَ نُصْحٍ.

وَوَشَى واشٍ برجل إلى الإسكندر فقال له: أَتُحِبّ أن نقبلَ منك ما قلتَ فيه، على أن نقبلَ منه ما يقول فيك؟ قال: لا، قال: فَكُفَّ عن الشر، نكفُّ عنك.

وقال ذو الرِّياستين[1]: قَبُول النميمةِ، شرٌّ من النميمةِ، لأنَّ النميمةَ دَلالةٌ، والقبولَ إجازةٌ، وليس من دَلَّ على شيء، كمن قَبِلَه وأجازه.

قال أبو الأسود الدُّؤَلِيّ[2]: [من الكامل]

لا تقبَلنَّ نميمةً بُلِّغتَها ... وتحفظَنَّ من الذي أنباكها
إن الذي أهدى إليك نميمةً ... سَيَنُمُّ عنك بمثلها قد حاكها

(١) ذو الرياستين: هو الفضل بن سهل السّرخسي، أبو العبّاس، وزير المأمون وصاحب تدبيره، وقد جعله على الوزارة وقيادة الجيش فلقّب بذي الرياستين الحرب والسياسة مات سنة ٢٠٢ هـ. «الأعلام ٥/ ١٤٩».

(٢) أبو الأسود الدؤلي: (١ ق.هـ - ٦٩ هـ = ٦٠٥ - ٦٨٨ م) ظالم بن عمرو الدؤلي=

وقال رجل لعمرو بن عُبَيد[1]: إن الأساوِرِيّ لم يزل يذكرك، ويقول: الضالّ، فقال عمرو: يا هذا! والله ما راعيتَ حقّ مجالستِه، حتَّى نقلتَ إلينا حديثَه، ولا راعيتَ حقِّي، حين أبلغتَني عن أخي ما أكرهَهُ، اعلمْ أن الموت يعمّنا، والبعث يَحْشُرنا، والقيامةَ تجمعُنا، والله يحكمُ بيننا.

وقال معاوية للأحنف في شيء بلغه عنه، فأنكره الأحنف: بلَّغني عنك الثقة، فقال الأحنف: إن الثقة لا يُبَلِّغ.

قال بعض الشعراء: [من الطويل]

لعمرُكَ ما سَبَّ الأميرَ عدوُّهُ ولكنّما سَبَّ الأميرَ المُبَلِّغُ

وقال ابن المعتزّ: الساعي كاذب لمن سعى إليه، خائنٌ لمن سعى عليه.

وقالوا: النّمام، شرٌّ من الساحر، فإن النمامَ، يُفسد في الساعةِ الواحدة، ما لا يفسدُ الساحر في المدة الطويلة.

وقالوا: النميمةُ، من الخلال الذميمة، تدُلُّ على نفسٍ سقيمةٍ، وطبيعةٍ لئيمةٍ، مشغوفةٍ بهتك الأستار، وإفشاء الأسرار.

وقال بعضُ الحكماء: الأشرار يتتبعون مساوِئَ الناسِ، ويتركون محاسنَهم، كما يتتبع الذباب المواضع الأَلَمَة من الجسد، ويترك الصحيحة.

وقالوا: لم يَمْشِ ماشٍ، شرٌّ من واشٍ. والساعي بالنميمة، كشاهدِ الزُّور، يهلِكُ نفسه، ومن سعى به، ومن سعى إليه.

وقالوا: حَسْبُك من شَرٍّ سَمَاعه. وقد لهج الشعراء بذمّ النمام، وجعلوه من أهاجيهم.

= الكنافي، واضع علم النحو، كان معدودًا من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان، من التابعين، رسم له الإمام علي أصول النحو، فكتب فيه أبو الأسود. وأخذ عنه جماعة، سكن البصرة في خلافة عمره، وولي إمارتها في أيام علي، وأبو الأسود أول من نقط المصحف، له شعر جيد. مات بالبصرة. «الأعلام للزركلي ٣/٢٣٦ و٢٣٧، والشعر والشعراء ص ٤٩١».

(١) هو عمرو بن عُبيد بن باب التيمي بالولاء، أبو عثمان البصري، شيخ المعتزلة في عصره، وأحد الزّهاد المشهورين توفي سنة ١٤٤ هـ. «الأعلام ٥/٨١». =

قال بعض الشعراء: [من البسيط]

من نَمَّ في الناس لم تُؤمَنْ عقاربُهُ   على الصديق ولم تُؤمَنْ أَفَاعِيه
كالسَّيل بالليلِ لا يدري به أحدٌ   من أينَ جاء ولا من أين يأتيه

وقال السَّرِيُّ الرَّفَّاء: [من الطويل]

أَنَمّ بما استودعتهُ من زُجاجةٍ   تَرَى الشيءَ فيها ظاهرًا وهو باطِنُ

وقال محمد بن شَرَف[١]: [من البسيط]

وناصبٍ نحوَ أفواه الورى أُذُنًا   كالقَعْب يلْقُط فيها كلّ ما سَقَطَا[٢]
يَظلُّ يلتقط الأخبارَ مجتهِدًا   حتى إذا ما وعاها زَقَّ ما لقطَا

وقال ابن وكيع[٣]: [من الوافر]

يَنِمُّ بسرٍّ مسترعيه لُؤمًا   كما نَمَّ الظلامُ بسرِّ نَارِ
أَنَمُّ من النُّصول على مَشِيبٍ   ومن صافي الزُّجاج على عُقارِ[٤]

وقال الحسن البصرِيّ: لا غِيبة في ثلاثة: فاسقٍ مجاهرٍ، وإمامٍ جائرٍ، وصاحبِ بِدعة.

وكتب الكِسائيّ[٥] إلى الرقاشِيّ[٦]: [من الهزج]

تركتَ المسجدَ الجامـ   ـعَ والتَّركُ له ريبةْ

---

(١) محمد بن شرف: القرشي الزبيري، شمس الدين الكلائي، من فقهاء الشافعية. له القواعد الكبرى والجامع الصغير في النحو، نسبته إلى موضع بالبصرة كان يسمى الكَلَّاء. توفي سنة ٧٧٧ هـ - ١٣٧٥ م. «الأعلام للزركلي ٦/ ١٥٧».

(٢) القعب: القدح الضخم.

(٣) ابن وكيع: الحسن بن علي الضبي التنيسي، أبو محمد، المعروف بابن وكيع، شاعر مجيد، أصله من بغداد، ومولده ووفاته في تنيس «بمصر». له ديوان شعر، وكتاب المصنف في سرقات المتنبي. توفي سنة ٣٩٣ هـ - ١٠٠٣ م. «الأعلام للزركلي ٢/ ٢٠١».

(٤) النصول: ذهاب الخضاب.

(٥) الكسائي، علي بن حمزة الأسدي الكوفي، أبو الحسن الكسائي، إمام في اللغة والنحو والقراءة، من أهل الكوفة، ولد في إحدى قراها، وتعلم بها وقرأ النحو بعد الكبر وتنقل في البادية وسكن بغداد وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين، له تصانيف منها: معاني القرآن والمصادر والحروف والنوادر. توفي سنة ١٨٩ هـ - ٨٠٥ م. «الأعلام للزركلي ٤/ ٢٨٣».

(٦) الرقاشي: الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي، أبو عيسى، واعظ، من أهل البصرة، كان من=

وأخبارُك تأتينا على الأعلام منصوبهْ
فإن زدتَ من الغَيبـ ـةِ زدناك من الغِيبهْ

ذكر ما قيل في البخل واللؤم

والبخل منع الحقوق وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: الآيتان ٣٤، ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨٠].

وقال رسول الله ﷺ: «خَلّتانِ لا تجتمعان في مؤمن: البخلُ وسوءُ الخُلُق».

وقال بعض السلف: منعُ الجودِ، سوءُ ظنٍّ بالمعبود، وتلا: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سَبَأ: الآية ٣٩].

وروى أبو بكر الخطيب في كتاب البخلاء، بإسناده عن أبي هُرَيْرة عن النبيّ ﷺ، أنه قال: «لما خلق الله تعالى جَنَّة عَدْن، قال لها: تزيَّني فتزينت، ثم قال لها: أَظْهِري أنهارَك، فأظهرتْ عَيْنَ السلسبيل، وعينَ الكافور، وعينَ التسنيم، ونهرَ الخمر، ونهرَ العسلِ، ونهرَ اللبن، ثم قال لها: أظهري حُورَك، وحُلَلك، وسررك وحجالك[1]، ثم قال لها: تكلَّمِي، فقالت: طُوبَى لمن دخلني، فقال الله عزَّ وجل: أنتِ حرامٌ على كل بخيل».

وقال سُقْراط: الأغنياءُ البخلاءُ، بمنزلة البِغَال والحَمِير، تحملُ الذهبَ والفضةَ، وتعتلف التِّبنَ والشعيرَ.

وقالوا: البخلُ من سوءِ الظنِّ، وخمولِ الهِمّةِ، وضعفِ الرويَّة، وسوءِ الاختيارِ، والزُّهْدِ في الخيرات.

= أخطب الناس، متكلمًا قاصًا مجيدًا، وهو رئيس طائفة من المعتزلة، تنسب إليه، وكان قدريًا ضعيف الحديث، سجّاعًا في قصصه. توفي نحو سنة ١٤٠ هـ ـ نحو ٧٥٧ م. «الأعلام للزركلي ٥/ ١٥١».

(١) حجال: الحَجل والحِجل: الخلخال، وحجلا القيد: حلقتاه. «اللسان ١١/ ١٤٤».

وقال الحسن بن عليّ رضي الله عنهما: البخلُ جامعٌ للمساوىءِ والعيوبِ، وقاطعٌ للمودّاتِ من القلوب.

وقالوا: حدُّ البخلِ، منعُ المسترفِدِ مع القدرة على رِفْده.

وكان أبو حنيفة[١] لا يقبلُ شهادةَ البخيل، ويقول محتجًا لذلك: إن البخيل يحمله بخلُه، على أن يأخذ فوق حقِّه، مخافةَ أن يُغْبن، ومن كان هكذا لا يكون مأمونًا.

وقال بشر بن الحارث الحافي[٢]: لا غِيبةَ لبخيلٍ، ولَشُرَطيٌّ سخِيٌّ أحبُّ إليّ من عابدٍ بخيل.

وقالوا: البخيل لا يستحقّ اسمَ الحُرِّية، فإن مالَه يملكُهُ.

ويقال: لا مالَ للبخيل، وإنما هو لماله.

وقال الحسن البصريّ: لم أرَ أشقى بماله من البخيل؛ لأنَّه في الدنيا يَهْتَمُّ بجمعه، وفي الآخرة يحاسَبُ على منعه، غيرَ آمن في الدنيا من همّهِ، ولا ناجٍ في الآخرة من إثْمِه، عيشُه في الدنيا عيشُ الفقراء، وحسابهُ في الآخرة حِسابُ الأغنياء. ودخل رحمه الله على عبد الله بن الأهتم يعوده في مرضه، فرآه يُصَعِّد بَصَرَه ويُصَوِّبه إلى صُندوق في بيته، ثم التفت إليه، فقال: يا أبا سعيد، ما تقول في مائة ألف دينار في هذا الصندوق لم أُؤَدِّ منها زكاةً ولم أَصِلْ بها رَحِمًا؟ فقال له: ثكلتْك أمّكَ! ولم كنتَ تجمعها؟ قال لرَوْعةِ الزمان، وجَفْوَة السلطانِ، وتكاثرِ العشيرةِ، ثمّ مات، فشَهده الحسن، فلما فَرَغ من دفنه، ضرب بيده على القَبْر، ثم قال: انظروا إلى هذا، أتاه شيطانه فخوَّفه رَوْعَةَ زمانهِ، وجفوةَ سلطانهِ، بما استودعه الله إيّاه، وعمّره فيه، انظروا

(١) أبو حنيفة: (٨٠ ـ ١٥٠ هـ = ٦٩٩ ـ ٧٦٧ م) النعمان بن ثابت، الكوفي، إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، ولد ونشأ بالكوفة، كان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء، وأراده عمر بن هبيرة (أمير العراقين) على القضاء فامتنع ورعًا، وأراده المنصور العباسي بعد ذلك على القضاء ببغداد، فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل، فحبسه إلى أن مات. كان قوي الحجة حسن المنطق، جهوري الصوت، توفي ببغداد. وأخباره كثيرة. له مسند في الحديث، والمخارج في الفقه. «الأعلام للزركلي ٨/٣٦».

(٢) بشر بن الحارث الحافي: (١٥٠ ـ ٢٢٧ هـ = ٧٦٧ ـ ٨٤١ م) أبو نصر، المعروف بالحاني، من كبار الصالحين، له في الزهد والورع أخبار، وهو من ثقات رجال الحديث، من أهل مرو، سكن بغداد وتوفي بها. «الأعلام للزركلي ٢/٥٤».

إليه كيف خرج مذمومًا مَدْحُورًا! ثم التفت إلى وارثه، فقال: أيها الوارثُ لا تُخْدَعَنَّ كما خُدِع صُوَيْحِبُكَ بالأمس، أتاك هذا المالُ حلالًا، فلا يكونن عليك وَبالًا، أتاك عفوًا صفوًا، ممن كان له جَمُوعًا مَنُوعًا، من باطل جمعه، ومن حقٍّ منعه، قطع فيه لُجَجَ البحارِ، ومفاوزَ القِفَار، ولم تَكْدَحْ لك فيه عَيْنٌ ولم يَعْرَقْ لك فيه جَبين، إن يوم القيامةِ يومٌ ذو حَسَرات، وإن من أعظم الحسرات غدًا، أن ترى مالك في ميزان غيرك، فيا لها حسرة لا تُقال، وتَوْبة لا تُنال.

ومن أخبار البخلاء: قيل: بخلاءُ العرب أربعة، الحطيئةُ، وحُمَيد الأَرْقُط، وأبو الأسود الدُّؤَلِيّ، وخالدُ بنُ صفوان، ونُقِلت عنهم أُمُور دلّت على بخلهم.

أما الحطيئة: فقد حُكيَ عنه: أنه مَرّ به ابنُ الحمامة، وهو جالس بفِنَاء بيته، فقال له: السلام عليكم، فقال: قلت ما لا يُنْكَرُ، فقال: إني خرجتُ من أهلي بغير زاد، قال: ما ضمنتُ لأهلك قِرَاك، قال: أفتأذن لي أن آتي بظلّ بيتك فأتفيّأ به؟ قال: دونك الجبلُ يَفِيء عليك، قال أنا ابن الحمامة، قال: انصرفْ وكن ابن أي طائر شئتَ. قال: واعترضه رجلٌ وهو يَرْعى غنمًا، فقال له: يا راعِيَ الغَنَم، وكان بيد الحطيئة عَصًا فرفعها، وقال: عَجْراءُ من سَلَم[1]، فقال الرجل: إنما أنا ضيفٌ، فقال: للأضياف أعددتُها. وكان الحطيئةُ أحذ الْحَمْقَى، أوصى عند موته، أن يُحْمَلَ على حِمَار، وقال: لعلّي إن حُملتُ عليه، لا أموتُ، فإني ما رأيت كريمًا مات عليه قطّ. وقال: لكُلِّ جَديد لذَّةٌ، إلا جديد الموتِ، فإني رأيتُه غيرَ لذيذ. وقيل له: أوصِ، فقال: أُوصِي أن مالي للذكور دونَ الإناث، قالوا: فإن الله ليس يقول كذلك، قال: لكني أقوله. وقالوا له: قل لا إلـٰه إلا الله، فقال: أشهَدُ أن الشمّاخ[2] أشعرُ غطفان.

ومن أخباره: أن الزِّبرِقان بن بدر، لَقِيَه في سفر، فقال له: مَن أنت؟ فقال: أنا حَسَبٌ موضوعٌ، أنا أبو مُلَيْكَة، فقال له الزِّبرِقان: إني أريد وَجْهًا، فَصِرْ إلى منزلي،

---

(١) عجراء: رجل أعجر: عظيم البطن ـ والعجر: القوة مع عظم الجسد ـ والأعجر: كل شيء ترى فيه عقدًا، والعجرة كل عقدة في الخشب. «اللسان ٤/٥٤٢». سلم: شجر من العضاه، وورقها يدبغ به الأديم، لهذه الشجرة زهرة صفراء فيها حبة خضراء. «اللسان ١٢/٢٩٦».

(٢) الشماخ بن ضرار المازني الذبياني الغطفاني، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وهو من طبقة لبيد والنابغة، كان أرجز الناس على البديهة، شهد القادسية وتوفي في غزوة موقان سنة ٢٢ هـ ـ ٦٤٣ م. اسمه الحقيقي معقل بن ضرار والشماخ لقبه. «الأعلام للزركلي ٣/ ١٧٥».

وكن هناك، حتّى أرجِعَ، فصار الحُطَيئةُ إلى امرأة الزِّبْرِ
بنو عمِّه، وهم بنو لأي، فقالوا للحطيئة: إن تحولتَ إ
إلى كلّ طُنُب من أطناب بيتك حُلَّةً تَحْويه، وقالوا لا
قدّم هذا الشيخَ ليتزوجَ بنته، فقَدَح[1] ذلك في نفس
تخلّف الحطيئة، فتغافلت عنه امرأة الزِّبرقان، فاحتمله
فمدحَهُم، وهجا الزِّبْرقان، فقال: [من البسيط]

أزمعتُ يأسًا مُبينًا من نوالِكُمُ ... ولا يُرَى طاردًا للحُرِّ كاليأسِ
دعِ المكارِمَ لا ترحلْ لبُغْيتِها ... واقعُد فإنك أنتَ الطاعِمُ الكَاسِي
مَن يفعلِ الخيرَ لا يَعْدَم جَوازِيَه ... لا يذهبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والناسِ

فاستعدى الزبرقانُ عليه عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه، فحكّم عمرُ، حسانَ بنَ ثابت، فقال حسان: ما هجاه ولكن سَلَح عليه، فحبس عمرُ الحطيئةَ، فقال يستعطفه: [من البسيط]

ماذا تقول لأفراخ بِذِي مَرَخٍ ... حُمْرِ الحواصل لا ماءٌ ولا شَجَرُ؟[3]
ألقيتَ كاسِبَهُم في قَعْرِ مُظْلِمَة ... فاغْفِر عليكَ سلامُ اللهِ يا عمرُ
ما آثروك بها إذْ قدّموك لها ... لكنْ لأنفسهم كانت بك الأَثَرُ

فأخرجه عمرُ، وجلس على كرسيّ، وأخذ بيده شَفْرة، وأوهم أنه يريد قَطْعَ لسانِه، فضجّ، وقال: إني واللهِ يا أميرَ المؤمنين! قد هجوتُ أبي وأُمِّي وامرأتِي ونفسي، فتبسّم عمرُ، ثم قال: ما الذي قلتَ؟ قال: قلتُ لأبي وأُمّي: [من الكامل]

ولقد رأيتُكِ في النساء فسؤْتِنِي ... وأبَا بَنِيك فساءني في المجلسِ

وقلتُ لأَبِي خاصة: [من الوافر]

فبِئسَ الشيخُ أنتَ لَدَى تميمٍ ... وبئس الشيخُ أنت لَدَى المَعَالي

(١) قدح في نفسها: أي دخل وأورى بالشك.
(٢) النجعة: طلب الكلأ ومساقط الغيث. «اللسان ٨/ ٣٤٧ و٣٤٨».
(٣) مرخ: المرخ: شجر كثير الوري سريعه، من شجر النار. «لسان العرب ٣/ ٥٣». وهو موضع يكثر فيه هذا الشجر.

وقلتُ لأمّي خاصة: [من الوافر]

تَـنَـحَّـيْ واجلسي مـنِّـي بـعـيـدًا ... أراحَ اللهُ مـنـك الـعـالـمـيـنـا؟
أَغِـرْبـالًا إذا اسـتـودعـتِ سِـرًّا ... وكـانـونًـا عـلى الـمـتـحـدِّثـيـنـا؟

وقلت لامرأتي: [من الوافر]

أطـوّفُ مـا أطـوّفُ ثـم آتـي ... إلـى بـيـتٍ قَـعِـيـدتُـه لَكَـاعِ[1]

وقلت لنفسي: [من الطويل]

أبـتْ شـفـتـايَ الـيـومَ إلا تَـكَـلُّـمًـا ... بـسـوءٍ فـمـا أدري لـمـن أنـا قـائـلُهْ
أرى لِيَ وَجْـهًـا شـوَّه اللهُ خَـلْـقَـهُ ... فَـقُـبِّـحَ مِـنْ وجـهٍ وقُـبِّـحَ حَـامِـلُهْ

فخلّى عمر سبيله، وأخذ عليه أن لا يهجوَ أحدًا، وجعل له ثلاثة آلاف اشترى بها منه أعراض المسلمين، فقال يذكرُ نَهْيَهُ إيّاه عن الهجاء ويتأسفُ: [من الكامل]

وأخذتَ أطرافَ الكلامِ فلم تدَعْ ... شَـتْـمًـا يَـضُـرُّ ولا مَـدِيـحًـا يَـنْـفَـعُ
ومنعتني عِرْضَ البخيلِ فلم يَخَفْ ... شَـتْـمـي وأصـبـحَ آمِـنًـا لا يَـجْـزَعُ

وأما حميد الأرقط: فكان هَجَّاءً للضيف، فحَّاشًا عليه، فَنَزل به ضيفٌ ذات ليلة، فقال لامرأته: نزل بك البلاءُ، قومي فأَعِدِّي لنا شيئًا، ففعلتْ، فجعل الضيف يأكل ويقولُ: ما فعل الحجاج بالناس؟ فلما فَرغ، قال حُمَيد: [من الطويل]

يجرُّ على الأطناب من جذْلِ بيتنا ... هِـجَـفٌّ لـمخزون التَّحِيَّةِ باذِلُ[2]
يقول وقد أَلْقَى المراسِيَ لِلْقِرَى ... أبِنْ لِيَ ما الحجّاجُ بالناس فاعِلُ؟
فقلت: لَعَمْرِي ما لهذا أتينَنا ... فـكُـلْ ودعِ الأخـبـارَ مـا أنـت آكِـلُ
تُـدَبِّـرُ كـفـاه ويـحْـدرُ حَـلْـقُـهُ ... إلى الصدر ما حازتْ عليه الأنامِلُ
أتـانـا ولـم يَـعْـدِلْه سَحبانُ وائلٍ ... بـيـانًـا وَعِـلْـمًـا بـالـذي هـو قـائـلُ
فـمـا زال عـنـه الـلَّقْمُ حتَّى كـأنـه ... من العِيِّ لـمَّـا أَنْ تكلّم بـاقِـلُ[3]

---

(١) لكاع: اللكع: المهر والجحش، واللكيعة: الأمة اللئيمة، ولكع الرجل يلكع: لؤم وحمق - ولكاع: الأمَة، ولكع: العبد. «اللسان ٨/ ٣٢٢ و٣٢٣».

(٢) الهِجف: الطويل الضخم، والهجف من النعام ومن الناس: الجاني الثقيل. «اللسان ٩/ ٣٤٤ و٣٤٥».

(٣) باقل: اسم رجل يضرب به المثل في العِي، حتى ليقال على سبيل التشبيه: إنه لأعيا من باقل. =

ونزل به أضياف، فأطعمهم تمرًا وهجاهم، وادّعى عليهم أنهم يأكلونه بنواه، فقال: [من البسيط]

باتوا وجُلّتُنا الصَّهْبَاءُ حَوْلَهُم كأن أظفارَهم فيها السكاكِينُ[1]
فأصبحوا والنَّوى مُلقًى مُعَرَّسِهِم وليس كلّ النَّوى ألقى المساكِينُ

وأما خالد بن صفوان: فكان إذا أخذ جائزَتَه، قال للدرهم: طالما سرتَ في البلاد، أما والله لأُطيلَنَّ حبسَك، ولأَدِيمنَّ لُبثَك. وقيل له: مالك لا تنفق، فإن مالكَ عَريضٌ؟ فقال: الدهرُ أعرضُ منه، قيل: كأنك تؤمل أن تعيشَ الدهرَ كلَّه، قال: ولا أخافُ أن أموتَ في أوله.

وأما أبو الأسود الدؤليّ: فعمل دكانًا عاليًا يجلس عليه، فكان ربما أكل عليه فلا يناله المجتاز، فمرّ به أعرابيّ على جملٍ، فعرض عليه أن يأكل معه، وظنّ أنه لا يناله، فأناخ الأعرابيّ بعيره، حتّى وازى الدكان، وأكل معه، فما جلس بعد ذلك على الدكان، وكان يقول: لو أطعنا المساكين في أموالنا، كنا أسوأ حالًا منهم. وقال لبنيه: لا تُطعِموا المساكين في أموالكم، فإنهم لا يَقْنَعُون منكم، حتّى يرَوْكم في مثل حالهم. ووقف عليه أعرابيّ وهو يتغدّى، فسلّم عليه، فردّ عليه، ثم أقبل على الأكل، ولم يَعْرِض عليه، فقال الأعرابيّ: أما إني قد مررتُ بأهلك، قال: كان ذلك طريقك، قال: وهم صالحون، قال: كذلك فارقتُهم، قال: وامرأتُك حُبْلى، قال: كذلك كان عهدي بها، قال: ولَدَتْ، قال: ما كان بدٌّ لها أن تَلِدَ، قال: ولدتْ غلامين، قال: كذلك كانت أمُّها، قال: مات أحدهما، قال: ما كانت تَقْوَى على رضاع اثنين، قال: ثمَّ مات الآخر، قال: ما كان لِيَبْقى بعد أخيه، قال: وماتت الأمُّ، قال: جَزَعًا على ولَدَيْها، قال: ما أطيبَ طعامَك! قال: ذلك جزائي على أهله، قال: أفٍّ لك ما ألأمَكَ! قال: من شاء سَبَّ صاحبَه.

ونظير هذه الحكاية: ما حُكِيَ أن أعرابيًا مرّ بآخرَ، قال: مِن أين أقبلت يابن عمّ؟ قال: من الثَّنِيَّة[2]، قال: فهل أتيتَنا منها بخبر؟ قال: سل عما بَدَا لك، قال: كيف علمُك بيحيئ؟ قال: أحسنُ العلم، قال: هل لك علم بكلبي نفّاع؟ قال: حارس

= «اللسان ١١/ ٦٢».
(١) جلتنا: قفة كبيرة للتمر ـ أو وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر. «اللسان ١١/ ١١٨».
(٢) الثنية: الثنية في الأصل كل عقبة في الجبل مسلوكة. وهناك عدة ثنيات ولكن لا نعلم ما التي يقصدها الكاتب. ولكن لعلها «مكان قرب مكة». «معجم البلدان ٢/ ٨٥».

الحَيّ، قال: فبأمّ عثمان؟ قال بَخ بَخٍ، ومَنْ مِثلُ أمّ عثمان! لا تدخلُ من البابِ إلا منحرفة بالثيابِ المُعَصْفَرَات[١]، قال: فبعثمان؟ قال: وأبيك فإنه جَرْو الأسد ويلعب مع الصبيان، وبيده الكِسْرَةُ، قال: فبجملنا السقّاء؟ قال: إن سنامه ليَخْرجُ من الغبيط[٢]، قال فبالدار؟ قال: وأبيك، إنها لخصيبةُ الجناب، عامرةُ الفِنَاء، ثم قام عنه، وقَعَد ناحيةً يأكل فلا يدعوه، فمرّ كلب، فصاح به، وقال: يابن عم، أين هذا الكلبُ من نقّاع؟ قال: يا أَسَفَا على نَقّاع! مات، قال: وما أماته؟ قال: أكل من لحم الجمل السقَّاء، فاغْتُصَّ بعظم منه فمات، قال: إنا لله، أو قد مات الجمل! فما أماته؟ قال: عثر بقبرِ أم عثمان، فانكسرتْ رِجْلُه. قال: ويْلُمّك! أماتت أم عثمان؟ قال: إي والله، أماتها الأسفُ على عثمان، قال: ويلك! أمات عثمانُ؟ قال: إي وعهد الله! سقطتِ الدارُ عليه، فرمى الأعرابيّ بطعامك ونثره وأقبل ينتف لحيته ويقول: إلى أينَ أذهب؟ فيقول الآخرُ إلى النار، وأقبل يلتقط الطعام ويأكله ويهزأ به ويضحك، ويقول: لا أرغم الله إلا أنفَ اللئام.

وكان أُحَيْحَةُ بن الجُلَاح[٣] من البُخَلاء، وكان إذا هبتِ الصَّبَا، طلع أُطُمَة، ينظر إلى ناحية هبوبها ثم يقول: هُبي هبوبَك، فقد أعددت لك ثلاثمائةٍ وستين صاعًا من عَجْوة، أدفع إلى الوليد منها، خمسَ تمرات، فيردّ عليّ منها ثلاثًا، أي لصلابتها بعد جهد ما يَلُوكُ منها.

والعرب تضرب المثل في اللؤم بِمَادِر، تقول: هو أَلأَمُ من مَادِر، ويزعُمون أنه بنى حوضًا وسقى إبِله، فلما أصدَرها سَلَحَ في الحوض، لئلا يَسْقِيَ غيرُه فيه.

وكان عُمَرُ بن يزيد الأسدي[٤] مبخلًا جدًا، فأصابه القُولَنْجُ فحقنه الطبيب بدُهن كثير، فانحل ما في بطنه، فلما أبرزه، قال للغلام: ما تصنع به؟ قال أَصُبُّه، قال: لا ولكن ميِّز الدُّهن منه واستصبحْ به.

---

(١) المعصفرات: العصفر هو الذي يصبغ به، منه ريفي ومنه بري، وكلاهما نبت بأرض العرب، وقد عصفرت الثوب فتعصفر. «اللسان ٤/ ٥٨١».

(٢) الغبيط: الهودج للمرأة على البعير، يعمل من الخشب وغيره. «اللسان ٧/ ٣٦١».

(٣) أحيحة بن الجلاح: الأوسي، أبو عمرو، شاعر جاهلي من دهاة العرب وشجعانهم، كان سيد يثرب (المدينة) وكان له حصن فيها سماه «المستظل» ومزارع وبساتين ومال وفير، وكان سيد الأوس في الجاهلية، توفي نحو ١٣٠ ق.هـ ـ نحو ٤٩٧ م. «الأعلام للزركلي ١/ ٢٧٧».

(٤) عمر بن يزيد الأسدي: من تميم، أحد الشجعان الرؤساء المقدمين في أيام بني مروان، ذكره يزيد بن عبد الملك يومًا فقال: «هذا رجل العراق». قتله مالك بن المنذر صاحب شرطة البصرة بأمر خالد القسري لما ولي العراق. توفي سنة ١٠٩ هـ ـ ٧٢٧ م. «الأعلام للزركلي ٥/ ٦٩».

وقال سلم بن أبي المعافي: كان أبي متنحيًا عن المدينة، وكان إلى جنبه مزرعةٌ فيها قِثَّاء، وكنت صبيًا فجاءني صِبْيانٌ أقرانٌ لي، فكلّمتُ أبي ليهبَ لي درهمًا أشتري لهم به قثَّاء، فقال لي: أتعرفُ حالَ الدرهم؟ كان في حجر في جبل، فضُرب بالمعاوِل، حتى استُخرج، ثم طُحِن، ثم أُدخِل القِدْرَ وصُبّ عليه الماء، وجُمع بالزِّئبق، ثم صُفّي من رَقّ، ثم أُدخلَ النارَ فسُبك، ثمّ أُخرجَ فضُربَ، وكُتِب في أحد شِقّيه: لا إلـه إلاالله، وفي الآخر: محمد رسول الله، ثم حُمل إلى أمير المؤمنين، فأمر بإدخاله بيت ماله، ووَكّلَ به عُوجَ القلانِس صُهْب السِّبال[1]، ثم وهبه لجارية حسناء جميلة، وأنت واللهِ أقبحُ من قِردٍ، أوْ رَزَقه رجلًا شُجاعًا وأنت والله أجبن من صُرد[2]، فهل ينبغي لك أن تَمسّ الدرهم إلا بثوب؟ ومثله قول سهل بن هارون[3]، وقد قال له رجل: هبني ما لَا مَرْزِئَة عليك فيه، قال: وما ذاك؟ قال: دِرهمًا واحدًا، قال: يابن أخي لقد هوّنتَ الدرهم، وهو طابعُ اللهِ في أرضه، والدرهمُ ويحك عُشْرُ العشرةِ، والعشرةُ عشرُ المائةِ، والمائةُ عشرُ الألفِ، والألفُ عشرُ دِيَةِ المُسلم، ألا ترى يابن أخِي كيف انتهى الدرهم الذي هوّنتَه؟ وهل بيوتُ الأموال إلا درهمٌ على درهم؟.

وقال سليمان بن مُزاحم، وقد وقع بيده درهمٌ، فجعل يقلّبه، ويقول: في شِقٍّ، لا إلـهَ إلا الله محمد رسول الله، وفي شِقٍّ، قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، ما ينبغي لهذا إلا أن يكون تَعْويذًا أو رُقْيَة، ويَرْمي به في الصندوق.

كان بعضهم إذا صار الدرهمُ في يده يخاطبه ويقول: بأبي وأمّي أنت، كم من أرضٍ قطعتَ، وكيسٍ خرقتَ، وكم من خاملٍ رفعتَ، ومن رفيعٍ أخملتَ، لك عندي أن لَا تَعْرَى ولا تَضْحى، ثم يلقيه في كيسه، فيقول: اسكنْ على اسم الله، في مكان لا تزولُ عنه، ولا تزعجُ منه.

ومن البخلاء «مُزَبِّد» وله حكايةٌ نذكرها، قيل: كان بالمدينة جاريةٌ جميلةٌ مُغَنِّيةٌ، يقالُ لها: «بَصْبَصُ» وكانت الأشرافُ تجتمعُ عند مولاها، فاجتمع يومًا عنده

---

(١) صهب السبال: الثياب المسبلة، إنها أغلظ ما يكون من الثياب تتخذ من مُشاقة الكتان. «اللسان ١١/ ٣٢١».

(٢) صرد: الصرد هو طائر فوق العصفور. «لسان العرب ٣/ ٢٤٩».

(٣) هو سهل بن هارون بن راهبون، كاتبٌ بليغ من واضعي القصص اشتهر في البصرة، واتصل بخدمة هارون الرّشيد، وارتفعت مكانته عنده، كان شعوبيًا مات سنة ٢١٥ هـ. «الأعلام ٣/ ١٤٣».

محمّد بن عيسى الجعفَرِيّ وعبد الله بن مُصعب الزُّبيريّ في جماعةٍ من الأشراف، فتذاكروا أمر مزبد وبخله، فقالت الجارية: أنا آخذُ لكم منه درهمًا، فقال لها مولاها: أنت حرّةٌ إن فعلتِ إن لم أشتر لك مخنقةً بمائة دينار وثوبَ وشي بمائة دينار، وأجعلُ لك مجلسًا بالعقيق[1] أنحرُ فيه بَدَنة[2]، فقالت: جِيءْ به، وارفع الغَيْرَة، حتّى أفعلَ، فقال: أنت حرّةٌ إن منعتُك منه، ولأعاوننّه عليكِ إن حصّلت منه الدرهمَ، فقال عبد الله بن مُصعب: أنا آتيكم به، قال عبد الله: فصلّيْتُ الغَداة في المسجد، فإذا أنا بهِ قد أقبل، فقلتُ: يا أبا إسحٰق، إنَّا نُحِب أن نرى بصبص؟ قال: بلى والله، وامرأتُه طالقٌ إن لم تكن له سنة يشتهي أن يلقاها، فقلت له: إذا صليتَ العصر، فأتني هٰهنا، فقال: امرأتُه طالقٌ إن برحَ من هٰهنا إلى العصر، قال فانصرفتُ في حوائجي، فلما كان العصر جئتُ فوجدتُه، فأخذتُ بيده، وأتيتُهم به، فأكل القومُ وشربوا حتّى صُلّيتِ العَتَمَةُ، ثم تساكروا وتناوموا، فأقبلتْ بَصْبَصُ على مُزَبِّد، فقالت له: يا أبا إسحٰق كأنّي والله في نفسك تشتهي أن أُغَنّيَك الساعةَ: [من مجزوء الوافر]

* لقد حَثُّوا الجِمالَ ليهرُبُوا مِنّا فلم يئِلُوا[3] *

فقال لها: امرأتُه طالقٌ إن لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ، فغنته إيّاه، ثم قالت له: كأنّي بك تشتهي أن أقوم من مجلسي فأجلسُ إلى جنبك فَتُدْخل يَدَك في جِلْبَابي، فقال: امرأتُه طالقٌ إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام، وما تَكْسِبِ الأَنْفُسُ غدًا قالت: فقمْ، فقام وجلس إلى جانبها وغنّتْ له، ثم قالت: أعلمُ أنك تشتهي أن أغنّيكَ: [من الهزج]

أنا أبصرتُ بالّليل غُلامًا حَسَنَ الدَّلِّ
كَغُصن البان قد أصبـ ـحَ مَسْقِيًّا من الطَّلِّ

فقال لها: امرأتُهُ طالقٌ إن لم تكوني نبيّةً مُرسلةً، فغنّته وقبّلَها، ثم قالت: يا أبا إسحٰق، هل رأيتَ قطّ أنذلُ من هؤلاء؟ يدعونني ويدعونك، ويُخرجونني إليك ولا

(١) العقيق: العرب تقول لكلّ مسيل ماءٍ شقّه السّيل في الأرض فأنهر، ووسّعه عقيق، وفي بلاد العرب أربعة أعقّة منها: عقيق عارقي اليمامة، وعقيق بناحية المدينة، وعقيق في بلاد مزينة، والعقيق الذي في بلاد بني عقيل. «انظر معجم البلدان ٤/ ١٣٩».
(٢) البدنة: الناقة أو البقرة المقدّمة ذبيحة في مكّة.
(٣) يئلوا: وأل: لجأ ـ ووأل يئل، فهو وائل، إذا التجأ إلى موضع ونجا. «اللسان ١١/ ٧١٥».

يشترون نُقْلًا[١] ولا رَيْحانًا، كأنّي بك وفي جيبِك درهمٌ وأنت تقول: الساعةُ أخرجُهُ، وأعطيها إيّاه، وتشتري به ما تريد، فقام من جنبها وقال: أخطأت استُك الحُفْرَة، وانقطع عنك الوحي، ووثب وجلسَ ناحية، فانتبه القوم وعَطْعَطُوا[٢] عليها وعلموا أنّ حيلتَها لم تَتِمّ، وخرج من عندهم ولم يَعُد إليهم.

وقال بعضهم: بتُّ عند رجلٍ من أَهل الكوفة من الموسرين، وله صِبْيان نِيام، فرأيته في الليل يقوم فيقلّبهم من جنب إلى جنب، فلما أصبحنا سألته عن ذلك، فقال: هؤلاء الصبيان يأكلون وينامون على اليسار، فيمرِيهم الطعام، ويصبحون جياعًا، فأنا أقلّبهم من اليسار إلى اليمين لئلا يَنْهضِمَ ما أكلوه سريعًا.

وكان زياد بن عبد الله الحارثيّ واليًا على المدينة، وكان فيه بُخْلٌ وجفاءٌ، فأهدى إليه كاتبٌ له سِلَالًا فيها أطعمةٌ، وقد تَتَوَّق فيها فوافته وقد تغدّى، فقال: ما هذه؟ قالوا: غداء بعثه فلانٌ الكاتب، فغضب، وقال: يبعثُ أحدهم الشيءَ في غير وقته، يا خَيْثَم بن مالك! يريد صاحبَ شُرْطته، ادعُ لي أهل الصُّفَّة يأكلون هذا، فبعث خيثمُ الحرسَ يدعونهم، فقال الرسولُ الذي جاء بالسِّلَال: أصلحَ الله الأمير، لو أمرتَ بهذه السلال تُفتَح ويُنْظَر ما فيها، قال: اكشفوها فإذا طعامٌ حسنٌ من دَجَاجٍ وفراخ وجِدَاءٍ وسمك وأَخْبِصَة وحَلْوَاء فقال: ارفعوا هذه السِّلَال، وجَاء أهلُ الصُّفَّة، فأُخبِر بهم، فأمر بإحضارهم وقال: يا خَيْثم! اضْرِبهم عشرة أسواط، فإنه بلغني أنهم يفسون في مسجد رسول الله ﷺ.

ومن الخلفاء من يُنْسب إلى البخل، فمنهم عبد الملك بن مروان كان يلقب برَشْحِ الحَجَر ولبنِ الطير لبخله.

ومنهم هشام ابنه وكان ينظر في بيع الهدايا التي تُهْدَى إليه. حُكِيَ عنه أن أعرابيًّا أكل عنده فرفع اللُّقمةَ إلى فيه، فقال له هشام: في لقمتك شَعْرةٌ يا أعرابيّ، فقال: وإنك تلاحظني ملاحظةَ من يَرَى الشَّعْرَة، والله لا أكلتُ عندك أبدًا، ثم قام وانصرف.

ومنهم أبو جعفر المنصور كان يلقّب بأبي الدوانيق[٣]، لُقّب بذلك لأنه لما بنى مدينةَ بغداد كان يباشرها بنفسه ويحاسب الصُّناع، فيقول لهذا: أنت نِمْتَ القائلة،

---

(١) النّقل: ما يؤكل مع الشّراب كالفستق وغيره.
(٢) عطعطوا: العطعطة: حكاية صوت، تتابع الأصوات واختلافها في الحرب، وهي أيضًا حكاية أصوات المجان إذا قالوا: عيط، عيط وذلك إذا غلب قوم قومًا. «اللسان ٧/ ٣٥٢».
(٣) الدوانيق: مفردها الدّانق، وهو ضرب من النقد يعادل سدس الدّرهم.

ولهذا: لم تُبَكِّر، ولهذا: انصرفتَ قبل أن تُكَمِّل اليوم، فَيُسقطُ لهذا دانقًا، ولهذا دانِقين، فلا يكادُ يعطي لأحدٍ أُجْرةً كاملةً، وكان يقول: يزعُمون أنّي بخيل، وما أنا ببخيلٍ، ولكن رأيتُ الناس عبيدَ المال، فمنعتُهم عنه، ليكونوا عبيدًا لي. ويُحْكى عنه أنه قال لطباخه: لكم ثلاثةٌ وعليكم اثنتان، لكم الرؤوسُ والأكارعُ والجلودُ، وعليكم الحبوبُ والتوابلُ. ومن حكاياته الدالة على بخله: أن صاحبه الربيع بن يونس قال له يومًا: يا أميرَ المؤمنين، إن الشعراء ببابك وهم كثير، وقد طالت أيامُهُمْ ونفدت نفقاتُهم، فقال: اخرجْ إليهم وسلّمْ عليهم، وقلْ لهم مَنْ مدحنا منكم فلا يصِفُ الأسدَ، فإنما هو كلبٌ من الكلاب، ولا الحيَّةَ، فإنما هي دويبة منتنة تأكلُ التراب، ولا الجَبَلَ فإنه حجر أصَمُّ، ولا البحرَ، فإنه عَطِن بضٌّ لَجِبٌ، فمن ليس في شعره شيءٌ من هذا فلْيدْخُلْ، ومن كان في شعره شيءٌ منه فَلْينصَرِفْ، فأبلغهم فانصرفوا كلهم إلا إبراهيم بن هَرْمَة فقال: أنا له يا ربيع فأدخلني عليه: فأدخله، فلما مثل بين يديه، قال له: يا ربيع قد علمت أنه لا يجيبك غيره فأنشده قصيدته التي منها: [من الطويل]

له لَحَظَاتٌ في حِفَافَيْ سريره ... إذا كرَّها فيها عِقابٌ ونائلُ
فَأُمُّ الذي أمَّنتَ آمِنَةَ الردى ... وأُمُّ الذي خوَّفتَ بالثُّكلِ ثاكِلُ

فرفع له السِّتر وأقبل عليه وأصغى إليه، فلما فرغ من إنشاده أمر له بعشرة آلاف درهم وقال له: يا إبراهيم، لا تتلفْها طمعًا في نَيْل مثلها منّا، فما كلّ وقت تصل إلينا، فقال إبراهيم: ألقاك بها يا أمير المؤمنين يوم القيامة وعليها الجِهْبَذ(١).

ودخل المؤمّل بن أمِيل على المهديّ وكان بالرَّيّ(٢)، وهو إذ ذاك وليّ عهد أبيه المنصور، فامتدحه بأبيات يقول فيها: [من الوافر]

هو المهديُّ إلّا أنَّ فيه ... مَشابَه صورةِ القمرِ المنِيرِ
تشابُهُ ذا وذا فهما إذا ما ... أنارا يُشْكَلانِ على البصيرِ

---

(١) الجهبذ: كاتب رسم استخراج المال وقبضه.
(٢) الري: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن. كانت عجيبة الحسن مبنية بالآجر المنمق، إلا أن أكثرها حزب وكانت جدرانها ومنابرها باقية حتى السنة ٦١٧ هـ - ١٢٢٠ م، فتحها المسلمون في السنة ٢٠ هـ - ٦٤٠ م وكانت تدعى في الجاهلية «أزارى» وقد قامت «طهران» الحالية بقربها، فهي في الضاحية الجنوبية من طهران اليوم. «معجم البلدان ٣/١١٦ - ١٢٠، وسير الملوك - الحواشي ص ٢٤١».

فهذا في الضياء سِراجُ عدلٍ وهذا في الظلام سِراجُ نُورِ
ولكنْ فضَّلَ الرحمنُ هذا على ذا بالمنابر والسَّرِيرِ
وبعضُ الشهرِ يَخْفَى ذا، وهذا منيرٌ عند نقصانِ الشهورِ

وجاء منها:

فإن سبقَ الكبيرُ فأهلُ سَبْقٍ له فضلُ الكبيرِ على الصغيرِ
وإن بلغَ الصغيرُ مَدَى كبيرٍ فقد خُلِقَ الصغيرُ من الكبيرِ

فأعطاه عشرين ألف درهم، فكتب بذلك صاحبُ البريدِ إلى المنصور وهو ببغداد، فكتب إلى المهديّ يلومه ويقول له: إنما كان ينبغي أن تعطِيَ الشاعر إذا أقام ببابك سنة، أربعةَ آلافِ درهم، وأمره أن يوجهه إليه، فطُلِبَ فلم يوجد، وتوجه إلى بغداد، فكتب إلى المنصور بذلك، فأمر بإرصاده فمُسِك، وقيل له أنت بغيةُ أميرِ المؤمنين وطِلْبته، قال المؤمل: فكاد قلبي ينخلِع خوفًا وفَرَقًا، ثم أخذ بيدي وانطلق بي إلى الربيع، فأدخلني على المنصور، وقال: يا أميرَ المؤمنين، هذا المؤمّلُ ابن أمِيل قد ظفر به، فسلمت عليه، فرد عليَّ السلام، فسكن جأشِي واطمأَن قلبي وزال رَوْعِي، ثم قال لي: أتيت غلامًا غِرًّا فخدعته فانخدعَ، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنما أتيت ملِكًا جوادًا كريمًا، فمحدتُه فحملته أريَحِيَّتُه على أن وصلني وبرّني، فأعجبه ذلك، ثم قال: أنشدْني ما قلتَ فيه، فأنشدتُه، فقال: واللهِ لقد أحسنت، لكن ما يساوي عشرين ألفًا، يا ربيعُ، خُذِ المالَ منه، وأَعْطِه منه أربعةَ آلافِ درهم، فلما وليَ المهديُّ الخلافة، قدم عليه المؤَمّلُ، فأخبره بما كان بينه وبين أبيه، فضحِك وردّ عليه ما أُخِذَ منه.

وحَكَى ابنُ حمدون(١) في كتابه المترْجَم بالتذكرة: أن المنصورَ حجَّ في بعض السنين فحدا به سالمُ الحادي يومًا بقول الشاعر: [من الرّجز]

أبلجُ بين حاجِبيه نُورُهُ إذا تغدَّى رفِعت ستورُهُ
يَزِينُه حَيَاؤه وخيرُهُ ومِسْكُه يَشُوبُه كافورُهُ

---

(١) ابن حمدون: هو محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدّين البغدادي عالم بالأدب والأخبار، صنف التذكرة في الأدب والأخبار مات سنة ٥٦٢ هـ. «الأعلام ٦/ ٨٥».

فطرِبَ المنصورُ حتى ضرب برجله المَحْمِل، ثم قال: يا ربيع، أعطه نصفَ درهم، فقال سالم: لا غيرَ، يا أميرَ المؤمنين، والله لقد حدوتُ بهشام بن عبد الملك فأَمر لي بثلاثين ألف درهم، فقال المنصور: ما كان له أن يعطِيَك من بيتِ المال ما ذكرت، يا ربيع! وَكِّلْ به من يستخرجُ منه هذا المالَ، قال الربيع: فما زلت أسْفِر بينهما حتى شرط عليه أن يحدو به في خروجه ورجوعه بغير مؤنةٍ، وكان سالمٌ هذا يورِد الإبل لثمانٍ ولِتِسع ولعشر، فيحدو لها حدوه عن ورود الماء. ومن طريف ما حكِيَ عنه: أن عبيد الله بنِ زياد الحارثيّ، كتب إليه رقعةً بليغةً يستمِيحه فيها، فوقَّع عليها: إن الغِنىَ والبلاغةَ إذا اجتمعا لرجلٍ أبطراه، وإن أميرَ المؤمنين مشفِقٌ عليك، فاكتِفِ بالبلاغةِ.

وقد ذمَّ الشعراء البخل وهجوا من اتصفَ به، فمن ذلك، وهو أبلغ ما قاله مُحْدَث، قول ابن الرومي: [من البسيط]

الحابسُ الروثَ في أعفاج بَغْلَتِه ... خوفًا على الحَبِّ من لَقْطِ العصافِيرِ[(١)]

وقال العسكريّ: أبلغُ ما قيل في البخل، قول ابن الروميّ: [من المتقارب]

يُقَتِّرُ عيسى على نفسه ... وليس بباقٍ ولا خالدِ
فلو يستطيع لتقتيره ... تنفَّسَ من مَنْخِرٍ واحِدِ
رضيتُ لتشتيت أموالِهِ ... يَدَيْ وارثٍ ليس بالحامِدِ

وقال أبو تمّام: [من البسيط]

صدِّق أَلِيَّتَه إنْ قالَ مجتهدًا ... لا وَالرَّغيفِ فذاك البرُّ من قَسَمِهْ
وإن هممتَ به فافتُكْ بخُبْزَتِه ... فإن موقِعَها من لحمه ودمه
قد كان يُعجِبُني لو كان غَيْرتُه ... على جَرَادِقِهِ كانت على حرَمِهْ[(٢)]

وقال دِعبِل: [من مجزوء الكامل المرفّل]

استَبْقِ وُدَّ أبي المقا ... تِل حين تأكُلُ من طَعَامِهْ
سيَّان كَسْرُ رغيفِهِ ... أو كسرُ عَظْمٍ من عِظامِهْ
وتراه من خوف النزيـ ... ـلِ به يُرَوَّع في منامهْ

(١) الأعفاج: المعيّ ص ٣٠٩.
(٢) جرادقه: أرغفته ـ والجردق: الرغيف ـ والكلمة فارسية معربة. «اللسان ١٠/ ٣٥».

وقال أبو هلال العسكريّ: [من مجزوء الكامل]

خُـبْـزُ الأَمِـيـرِ عَـشِـيـقُـهُ ... يَـغْـدُو عـلـيـه يُـلاعِـبُـهْ
وإذَا بَـدَا لـجـلـيـسِـهِ ... أفـضـى إلـيـه يُـعـاتِـبُـهْ
وتـحـوطـه حـرّاسُـهُ ... وتَـذُبُّ عـنـه كَـتَـائِبُـهْ
فـالـزَّوْرُ يُـصْـفَـعُ عـنـده ... والـضـيـفُ يُـنْـتَـفُ شـارِبُـهْ

وقال آخر: [من الوافر]

فـتـىً لـرغـيـفـهِ قُـرطٌ وشَـنْـفٌ ... وإكـلـيـلان مـن دُرٍّ وشَـذْرِ(١)
إذا كُـسِـر الـرغـيـفُ بـكـى عـلـيـه ... بُكَا الخنساء إذْ فُجِعتْ بِصَخْرِ
ودون رغـيـفـه قَـلْعُ الـثـنـايـا ... وحَـرْبٌ مـثـل وَقْـعَـةِ يـومِ بَـدْرِ

وقال آخر: [من الخفيف]

إنّ هـذا الـفـتـى يـصـونُ رغـيـفًـا ... مـا إلـيـه لآكـلٍ مـن سَـبـيـلِ
هـو فـي سُـفْـرتـيـن من أَدَمِ الطا ... ئـف فـي سَـلَّـتـيـنَ فـي زَنْـبِـيـلِ(٢)
خُـتِـمَـتْ كـلُّ سَـلَّةٍ بـرَصَـاصٍ ... وسُـيُـورٍ قُـدِدْنَ من جـلْدِ فِـيـلِ(٣)
في جِرَابٍ في جوف تابوتِ موسى ... والـمـفـاتـيـحُ عـنـد مـيـكـائِـيـلِ

وقال العسكريّ: [من مجزوء الخفيف]

قَـلَّ خـيـرُ ابـنِ قـاسـم ... فـغِـنـاه كَـعُـدْمِـهِ
كـادَ مـن خـشْـيـة الـقِـرَى ... يـخـتـبـي فـي جِـرامـه
جـاز فـي الـلـؤم حـدّه ... كـأبـيـه وعـمـه
كـاد يُـعـديـك لـؤمُـهُ ... لـو تـسـمّـيـتَ بـاسـمـه

(١) شذر: الشذر: قطع من الذهب يُلقط من المعدن من غير إذابة الحجارة، ومما يصاغ من الذهب فرائد يفصل بها اللؤلؤ والجوهر. والشذر أيضًا: صغار اللؤلؤ شبهها بالشذر لبيانها. «اللسان ٤/ ٣٩٩».
(٢) زنبيل: الزنبيل أو الزبيل: القفة. «اللسان ١١/ ٣٠١».
(٣) سيور: السَّيْر: ما يُقد من الجلد، والجمع السُّيور، وثوب مسَيَّر وشيه: إذا كان مخططًا. والسيراء: ضرب من البرود وقيل هو ثوب مسير: فيه خطوط تعمل من القز كالسيور. «اللسان ٤/ ٣٩٠».

وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل]

لــك بُــزْمَــةٌ نــزَّهــتَــهــا ... مــن أن تُــدَنَّــسَ بــالــدَّسَــمْ
بــيــضــاءُ يُــشْــرق نُــورهــا ... كــالــبَــدْر فــي غَــسَــقِ الــظُّــلَــمْ
لــو كــان عِــرْضُــك مــثــلَهــا ... كــنــتَ الــمُــمَــدَّحَ فــي الأُمَــمْ
أو كــان فــعــلُك مــثــلَ قــو ... لــك كــنــتَ تــاريــخَ الــكَــرَمْ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

ضفتُ عمرًا فجاءني برغيفٍ ... زادني أَكْلُهُ على الجوعِ جُوعَا
ثم وَلَّى يقولُ وهو كئيبٌ ... لَهْفَ نَفْسِي على رَغيفٍ أُضِيعَا
كان خدَّاعةَ الضيوفِ ولكن ... ربما أصبحَ الخَدُوعُ خَدِيعَا
كنتُ أنزلتُه مَحلًا رفيعًا ... فغدا ذلك الرفيعُ وَضِيعَا
عَجَبًا منه إذْ أُبِيح حِمَاه ... كيف لم يمتنعْ وكان مَنِيعَا

وقال آخر: [من الهزج]

أرى ضــيــفَــك فــي الــدار ... وكَــرْبُ الــمــوتِ يَــغْــشَــاهُ
عــلــى خُــبْــزِكَ مَــكْــتــوبٌ ... فَــسَــيَــكْــفِــيــكَــهُــمُ الــلَّــهُ

وقال بشَّار: [من البسيط]

وضيفُ عمرٍو وعمروٌ يَسْهَران معًا ... عمرٌو لبِطْنَتِهِ والضيفُ للجوعِ

وقال آخر: [من الوافر]

نــوالُك دونَــهُ خَــرط الــقَــتَــادِ ... وخبزُك كالثُّرَيَّا في البعَادِ
ولو أبصرتَ ضيفًا في منام ... لحرّمتَ المنامَ إلى التَّنَادِي
أرى عُمُرَ الرغيفِ يطولُ جِدًّا ... لديك كأنَّه من قوم عَادِ
وما أهجوك أنك كُفْءُ شِعْرِي ... ولكنّي هجوتُك للكَسَاد

وقال العسكريّ: [من المجتث]

قــد كــان لــلــمــال رَبًّــا ... فــصــارَ بــالــبــخــل عَــبْــدَهْ
وصَــحَّــفَ الــصَّــيــفَ ضَــيــفًــا ... فــراح يَــلْــطُــم خَــدَّهْ

وقال أبو نُوَاسٍ في إسماعيل بن نُوبخت[١]. بعد أن نصب إسماعيل في صحن داره طارمة[٢]، واصطبح فيها أربعين يومًا ومعه جماعةٌ، منهم أبو نُوَاس، فبلغت نفقته أربعين ألف درهم، ثم قال بعد ذلك: [من مجزوء الرّمل]

خبزُ إسماعيل كالوشـ ـي إذا ما شُقَّ يُرْفا[٣]
عجبًا من أثرِ الصنـ ـعةِ فيه كيف تخفَى؟
إنَّ رَفَّاءَك هذا ألطفُ الأمةِ كَفَّا
فإذا ألْصَقَ بالنصـ ـفِ من الجَرْدَق نصْفَا
الطفَ الصنعةَ حتَّى ما ترى مَطْعَنَ إشْفَى[٤]
مثل ما جاء من التَّنُّـ ـور ما غادر حَرْفَا
وله في الماء أيضًا عملٌ أبدع ظَرْفَا
مَزجه العَذْبُ بماء الـ ـبئركي يزدادَ ضِعْفَا
فهو لا يَسْقِيك منه مثل ما يشرب صِرْفَا

وقال فيه: [من الطويل]

على خبزِ إسماعيلَ واقيةُ الْبُخلِ فقد حلَّ في دارِ الأَمانِ من الأكْلِ
وما خبزُهُ إلا كعنقاءِ مُغْرِب يُصَوَّرُ في بُسْط الملوك وفي المُثْلِ
يحدَّثُ عنها الناسُ من غير رؤيةٍ سوى صورةٍ ما إن تُمِرُّ ولا تُحْلِي
وما خبزُهُ إلا كَآوَى يُرى ابْنُهُ ولم يُرَ آوَى في الحُزُون وفي السَّهْلِ
وما خبزُهُ إلا كليبُ بنُ وائلٍ ليالي يَحْمي عِزّهُ مَنْبِتَ البَقْلِ
وإذْ هو لا يَسْتَبُّ خَصْمَان عندَه ولا الصوتُ مرفُوعٌ بِجِدٍّ ولا هَزْلِ
فإنْ خبزُ إسماعيلَ حلَّ به الذي أصاب كليبًا لم يكنْ ذاك عن ذُلٍّ
ولكن قضاءٌ ليس يُسْطاعُ ردُّهُ بحيلةِ ذي مَكرٍ ولا دَهْي ذي عقلِ

---

(١) إسماعيل بن نوبخت: أبو سهل، إسماعيل بن علي بن نوبخت، من كبار الشيعة، كان فاضلًا عالمًا متكلمًا.
(٢) الطارمة: بيت من خشب كالقبة، وهو أعجمي معرب. «اللسان ١٢/ ٣٦١».
(٣) الوشي: التطريز، ويرفأ: يعاد إصلاحه وضمُّ بعضه إلى بعض.
(٤) الإشفى: مخرز الإسكاف والجمع الأشافي. «اللسان ٩/ ٦».

وقال ابن الروميّ: [من المتقارب]

بخيلٌ يُصَوِّمُ أضيافَه ... ويبخَلُ عنهم بأجرِ الصيامِ
يَدُسُّ الغلامَ فيوليهمُ ... هوانا فَيُشْتَمُ مولى الغلامِ
فَهم مُفطِرون وهم صائمون ... وما يُطْعَمون وهم في أثامِ
فيحتالُ بخلًا لأنْ يُفطِرون ... علَى رَفَثِ القول دون الطَّعامِ

وقال أحمد بن كُشَاجم: [من الطويل]

صديقٌ لنا من أبرَعِ الناسِ في البخلِ ... وأفضلِهم فيه وليس بذي فَضْلِ
دعاني كما يدعو الصديقُ صديقَه ... فجئتُ كما يأتي إلى مثله مِثْلِي
فلما جلسنا للطعامِ رأيتُه ... يرى أنه من بعض أعضائه أكْلِي
ويغتاظُ أحيانًا ويَشْتُم عبدَهُ ... وأَعْلَمُ أنَّ الغيظَ والشتمَ من أجلي
فأقبلتُ أستَلُّ الغداءَ مخافَةً ... وألحاظُ عينيه رقيبٌ على فِعْلي
أمدّ يدي سِرًّا لأَسْرِقَ لُقْمةً ... فيلحظني شَزْرًا فأعْبَثُ بالبَقْلِ
إلى أن جنتْ كَفِّي لحتفي جِنَايةً ... وذلك أن الجوعَ أعْدَمني عَقْلِي
فجرّتْ يدي لِلْحَيْنِ رِجْلَ دَجَاجَةٍ ... فَجُرَّتْ كما جَرَّتْ يدي رجلَها رِجْلِي
وقدّمَ من بعد الطعامِ حَلَاوةً ... فلم أستطِع فيها أُمِرُّ ولَا أُحْلِي
وقمتُ لو أنّي كنتُ بَيَّتُّ نِيَّةً ... ربِحْتُ ثوابَ الصومِ مَع عدم الأكلِ

وقال آخر: [من الوافر]

تراهم خشيَة الأضيافِ خُرْسًا ... يُقيمون الصلاةَ بلا أذانِ

احتجاج البخلاء وتحسينهم للبخل على قبحه

قالت الحكماء: لتكنْ عنايتُك بحفظِ ما اكتسبتَه، كعنايتك باكتسابه.

وقال أبو الأسود الدؤليّ لبنيه: لا تُجاودوا الله، فإنه أكرمُ وأجودُ، ولو شاء أن يُغْنِيَ الناس كلَّهم لفعل، ولكنه علِم أن قومًا لا يُصلِحهمُ ولا يصلح لهم إلا الفقر، وقومًا لا يصلِحهم ولا يصلح لهم إلا الغنى.

وقال رجل من تَغْلِب: أتيتُ رجلًا من كِندة أسأله، فقال: يا أخا بني تغلب، إنّي لن أصلَك حتّى أحرِم من هو أقربُ إليّ منك، وإنه لم يبقَ من مالي وعِرْضي وأهلي إلا ما منعتُه من الناس.

وقيل: إن لقمانَ الحكيمَ، قال لابنه: يا بُنَيَّ، أُوصِيك باثنتين لن تزالَ بخيرٍ ما تمسكتَ بهما: دِرْهَمِكَ لمعاشك، ودينِكَ لمعَادِك.

وقال أبو الأسود: إمساكُك ما تبذُل، خيرٌ من طلبك ما يبذُل غيرُك، وأنشد: [من الطويل]

يلومونني في البخلِ جَهْلًا وضلَّةً ... ولَلْبُخلُ خيرٌ من سؤالِ بخيلِ

ونظيره قول المتَلَمِّسِ: [من الوافر]

وحَبْسُ المالِ أيْسَرُ من بُغَاهُ ... وضَرْب في البلادِ بغير زادِ
وإِصْلَاحُ القليلِ يَزِيدُ فيه ... ولا يَبْقَى الكثيرُ مع الفسادِ

وقال الجاحظ: قلت للحزاميّ: يا بخيلُ! قال: لا أعدمني الله هذا الاسم، لأنه لا يقال لي: بخيلٌ إلا وأنا ذو مال فَسَلِّم لي المال، وسَمِّني بأيّ اسم شئت، قلت: ولا يقال لك: سخيّ، إلا وأنت ذو مال، فقد جمعَ الله لهذا الاسم المالَ والحمدَ، وجمع لذاك المال والذَّمّ، فقال: بينهما فرقٌ عجيبٌ، وبَوْن بعيد، إن في قولهم: بخيل، سببًا لمكث المال في ملكي، وفي قولهم: سخيّ، سببًا لخروجه عن ملكي، واسم البخل فيه حزم وذَمّ واسم السخاء فيه تضييع وحمد، وما أقلّ غناء الحمد عنه إذا جاع بطنه وعَرِيَ ظهرهُ وضاع عيالُه وشمت به عدوُّه.

وقال محمد بن الجَهْم: من شأنِ مَنِ استغنى عنك، أن لا يقيمَ عليك، ومن احتاج إليك أن لا يزولَ من عندك، ومن حُبِّك لصديقك وضَنِّك بمودّته أن لا تبذلَ له ما يغنيه عنك، وأن تتلطفَ له فيما يُحْوِجه إليك.

وقد قيل في مثل هذا: «أَجِعْ كَلْبَكَ يَتْبَعْك، وسَمِّنه يَأْكُلْك»، فمن أَغْنَى صديقه فقد أعانه على الغَدْر، وقطعَ أسبابَ الشكرِ، والمُعينُ على الغدر شريكٌ للغادر، كما أن المزَيِّن للفُجُورِ شريكٌ للفاجر.

وقال أبو حنيفة: لا خيرَ فيمَنْ لا يصونُ ماله ليصونَ به عِرْضَه، ويَصِلَ به رحِمه ويستغنِيَ به عن لئام الناس. قال عبد الله بن المعتَزّ: [من الطويل]

أَعَاذِلَ ليس البخلُ منّي سَجِيَّةً ... ولكن وجدتُ الفقرَ شَرَّ سبيلِ
لَموتُ الفتى خيرٌ من البخلِ للفتى ... ولَلْبخلُ خيرٌ من سؤالِ بخيلِ

وكان داود بن عليّ[١] يقول: لأن يتركَ الرجلُ مالَه لأعدائه، خيرٌ من الحاجةِ في حياته لأوليائه؛ قال الشاعر: [من مجزوء الكامل]

مَالٌ يُخَلِّفُهُ الفتَى ... لِلشامتين من العِدَا
خَيرٌ له من قصده ... إخوانَهُ مسترْفِدا

وقال سُفْيَان الثَّوْرِيّ[٢]: لأن أُخلِّفَ عشرةَ آلافِ درهم أحاسبُ عليها، أحبُّ إليّ من أن أحتَاج إلى الناس؛ وقال: كان المال فيما مضى يكره، وأما اليوم فهو يزينُ المؤمن؛ وجاءه رجل فقال له: يا أبا عبد الله، تُمسكُ هذه الدنانير! فقال: اسكت، فلولاها لتَمَنْدَلَتنا[٣] هؤلاء الملوك، ولكن من كان في يده منها شيء فليصلحْهُ، فإنه زمانٌ من احتاج فيه كان أوّلُ ما يبذُل دينَهُ.

وقال المنصور لمحمد بن مروان التميميّ: إنك لسيدٌ لولا جمودٌ فيك، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إني لأجمُد في الحق، ولا أذوبُ في الباطل.

وكان محمد بن الجهم يقول: من وَهَب من عمله، فهو أحمقٌ، ومن وهب بعد العزل، فهو مجنونٌ، ومن وهب من جوائز ملوكه أو ميراثه، فهو مخذولٌ، ومن وهب من كَسْبِه وما استفاده بِحيلة، فهو المطبوعُ على قلبه، المأخوذُ ببصره وسمعه.

وسأل رجلٍ زيادَ بن أبيه، فأعطاه درهمًا، فقال: صاحبُ العِراقَيْنِ أسأله فيعطيني درهمًا؟ فقال له زياد: مَنْ بيده خزائنُ السمٰواتِ والأرضِ ربما رزق أخصَّ عباده عنده وأكرمَهم لديه التمرةَ واللقمةَ، وما يكبرُ عندي أن أَصلَ رجلًا بمائة ألف درهم، ولا يصغر أن أعطي سائلًا رغيفًا، إن كان ربّ العالمين فعل ذلك. قال

(١) هو داود بن علي بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطلب، أبو سليمان أميرٌ من بني هاشم، وهو عمّ السفّاح العبّاسي، كان خطيبًا فصيحًا، وهو أوّل من ولي المدينة من العباسيين مات سنة ١٣٣. «الأعلام ٢/٣٣٣».

(٢) سفيان الثوري: (٩٧ ـ ١٦١ هـ = ٧١٦ ـ ٧٧٨ م) من مصر، أبو عبد الله، أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، ولد ونشأ في الكوفة، راوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم فأبى، وخرج من الكوفة سنة ١٤٤ هـ، فسكن مكة والمدينة، ثم طلبه المهدي فتوارى وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيًا. «الزركلي ٣/ ١٠٤».

(٣) تمندلتنا: يقال تمندل تمندلًا بالمنديل: مسح به وجهه أو غيره، أو شدّه برأسه كالعمامة. «اللسان ١١/٦٣٣».

الشاعر: [من السّريع]

يـا رُبَّ جُـودٍ جـرَّ فَـقْـرَ امـرئٍ ... فـقـام لـلـنـاسِ مَـقَـام الـذلـيـلِ
فـاشـددْ عُـرَى مـالِكَ واسْـتَـبْـقِـهِ ... فالبخلُ خيرٌ من سؤالِ البخيلِ

وقال الشريف بن الهَبَّارِيَّة[1]: [من مجزوء الخفيف]

لأَصـونَـنَّ دِرهَـمِـي ... فـهـو لا شـكَّ صـائـنـي
لـم يُـعِـنِّـي ابـنُ والـدي ... وصـحـيـحـي أعَـانَـنِـي

وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل المرفّل]

لله دَرُّ دراهِـمِـي ... فَهْي التي أعلتْ مكانِي
لـولا الـغِنَى عن صاحبي ... لأَحَـلَّنِـي دارَ الـهـوانِ

وقال آخر: [من الرّمل]

كـنْ بـمـا أُوتِـيـتَـه مُـغْـتَـبِـطًـا ... تَسْتدِمْ عيشَ القَنُوع المُكتفِي
إن في نَيْل المُنى وَشْكَ الرَّدَى ... واجتنابُ القصدِ عينُ السَّرَفِ
كَـسِـراجٍ دُهْـنُـه قـوتٌ لـه ... فـإذا غَـرَّقْـتَـه فـيـه طُـفِـي

ومن ذلك رسالة كتبها سهلُ بن هارون، وقد عيب عليه أمورٌ من البخل، فاعتذر عنها واحتجّ فقال: أصلحَ الله أمركم، وجمع شملَكم، وعلَّمكم الخيرَ، وجعَلكم من أهلِهِ، قال الأحنفُ بن قَيْس: يا بني تميم، لا تُسرِعوا إلى الفتنة، فإن أسرعَ الناسِ إلى القتال، أقلُّهم حَياءً من الفِرار، وكانوا يقولون: إذا أردتَ أن ترى العيوبَ جَمَّةً، فتأمّلْ عيَّابًا فإنه يعيبُ الناس بفضلِ ما فيه من العَيْب، ومن أعيبِ العيبِ أن تعيبَ ما ليس بعيبٍ، وقبيحٍ أن تَنْهى مرشدًا أو تُغْري مُشْفِقًا، وما أريدُ بما قلت إلا هدايَتكم وتقويمَكم وصلاحَ فسادِكم، وإبقاءَ النعمةِ عليكم، ولئن أخطأنا سبيلَ إرشادِكم، فما أخطأنا سبيلَ حسنِ النيةِ فيما بيننا وبينكم، ثم قد تعلمون أنّا ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لأنفسنا قبلكم، وشُهِرْنا به في الآفاق دونكم، ثم نقول في

(١) ابن الهبارية: (٤١٤ ـ ٥٠٩ هـ = ١٠٢٣ ـ ١١١٥ م) محمد بن محمد بن صالح العباسي، نظام الدين، أبو يعلى، المعروف بابن الهبارية، شاعر هجاء، ولد في بغداد وأقام مدة بأصبهان، وفيها ملكشاه ووزيره نظام الملك، وله مع الوزير أخبار، توفي في كرمان، من كتبه: الصادح والباغم، فلك المعاني، ديوان شعر. «الأعلام للزركلي ٧/ ٢٣».

ذلك ما قال العبد الصالح لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هُود: الآية ٨٨] فما كان أحقُّكم في كريم حرمتنا بكم أن ترعوا حقَّ قصدنا بذلك إليكم، على ما رعيناه من واجبِ حقّكم، فلا العذرُ المبسوط بلغتُم، ولا بواجبِ الحرمة قمتم، ولو كان ذكر العيوب بِرًّا وفخرًا، لرأينا في أنفسنا عن ذلك شغلًا، عبتُموني بقولي لخادمي: أجيدي العجين فيكون أطيب لطعمِهِ، وأزيد في ريعه، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أملكوا العجينَ فإنه أحدُ الريعين، وعبتموني حين ختمت على سَلٍّ عظيم، وفيه شيء ثمين من فاكهة نفيسة، ومن رطبة غريبة، على عبدٍ نهِم، وصبيٍّ جشِع، وأمة لكعاء، وزوجة مضيعة، وليس بين أهل الأدب، ولا في ترتيب الحكم، ولا في عادات القادة، ولا في تدبير السادة، أن يستوِيَ ـ في نفيس المأكول، وغريب المشروب، وثمين الملبوس، وخطير المركوب ـ التابعُ والمتبوعُ، والسيدُ والمسودُ، كما لا تستوي مواضعُهم في المجالس، ومواقع أسمائهم في العنوانات، ومن شاء أطعمَ كلبَه الدَّجَاجَة السمينَة، وَعلَّف حِمارَه السِّمْسِمَ المُقشّر، وعبتموني بالختم، وقد ختم بعض الأئمة على مُدّ سَوِيق[١]، وختم على كيس فارغ، وقال طِينةٌ خيرٌ من ظنّة، فأمسكتم عمن ختم على لا شيء، وعبتم على من ختم على شيء، وعبتموني أيضًا، إن قلتُ للغلام: إذا زدت في المَرَق، فزدْ في الإنضاج، ليجتمع مع التأدّم باللحم طِيبُ المَرَق، وقال النبيّ ﷺ: «إذا طَبَخَ أحدكم لحمًا، فليزد من الماء، فمن لم يصِب لحمًا أصاب مَرَقًا، وعبتموني بخَصْف النعل، وبتصدير القميص، وحين زعمت أن المخصوفَة من النعل أبقى وأقوى وأشبه بالنُسُك، وأن الترقيعَ من الحزم، والتفريقَ من التضييع، والاجتماعَ مع الحفظ، وقد كان النبيّ ﷺ يَخْصِفُ نعلَه، ويُرَقِّع ثوبه، ويَلْطَع أصابعه، ويقول: «لو أُهدِيَ إليّ كُرَاع[٢] لقبلت، ولو دُعِيتُ إلى ذراعٍ لأجبتُ» وقال ﷺ: «من لم يَسْتَحِي من الخِلال[٣]، خفتْ مَؤونته، وقلّ كِبْرُه». وقالت الحكماء: لا جديدَ لمن لم يَلْبَس الخَلَق، وبعث زياد رجلًا يرتادُ له مُحَدِّثًا، واشترط عليه أن يكون عاقلًا، فأتاه به موافقًا، فقال له: أكنتَ به ذا معرفة؟ قال: لا، ولكنّي

---

(١) السويق: الناعم من طحين القمح والشعير.

(٢) كراع: كراع كل شيء: طرفه ـ والكراع: السلاح، وقيل هو اسم يجمع الخيل والسلاح، وأكارع الشاة: قوائمها. «لسان العرب ٨/٣٠٦ و٣٠٧».

(٣) الخلال: عودٌ يُزال به الطعام الذي بين الأسنان.

رأيته في يوم قائظ، يلبَس خَلَقًا، ويلبس الناسُ جديدًا، فتفرّست فيه العقلَ والأدبَ، وقد علمت أن الخَلَق في موضعه، مثل الجديد في موضعه، وقد جعل الله لكل شيء قَدْرًا، وسمي له موضعًا، كما جعل لكلّ زمانٍ حالًا، ولكل مقامٍ مقالًا، وقد أحيا الله بالسّم، وأمات بالغِذاء، وأغصّ بالماء، وقتل بالدواء، وقد زعموا أن الإصلاحَ أحدُ الكاسبين، كما زعموا أن قلّة العيال أحدُ اليسارين، وقد جبر الأحنف بن قيس يدَ عنزٍ وأمر مالك بن أنس بفرك البَعر، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من أكل بيضةً فقد أكل دجاجةً، وليس سالم بن عبد الله جلد أُضحية، وقال رجل لبعض الحكماء: أريد أن أُهديَ لك دجاجةً، قال: إن كان لا بدّ، فاجعلها بَيُوضًا، وعبتموني حين قلت: من لم يعرف مواضعَ السَّرَف في الموجود الرخيصِ لم يعرف مواضعَ الاقتصادِ في الممتنع الغالي، وقد أتيتُ بماءٍ للوضوء على مبلغ الكفاية، وأشفّ من الكفاية، فلما صرت إلى تفريق أجزائه على الأعضاء، وإلى التوفير عليها من وظيفة الماء، وجدت في الأعضاء فضلًا عن الماء، فعلمت أن لو كنتُ مكّنتُ الاقتصادَ في أوائله لخرجَ أوّلُه على كفاية آخره، ولكنا نصيبُ الأوّلِ كنصيبِ الآخر، فعبتموني بذلك وشنعتموه عليَّ، وقد قال الحسن وذكرَ السّرفَ: أما إنّه ليكون في الماء والكلأ، فلم يرضَ بذكر الماء حتى أردفه بالكلإ، وعبتمُوني أني قلت: لا يغترّنَ أحدٌ بطول عمره، وتقويس ظهره، ورقّةِ عظمه، ووهن قوّته، وأن يرى دخلَه أكثرَ من رزقه فيدعوه ذلك إلى إخراج ماله من يده، وتحويله إلى ملكِ غيره، أو تحكيمِ السرف فيه، وتسليطِ الشهوات عليه، فلعلّه أن يكون معمّرًا وهو لا يدري وممدودًا له في السن وهو لا يشْعُر، ولعلّه أن يُرْزَقَ الولَدَ على اليأسِ، وتُحدِثَ عليه آفاتُ الكِبَر ما لا يخطر على باله، ولا يدركه عقله، فيستردّه ممن لا يردّه، ويظهر الشكوى إلى من لا يرحمه، أضعف ما كان عن الطلب، وأقبح ما كان له أن يطلب، فعبتمُوني بذلك، وقال عمرو بن العاص: اعْمَل لدنياك عَمَلَ من يعيشُ أبدًا، واعْمَل لآخرتك عَمَلَ من يموتُ غدًا، وعبتمُوني بأن قلت: إن التلف والتبذير إلى مالِ المواريث، وأموال الملوك، وإن الحفظَ إلى المال المكتسب، والغنى المجتلب، وإلى ما يعرض فيه بذهابِ الدين، واهتضامِ العرضِ، ونصبِ البدن، واهتمام القلب أسرع، ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله، ومن لم يحسب الدخلَ فقد أضاع المالَ، ومن لم يعرف للغنى قدرُه فقد أذن بالفقر، وطاب نفسًا بالذلّ، وعبتمُوني بأن زعمت أن كسبَ الحلالِ، مُضمَّنٌ بالإنفاق في الحلال، وأن الخبيثَ ينْزعُ إلى الخبيث، وأن الطيِّبَ يَدعو إلى

الطيّب، وأن الإنفاق في الهوى، حجابٌ دون الحقوق، وأن الإنفاق في الحقوق حجابٌ دون الهوى، فعِبْتُم عليّ هذا القول، وقد قال معاويةُ بن أبي سفيان: لم أر تبذيرًا قطّ، إلا وإلى جنبه حقٌّ مُضَيَّع، وقال الحسن: إذا أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله، فانظروا في أيّ شيء ينفقه، فإن الخبيث إنما يُنْفَق في السرف، وقلت لكم بالشفقة عليكم، وحسن النظر منّي إليكم، أنتم في دارِ الآفات، والجوائح غير مأمونات، فإن أحاطت بمال أحدكم آفةٌ، لم يرجعْ إلى ثقةٍ، فاحذروا النِّقَمَ، باختلافِ الأمكنة، فإن البليّة لا تجري في الجميع، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العبد، والأمة، والشاة، والبعير: فرّقوا بين المنايا، واجعلوا الرأس رأسين، وقال ابن سيرين[(١)] لبعض البحريين كيف تصنعون في أموالكم؟ قالوا: نفرّقها في السفن، فإن عَطِب بعضُ، سلم بعضُ، ولولا أن السلامةَ أكثر، ما حملْنا أموالَنا في البحر، فقال ابن سيرين: تَحْسَبُها خَرْقَاء وهي صَنَاعٌ، وعبتمُوني بأن قلت لكم عند إشفاقي عليكم: إن للغنى سُكْرًا، والمال نَزْوةً، فمن لم يحفظ الغنى من سكره، فقد أضاعه، ومن لم يرتبط المال لخوف الفقر فقد أهمله، فعبتمُوني بذلك، وقد قال زيدُ بن جَبَلَة: ليس أحدٌ أقصرُ عقلًا، من غَنيٍّ أَمِنَ الفقرَ، وسكرُ الغِنى أشدُّ من سكر الخمر، وقد قال الشاعر في يحيىٰ بن خالد[(٢)]: [من الطويل]

وَهُوبٌ تِلَادَ المالِ فيما ينوبُهُ   مَنُوعٌ إذا ما مَنْعُه كان أَحْزَمَا

وعبتمُوني حين زعمتم، أنّي أقدِّم المالَ على العلم، لأن المالَ به يُفاد العلمُ، وبه تقومُ النفسُ، قبلْ أن يُعرفَ فضلُ العلم، فهو أصل، والأصلُ أحقُّ بالتفضيلِ من الفرع، فقلتم. كيف هذا؟ وقد قيل لبعض الحكماء: الأغنياءُ أفضلُ أم العلماءُ؟ فقال: العلماءُ، قيل له: فما بالُ العلماء يأتون أبوابَ الأغنياء، أكثر مما يأتي الأغنياء أبواب العلماء؟ قال: ذلك لمعرفة العلماء بحقّ المال، وجهلِ الأغنياء بحقِّ العلم، فقلت: حالهما هي القاضيةُ بينهما، وكيف يستوي شيءٌ، حاجة العلماء إليه، وشيء يغني فيه

---

(١) ابن سيرين: (٣٣ ـ ١١٠ هـ = ٦٥٣ ـ ٧٢٩ م) محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي، من أشراف الكتاب، مولده ووفاته بالبصرة، نشأ بزازًا، في أذنه صمم، وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا، واستكتبه أنس بن مالك بفارس، ينسب له كتاب تعبير الرؤيا. «الأعلام للزركلي ٦/ ١٥٤».

(٢) هو يحيىٰ بن خالد البرمكي، أبو الفضل، الوزير السّريّ الجواد، مؤدّب الرشيد، أخباره كثيرة، مات سنة ١٩٠ هـ. «الأعلام ٨/ ١٤٤».

بعضهم عن بعض، وكان النبيّ ﷺ يأمر الأغنياء باتّخاذ الغَنَم، والفقراء باتّخاذ الدَّجاج، وقال أبو بكر الصدِّيقُ رضي الله عنه: إني لأبغضُ أهلَ البيتِ ينفقون نفقةَ الأيام في اليوم الواحد، وكان أبو الأسود الدُّؤَلِيّ يقول لولده: إذا بَسَط اللهُ لك في الرزق فابْسُطْ، وإذا قبض فاقبِضْ، وعبتُموني حين قلت: إن فضل الغِنَى عن القوت، إنَّما هو كفضل الآلة تكون في البيت، إن احتيج إليها اسْتُعْمِلت، وإن استغنِيَ عنها كانت عُدّةً، وقد قال الْحُصَيْنُ بن المنذر: ودِدْتُ أن لي مِثلَ أُحُدٍ ذهبًا لا أنتفعُ منه بشيء، قيل له: فما كنتَ تصنع به؟ قال: لكثرة مَنْ كان يخدُمني عليه، لأن المالَ مخدومٌ، وقال بعضُ الحكماء: عليك بطلب الغنى، فلو لم يكن فيه إلا أنه عِزٌّ في قلبك، وذُلٌّ في قلب عدوّك، لكان الحظُّ فيه جسيمًا، والنفعُ عظيمًا، ولسنا ندعُ سيرةَ الأنبياءِ، وتأدّبَ الخلفاءِ، وتعليمَ الحكماءِ، لأصحابِ الهوى، فلستم عليّ تردّون، ولا رأيي تُفَنِّدُون، فقدّموا النظرَ قبل العَزْم، وأَدْركوا ما عليكم من قبل أن تُدرِكوا مالكم، والسلام.

ومن نوادرِ البخلاء، قال رجلٌ لبعض البخلاء: لِمَ لا تدعوني إلى طعامك؟ قال: لأنك جَيِّدُ المَضْغ سريعُ البَلْع، إذا أكلتَ لُقْمَةً هَيَّأْتَ أخرى، قال: يا أخي أتريد إذا أكلتُ عندك أن أُصَلِّيَ ركعتين بين كلّ لقمتين؟.

وقال آخرُ لبخيل: لِمَ لا تدعوني إلى طعامك؟ قال: لأنك تُعلِّق، وتُشدّقُ، وتُحدقُ، أي تحمل واحدةً في يدك، وأخرى في شِدْقك، وتنظر إلى الأخرى بعينك.

وقال بعضُ البخلاءِ: أنا لا آكلُ إلا نصفَ الليلِ، قيل له: ولِمَ؟ قال يَبْرُدُ الماءُ، وينْقَمِعُ الذُّبابُ، وآمَنُ فجأةَ الداخلِ، وصَرْخَة السائل.

وطبخَ بعضُ البخلاء قِدْرًا، وجلس يأكلُ مع زوجته فقال: ما أطيبَ هذا الطعامَ! لولا كثرةُ الزِّحامِ، فقالت: وأيُّ زحامٍ وما ثَمَّ إلا أنا وأنتَ؟ قال: كنت أحِبُّ أن أكونَ أنا والقِدْر.

وقال بعضُ البخلاء لغلامه: هاتِ الطعامَ، وأَغْلِقِ البابَ، فقال: يا مولاي، ليس هذا بحَزْمٍ، وإنَّما أُغْلِقُ البابَ، وأُقَدِّم الطعامَ، فقال له: أنت حُرٌّ لوجهِ الله.

وعزم بعضُ إخوانِ أَشْعَبَ عليه ليأكلَ عنده، فقال: إنِّي أخافُ من ثقيلٍ يأكلُ معنا فينغِّص لذّتنا، فقال: ليس عندي إلا ما تُحِبّ فمضى معه فبينما هما يأكلان، إذا بالباب قد طُرِق، فقال أشعب: ما أرانا إلا صِرْنا لما نكره، فقال صاحبُ المنزل: إنه

صديق لي، وفيه عشْرُ خصال، إن كرهتَ منها واحدة لم آذن له، فقال أشعب: هاتِ، قال: أوّلها، أنه لا يأكلُ ولا يشربُ، فقال: التسعُ لك ودَعْه يدخل، فقد أَمِنَّا منه ما نخافُه.

ذكر ما قيل في التطفيل(١)
ويتصل به أخبارُ الأَكَلة والمُؤاكَلة

والتطفيلُ من اللؤم، وهو التعرّضُ إلى الطعام، من غير أن يدعى إليه، وسنذكر تلوَ هذا الفصلِ آدابَ الأكل، والمُؤاكلة، والاقتصادَ في المطاعم، والعفَّةَ عنها، وما يجري هذا المَجْرَى، وإن كان خارجًا عنه، وإنما الشيءُ يُذْكرُ بالشيء، والعربُ تقول للطفيليِّ: الوارِش، والراشِن، قيل: هو مشتق من الطَّفَل، وهو الظلمةُ لأن الفقيرَ من العرب كان يحضرُ الطعامَ الذي لم يُدْعَ إليه مستترًا بالظلمة، لئلا يُعرَفَ. وقيل: سُمِّي بذلك، لإظلامِ أمره على الناس، لا يدري مَنْ دعاه. وقيل: بل من الطَّفَل لهجومه على الناس كهجومِ الليل على النهار، فيكون من الظلمة، ولذلك قيل: «أطفلُ من ليلٍ على نهار»، وأوّلُ من سمي بهذا الاسم: طُفَيل العَرائس، وإليه ينسب الطُّفَيلِيّون، وكان يقول لأصحابه: إذا دخل أحدُكم عُرسًا، فلا يلتفتْ تلفّت المريب، ويتخيَّرْ المجالسَ، وإن كان العُرس كثيرَ الزحام، فليمضِ ولا ينظرْ في عيون الناس، ليظنَّ أهلُ المرأةِ أنه من أهل الرجل، ويظنَّ أهلُ الرجلِ أنه من أهل المرأة، وإن كان البوّابُ غليظًا فاحشًا، فليبدأْ به، ويأمرُه وينهاه من غير أن يُعَنِّف عليه، ولكن بين النصيحة والإدلال.

وأشهرُ من نُسب إليه هذا الاسم، وكثرت عنه الحكايات، بُنَان الطُّفَيلِيُّ، وهو عبد الله بن عثمان، ويُكنى أبا الحسن، ولقبه بُنَان، وأصله مَرْوَزِيّ وأقام ببغداد، وكان نقشُ خاتَمه، «مَا لَكُمْ لَا تَأْكُلُونَ». حُكِيَ أن رجلًا سأله أن يدعو له، فقال: اللَّهم ارزقه صحةَ الجسم وكثرةَ الأكلِ، ودوامَ الشهوةِ، ونقاءَ المَعِدَةِ، وأَمْتعه بضِرْس طَحُون، ومَعِدةٍ هَضُوم، مع السعةِ والدَّعَةِ، والأمنِ والعافيةِ؛ وقال يُوصي بعضَ أصحابه: إذا قعدتَ على مائدةٍ وكان موضعُك ضيِّقًا فقلْ للذي يليك: لعلي ضيقتُ عليك فإنه يتأخرُ إلى خلف، ويقول: موضعي واسعٌ، فيتسعُ عليك موضع رجل؛

---

(١) التطفيل: أن يكون الإنسان طفيليًا، وهو أن يأتي المجالس والولائم من غير أن يدعى إليها.

وقال له طفيليٌّ: أوصني، فقال: لا تصادِفَنَّ من الطعام شيئًا، فترفعَ يدَك عنه وتقول: لعلّي أصادفُ ما هو أطيب منه، فإن هذا عجز وَوَهَنٌ، قال: زدني، قال: إذا وجدت خبزًا فيه قِلّة، فكُلِ الحروف، فإن كان كثيرًا فكُلِ الأوساط، قال: زدني، قال: لا تكثرْ شربَ الماءِ وأنت تأكلُ، فإنه يصدُّكَ عن الأكل، ويمنعُكَ من أن تستوفي، قال: زدني، قال: إذا وجدتَ الطعامَ، فكلْ منه أكلَ من لم يرَهُ قِطُّ، وتزوّدْ منه زاد من لا يراه أبدًا، قال: زدني، قال: إذا وجدتَ الطعامَ، فاجعلْهُ زادَك إلى الله تعالى، وقال: إذا دعاك صديقٌ لك، فاقعد يَمْنَةَ البيتِ فإنّك ترى ما تُحِبُّ، وتسودُهم في كلّ شيءٍ، وتسبقُهم إلى كلّ خير، وأنت أوّل من يغسل يده والمِنْديلُ جافٌّ والماءُ واسعٌ، والخِوانُ بين يديك يوضعُ، والنبيذُ أوّلُ القِنّينَةِ ورأسُهَا تشربه، والنقلُ منتخبٌ، يوضع بين يديك، وتكون أوّلَ من يتبخّر، فإذا أردت أن تقومَ لحاجة لم تحتجْ أن تتخطّاهم، وأنت في كل سرور إلى أن تنصرف. قال البديع الهمذانيّ(١) في طفيليّين يشبّههم ببُنَان: [من المتقارب]

خلفتُمْ بُنَانًا فكم من أديبٍ ... من الغَيْظِ عَضَّ عليكم بَنَانا
إذا ما النهار بدا ضوؤُه ... غدوتُم خِماصًا ورُحْتُم بِطانا

ومنهم: عثمان بن درّاج، قيل له: كيف تصنعُ إذا لم يدخلْك أهلُ العُرس؟ قال: أنوحُ على الباب، فيتطيَّرون فيدخلونني. وحكى أبو الفرج الأصفهاني: أن عثمان هذا، كان يلزم سعيدَ بن عبد الكريم الخطابيّ أحد ولد زيد بن الخطاب، فقال له: ويحك! إني أبخلُ بأدبك وعلمك، وأضنُّ بك عما أنت فيه من التطفيل ولي وظيفةٌ راتبة في كلّ يوم، فالزمْني وكن مدعوًّا، أصلحُ لك مما تفعلُ، فقال: يرحمُكَ الله فأين لذّةُ الجديدِ، وطيبُ النقلِ كل يومٍ إلى مكان؟ وأين هُوَيْناك ووظيفتُكَ من احتفال العرس؟ وأين ألوانُك من ألوانِ الوليمة؟ قال: فأما إذا ثبت ذاك: فإذا ضاقت عليك المذاهبُ فأتني قال: أمّا هذا فنعم؛ قال: وقال له رجلٌ: ما هذه الصُّفرةُ التي في لونك؟ قال: من الفترة التي بين القَصْعَتين، ومن خوفي في كل يوم من نفادِ الطعامِ قبل أن أشبع؛ وقيل له مرة: هل تعرفُ بستانَ فلان؟ فقال: إي والله، وإنه للجنّةُ الحاضرةُ في الدنيا، قيل له: فلم لا تدخل إليه فتأكل من ثماره، وتقيل تحت

---

(١) البديع الهمذاني: هو بديع الزمان أحمد بن الحسين، أبو الفضل، أحد أئمّة الكتاب له المقامات المعروفة باسمه توفي سنة ٣٩٨ هـ. «الأعلام ١/ ١١٥».

أشجارة، وتسبح في أنهاره؟ قال: لأن فيه كلبًا لا يتمضمض إلا بدماء عراقيبِ الرجالِ، وعثمان هذا الذي يقول: [من مجزوء الرَّمل]

لَذَّة الـتـطـفـيـلِ دُومـي وأَقـيـمـي لَا تَـريـمـي
أنـت تـشْـفِـيـن غَـلِيـلي وتُـسَـلِّيـن هُـمُـومـي

ولهم أخبار وحكايات، منها: ما نقل عن نصر بن عليّ الجهميّ أنه قال: كان لي جار طفيليّ، إذا دعيت إلى مدعاةٍ ركب معي وجلس حيث أجلس، فيأكلُ وينصرفُ، وكان نظيفًا عطِرًا، حسن اللباسِ والمركب، وكنت لا أعرفُ من أمره إلا الظاهر، فاتفق لجعفر بن القاسم الهاشميّ حقٌّ دعا له أشرافَ البصرةِ ووجوهَها، وهو يومئذٍ أميرُ البصرة، فقلتُ في نفسي: إن تَبِعني هذا الرجلُ إلى دار الأمير لأُخزينَّه، فلما كان يومُ الحضورِ، جاءني الرسولُ، فركبت، وإذا به قد تبعني حتى دخل بدخولي، وارتفعَ حيث أُجلست، فلما حضرنا الطعام، قلت: حدّثنا دُرُسْتُ بن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من دخلَ إلى دارِ قوم بغير إِذْنِهم، دخل سارقًا، وخرج مُغِيرًا، ومن دُعِيَ ولم يُجبْ فقد عصى الله ورسولَه»، فظننت أني قد أشرفت على الرجل وقصَّرت من لسانه، فأقبل عليّ وقال: أعيذُك بالله من هذا الكلام في دار الأمير، فإن الأشراف لا يحتملون التعريضَ باللؤم، وقد حَظَر الدينُ التعريضَ، وعزَّر عليه عمر رضي الله عنه، ووليمةُ الأميرِ دعاءٌ لأَهل مصره فإنه سَليلُ أهلِ السقاية، والرفادةِ، والمطعمين الأفضلين الذين هَشَمُوا الثَّريد، وأبرزوا الجِفَان لمن غدا إليها، ثم لا تُوزع وأنت في بيت من العلم معروف من أن تحدّث عن درست بنِ زياد وهو ضعيفٌ عن أبان بن طارق وهو متروكُ الحديثِ بحكم رفعه الله إلى النبيّ ﷺ، والمسلمون على خلافه، لأن حكَم السارقِ القطعُ، والمغيرُ يُعَزَّرُ على ما يراه الإمام، وهذان حكمان لا ينفذان على داخلِ دارًا في مجمع فيتناول لُقَمًا من فضل الله الذي آتى أهلها ثم لا يُحدِثُ حدثًا حتى يخرجَ عنها، وقد قال النبيّ ﷺ: «طعامُ الواحدِ يَكفِي الاثنين، وطعامُ الاثنين يَكْفِي الأربعَة»، حدّثنا بذلك أبو عاصم النبيل عن ابن جريح عن أبي الزبير عن جابر عن النبيّ ﷺ، فأين أنت عن هذا الحديث الصحيح الإسنادِ والمتن؟ قال نصر: فأصابتني خَجْلَةٌ شديدةٌ، فلما نظر الرجلُ إلى ما بي أكل ونهض قبلي، فلما خرجت وجدتُه واقفًا على دابته بالباب، فلما رآني تبعني، ولم يكلّمْني ولم أُكلّمْه، إلا أنني سمعته يتمثلُ: [من المتقارب]

ومَن ظنَّ مِمَّن يُلاقِي الحروبَ بأَنْ لا يُصاب فقد ظَنَّ عَجْزا

وقيل: مرّ طفيليٌّ بسكةِ النَّخَعِ بالبصرة على قوم، وعندهم وليمةٌ، فاقتحمَ عليهم، وأخذ مجلسه مع مَنْ دُعِي، فأنكره صاحبُ المنزلِ، فقال له: لو تأنَّيت أو وقفت حتَّى يُؤذَنَ لك، أو يُبعثَ إليك، فقال: إنما اتُّخذتِ البيوتُ ليُدخَلَ إليها، ووُضِعتِ الموائدُ ليؤكَلَ ما عليها، وما وجّهت بهديّة فأتوقع الدعوة، والحِشْمَةُ قطيعةٌ، واطِّراحُها صلَةٌ، وقد جاء في الأثر: «صِلْ مَنْ قطعك، وأَعْطِ مَنْ حرمك»، ثم أنشد: [من الخفيف]

كلَّ يوم أدورُ في عَرْصَةِ الدَّا ... ر أشُمُّ القُتَار شمَّ الذُّبابِ[1]
فإذا ما رأيتُ آثارَ عُرْسٍ ... أو دُخَانا أو دَعْوةَ الأصحابِ
لم أعرِّج دونَ التقَحُّم لا أر ... هَبُ شتمًا ولَكْزة البوَّابِ
مُستهِينًا بمن دخَلت عليهِ ... غيرَ مُستأذِن ولا هيَّابِ
فتراني أَلُفُّ بالرغم منهُ ... كلَّ مَا قدَّموه لَفَّ العُقابِ

ووصف طفيليّ نفسه فقال: [من الخفيف]

نحنُ قومٌ إذا دُعِينا أَجَبْنَا ... ومتى نُنْسَ يَدْعُنَا التطفِيلُ
قولنا: علَّنا دُعِينا فَغِبنَا ... أَوْ أتانا فلم يَجِدْنَا الرسولُ

وقال آخر: [من الخفيف]

نحنُ قومٌ نُحِبُّ هَدْيَ رسولِ اللَّـ ... ـهِ هَدْيًا به الصوابَ أَصَبْنَا
فادْعُنا كلَّما بَسطْتَ فإنَّا ... لَو دُعِينا إلى كُرَاعٍ أَجَبْنَا

وقال آخر: [من مجزوء الرّمل]

نحنُ قومٌ إن جفا النَّا ... سِ وَصَلْنَا من جفانا
لا نُبالي صاحبَ الدَّا ... رِ نَسِينا أم دَعانا

وقال آخر وقد أقبل إلى طعام، من غير أن يُدْعى إليه فقال له صاحب الصنيع: مَنْ دعاك؟ فأنشد: [من السّريع]

دعوتُ نفسي حين لم تَدْعُني ... فالحمدُ لي لا لكَ في الدَّعوةِ
وكان ذَا أحسنَ من مَوْعِدٍ ... إخلافُه يدعو إلى جفوةِ

---

(١) القتار: ريح الشواء إذا ضهب على الجمر، والقتار: ريح البخور. «لسان العرب ٥/ ٧١».

وقد مدح أبو رَوْح ظفر بن عبد الله الْهَرَوِيّ طُفَيليًا ولم يسبق إليه، فقال: [من السّريع]

إنَّ الطفَيليّ له حُرمَةٌ … زادت على حُرمةِ نَدْمَاني
لأنه جاء ولم أَدْعُهُ … مبتدِئًا منه بإحسانِ

ودخل طفيليّ إلى قوم فقالوا له: ما دعوناك! فما الذي جاء بك؟ فقال: إذا لم تدعوني ولم آتِ، وقعت وحشةٌ، فضحكوا منه وقرّبوه.

وقيل: مرَّ طفيليّ على قوم يتَغَدّون، فقال: سلام عليكم معشرَ اللئام، فقالوا: لا واللهِ!، بل كرام، فثنى ركبتَه ونزل، وقال: اللهمّ اجعلهم من الصادقين، واجعلني من الكاذبين.

قال هشام أخو ذي الرمّة لرجل أراد سفرًا: إن لكل رُفقةٍ كلبًا يشركُهُم في فضلة الزاد، فإن استطعتَ أن لا تكون كلبَ الرِّفاق فافعل.

ونظر طفيليّ إلى قوم من الزنادقة يُسار بهم إلى القتل، فظنهم يُدْعون إلى صنيع، فتلطّف حتَّى دخل في لفيفهم وصار كواحدٍ منهم، فلما بلغوا صاحب الشُّرطة، أمر بضرب أعناقهم، فقدّموا واحدًا بعد واحدٍ حتّى انتهوا إلى الطفيليّ فلما قُدِّم للقتل التفت إلى صاحب الشُّرطة، فقال له: إنّي واللهِ ما أنا منهم، ولا أعلم بما يدينون، وإنما أنا طفيليّ ظننتُهم يُذْهَبُ بهم إلى صنيع، فتلطّفتُ حتَّى دخلت في جملتهم، فقال ليس هذا مما ينجيك، اضربوا عنقه، فقال: أصلحك الله، إن كنتَ عزمتَ على قتلي، فأمرِ السيافَ أن يضربَ بطني بالسيف، فإنه هو الذي أوقعني في هذه الورطة، فضَحِك، وكشف عنه، فأُخبِر أنه طفيليّ معروف، فخلّى سبيله.

وحُكِي أن المأمون أمر أن يُحمل إليه عشرةٌ من الزنادقة سُمُّوا له من أهل البصرة، فَجُمِعوا، فأبصرهم طفيليّ، فقال: ما اجتمعوا إلا لصنيع، فدخل في وسطهم ومضى بهم الموكّلون، حتّى انتهوا إلى زورق قد أُعِدَّ لهم، قال الطفيليّ: هي نُزْهةٌ، فدخل معهم الزَّوْرقُ، فلم يكن بأسرع من أن قُيِّدُوا، وقُيِّدَ معهم الطفيليّ، ثم سِير بهم إلى بغداد، فأُدْخِلوا على المأمون، فجعل يدعوهم بأسمائهم رجلًا رجلًا، ويأمر بضرب أعناقهم، حتّى وصل إلى الطفيليّ، وقد استوفى العِدَّة، فقال للموكلين: ما هذا؟ قالوا: واللهِ ما ندري، غيرَ أنّا وجدناه مع القوم، فجئنا به، فقال له المأمون: ما قصَّتُك؟ ويلك! فقال يا أمير المؤمنين: امرأتي طالقٌ إن كنت

أعرف من أقاويلهم شيئًا ولا مما يدينون به وإنما أنا رجل طفيليّ، رأيتُهم مجتَمِعين، فظننتُ صنيعًا يُدْعَون إليه، فضحك المأمون وقال: يُؤَدَّبُ، وكان إبراهيم بن المهديّ قائمًا على رأس المأمون فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي أدبه، وأحدثُك بحديث عجيب عن نفسي، قال: قل يا إبراهيم، قال: يا أمير المؤمنين، خرجتُ من عندِك يومًا، فطُفتُ في سِكَك بغدادَ متطرِّفًا، حتّى انتهيت إلى موضع كذا، فشممت منه قُتَارِ أبازير[١] قُدور قد فاح، فتاقت نفسي إليها، وإلى طِيب ريحها، فوقفت إلى خياط، فقلت له: لمَنْ هذه الدار؟ فقال: لرجل من التجّار، قلت: ما اسمه؟ قال: فلان بن فلان، فرميت بطرفي إلى الدار، فإذا شُبَّاك فيها مطلٌّ، وإذا كَفٌّ قد خرج من الشُّبَّاك ومِعْصَم، فشغلني حسنُ الكفِّ والمعصمِ عن رائحة القُدُور، فَبُهِتُّ ساعة، ثم أدركني ذهني، فقلت للخياط: أهو مِمَّن يشربُ النبيذَ؟ قال: نعم، وأحسب أن عنده اليومَ دعوةٌ، وهو لا ينادم إلا تُجَّارًا مثلَه مستورين، فإني لكذلك، إذ أقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدَّرْب، فقال لي الخياط: هؤلاء ندماه، فقلت: ما اسماهما وما كُنَاهما؟ فقال: فلان وفلان، فحرّكتُ دابتي وداخلتهما، وقلت: جُعِلْتُ فِدَاكما، قد استَبْطَأكما أبو فلان، وسايرتهما حتَّى بلغنا الباب فأجلَّاني وقدّماني، فدخلت ودخلا، فلما رآني صاحب المنزل معهما، لم يشكّ أني منهما، فَرَحَّبَ بي وأجلسني في أفضل المواضع، فجِيءَ يا أمير المؤمنين بمائدة عليها خبزٌ نظيفٌ. وأُتينا بتلك الألوان، فكان طعمُها أَطْيَبَ من رِيحها، فقلت في نفسي: هذه الألوانُ قد أكلتُها، بَقِيت الكَفُّ، كيف إلى صاحبتها؟ ثم رُفِع الطعام، وجِيءَ بالوَضُوء، ثم صرْنا إلى مجلسِ المنادمة، فإذا أشكل منزل، وجعل صاحبُ المنزلِ يلطفُ بي، ويميل عليّ بالحديث، حتّى إذا شربنا أقداحًا، خرجت علينا جارية، كأنها بدرٌ، تتثنى يا أميرَ المؤمنين كالخيزران، فأقبلتْ، وسلّمتْ غير خَجلةٍ وثُنيت لها وِسَادة، فجلست عليها، وأُتيَ بالعود فَوُضِع في حِجْرِها، فجسته فاستَبَنْتُ حِذْقها في جَسِّها، ثم اندفعت تُغَنّي: [من الطويل]

تـوهَّـمَـهَـا طَـرْفِـي فـأصبحَ خَـدُّهـا وفيه مكان الوَهْمِ من نظري أثْرُ
تُـصَـافـحُـهـا كَـفِّـي فَـتُـؤْلِـمُ كَـفَّـهَـا فمِنْ مَسِّ كَفِّي في أناملها عَقْرُ

(١) أبا زير: البزر: التابل، وأبازير جمع الجمع، وبزر القدر: رمى فيها البزر، والقتار: الرائحة. «لسان العرب ٤/ ٥٦ و٥٧».

فهيّجتْ يا أمير المؤمنين بلابلي، وطرِبتُ لحسن شعرها، ثم اندفعت تغنّي: [من الطويل]

أشرتُ إليها هل عرفتِ مودّتي؟ فردّتْ بطرفِ العينِ إني على العهدِ
فحَدْتُ عن الإظهارِ عَمْدًا لسرِّها وحادتِ عن الإظهار أيضًا على عَمْدِ

فصحت يا أمير المؤمنين، وجاءني من الطرب ما لم أملكْ نفسي معه، ثم اندفعتْ فغنَّت الصوت الثالث: [من الطويل]

أليس عجيبًا أن بيتًا يَضُمُّني وإيّاك لا نخلُو ولا نتكَلَّمُ!
سوى أعينٍ تشكو الهوى بجفونِها وتقطيعِ أكبادٍ على النار تُضْرَمُ
إشارةُ أفواهٍ وغَمْزُ حواجبٍ وتكسيرُ أجفانٍ وكَفٌّ تُسَلِّمُ

فحسدتُها واللهِ يا أميرَ المؤمنين على حِذْقِها ومعرفتها بالغِناء، وإصابتها لمعنى الشعر، فقلت: بقي عليك يا جارية، فضربتْ بالعود على الأرض، وقالت: متى كنتم تُحضرون مجالِسَكم البُغَضَاءَ؟ فندمتُ على ما كان منّي، ورأيت القوم قد تغيّروا لي، فقلت: أما عندكم عود غيرُ هذا؟ قالوا: بلى، فأُتيت بعود، فأَصلحَتْ من شأنه ثم غنّيت: [من الكامل]

ما للمنازلِ لا يُجِبْنَ حَزِينا أَصممْنَ أم قَدُم البِلَى فَبلِينا؟
راحوا العَشِيَّةَ رَوْحةً مذكورةً إنْ مُتْنَ أو حَيِينَ حَيِينَا

فما اسْتَتْمَمْتُه يا أميرَ المؤمنين، حتَّى قامت الجاريةُ، فأكبّت على رجليّ تقبّلهما، وقالت: مَعْذِرة يا سيدي، فوالله ما سمعت أحدًا يُغَنِّي هذا الصوت غِنَاءك، وقام مولاها وأهلُ المجلس، ففعلوا كفعلها، وطرب القوم واستحثّوا الشربَ فشربوا، ثم اندفعتُ أُغَنّي: [من الطويل]

أَفِي الحقِّ أن تَمْشِي ولا تَذْكُرنّني وقد هَمَعت عيناي من ذكرها الدَّما
إن الله أشكو بُخلَها وسماحتي لها عسلٌ مني وتبذلُ عَلْقَما
فَرُدِّي مُصَابَ القلبِ أنتِ قتلتِهِ ولا تَتْرُكيه ذَاهلَ العقلِ مُغْرَما

فطَرِب القومُ حتَّى خرجوا من عقولهم، فأمسكْت عنهم ساعة حتَّى تراجعوا، ثم غنيتُ الثالث: [من البسيط]

هذا مُحِبُّكِ مطويًا على كَمَدِهْ عبرى مدامُعه تَجْري على جسده
له يَدٌ تَسأَلُ الرحمٰنَ راحتَه مما به ويَدٌ أخرى على كِبَدِهِ

فجعلت الجارية تصيحُ: هذا الغِناءُ واللهِ يا سيدي، لا ما كنّا فيه منذ اليوم، وسَكِرَ القومُ، وكان صاحبُ المنزلِ حسنَ الشربِ، صحيحَ العقلِ، فأمر غلمانه أن يُخرِجوهم ويحفظوهم إلى منازلهم، وخلوتُ معه، فلما شرِبْنا أقداحًا، قال: يا سيدي، ذهب ما مضى من أيامي ضَيَاعًا، إذ كنتُ لا أعرفُك، فمن أنت؟ ولم يزل يلِحُّ عليَّ، حتّى أخبرتُه الخَبَر، فقام وقبَّلَ رأسي، وقال: وأنا أعجبُ أن يكون هذا الأدب إلا لملك! وإني لجالس مع الخلافة ولا أشعر، ثمّ سألني عن قصتي، فأخبرته حتَّى بلغتُ إلى صاحبة الكف والمعصم، فقال للجارية: قومي فقولي لفلانة تنزل، فلم تزل تنزل جواريه واحدةً واحدةً، فأنظر إلى كَفِّها ومِعصَمِها، وأقول: ليس هي هذه! حتَّى قال: واللهِ ما بقي غير أختي وأُمِّي، واللهِ لأنزلهما إليك، فعجبتُ من كرمه وسعة صدره، فقلت: جُعِلتُ فداك، ابدأ بالأخت قبل الأمّ فعسى أن تكون هي، فبرزتْ، فلما رأيتُ كَفَّهَا ومعْصَمَها، قلت: هي هذه فأمر! غلمانه، فساروا إلى عشرة مشايخ من جِلَّة جيرانه، فأقبلوا بهم، وأمر بِبَدْرَتين[1] فيهما عشرون ألف درهم، ثمّ قال للمشايخ: هذه أختي فلانة، أشهدكم أني قد زوّجتُها من سيدي إبراهيم بن المهديّ، وأمهرتها عنه عشرين ألف درهم، فرضِيت وقَبِلت النكاح، فدفع إليها بَدْرة، وفرّق الأخرى على المشايخ وصرفهم، ثم قال: يا سيدي، أمهِّد بعض البيوت فتنامُ فيه مع أهلك، فأحشمني ما رأيتُ من كرمه، فقلت: أحضرْ عَمَارِية واحملْها إلى منزلي، ففعل، فوالله يا أمير المؤمنين، لقد أتبعها من الجَهَاز ما ضاقت عنه بيوتنا، فأولدتها هذا القائمَ على رأس أمير المؤمنين، يشير إلى ولده، فعجب المأمون من كرم الرجل وألحقه في خاصة أهله، وأطلق الطفيليّ وأجازه.

ومن إنشاء المولى الفاضل تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليمانيّ[2] وهو الذي حاز قصباتِ السبق في فن الأَدب على أترابه، وفاز من البلاغة بقِدْحها المُعَلَّى في عُنفُوان شبابه، رسالة وضعها في هذا الفنّ، وصار له بها على أهله غاية المنّ، مع نزاهة نفسه الأبِيّة، وارتفاعه عن المطاعم الدنية، وإنما وضعها تجربة لخاطره، وضمها إلى فوائد دفاتره، وهي:

---

(١) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف. «لسان العرب ٤/ ٤٩».

(٢) هو عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله اليمني المخزومي المكي، تاج الدين، له نظم واشتغال بالأدب والتاريخ، ولد بمكة ورحل إلى الشام ومصر واستقرّ باليمن فولي الوزراة، له بعض المصنفات، مات سنة ٧٤٣ هـ. «الأعلام ٣/ ٢٧٢».

هذا عهدُ عهدِه زارِد بن لاقم، لبالغ بن هاجم، استفتحه بأن قال: الحمدُ لله مسهل أوقاتِ اللذّات وميسّرها، وناظم أسبابِ الخيرات ومُكَثِّرها، وجاعل أسواق الأفراح قائمة على ساق، جابرة لمن ورد إليها بأنواع الإرفاد وأجناس الإرفاق، أحمدُه على أن أحلّنا في منازل السادات، أرفعَ الدرجاتِ، وأحلَّ لنا من الأطعمةِ الفائقة الطَّيِّباتِ، وأشهدُ أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريكَ له، شهادةً تهدينا إلى المقام الرفيع، وتخصُّنا بالمحلِ الجسيم المنيع، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه ربُّ المكارم الجسام، ومعدن الجسارةِ والإقدام، الجامع بين فضيلتي الطعان والإطعام، صلى الله عليه وعلى آله أهلِ السماحة والكرم والإكرام، صلاةً تُحِلُّ قائلَها في غُرُفَاتِ الجِنان في دار السلام، وبعد، فإن صناعةَ التطفيلِ صناعةٌ مهوبةٌ، وحِرْفةٌ هي عند الظرفاء محبوبةٌ، لا يَلْبَسُ شِعارَها إلا كلُّ مقدام، ولا يرفعُ خافقَ علمِها إلا من عُدَّ في حِرْفته من الأعلام، ولا يتلو أساطيرَ شهامتِها إلا من ارتضع أفاويق الصَّفَاقة[1]، ولا يهتدي لمنار عَلَائها إلا من نزع عن مَنْكِبيه رِداء الرَّقاعة والحماقة، وكنتُ والفَوْد غُدَافِيّ[2] الإهاب، والغصن رَيّان من ماء الشباب، والقَدُّ يَمِيس في حُلَّة النشاط، والقدَم تَذْرَعُ الأرض ذَرْعَ الاختباط، لا يُقامُ سوقُ وليمةٍ إلا وأنا الساعي إليها، ولا تُرفعُ أعلامُ نارِ مَأْدَبةٍ إلا وكنتُ الواقفَ لديها، أتخذ الدروبَ شِباكًا للاصطياد، وحبائلَ أبلغُ بها لذيذ الازدراد، قد جعلت المعطسَ حليفَ الهواء، والقلبَ نزيلَ الأهواء، فحيث عَبَقت روائح الأبازير من أعالي تلك القصور، وتمندلت تلك الشوارعُ بزعفران البُرَم[3] والقُدُور، ألقيت عصا المسِير على الباب، وخَلبتُ بحسن أدبي قلْبَ البواب، وأوسعتُ في وصولي ألف حيلة، وجعلتها على ما عندي من حسن فنونها مَخِيلة، فلا دعوة، إلا وكنت عليهم دعوة، ولا وليمةَ خِتَان، إلا وقد طلعت على أرجائها مثل الجان، ولا سِمَاط تأنيب، إلا وكنتُ إليه الساعي المنيب، ولا مَجْمعَ ضيافة، إلا وكنت عليه أشد

---

(١) أفاويق الصفاقة: صفّاق أفاق: أي يضرب في آفاق الأرض مكتسبًا ـ والمعنى المقصود: الصفاق هو الذي يصفق على الأمر العظيم، والأفاق: الذي ينصرف ويضرب إلى الآفاق. «لسان العرب ١٠/٦ و٢٠٤».

(٢) الفود: معظم شعر الرأس لما يلي الأذن، وفودا الرأس: جانباه. «لسان العرب ٣/ ٣٤٠». غدافيّ: شعر غداف: أسود وافر ـ وجناح غداف: أسود طويل، وقيل: كل أسود حالك: غداف ـ واغدودف الليل: أقبل وأرخى سدوله. «لسان العرب ٩/ ٢٦٢».

(٣) البرم: ثمر الطلح واحدته برمة. «لسان العرب ١٢/ ٤٣».

آفة، ولا ملاكَ عُرْس مشهود، إلا وانتظمت في سلك الشهود، يحسنُ فيَّ قولُ القائل: [من المجتث]

لـو طُـبـخَـت قِـدْرٌ بـمَـطْـمُـورة مَـوقـدُهـا الشام وأعلى الثغورِ[1]
وأنـت فـي الـصـيـن لـوافـيـتُـهـا يا عـالـمَ الغيبِ بما في القُدُورِ

واليوم قد مال القَويمُ إلى الاعوجاج، وعزّ بازي الشيبِ غُراب الشَّعر الدّاج، وقيّد الزمَنُ أقدامًا، ومنعت الشيخوخة إقدامًا، وصرتُ لحمًا على وَضَم[2]، بعد أن كنت نارًا على عَلَم، وقد أفادتني التَّجْرِبةُ من هذه الصناعة فنونًا، وتلت عليَّ من محاسنها متونًا، وقد أبقيت لكل مجمَع بابًا، وفَذْلَكْت لكل مَشهد حسابًا، وقد اقتضى حسن الرأي أن أفوّض إليك أمرها، وأُودِع تأمور[3] قلبك وحِسّك سِرَّها، علمي بأنك الكَيِّسُ الفَطِنُ، بل الألْمعِيُّ الذَّربُ المَرِنُ، لو عقدت أكلةُ الولائم بِغَابِ ولجه، وأحسن بتأَنّيه الجميل مَدْخَلَه ومَخْرَجَه، وقد شاهدتُ من أعمالك الصالحة، ما يقال عند ذهابي: ما أشبه الليلة بالبارحة، وقد عَهِدتُ إليك، واستخرتُ الله في التعويل عليك، فمثلك من يُخْطَب للمناصبِ، ويتسنَّم ذِرْوَة المراتبِ، ودونك ما أنطِقُ به من الوصايا، واحفظ ما يسْرُدُه لسانُ القلِم من جميل المزايا، إياك وموائدَ اللئام، وانزلْ بساحاتِ الكرامِ، واتخذِ الشروعَ في الشوارع حِرفة، وأظهِرْ على مشيك صَلَافة وعِفَّة، ومَيِّزْ بعينك حُسْنَ المساطبِ ونَقْشَ الستُور، وجمالَ الخدمِ وقُعودَ الصدورِ، واقْصِدِ الأبوابَ العالية، والأكلةَ المنقوشة الجالية، فإن دُلِلت على مَأْدبة نصَبها بعضُ الأعيانِ، وجمع إليها أصحابَه الإخوان، فالْبَسْ من ثيابك الجميلةِ قشيبَها، وضوِّع بالمنْدل الرطبِ طِيبَها، وأتقنْ خُبْرَ صاحبِ الدار وأخبارِه، وقفْ في صدرِ الشارع من الحارة، فإذا رأيت الجمَع وقد تهادَوْا بالهوادي والأقدام، وتهادَوْا فيما بينهم لذيذَ الكلام، تَقَدَّمْ إليهم بقلبِ قَلَبَ الأمور، وعلم بحسن تطلُّعه وتضلُّعه داءَ الجمهور، وقلْ لهم: ربُّ الدارِ قد استبطأكم، فما الذي أَبطأكم؟ حتَّى إذا قاربوا صُعُودَ العتبة، ولم تبقَ هنا لك مَعْتَبَة، تقدَّمْ رافعًا لهم الستور، ومعرّفًا بمقدار أولئك

---

(١) المطمورة: حفرة تحت الأرض يوسّع أسفلها وتخبّأ فيها الحبوب.

(٢) وضم: كل شيء يوضع عليه اللحم، والجمع أوضام، وتركهم لحمًا على وضم: أوقع بهم فذللهم وأوجعهم، والوضم: ما وضع عليه الطعام فأكل. «اللسان ١٢/ ٦٤٠».

(٣) تأمور: وعاء القلب، وقيل التأمور: النفس وحياتها، وقيل العقل ـ والتامور أيضًا: دم القلب وحبَّته وحياته، وقيل هو القلب نفسه. «لسان العرب ٤/ ٣٣».

الصدور، فالأضيافُ، يعتقدون أنك غلامُ المضيافِ، وربُّ الحِلَّة، يعتقدُ أنك رفيقُ السادةِ الجِلة، وإن وَلِجْتَ مجتمعِ ختان، وقد نُصِبت فيه موائدُ الألوان، وزُرْفِنَتِ الأبواب، واكفهرَّت وجوهُ الحُجَّاب، فاجعلْ تحت ضِبْنِكَ[1] المجمع، واخدعْ قلوبَهم فمثلك من يَخْدَع، وقل: رفيقُ الأستاذِ ومعينُه، ورِجْله التي يسعى بها بل يمينُه، فحينئذٍ تُرْفَع الستُور، وتُقدَّمُ لك أطايبُ القُدور، وإن رماك القَدَرُ على بابٍ غفل عنه صاحبُه، وسها في غَلْقه حاجبُه، وقد مدُّوا في أوانيه سِمَاطًا، وجعلوا لأوائل من يقدمه فِرَاطًا، وقد تقاربت الزبادي، وامتدت الأيادي، ورأيت السِّمَاط رَوْضَةً تخالفت ألوانُها، وامتدّت أفنانُها، والموائدُ فيما بينها أفلاكٌ تدورُ بصحونها، بل بروجٌ ثابتة تُشْعِرُ بسكونها، فَلِجْ على غَفْلة من الرقيبِ، وابسُط بنَانَ الأكل وكُفَّ لسانَ المجيبِ، فإن قيل لك: أما غُلق دونك بابُ؟ فقل: ما على الكرماء من حِجَاب، وإيّاك والإطالةَ على الموائد، فإنها مصايدُ الشوارد، وإياك والقَذَارةَ عليها، فإنها إمارةُ الحِرْمان لديها، وإن وقعتَ على وليمة كثيرةِ الطعام، قليلةِ الازدحام، كَبِّر اللقمة ولا تطلْ عَلْكَها، ومُرِ الفكَّ في سرعة أن يَفُكَّهَا، فإنك ما تدري ما تُحدث الليالي والأيام، خِيفةَ أن يعثُرَ عليك بعض الأقوام، فتكتسي حُلَّة الخَجَل، وتظهرُ على وجهك صُفرةَ الوَجَل، واجعلْ من آدابك، تطلعك إلى أثوابك، ولا ترفعْ لمستجلٍ وجهًا وجيهًا، وقلْ لمن يحادثُك: إيه ولا تقل: إيهًا، وجاوب بنعم، فإنها مُعَينة على اللُّقم، واجعلْ لكلِّ مقام ما يناسبه من الحيلة، ومِلْ على أهل الولائم والمآدب ميلَةً وأَيّ مِيلَة، واسأل عمن ورثَ من آبائه مالًا، وقد جمعه بوَعْثاء[2] السفر وعَنَائه حرامًا وحلالًا، أهل يَعْقد مقامًا؟ أم يبلُغ من دنياه بالقصف مرامًا؟ فإن قيل: فلان الفلانيّ رَبّ هذه المثابة، وصاحب الدعوة المجابة، فكن ثالثةَ الأَثَافي لِبَابِه، وانتظم في سلك عشرائه وأَتْرَابِه، وتفقَّدِ الأسواقَ خصوصًا اللّحامين، ومواطِنَ الطبخ ومساطِبَ المطربين، ومَجمَع القراء وتعاهدَ محالّ الوعّاظ، وكلَّ بقعة هي مَظَنَّة فرح يعود عليك نفعه وكن أوّلَ داخلٍ وآخرَ خارجٍ، وملْ إلى الزوايا، فهي أجمل ما لهذه الحِرْفة من المزايا، ونَقِّلْ رِكابك في كلّ يوم، فتارةً في سوقِ اللحم وتارةً في سوق الثُّوْم، وغَيِّر الحِليَة، .وقَصِّرِ اللحيْة، وابْرُزْ كلَّ يومٍ في لباس، فهو

(١) الضبن: الإبط وما يليه، وقيل ما بين الخاصرة ورأس الورك. «اللسان ١٣/ ٢٥٢».

(٢) وعثاء: وعثاء السفر: مشقته وشدته. «اللسان ٢/ ٢٠٢».

أكثر للالتباس، وَجَدِّ البَهْتَ[1] حتى تتخِذَه عصاك، وتجعلَه ذَريعةً لمن عصاك، وأتقن الفنون المحتاج إليها من غناء ونجامة، وطبٍّ وشهامةٍ، وتاريخٍ وأدب، وكرمِ أصلٍ وحسب، وحالتي التوقيت والتنزيل، فاجعلهما دأبك، فإذا عرفوك، وحضر الجمعُ وكشفوك، فَطَرِّزْ كلَّ مَحْفِل بمحاسن أقوالك، وكلّلْ جِيدَ كلِّ مَأْدُبة بجواهرِ أفعالك، واعلم أنها صنعةٌ دَثَرَتْ معالمُها، وقلَّ عالمُها، ولو لم أرَ على وجهك مخائِلَ بِشْرِها، وعلى أعطاف أردافك روائِحَ نَشْرِها[2]، لما ألقيتُ إليك كتابَ عهدها، ولا حَملتُ لبَابك رايةَ مَجْدِها، فتَلَقَّ رايةَ هذا العهد بساعِدٍ مُسَاعِد، وعَضُد في الوُلُوج على الأسْمِطَة مُعاضِد، فوّضتُ إليك أمرَ مَنْ تحلّى بجواهرها المنظومة، ولَبِسَ حُلَلَها القشيبةَ المرقومة، وبسطتُ لسانَ قلمِك في رَقْم عهودِها، وأذنتُ لك أن تُجْرِيَهم على سَنَن معهودِها، وإياك أن تَعْهَدَ إلا لمن ملك خِصَالها، وجاس خلالها، واستجلى هِلالها، وأتقن أحوالها، ولايةً عامَّة، وكَلِمَةً مُبْرَمَةً تامَّة، حَرَس الله بك مَعْقَل الأدبِ واللطافةِ، ومَحَا بك معالِمَ الثقالةِ والكثافة.

ذكر آداب الأكل والمُؤَاكلة

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ١٧٢] ورُوِيَ أنّ داودَ عليه السلام أمر مناديَه فنادى: أيها الناسُ، اجتمعوا لأعلّمكم التقوى، فاجتمعوا فقام في مِحْرابه، فبكى ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يأيها الناس، لا تُدخلوها هٰهنا إلا طَيِّبًا، ولا تُخرجوا منه إلا طَيِّبًا، وأشار إلى فيه. قيل: أوّلُ آدابِ الأكل، معرفةُ الحلالِ من الحرام، والخبيثُ من الطيّب.

وأما الآدابُ في هيئة المُؤَاكلة وأفعالها، فقد رُوِيَ أنّ رسولَ الله ﷺ ما عاب طعامًا قطُّ، إن اشتهاه أكلَه وإلا تركه، ورُوِيَ أنّ النبيّ ﷺ قال: «لا تَشُمُّوا الطعامَ كما تَشُمُّه البهائمُ، من اشتهى شيئًا فليأكلْ، ومن كَرِه فَلْيَدَعْ». وقال أَنَس: قَدِمَ النبيّ ﷺ المدينة، وأنا ابن عشر، ودخل دارَنا، فَحَلَبْنَا له شاةً، فشرِب، وأبو بكر عن يَسَاره، وأعرابيٌّ عن يَمينه، فقال عُمَرُ بن الخطاب رضي الله عنه: أعطِ أبا بكر، فقال ﷺ:

---

(١) البهت: باهته: استقبله بأمر يقذفه به، وهو منه بريء، والبهتة: الحيرة والبهتان أي الباطل. «اللسان ٢/ ١٢».

(٢) النشر: ما انتشر من روائح الطيب وفاح.

«الأيمنَ فالأيمن» وفي هذا المعنى يقول الشاعر: [من الوافر]

صَـدَدْتِ الـكـأْسَ عَـنَّـا أمَّ عَـمْـرٍو وكـان الـكـأسُ مَـجْـرَاهـا الـيَـمِـيـنـا

ورُوِيَ عن أَنَس: أنه رأى النبيَّ ﷺ شرب جُرْعة، ثم قَطَع، ثمّ سَمَّى، ثم شَرِب جُرْعة، ثم قَطَع، ثم سَمَّى، ثم قَطَع الثالثة، ثمّ جَرَع مَصًّا، حتَّى فَرَغ ثمّ حَمِد الله. وقد ندب إلى غسل اليد قبل الأكل فإنه ينفي الفقرَ، ويُنَقِّي اللَّمَمَ[1] ومن السُّنّة: البَدَاءةُ باسم الله، وحَمْدِه عند الانتهاء.

رُوِيَ عن عمر بن أبي سَلمَةَ[2] أنه قال: مررت بالنبيّ ﷺ وهو يأكل، فقال: «اجلس يَا بُنَيّ وسَمِّ الله، وكُلْ بيمينك مما يليك».

وقال بعض السلف: إذا جَمَعَ الطعامُ أربعًا، فقد كَمُلَ كلُّ شيء، إذا كان حلالًا، وذُكِرَ اسمُ الله عليه، وكَثُرَتْ عليه الأيدي، وحُمِدَ اللهُ حين يُفْرَغُ منه.

ورُوِيَ عن النبيّ ﷺ أنه قال: «من قال عند مَطْعَمِه ومَشْربه بسم الله خَيْرِ الأسماء رَبِّ الأرضِ والسماءِ لم يضره ما أَكَلَ وما شَرِب» وفي حديث عائشة رضي الله عنها، عنه ﷺ قال: «إذا أكل أحدُكم فَلْيَذْكُرِ اسْمَ الله فإن نَسِيَ في أوّله، فَلْيَقلْ بِسْم الله في أوّله وآخره». وقال ﷺ: «إذا أكل أحدُكم فليأكلْ بيمينه، فإنّ الشيطانَ يأكلُ بشماله ويشربُ بشماله».

ورُوِيَ: أنّ المسيحَ عليه السلام كان إذا دعا أصحابَه قام عليهم، ثمّ قال: هكذا فاصنعوا بالفقراء.

ووصف شاعرٌ قومًا فقال: [من الوافر]

جُـلُوسٌ فـي مـجـالـسـهـم رِزَانٌ وإن ضَـيْـفٌ أَلَمَّ بـهـم وُقُـوفُ

قال سَهْلُ بن حُصَين[3]: شهدت الحَسَنَ في وليمة، فَطَعِم ثم قام، فقال: مدَّ الله لكم في العافية، وأوسعَ عليكم في الرزق، واستعملكم بالشكر.

---

(١) اللمم: ما دون الكبائر من الذنوب ـ فاللمم من صغار الذنوب، أو مقاربة الذنب. واللمم أيضًا: الجمع الكثير الشديد. «لسان العرب ٥٤٩/١٢».

(٢) عمر بن أبي سلمة «٢ ـ ٨٣ هـ = ٦٢٣ ـ ٧٠٢ م» والٍ من الصحابة، ولد بالحبشة ورباه النبي ﷺ وولي البحرين زمن علي عليه السلام، وشهد معه وقعة الجمل وتوفي بالمدينة، له اثنا عشر حديثًا. «الأعلام للزركلي ٥١/٥».

(٣) سهل بن حصين: ليس له ذكر في كتب التراجم ولعله أحد الرواة والأدباء في فترة صدر الإسلام ومطالع العصر الأموي.

ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «تخلَّلوا[١] فإنَّه نظافة والنظافة من الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجَنَّة».

وفي حديث عمر رضي الله عنه: عليكم بالْخَشَبَتَيْن: يعني السِّوَاكَ والخِلَالَ.

وكان بعضهم يقول لولده إذا رأى حرصه في الطعام: يا بُنَيَّ، عوِّدْ نفسك الأثرة، ومجاهدةَ الشهوة، ولا تَنْهَسْ نَهْسَ[٢] السِّباع، ولا تَخْضَمْ خَضْمَ البراذين، فإن الله جعلك إنسانًا، فلا تَجْعَلْ نفسَك بهيمةً.

وحُكِيَ عن بعضِ الكتاب قال: تغديتُ مع المأمون فالتفتَ إليّ وقال: خِلال قبيحة عند الجلوس على الطعام: كثرةُ مسح اليد، والانكباب على الطعام، وكثرةُ أكل البقل، ومعنى ذمّه هذه الخِلال الثلاث: أنه إذا أكثر مسح اليد فإنما ذلك من غَمْسها في الطعام، والانكباب يدُلّ على شدّة الحرص وزيادة الشره والنَّهَم. قال الشاعر: [من الطويل]

لقد سَترتْ منك الخِوانَ عِمَامَةٌ دَجُوجِيَّةٌ ظَلْمَاؤها ليس تقلعُ[٣]

وأما البقلُ، فإن الحاجة إلى البُلغة منه، وفي الإكثار منه تشبّهٌ بالبهائم، لأنه مرعاها.

وقيل: الأكلُ ثلاثة: مع الفقراء بالإيثار، ومع الإخوان بالانبساط، ومع أبناء الدنيا بالأدب.

وقيل لبعض الحكماء: أيّ الأوقاتِ أحمدُ للأكل؟ فقال: أما مَنْ قَدَر فإذا اشتهى، وأما من لم يَقْدِر فإذا وجد.

---

(١) تخللوا: الخِلل: بقية الطعام بين الأسنان، واحدته: خِلة، والتخلل هو استعمال الخلال لإخراج ما بين الأسنان من الطعام، ويقال: وجدت في فمي خلة فتخللت. «لسان العرب ١١/ ٢١٩ و٢٢٠».

(٢) النَّهس: أخذ اللحم بمقدّم الأسنان ونتفه.

(٣) العمامة: من لباس الرأس معروفة ـ والجمع عمائم وعِمام، والعرب تقول للرجل إذا سُوِّد: قد عُمِّمْ ـ وشاة معممة: بيضاء الرأس ـ واعتمَّ البيت: اكتهل. «لسان العرب ١٢/ ٤٢٤ و٤٢٥». ودجوجية: نسبة إلى دجوج: اسم بلد في بلاد قيس، وهو رمل مسيرة يومين إلى دون تيماء بيوم. «لسان العرب ٢/ ٢٦٥، ومعجم البلدان ٢/ ٤٤٢».

ذكر الاقتصاد في المطاعم والعفّة عنها

قال الله عزَّ وجلّ: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف: الآية ٣١]. وفي الحديث أن النبيّ ﷺ قال: «من زاره أخوه المسلمُ فقَرّبَ إليه ما تيسرَ غفرَ له وجعِل في طعامه البركةُ، ومن قُرِّب إليه ما تيسر فاستحقرَ ذلك كان في مَقْت من الله حتَّى يخرج». وقالت عائشة رضي الله عنها: أَوْلَمَ النبيّ ﷺ على بعض نسائه مُدَّيْنِ من شعير.

وقيل: كان عيسى ابن مريم صلوات الله عليه يقول: اعملوا ولا تعملوا لبطونكم، وإياكم وفضولَ الدنيا، فإن فضولَها رِجزٌ، هذه طير السماء تغدو وتروح، ليس معها من أرزاقها شيء، لا تحرُث ولا تحصد، والله يرزقُها، فإن قلتم: بطونُنا أعظم من بطونها، فهذه الوَحْشُ تغدو وتروح، وليس معها من أرزاقها شيء والله يرزقُها.

ورُوِيَ أَنَّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: لما دخل شهرُ رمضانَ كان يفطرُ ليلةً عند الحسن، وليلةً عند الحسين، وليلةً عند عبد الله بن جعفر، لا يزيد على لقمتين أو ثلاث، فقيل له، فقال: إنما هي أيّامٌ قلائلُ يأتي أمر الله وأنا خَمِيصٌ فقتل من ليلته.

وفي الحديث عن النبيّ ﷺ أنه قال: «من قلّ طُعْمُه صحّ بدنه وصفا قلبُهُ، ومن كَثُرَ طعمُه سَقِمَ جسمه وقسا قلبُه». وعنه ﷺ قال: «ما زيَّنَ الله رجلًا بزينة أفضلَ من عَفَاف بطنه». قال حاتم: [من الطويل]

أَبِيتُ خَمِيص البطنِ مُضْطَمِر الحشا ... من الجوع أخشى الذَّم أن أتضلّعا[1]
فإنّك إنْ أعطيتَ بطنكَ سُؤْلَه ... وفَرْجَك نالا منتهى الذّم أجمعا

وقال بعضهم: رأيت مجنونًا ببغداد، وهو على باب دارٍ فيها صنيع والناسُ يدخلون، وكنتُ ممن دُعي، فقلت: ألا تدخلُ فتأكل؟ فإن الطعامَ كثيرٌ، قال: وإن

(١) خميص البطن: الخُمصان: الجائع الضامر البطن والأُنثى خمصانة وجمعها خِماص ـ ورجل خميص الحشا: أي ضامر البطن. «لسان العرب ٧/ ٢٩ ـ ٣٠». مضطمر الحشا = الضمر: العسر، والعُسر: الهزال ولحاق البطن ـ وتضمر وجهه: انضمت جلدته من الهزال. «لسان العرب ٤/ ٤٩١». أتضلع: تضلع الرجل: امتلأ ما بين أضلاعه شبعًا وريًا ـ وأضلعن: أثقلن. «لسان العرب ٨/ ٢٢٨».

كثر فإني ممنوعٌ منه، فقلت: كيف والبابُ مفتوحٌ، ولا مانعَ من الدخول؟ فقال: أآكلُ طعامًا لم أُدْعَ إليه؟ لقد اضطرّني إلى ذلك غير الجوع، فقلت: ما هو؟ قال: دناءَةُ النفسِ وسوءُ الغريزة، قال شاعر: [من الطويل]

وإنّي لَعَفٌّ عن مَطَاعِمَ جَمَّةٍ   إذَا زيَّنَ الفَحشاءَ للنفس جُوعُها

وقال آخر: [من الوافر]

وأعرِضُ عن مَطَاعِمَ قد أراها   فأتركُها وفي البطنِ انطواءُ
فلا وأبيك ما في العيش خيرٌ   وفي الدنيا إذا ذهبَ الحياءُ!

قال الجنيد[1]: مرّ بي الحارثُ بن أسد المحاسبيّ[2]، فرأيت فيه أَثَرَ الجوع، فقلت: يا عمّ، تدخلُ الدارَ وتتناولُ شيئًا؟ قال: نعم، فدخل، وقدّمت إليه طعامًا حُمِل إليّ من عُرْس، فأخذ لقمةً فلاكها ونَهَضَ فألقاها في الدِّهليز ومضى، فالتقيت به بعد أيام، فقلت له في ذلك، فقال: كنت جائعًا، وأردت أن أسرّك بأكلي، ولكن بيني وبين الله تعالى علامة، أن لا يُسَوِّغني طعامًا فيه شُبْهة، فمن أين كان ذلك الطعام؟ فأخبرتُه، ثم قلت له: تدخلُ اليوم؟ قال: نعم، فقدّمت إليه كِسَرًا كانت لنا فأكل وقال: إذا قدّمت لفقير شيئًا، فقدّمْ مثل هذا.

رُوِيَ أن عمرو بن العاص قال لأصحابه يوم الحكمين: أكثِرُوا لهم الطعام، فوالله ما بَطِنَ قومٌ إلا فقدوا بعضَ عقولهم، وما مضت عَزْمَةُ رجلٍ بات بطينًا، فلما وجد معاوية ما قال صحيحًا، قال: البِطْنَة تُذْهِب الفِطْنة.

ورُوِيَ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تُميتوا القلوبَ بكثرة الطعام والشرابِ، فإن القلوبَ تموت كالزَّرع إذا كثُرَ عليه الماءُ».

---

(١) الجنيد: البغدادي، أبو القاسم، صوفي، من العلماء بالدين، مولده ومنشأه ووفاته ببغداد، أصل أبيه من نهاوند كان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير، وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد ـ توفي سنة ٢٩٧ هـ ـ ٩١٠ م. «الزركلي ٢/ ١٤١».

(٢) الحارث بن أسد المحاسبي: أبو عبد الله، من أكابر الصوفية، كان عالمًا بالأصول والمعاملات، واعظًا مُبكيًا، له تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم، ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد سنة ٢٤٣ هـ ـ ٨٥٧ م ـ وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره، من كتبه آداب النفوس، شرح المعرفة، البعث والنشور. الخ. «الأعلام للزركلي ٢/ ١٥٣».

ودخل عمر رضي الله عنه على ابنه عاصم وهو يأكل لحمًا فقال: ما هذا؟ قال: قَرمنا[١] إليه، قال: ويحك! قَرِمتَ إلى شيء فأكلتَه، كفى بالمرء شَرَهًا أن يأكل كلَّ ما يشتهي.

قال ابن دريد[٢]: العرب تُعيِّرُ بكثرة الأكل، وأنشد: [من الرّجز]

لستُ بأكَّالٍ كأكلِ العبدِ ولا بِنَوَّام كَنَوْمِ الفَهْدِ

وقال عمر رضي الله عنه: ما اجتمع عند النبيّ ﷺ إدامان إلا أكل أحدَهُما وتصدّق بالآخر.

وقال أبو سليمان الدارانيّ: خيرُ ما أكون إذا لَصِقَ بطني بظهري، أجُوعُ الجَوْعَة فأخرجُ تَزْحَمُنِي المرأةُ فما ألتفتُ إليها، وأشْبعُ الشَّبْعَةَ فأخرجُ فأرى عينيّ تطمحان.

ذكر أخبار الأكَلَة

قد نُسِب ذلك إلى جماعة من الأكابر وذوي الهِمم، فمن ذلك ما حكاه الحمدُونيّ في تذكرته: أن معاوية بن أبي سفيان أُتي بِعِجْل مَشْوِيٍّ، فأكل معه دستًا من الخبز السميد، وأربع فَرَاني[٣]، وجَدْيًا حارًا، وجديًا بارِدًا، سوى الألوان، ووُضِع بين يديه مِائَةُ رطلٍ من الباقِلّاء الرطب، فأتى عليه، وقيل: إنه كان يأكل كل يوم أربع أَكَلَات آخرهنّ أشدّهنّ، ثم يقول: يا غلام، ارفعْ، فوالله ما شبِعت، ولكني مَللتُ.

ومنهم عُبَيد الله بن زياد، كان يأكلُ في اليوم خمسَ أكلات آخرها جنبةٌ[٤] بقل، ويُوضع بين يديه بعد ما يفرغ من الطعام عَنَاق[٥] أو جَدْي فيأتي عليه وحدَه.

ومنهم الحجّاج بن يوسف، قال سالم بن قُتَيبة: كنت في دار الحجاج مع ولده، وأنا غلام، فقالوا جاء الأمير، فدخل الحجاج وأمر بتنُّور، فَنُصِب، وأمر رجلًا يَخْبِزُ

(١) القرم: شدة الشهوة إلى اللحم.

(٢) ابن دريد: (٢٢٣ ـ ٣٢١ هـ = ٨٣٨ ـ ٩٣٣ م)، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، من أئمة اللغة والأدب، ولد في البصرة وتوفي ببغداد، من كتبه الاشتقاق في الأنساب والجمهرة في اللغة. «لسان العرب ٦/ ٨٠».

(٣) الفراني: خبز يُشوى ويُروى سمنًا ولبنًا وسكرًا، واحدتها فرنية، والفارنة: خبَّازة هذا الفرني المذكور. «لسان العرب ١٣/ ٣٢٢».

(٤) جنبة: الجنب في الدابة: شبه الضلع. «لسان العرب ١/ ٢٨٠».

(٥) عَنَاق: الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة. «لسان العرب ١٠/ ٢٧٥».

خبزَ الماءِ ودعا بسمك، فأكل حتَّى أتى على ثمانين جامًا[١] من السمك بثمانين رغيفًا من خبز الماء.

ومنهم سليمان بن عبد الملك[٢]، رُوِيَ أنه شُويَ له أربعةٌ وثمانون خَروفًا، فمدّ يده إلى كلّ واحد منها فأكل شحم أَليته ونصفَ بطنه، مع أربعةٍ وثمانينَ رغيفًا، ثم أَذِن للناس، وقُدّم الطعامُ، فأكل معهم أَكْلَ مَنْ لم يَذُق شيئًا.

وقال الشَّمَرْدَل[٣] وكيل عمرو بن العاص: قَدِم سليمان بن عبد الملك الطائف[٤]، فدخل هو وعمر بن عبد العزيز، فجاء حتى ألقى صدره إلى غصن، ثم قال: يا شَمَرْدَل، ما عندك شيءٌ تُطعِمُني؟ قلت عندي جَذَعٌ[٥] تغدو عليه حافِل[٦] وتروح أخرى، قال: عجِّل به، فأتيته به كأنه عُكَّة[٧] سمن، فجعل يأكل، وهو لا يدعو عمر، حتى بقي منه فخذ، قال: يا أبا حفص، هَلُمّ، قال: إني صائم، فأتى عليه، ثم قال: يا شمردلُ ويلكَ! ما عندك شيء ؟ قلت: دجاجاتٌ ستٌّ، كأنهنّ رِئْلان النعام، فأتيته بهنّ فأتى عليهن، ثم قال: ويلك يا شمردل! ما عندك؟ قلت: سَوِيق كأنه قُراضة[٨] الذهب، فأتيته

---

(١) جامًا: الجام هو إناء من فضة، جمعه جامات. «لسان العرب ١٢/ ١١٢».

(٢) سليمان بن عبد الملك: (٥٤ ـ ٩٩ هـ = ٦٧٤ ـ ٧١٧ م) أبو أيوب، الخليفة الأموي، ولد في دمشق، وولي الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد سنة ٩٦ هـ، وكان بالرملة، في عهده فتحت جرجان وطبرستان وكانتا في أيدي الترك، توفي في دابق بين حلب ومعرة النعمان. كانت عاصمته دمشق ومدة خلافته سنتان وثمانية أشهر إلا أيامًا. «الأعلام للزركلي ٣/ ١٣٠».

(٣) الشمردل: الشمردل بن عبد الله بن رؤبة بن سلمة الليثي، من شعراء الدولة الأموية، جيد المراثي، كان معاصرًا لجرير والفرزدق، وسكن خراسان، توفي نحو ١٠٧ هـ ـ نحو ٧٢٥ م. «الأعلام للزركلي ٣/ ١٧٦».

(٤) الطائف: بلدة على طرف واد، قريبة من مكة، طيبة الهواء غنية بالفاكهة والمياه، وهي على ظهر جبل غزوان، والطائف اليوم من مدن المملكة العربية السعودية جنوب شرقي مكة، وأهم مصيف في البلاد، استضافت قبل سنوات مؤتمر السلام اللبناني الذي انبثق عنه اتفاق الطائف. «معجم البلدان ٤/ ٨، والمنجد في الأعلام ٤٣٣».

(٥) جذع: الجذع من الغنم لسنة ومن الخيل لسنتين، وبشكل عام الجذع هو صغير السن. «لسان العرب ٨/ ٤٣ و٤٤».

(٦) حافل: المحفلة الناقة أو البقرة أو الشاة لا يحلبها صاحبها أيامًا حتى تجمع لبنها في ضرعها. «لسان العرب ١١/ ١٥٧».

(٧) عُكة: العك: الصلب الشديد، والعكة: أصغر من القربة للسمن وهو زقيق صغير وجمعها عكك. «لسان العرب ١٠/ ٤٦٨ و٤٦٩».

(٨) قراضة: قطع الذهب. «لسان العرب ٧/ ٢١٨».

بعسٍّ[١] يغيب فيه الرأس، فشربه، فلما فرغ تجشأ كأنه صارخ في جُبّ، ثم قال: يا غلام! أفرغْتَ من غدائنا؟ قال: نعم، قال: ما هو؟ قال: نَيِّف وثمانون قِدرًا، قال: فأت بقدر قدر، وبقناع عليه رُقَاق، فأكل من كل قِدْر ثلاث لقم، ثم مسح يده واستلقى على فراشه، فوضع الخِوان، وقعد يأكل مع الناس.

ومن المشهورين بالأكل، هلال بن الأسْعر المازنيّ[٢]، قال المعتمر بن سليمان: سألته عن أكله فقال: جعتُ مرة ومعي بعيرٌ لي فنحرتُه وأكلته إلا ما حملتُ منه على ظهري، فلما كان الليل راودْتُ أمةً لي فلم أصلْ إليها، فقالت كيف تصل إليَّ وبيني وبينك جملٌ؟ فقلت له: كم بلّغتك هذه الأكلة؟ فقال: أربعة أيام. وحكى أبو سعيد منصور بن الحسن الأبيّ[٣] في كتابه المترجم بنثر الدّر: أن هلالًا هذا أكل بعيرًا، وأكلت امرأته فصيلًا وجامعها، فلم يتمكن منها، فقالت له: كيف تصل إليَّ وبيني وبينك بعيران؟ وله حكايات ذكرها الحمدونيّ في التذكرة، والأَبيّ في نثر الدر تركناها اختصارًا.

ومنهم محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس[٤]، ذكر الجاحظ: أنه أكل يومًا جنبي بكر شِوَاء بعد طعامٍ كثير.

ومن المشهورين بالنهم، أحمد بن أبي خالد الأحول وزير المأمون، وكان المأمون إذا وجَّهَه في حاجة، أمره أن يتغدّى ويمضي فَرُفع إلى المأمون في المظالم: إن رأى أمير المؤمنين أن يجري على ابن أبي خالد نُزُلًا[٥]، فإنّ فيه

---

(١) عُس: العس: القدح الضخم، والجمع عِساس وعسسة، والعسس: الآنية الكبار. «لسان العرب ٦/ ١٤٠».

(٢) هلال بن الأسعر المازني: شاعر، اشتهر في العصر الأموي، كان فارسًا شجاعًا، عظيم الخلق، شديد البأس والبطش، أكولًا، عمر طويلًا، أقام في اليمن مدة ومات في العراق نحو ١٣٠ هـ ـ نحو ٧٤٧ م. «الأعلام للزركلي ٨/ ٩٠».

(٣) منصور بن الحسين الأبي: أبو سعد الأبي، وزير من العلماء بالأدب والتاريخ، إمامي، من أهل الري، نسبته إلى «آيَه» من قرى ساوه، ولي أعمالًا جليلة وصحب الصاحب بن عباد واستوزره مجد الدولة البويهي، له مصنفات منها: نثر الدرر، نزهة الأديب، تاريخ الريّ، توفي سنة ٤٢١ هـ ـ ١٠٣٠ م. «الأعلام للزركلي ٧/ ٢٩٨».

(٤) محمد بن علي بن عبد الله بن عباس: (٦٢ ـ ١٢٥ هـ = ٦٨١ ـ ٧٤٣ م) الهاشمي القرشي، أول من قام بالدعوة العباسية، وهو والد السفاح والمنصور، ولد في قرية الحميمة وبدأ دعوته سنة ١٠٠ هـ ـ مات بالشراة. «الأعلام للزركلي ٦/ ٢٧١».

(٥) نزلًا: رزقًا، وأنزال القوم: أرزاقهم. «لسان العرب ١١/ ٦٥٨».

كلبية، إلا أن الكلب يحرس المنزل بكِسْرة، وابن أبي خالد يقتل المظلوم، ويُعين الظالم بأَكْلة، فأجرى عليه المأمون في كلّ يوم ألفَ درهم لمائدته، وكان مع ذلك يشرَه إلى طعام الناس. ولما انصرف دينار بن عبد الله من الجبل، قال المأمون لأحد بن أبي خالد: امضِ إلى هذا الرجل وحاسِبْهُ وتقدّمْ إليه يَحْمِلُ ما يحصل لنا عليه، وأنفَذَ معه خادمًا يُنْهي إليه ما يكون منه، وقال: إن أكل أحمدُ عند دينار عاد إلينا بما نكره، ولما اتصلَ خبرُ أحمد بدينار، قال للطباخ: إن أحمدَ أشرهُ من نُفِخ فيه الروح، فإذا رأيته فقلْ له: ما الذي تأمرُ أن يَتّخذ لك؟ ففعل الطباخ، فقال أحمد: فراريح كسكرية[1] بماء الرمان تُقدّمُ مع خبز الماء بالسميد، ثم هاتِ بعدها ما شئت، فابتدأ الطباخ بما أمر، وأخذ أحمد يُكَلِّم دينارًا، فقال له: يقول لك أمير المؤمنين، إن لنا قبلك مالاً قد حبسته علينا، فقال: الذي لكم ثمانيةُ آلاف ألف، قال فاحملها، قال: نعم، وجاء الطباخ فاستأذن في نصب المائدة، فقال أحمد: عَجِّلْ بها فإني أَجوَعُ من كلب، فَقُدِّمت وعليها ما اقترح، وقدّم الدجاجَ وعشرين فروجًا كسكرية فأكل أكلَ جائع نهِم، ما ترك شيئًا مما قدّم، فلما فرغ وقدّر الطباخُ أنه قد شبع، لوّح بطيفورية[2] فيها خمس سمكات شبابيط[3] كأنها سبائك الفضة، فأنكر أحمد عليه إلّا قدّمها؟ وقال: هاتها، وأعاد أحمدُ الخطابَ، فقال دينار: أليس قد عرَّفتك أن الباقي لكم عندي سبعةُ آلاف ألف؟ قال أحسبك اعترفتَ بأكثر منها، فقال: ما اعترفت إلا بها، فقال: هاتِ خطك بما اعترفت به، فكتب بستة آلاف ألف فقال أحمد: سبحان الله! أليس قد اعترفت بأكثر من هذا؟ قال: ما لكم قِبلي إلا هذا المقدار، فأخذ خطه بها وتقدّم الخادمُ، فأخبر المأمون بما جرى، فلما ورد أحمد ناوَله الخط، فقال: قد عرفنا ما كان من الألف ألف بتناول الغداء، فما بال الألف ألف الأخرى، فكان المأمون بعد ذلك يقول: ما أعلم غداء قام على أحد بألفي ألف إلا غداء دينار، واقتصر على الخط ولم يتعقّبه كَرَمًا ونُبْلًا.

---

(١) كسكرية: كسكر: كورة واسعة ينسب إليها الفراريج الكسكرية، قصبتها واسط بين الكوفة والبصرة. «لسان العرب ٤/ ٤٦١».

(٢) طيفوريه: طيفور: اسم لطير صغير، واسم موضع أيضًا.

(٣) شبابيط: الشَّبُوط والشُّبوط: ضرب من السمك دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس، لين المسّ كأنه البربط. «لسان العرب ٧/ ٣٢٧».

ومنهم أبو العالية، حُكِي أن امرأة حملت فحلفت إن ولدت غلامًا لأُشبِعَنّ أبا العالية خَبِيصًا، فولدت غلامًا، فأطعمته، فأكل سبع جِفان، فقيل له: إنها حلفت أن تشبعك خَبِيصًا، فقال: والله لو علمت لما شبِعت إلى الليل.

ومنهم أبو الحسن بن أبي بكر بن العلّاف(١) الشاعر دخل يومًا على الوزير المُهَلَّبي ببغداد، فأنفذ الوزيرُ من أخذ حِماره الذي كان يركبه من غلامه، وأُدخل المطبخ وذُبِح وطُبِخ لحمُهُ بماءٍ وملح، وقُدِّم بين يديه، فأكله كلّه وهو يظن أنه لحم بقر، فلما خرج طلب الحمار، قيل له: قد أكلتَه، وعوّضه الوزير عنه ووصله، فهذا كافٍ في أخبار الأَكَلة.

ذكر ما قيل في الجُبْن والفِرار

ومن أقبح ما هُجِي به الرجل أن يكون جَبَانًا فرّارًا، وقد نهانا الله عزَّ وجلّ عن الفرار، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: الآيتان ١٥، ١٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عِمران: الآية ١٥٥]. وقالت عائشة رضي الله عنها: إن لله خَلْقًا، قلوبهم كقلوبِ الطير، كلما خَفقَتِ الريحُ خفقت معها، فَأُفٌّ للجبناء، أُفٌّ للجبناء.

وقال خالد بن الوليد عند موته: لقيت كذا وكذا زحفًا، وما في جسدي موضعٌ إلا فيه طَعْنةٌ برُمْح أو ضَرْبةٌ بسيف أو رَمْيةٌ بسَهْم، وهأنذا أموت على فراشي حتفَ أنفي، كما يموت العَيْر، فلا نامت أعينُ الجبناء.

وقيل كتب زياد إلى ابن عباس: أنْ صفْ لي الشجاعةَ والجُبْنَ والجودَ والبخلَ فكتب إليه: كتبتَ تسألني عن طبائع ركِّبت في الإنسان تركيب الجوارحِ، اعلم أن

---

(١) ابن العلّاف: هو الحسن بن علي بن أحمد النهرواني، أبو بكر، بن العلّاف، شاعر عاش في بغداد، ونادم بعض الخلفاء، وكفّ بصره، وهو صاحب القصيدة في رثاء الهرّ:

يا هـرُّ فـارقـتـنـا ولـم تـعـد

قيل: إنّه أراد رثاء عبد الله بن المعتزّ لمّا قتل فخشي من الخليفة المقتدر فجعلها في الهرّ.. «الأعلام ٢/ ٢٠١».

الشجاع يقاتل عمن لا يعرفه، والجبانَ يَفِرُّ عن عِرْسه، وأن الجواد يُعطي من لا يلزمه، وأن البخيل يُمْسِك عن نفسه؛ وقال شاعر: [من الطويل]

يَفرُّ جبانُ القومِ عن عِرس نفْسِهِ ويَحْمِي شُجاعُ القومِ من لا يناسِبُهْ

وقالوا: الجبن غريزةٌ كالشجاعةِ يضعها الله فيمن شاء من خلقه.

قال المتنبي: [من الوافر]

يرى الجبناءُ أن الجبنَ حزمٌ وتلك خديعةُ الطبْعِ اللئيمِ

وقالوا: حدّ الجبن الضنُّ بالحياةِ، والحرصُ على النجاة.

وقالت الحكماء في الفراسة: من كانت قَزَعَتُه في رأسه، فذاك الذي يَفِرُّ من أُمِّه وأبيه، وصاحبته وأَخيه، وفصيلته التي تُؤْوِيه.

ويقال: أسرع الناس إلى الفتنة أقلّهم حياءً من الفِرار. وقال هانيء الشيبانيّ[1] لقومه يومَ ذِي قار يحرّضهم على القتال: يا بني بكر! هالك مَعذُور، خيرٌ من نَاجٍ فَرُور، المنِيَّة، ولا الدَّنيَّة، استقبالُ الموت خيرٌ من استدباره، الثغرُ في ثغورِ النحور، خير منه في الأعجاز والظهور، يا بَني بكر! قاتلوا، فما من المنايا بُدٌّ، الجبان مُبَغَّض حتَّى لأُمِهِ، والشجاع مُحَبَّبٌ حتَّى لعدوّه.

ويقال: الجُبْنُ خيرُ أخلاقِ النساء، وشرُّ أخلاقِ الرجال.

وقال يعْلَى بن مُنَبِّه[2] لقومه حين فروا من عليّ يوم صِفِّين: إلى أين؟ قالوا: ذهب الناس، قال: أُفٌّ لكم! فِرارًا واعتذارًا! قال: ولما قوتل أبو الطيّب المتنبي ورأى الغلبة عليه فرّ، فقال له غلامه: أترضى أن يُحدَّث بهذا الفِرار عنك؟ وأنت القائل: [من البسيط]

الخيلُ والليلُ والبَيْدَاءُ تعرفُني والطَّعْنُ والضَّربُ والقِرْطَاسُ والقَلَمُ

فكرّ راجعًا، وقاتل حتى قُتِلَ، واستقبح أن يُعَيَّرَ بالفِرار.

---

(١) هانيء الشيباني: ابن قبيصة بن مسعود، أحد الشجعان الفصحاء في أواخر العصر الجاهلي، كان سيد بني شيبان، قيل: أدرك هانيء الإسلام ومات بالكوفة. «الزركلي ٨/ ٦٨». سبق ذكره ص: ٢٤١.

(٢) يُعلى بن منيَّة: اسمه عبيد ويقال زيد، التميمي الحنظلي، أول من أرخ الكتب، وهو صحابي من الولاة، من سكان مكة كان حليفًا لقريش وأسلم بعد الفتح، وشهد الطائف وحنينًا وتبوك مع النبي ﷺ. «الزركلي ٨/ ٢٠٤». توفي سنة ٥٣٧ ـ ٦٥٧ م.

وقال المنصور لبعض الخوارج عليه وقد ظفر به: أخبرني عن أصحابي، أيهم كان أشدّ إقدامًا في المبارزة، قال: لا أعرفُ وجوههم مقبلين وإنما أعرف أقفيتَهم مُدْبِرين، فقل لهم: يُدْبِروا لأعرِّفك أيّهم كان أشدُّ فِرارًا.

وقال ابن الرُّوميّ في سليمان بن عبد الله بن طاهر: [من المنسرح]

قِـرْنُ سـلـيـمـانَ قـد أَضَـرَّ بـه شـوقٌ إلـى وجـهـه سَـيُـدْنِـفُـهُ[1]
لا يـعـرف الـقِـرنُ وجْـهَـه ويـرى قـفـاه مـن فَـرْسـخٍ فـيـعـرِفُـهُ

وقال حسّان بن ثابت يُعَيِّر الحارث بن هشام[2] بفراره يوم بدر: [من الكامل]

إنْ كـنـتِ كـاذبـة الـذي حـدثـتـني فنجوتِ مَنْجَى الحارث بنِ هِشَام
تـرك الأحـبَّـةَ لـم يُـقـاتِـل دونـهـم ونـجـا بـرأس طِـمِـرَّةٍ ولِجَـام[3]
مـلأت بـه الـفَـرْجَـيْـن فـارمـدّت بـه وثَـوَى أَحـبّـتـه بِـشَـرِّ مُـقَـامِ

وقال أبو الفرج الأصفهانيّ: وكان أبو حيَّة النميري[4] وهو الهَيْثَم بن الربيع بن زُرَارة جبانًا بخيلًا كذّابًا، قال ابن قُتَيبة: وكان له سيف يسمّيه: لُعَاب المنية، ليس بينه وبين الخشبة فرق، قال: وكان أجبن الناس؛ قال: فحدّثني جار له، قال: دخل ليلةً إلى بيته كلب فظنه لصًّا، فأشرفتُ عليه، وقد انتصى سيفه، وهو واقف في وسط الدار يقول: أيها المُغترُّ بنا، المجترىء علينا، بئس واللهِ ما اخترتَ لنفسك، خيرٌ قليل، وسيفٌ صقيل، لعُابُ المنيةِ الذي سمعت به، مشهورةٌ ضربتُهُ، لا تُخاف نَبْوتُهُ، اخرجْ بالعفوِ عنك قبلَ أن أدخل بالعقوبة عليك، إني واللهِ إن أدعُ قيسًا إليك لا تقم لها، وما قَيس؟ تملأُ واللهِ الفضاء خيلًا ورَجْلًا، سبحان الله! ما أكثرها وأطْيَبَها! فبينا هو كذلك، إذا الكلب قد خرج، فقال: الحمدُ لله الذي مسخك كلبًا، وكفانا حَرْبًا.

---

(١) الدّنف: المرض، والقرن: النظير.

(٢) الحارث بن هشام: بن المغيرة المخزومي القرشي، أبو عبد الرحمٰن، صحابي، كان شريفًا في الجاهلية والإسلام، شهد بدرًا مع المشركين، ثم أسلم يوم فتح مكة، مات بالشام في طاعون عمداس سنة ١٨ هـ ـ ٦٣٩ م. «الزركلي ٢/ ١٥٨».

(٣) الطّمرّ: الفرس الجواد المستعدّ للعدو.

(٤) أبو حية النميري: الهيثم بن الربيع، من بني نمير بن عامر، شاعر مجيد، فصيح راجز، من أهل البصرة ومن مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، مدح خلفاء عصره فيهما، وقيل في وصفه: كان أهوج جبانًا بخيلًا كذابًا. مات في آخر خلافة المنصور سنة ١٨٣ هـ ـ نحو ٨٠٠ م. «الأعلام للزركلي ٨/ ١٠٣، والشعر والشعراء ص ٥٢٥».

ومن أبلغِ ما قيل في الجبن من الشعر القديم، قول الشاعر: [من الطويل]

ولو أنها عُصْفُورة لحسبتها مسوّمةً تدعو عُبيدًا وأَزْنَما(١)

ومثله قول عروة بن الورد: [من الطويل]

وأشجعُ قد أدركتُهم فوجدتُهم يخافون خَطْفَ الطير من كلّ جانبِ

وقال آخر: [من الكامل]

ما زلتَ تَحْسَبُ كلَّ شيءٍ بعدهم خيلًا تَكرُّ عليهِمُ ورِجالَا

وقول أبي تمام: [من البسيط]

مُوَكَّلٌ بيفاعِ الأرض يشرفُهُ من خِفة الخوفِ لا من خِفّة الطَّرَبِ(٢)

وقال ابن الروميّ: [من السّريع]

وفارسٍ أجبنُ من صِفرِدٍ يحول أو يغور من صَفرَهْ(٣)
لو صاح في الليل به صَائِحٌ لكانتِ الأرضُ لَه طَفرَهْ
يرحمه الرحمٰنُ من جُبنه فيرزقُ الجند به النصرَهْ

ومن أخبار الفرَّارين الذين حسّنوا الفِرار على قبْحه

قال صاحب كليلة ودمنة: إن الحازمَ يكرهُ القتالَ ما وجد بُدًّا منه، لأن النفقة فيه من النفس، والنفقة في غيره من المال.

وقالوا: من تَوقَّى سَلم، ومن تهوَّر نَدِم.

وقال عبد الله بن المقفَّع: الشجاعةُ مَتْلَفة، وذلك أن المقتول مُقْبلًا أكثر من المقتول مُدْبرًا، فمن أراد السلامةَ فَلْيُؤْثِر الجُبن على الشجاعة.

وليمَ بعضُ الجبناء على جبنه، فقال: أوّلُ الحربِ شَكْوى، وأوسطُها نَجْوَى، وآخرها بَلْوى.

---

(١) عُبيد وأرنم: قبيلتان.
(٢) البيفاع: هو المشرف من الأرض والجبل، وقيل هو التل المشرف، أو هو ما ارتفع من الأرض. والميفع: المكان المشرف. «لسان العرب ٨/ ٤١٤».
(٣) الصِفِرِّد: طائر يقال له أبو المليح، وهو طائر جبان ـ أعظم من العصفور، وفي المثل: أجبن من صفرد. «اللسان ٣/ ٢٥٦».

وقال آخر: الحرب مقتَلة للعباد، مذهبة للطارف والتِّلاد.

وقيل لجبان: لِمَ لا تقاتل؟ فقال: عند النطاح يُغْلَبُ الكبشُ الأجمّ[1].

وقالوا: الحياة أفضل من الموت، والفِرار في وقته ظَفَر.

وقالوا: الشجاع ملقًّى، والجبان موقًّى. قال البديع الهمذانيّ:

ما ذاق هَمًّا كالشجاع ولا خلا بِمَسَرَّةٍ كالعاجز المُتَواني

وقالوا: الفرارُ في وقته، خيرٌ من الثبات في غير وقته.

وقالوا: السّلم أزكى للمال، وأبقى لأنفُس الرّجال.

وقالوا: الحِمام في الإقدام، والسلامةُ في الإحجام.

وقال المتوكّل لأبي العيناء: إني لأَفرَقُ من لسانك، فقال: يا أمير المؤمنين، الكريمُ ذو فَرَق وإحجام، واللئيم ذو وَقَاحةٍ وإقدام.

وقيل لأعرابيّ: ألا تعرفُ القتالَ؟ فإن الله قد أمرك به، فقال: واللهِ إني لأبغضُ الموت على فراشي في عافية، فكيف أمضي إليه رَكْضًا؛ قال شاعر: [من البسيط]

تمشِي المنايا إلى قوم فأبغضها فكيف أعدو إليها عاريَ الكَفَنِ؟

وقيل ليزيد: إن النبيّ ﷺ قال: «إذا رأيتَ شخصًا بالليل، فكن للإقدام عليه أولى منه عليك» فقال: أخافُ أن يكون قد سمع الحديث قبلي، فأقع معه فيما أكره، وإنما الهرَبُ خير.

وسَمِع سليمانُ بن عبد الملك قارئًا يقرأ: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [الأحزاب: الآية ١٦]، فقال: ذلك القليلَ نريد.

ولما فَرّ أُميّةُ بن عبد الله بن خالد بن أسد يوم مَرْدَاء هَجَر[2] بالبحرين[3] من أبي

---

(١) الأجم: الذي لا قرن له، وهو مثل يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعد له. «فلان يتأجم على فلان: إذا اشتد غضبه عليه وتلهف. وتأجم النهار: إذا اشتد حره». «اللسان ١٢/ ٧».

(٢) مرداء هجر: مرداء هي رمال منبطحة لا نبت فيها، ومنه قيل للغلام أمرد وهو موضع بهجر. فمرداء هجر: رملة دونها لا تنبت شيئًا. «معجم البلدان ٥/ ١٠٣ و١٠٤». وهجر: مدينة وهي قاعدة البحرين، وقيل ناحية البحرين كلها هجر. «معجم البلدان ٥/ ٣٩٣».

(٣) البحرين: اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان، فيها عيون ومياه وبلاد=

فُدَيْك الخارجيّ إلى البصرة، ودخل عليه أهلُها، فلم يدروا كيف يكلّمونه ولا ما يَلقونَه به من القول، أيهنئونه بالسَّلامة أم يعزّونه بالفِرار، حتى دخل عبد الله بنُ الأَهتم، فاستَشْرَف الناسُ له، ثم قالوا: ما عسى أن يقول لمنهزم؟ فسلّم ثم قال: مرحبًا بالصابرِ المخذولِ، الحمدُ لله الذي نظر لنا عليك، ولم ينظرْ لك علينا، فقد تعرضت للشهادة جهدك، ولكن الله علم حاجة أهل الإسلام إليك فأبقاك لهم بخِذْلان من معك لك، فقال أميّة: ما وجدتُ أحدًا أخبرني عن نفسي غيرَك. وقال الحارث بن هشام وأحْسَن في اعتذاره عن الفرار: [من البسيط]

الله يَـعْـلَـمُ مـا تـركْـتُ قـتـالَهـم حتى عَلَوْا مُهري بأشقرَ مُزبدِ
وعـلـمـتُ أنّـي إن أقـاتـلْ واحـدًا أقتَلْ ولا يضرر عدوّي مَشْهَدِي
فصَـدفْتُ عنهـم والأَحِبَّةُ فيـهمُ طمعًا لهم بعِقَاب يوم مُرْصَدِ

وقال زُفَرُ بن الحارث وقد فرّ يوم مَرْجِ رَاهِطٍ[1] عن رفِيقَيه: [من الطويل]

أَيـذْهـبُ يـومٌ واحـدٌ إن أَسَـأْتُـه بـصـالـحِ أيامـي وحسنِ بَلائِيا؟
فـلم تُـرَ مـنّـي زَلّةٌ قَـبـلَ هـذهِ فِرَاري وتَـرْكي صاحبيَّ ورائِيا

وهي أبيات نَذْكُرها إن شاء الله في التاريخ، ونظير ذلك قول عمرو بن معد يكرب من أبيات يخاطب بها أخته رَيْحَانة، وقد فرّ من بني عَبْس: [من الطويل]

أجـاعـلـةٌ أمُّ الـثُّـوَيْـر خـزايـةً عليَّ فِرَاري إذ لقِيتُ بني عَبْسِ
وليس يُعاب المرءُ من جبنِ يومِه إذا عُرفتْ منه الحِمَايةُ بالأَمْسِ

وعكسَ هذا البيت عبدُ الله بنُ مطيع بن الأسود العدويّ[2]، وكان قد فرّ يوم

= واسعة، عاصمتها وأعظم مدنها عاصمتها اليمامة، كان يطلق عليها اسم «أوال»، ويبلغ طولها زهاء ثلاثين ميلًا وعرضها اثني عشر ميلًا، اشتهرت البحرين بمصايد اللؤلؤ، دخلت في الإسلام في السنة السادسة أو الثامنة للهجرة. «معجم البلدان ١/ ٣٤٨، وخريدة القصر ـ قسم العراق ٤/ ٦٨٤».

(١) مرج راهط: بنواحي دمشق، من أشهر المروج في الشعر، فإذا قالوه مفردًا فإياه يعنون. «معجم البلدان ٥/ ١٠١».

(٢) عبد الله بن مطيع العدوي: من رجال قريش، جَلدًا وشجاعة، ولد في حياة النبي ﷺ، وكان على قريش يوم الحرة، فلما انهزم أصحابه توارى في المدينة، ثم سكن مكة، واستعمله ابن الزبير على الكوفة، فأخرجه المختار الثقفي منها، فعاد إلى مكة، فلم يزل فيها إلى أن قتل مع ابن الزبير في حصار الحجاج له سنة ٧٣ هـ ـ ٦٩٢ م. «الزركلي ٤/ ١٣٩».

الحَرَّة[١] من جيش مُسلِم بنِ عُقبةَ، فلما حاصر الحجاج عبدَ الله بنَ الزبير بمكةَ جعل يقاتل أهل الشّام ويرْتَجِز: [من الرجز]

أَنا الذي فَرَرتُ يوم الحَرَّهْ والشيخُ لا يَفِرّ إلا مَرَّهْ
فاليومَ أَجزِي كَرَّةً بِفَرَّهْ لا بأسَ بالكَرَّة بعد الفَرَّهْ

ولم يَزلْ يُقاتِل حتى قُتِل؛ قال الفرّار السّلميّ: [من الكامل]

وفوارسٍ لَبَّسْتُها بفوارسٍ حتى إذا الْتَبَستْ أَمَلْتُ بها يدي
وتَركْتُهم تقصّ الرِّماحِ ظهورهم من بين مَقتولٍ وآخرَ مُسْنَدِ
هل ينفعنّي أن تقولَ نساؤهم وقُتلتُ دون رجالها: لا تَبْعُدِ؟

وقال آخر: [من البسيط]

قامت تُشَجِّعني هِندٌ فقلت لها: إنّ الشجاعة مَقْرُون بها العطبُ
لا والذي منع الأبصارَ رؤيته ما يشْتَهي الموتَ عندي منْ له أَرَبُ
للحرب قومٌ أضلَّ اللهُ سعيَهُمُ إذا دَعتْهُم إلى نِيرانِهَا وَثَبُوا

وقيل لجبان في بعض الوقائع: تَقَدَّم، فقال: [من الطويل]

وقالوا: تقدّمْ قلتُ: لستُ بفاعلٍ أخاف على فَجّارتي أن تحطَّما
فلو كان لي رأْسان أتلفتُ واحدًا ولكنه رأسٌ إذا زال أَعْقما[٢]
وَأُوتِمُ أولادًا وأرملُ نسوةً فكيف على هذا تَرَوْن التقدّما؟

ذكر ما قيل في الحمق والجهل

قالوا: الحُمْق قِلَّةُ الإصَابة، وَوَضْعُ الكلام في غير موضعه، وقيل: هو فقْدان ما يُحمد من العاقِل؛ وقيل لعمرَ بنِ هُبَيْرة: ما حدُّ الحمقِ؟ قال: لا حدّ له كالعقل.

---

(١) الحرة: وهي حرة واقم، إحدى حرّتي المدينة وهي الشرقية، سميت برجل من العماليق اسمه واقم، وفي هذه الحرة كانت وقعة الحرة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية سنة ٦٣ هـ، وأمير الجيش من قبل يزيد مسلم بن عقبة المري. «معجم البلدان ٢/ ٢٤٩».

(٢) أعقم: العقم: القطع ـ الدنيا عقيم: أي لا ترد على صاحبها خيرًا. وقال رسول الله ﷺ: العقل عقلان، فأما عقل صاحب الدنيا فعقيم، وأما عقل صاحب الآخرة فمثمر، فالعقيم هٰهنا الذي لا ينفع ولا يرد خيرًا. «لسان العرب ١٢/ ٤١٣».

ورُوِيَ عن النبيّ ﷺ أنه قال: «الأحمق أبغضُ الخلقِ إلى الله، لأنَّه حرمه أعزَّ الأشياء عليه وهو العقلُ».

وقيل: أوحى الله تعالى إلى موسى، أَتَدْرِي لَمَ رزقتُ الأحمقَ؟ قال: لا يا ربّ، قال: ليعلمَ العاقلُ أنَّ طَلَبَ الرزقِ ليس بالاجتهاد.

وقال الشعبيّ: إذا أراد الله أن يُزيلَ عن عبدٍ نعمةً، كان أوّل ما يُعدمه عقله.

وقالوا: الحمق داءٌ دواؤه الموتُ. وقد بيّن الله تعالى لحبيبه مَن لم يعقل بقوله: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يّس: الآية ٧٠]، قيل: عاقلًا، وبقوله: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [المُلك: الآية ١٠].

وعَنْ أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: أثنى قومٌ على رجل عند النبيّ ﷺ حتى بَالَغُوا، فقال رسول الله ﷺ: «كيف عقلُ الرجل؟» فقالوا: نُخبرُك عن اجتهاده في العِبادَة وأصنافِ الخير وتسألنا عن عقله! فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الأحمقَ يصيبُ بحُمقُه أعظمَ من فُجورِ الفاجرِ، وتَرتفِع العبادُ غدًا في الدرجات على قدر عقولهم».

ومِن كلام لقمانَ لابنه: أنْ تكون أخرسَ عاقلًا خيرٌ من أن تَكونَ نطوقًا جاهلًا، ولكل شيءٍ دليلُ، ودليلُ العقلِ النقلُ، ودليلُ النقلِ الصمتُ، وكَفَى بك جهلًا أن تَنهى الناس عن شيء وتركبه.

وقال عيسى عليه السلام: عَالجتُ الأكمهَ والأبرصَ فأَبرأتُهما، وعالجت الأحمقَ فأَعْياني؛ قال شاعر: [من البسيط]

لِكلّ داءٍ دواءٌ يُستطبُّ به ... إلا الحماقةَ أعيت من يُداويها

وقال آخر: [من الخفيف]

وعلاجُ الأَبْدانِ أيسرُ خطبٍ ... حينَ تعتلُّ من علاجِ العقولِ

وقال آخر: [من السّريع]

الحمقُ داءٌ ما له حيلةٌ ... تُرْجى كبعد النجم مِنْ مسِّهِ

وقيل: إذا قيل لك إن فقيرًا استغنى، وغنيًّا افْتَقَر، وحيًّا مات، أو ميتًا عاش، فصدّق، وإذا بَلَغك أن أحمقَ استفادَ عقلًا فلا تصدّقْ.

وقالوا: الأحمقُ تتمنّى أمُه أنَّها به مُثْكلة، ولتمنى زوجُه أنّها منه أرملة، ويتمنى جارُه منه العزلةَ، ورفيقه منه الوحشةَ، وأخوه منه الفُرْقةَ.

وقال سهل بنُ هارونَ: وجدْتُ مودَّة الجاهلِ، وعداوةَ العاقلِ، أسوةً في الخَطَر، ووجدْت الأُنسَ بالجاهل، والوحشَةَ من العاقل، سِيِّين في العيْبِ، ووجدتُ غِشَّ العاقل أقلَّ ضررًا من نصيحةِ الجاهلِ، ووجدتُ ظنَّ العاقل أوقعَ بالصواب من يَقينِ الجاهل، ووجدتُ العاقلَ أحفظَ لما لم يُستَكتَم من الجاهل لما اسْتُكتِمَ.

وقال لقمان لابنه: لا تُعاشرِ الأحمقَ وإنْ كان ذا جَمال، وانظرْ إلى السيف ما أَحسنَ مَنظَرَه وأقْبحَ أثَرَه!

وقال عليٌّ رضي الله عنه: قَطيعةُ الجاهل تَعدِلُ صِلَة العاقلِ؛ وقال: صديقُ الجاهلِ في تعب.

وقال آخر: لأَنَا لِلْعاقلِ المُدْبِرِ، أَرْجَى منّي الأَحْمقِ المُقْبِلِ، وقال شاعر: [من المتقارب]

عَـدُوُّكَ ذُو الـعـقـلِ خـيـرٌ مـن الـ ... ـصَّـدِيـقِ لـكَ الـوَامـقِ الأَحْـمَـقِ

والبيت المشهور السائر: [من الكامل]

وَلأَن يُـعَـادِيَ عَـاقِـلًا خَـيْـرٌ لـه ... مِنْ أنْ يكُونَ له صدِيقٌ أحمقُ

وقيل: الحمق يَسلبُ السلامة، ويورث الندامةَ؛ وقد ذمّوا مَنْ له أدبٌ بلا عَقْل.

ووصف أعرابيٌّ رجلًا فقال: هو ذو أدبٍ وافر، وعقل نافرٍ؛ قال شاعر: [من الطويل]

فَهَبْكَ أخا الآدابِ، أيّ فَضيلةٍ ... تكونُ لذي علمٍ وليس له عقلُ؟

ومن صفات الأحمقِ وعلاماتِه، قيل: ما أَعْدمكَ من الأحمقِ فلا يعدمُك منه كثرةُ الالتفاتِ وسرعةُ الجوابِ، ومن علاماته الثقةُ بكلِّ أحد.

ويُقال: إنَّ الجاهلَ مُولَعٌ بحلاوةِ العاجل، غير مبالٍ بالعواقِب، ولا مُعْتَبر بالمواعِظ، ليس يُعجبُه إلا ما ضَرَّه، إن أصابَ فَعلَى غيرِ قَصدٍ، وإنْ أخطَأ فهو الذي لا يحسن به غيرُه، لا يَستوحِشُ من الإساءة، ولا يفرحُ بالإحسانِ.

وقالوا: ستُّ خِصال تُعرفُ في الجاهل، الغضبُ مِنْ غيرِ شيءٍ، والكلامُ في غير نفع، والفِطْنة في غير موضع، ولا يَعرفُ صديقَه مِن عدوّه، وإفشاءُ السرِّ، والثِّقةُ بكلِّ أحد.

وقالوا: غَضَبُ الجاهلِ في قوله، وغضبُ العاقلِ في فعلِه، والعاقلُ إذا تكلَّم بكلمةٍ أتْبعها مثلًا، والأحمق إذا تكلم بكلمة أتبعها خُلْفًا، الأحمقُ إذا حَدَّث ذَهَل، وإذا تكلم عجل، وإذا حُمِل على القبيحِ فَعَل.

وقال أبو يوسف[١]: إثباتُ الحجةِ على الجاهلِ سهلٌ، ولكن إقراره بها صعبٌ.

وقال وهب بنُ منبه[٢]: كان يقالُ للأحمَق إذا تكلَّم: فضَحَه حمقُهُ، وإذا سكت فضحه عِيُّه، وإذا عمِل أفسَدَ، وإذا تَرَك أضاع، لا علمه يُعِينُه، ولا علْمُ غيرِه يَنْفعُه، تَوَدّ أمُّه أنها ثكلته، وتتمنى امرأتُه أنّها عَدِمته، ويتمنى جارُه منه الوحدةَ، وتأخذُ جليسَه منه الوحشة.

ويُستدلُّ على الأحمق بأشياء، قالوا: من طالتْ قامتُه، وصَغُرت هامتُه، وانسدلت لحيته، كان حَقيقًا على من يراه أنْ يُقرِئه عن عقلِه السلامَ.

ويُقال في التوراة: اللحيةُ مَخرَجُها من الدِّماغ، فمن أفرطَ عليه طولُها قلَّ دِمَاغُه، ومن قلّ دِماغُه قلَّ عقلُه، ومن قلَّ عقلُه فهو أحمقُ.

وقالت أعرابيّة لقاضٍ قضى عليها: صَغُر رَأسُك، فَبعُدَ فهمُك، وانسدلت لحيتُك، فتكَوْسج[٣] عقلُك، وما رأيت مَيِّتًا يقضي بين حَيَّيْنِ غيرك.

(١) أبو يوسف: (١١٣ ـ ١٨٢ هـ = ٧٣١ ـ ٧٩٨ م) يعقوب بن إبراهيم الكوفي البغدادي، صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذه، وأول من نشر مذهبه، كان فقيهًا علامة، ولد بالكوفة وتفقه بالحديث والرواية، ولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد، ومات في خلافته ببغداد وهو على القضاء وهو أول من دعي قاضي القضاة، من كتبه الخراج، ومسند أبي حنيفة وأدب القاضي. «الأعلام للزركلي ٨/١٩٣».

(٢) وهب بن منبه: (٣٤ ـ ١١٤ هـ = ٦٥٤ ـ ٧٣٢ م) ـ أبو عبد الله، مؤرخ، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات، يعد من التابعين بأصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، وأنه من حمير، ولد ومات بصنعاء، وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها. «الزركلي ٨/١٢٥».

(٣) تكوسج: الكوسج: الأثط، أو الذي لا شعر على عارضيه، وقال الأصمعي: هو الناقص الأسنان. «لسان العرب ٢/٣٥٢».

وقال مَسْلَمة بنُ عبدِ الملكِ[(١)] لجلسائه: يُعرفُ حمقُ الرجلِ في أربع، طولُ لحيتِهِ، وبشاعةُ كنيتِه، وإفراطُ شَهوتِه، ونقشُ خاتِمه، فدخلَ عليه رجلٌ طويلُ اللحية، فقال: أمَّا هذا فقد أتاكم بواحدةٍ، فانظروا أينَ هوَ من الثّلاثِ؟ فقِيل له: ما كُنيتُك؟ فقال: أبو الياقوت، فقيل له: ما نُقش خاتَمِك؟ فقال: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ [النّمل: الآية ٢٠] قيل: فأيُّ الطعام أحبُّ إلَيكَ؟ قال: الْجَلَنْجَبِين، فقال مَسْلَمة: فيه ما بعدَ كنيتِه، معَ طول لحيتِه، مع نَقْش خاتِمه، شكٌّ لِمُعْتبِر.

قال الشّعبيّ: خطَب الحجاجُ يومَ جمعةٍ فأطال، فقام إليه أعرابيٌّ، فقال له: إن الوقت لا ينتظرك وإنَّ الربَّ لا يَعْذرُكَ، فأمر به فحُبسَ، فأتاه أهلهُ يشفعون فيه وقالوا: إنه مجنونٌ، فقال الحجاجُ: إن أَقرَّ بالجنونِ خَليتُ سبيلَه، فأتوه وسألوه ذلك، فقال: لا واللهِ، لا أقولُ إن الله ابتلاني وقد عافاني، فبَلغ كلامُه الحجاجَ، فعظُم في نفسه وأطلَقه.

وقال الأصمَعِيُّ: قلت لغلام من أبناء العربِ: أيسرُّك أن يكون لك مائةُ ألفٍ وأنت أحمقُ؟ قال: لا واللهِ، قلتُ: ولِمَ؟ قال: أخافُ أن يجْنِيَ عليّ حُمقى جِنَايةً، فَتذهب منّي، ويبقى حُمقي.

والعربُ تَضرِبُ المثَلَ في الحمُقِ بعِجْل بن لُجَيْم، ويزعمون أنَّه قيل له: إنَّ لكل فرسٍ جوادٍ اسمًا، وإنَّ فَرسَك هذا سابقٌ فسمِّه، فَفَقأَ عينَه وَقال: سميتُه الأعورَ، وفيه يقول الشاعر: [من الطويل]

رَمتْنِي بَنُو عجلٍ بِداءِ أبيهِمُ ... وهل أحدٌ في الناس أحمقُ من عجلِ؟
أليس أبوهم عارَ عينَ جوادِهِ؟ ... فسارتْ به الأمثالُ في الناس بالجهلِ![(٢)]

ويضربون المَثَل في الحمق بِهَبَنَّقَة القَيْسيّ، وهو يَزيدُ بنُ ثَرْوَان[(٣)]، ويكنى أبا

(١) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أمير قائد من أبطال عصره، يلقب بالجرادة الصفراء، له فتوحات مشهورة، بنى مسجد مسلمة بالقسطنطينية سنة ٩٦ هـ وولاه أخوه يزيد إمرة العراقين ثم أرمينية، وغزا الترك والسند سنة ١٠٩ هـ، ومات بالشام سنة ١٢٠ هـ ـ ٧٣٨ م. «الزركلي ٧/ ٢٢٤».

(٢) عارَهُ: صيّره أعور، والعور: ذهاب حِس إحدى العينين، وعار عينه يعورها: إذا عورها. «لسان العرب ٤/ ٦١٣».

(٣) يزيد بن ثروان: القيسي، أبو ثروان المعروف بهبنقة، مضرب المثل في الغفلة، يُقال: أحمق من هبنقة، وهو جاهلي، كان يجعل في عنقه قلادة من ودع وخزف وعظم، وسئل عنها فقال: لأعرف بها نفسي. «الأعلام للزركلي ٨/ ١٨٠».

نافع، حُكي أنه شَرد له بعيرٌ، فقال: من جاء به فله بَعيران، فَقيلَ له: أتجعلُ في بعير بَعيريْن؟ فقال: إنكم لا تَعرفون فرحة الوجدان.

وقد رضِي قومٌ بالجهل فقالوا: ضعفُ العقلِ أمانٌ من الغمِّ؛ وقالوا: ما سُرَّ عاقل قَطّ؛ قال أبو الطيِّب المتنبي: [من الكامل]

ذو العقلِ يَشقَى في النعيم بعقلِه   وأخو الجَهَالَةِ في الشقاوةِ ينعَمُ

وقال حكيمٌ: ثمرةُ الدنيا السرورُ، ولا سرورَ لِلعقلاءِ؛ وقال المغيرةُ بنُ شعبةَ[١]: ما العيشُ إلّا في إلقاء الحِشمةِ. وقالَ بكر بن المعتَمر: إذا كان العقلُ سبعةَ أجزاءٍ احتاجَ إلى جزء من جَهلٍ ليقدمَ على الأُمورِ، إنَّ العاقل أَبدا مُتوانٍ مُترقبٌ متوقِّف متخوِّف؛ قال النابغةُ الجعديّ: [من الطويل]

ولا خَيرَ في حِلْم إذا لَمْ تكن لَهُ   بوادرُ تَحمي صفوَه أن يُكدَّرا

وقال آخر: [من البسيط]

مَن راقبَ الناسَ لم يَظفرْ بحاجَتِه   وفَاز بالطيِّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ

أخذه آخر فقال: [من مخلع البسيط]

مَن راقبَ الناسَ ماتَ غَمًّا   وفاز باللذَّةِ الجَسورُ

وقالوا: الجاهلُ يَنالُ أَغراضَه، ويَظفَر بآرابه، ويطيعُ قلبَه، ويَجري في عِنان هواه، وهو بريءٌ من اللومِ، سليمٌ من العيبِ، مغفورُ الزَّلَّات.

وقالوا: الجاهلُ رَخِيُّ الذرع، خالي البالِ، عازبُ الهمّ، حسنُ الظنِّ، لا يَخطُرُ خوفُ الموتِ بفكرِه، ولا يَجري أَلمُ الإشفاقِ على ذكره.

وقالوا: الجهلُ مَطِيَّةُ المِزَاحِ والمسرةِ، ومسرحُ المِزَاحِ والفُكاهةِ، وحليفُ الهوى والتصابي، وصاحبُه في ذِمَامٍ من عهدة اللوم والعَتْب، وأمانٍ من قوارِص الذمّ والسبّ؛ قال بعضُ الشعراء: [مَن الخفيف]

ورأيتُ الهمومَ في صحَّة العقـ   ـلِ فَداويتُـها بإمراضِ عَقْلي

---

(١) المغيرة بن شعبة: (٢٠ ق.هـ - ٥٠ هـ = ٦٠٣ - ٦٧٠ م) أبو عبد الله، أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم، صحابي، يُقال له مغيرة الرأي، ولد في الطائف بالحجاز، فلما ظهر الإسلام تردد في قبوله إلى أن كانت سنة ٥ هـ، فأسلم، وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام، وذهبت عينه باليرموك، وشهد القادسية ونهاوند وهمدان وغيرها، ولاه معاوية بن أبي سفيان الكوفة أواخر حياته وظل فيها إلى أن مات. «الأعلام للزركلي ٧/ ٢٧٧».

وقالوا: لو لم يكنْ من فَضيلةِ الجهلِ، غيرُ الإقدام، وورودِ الحِمام، إذ هما من الشجاعةِ والبسالة، وسبب تحصيل المهابة والجلالةِ، لكفاه؛ قال أبو هلالٍ العسكريّ: سألني بعضُ الأُدباءِ أيّ الشعراء أشَدُّ حمقًا، قلت الذي يقول: [من الطويل]

أتيهُ على إنْسِ البلاد وجنّها ... ولو لم أجدْ خلقًا لَتِهْتُ على نفسي
أتيه فلا أدري من التّيهِ مَنْ أنا ... سوى ما يقول الناسُ فيَّ وفي جنسي
فإنْ صدّقوا أنّي من الإنس مثلُهم ... فما فيّ عيبٌ غيرَ أنّي من الإنْسِ

ذكر ما قيل في الكذب

قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧﴾ [الجاثية: الآية ٧]. وقال: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝١٠٥﴾ [النحل: الآية ١٠٥]. وقال في الكاذبين: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٠].

وقال رسول الله ﷺ: «إياكم والكَذِبَ فإنَّ الكَذِبَ يَهدي إلى الفُجُور، والفجور يهدي إلى النَّار». وقال ﷺ: «الكَذِبُ مُجانِبُ الإيمَانِ». وقال ﷺ: «ثلاثٌ من كُنَّ فيه فهو منافقٌ، وإنْ صلَّى وصامَ وزعَم أنه مسلمٌ، منْ إذا حدَّثَ كَذَبَ، وإذا وعَد أخلَف، وإذا أؤتُمِنَ خان». وقال ﷺ: «لا يجوز الكذبُ في جدّ ولا هَزْل» وقال: «لا يكونُ المؤمنُ كذَّابًا».

وقالت الحكماء: ليس لكاذبٍ مُروءةٌ.

وقالوا: مَن عُرِفَ بالكذِبِ لم يَحسنْ صِدقُه.

وقال عبدُ الله بنُ عمرَ رضي الله عنهما: خُلْفُ الوعد ثُلُثُ النفاق.

وقال بعض الحكماء: الصدقُ مُنجيك وإنْ خِفتَه، والكذبُ مُرديك وإن أَمنتَه. قال عمرُو بنُ العلاءِ القارىء: سادَ عُتبةُ بن ربيعة[1] وكان مملِقًا، وساد أبو جهل وكان حَدَثًا، وساد أبو سفيان وكان بَخّالًا، وساد عامر بن الطّفَيل وكان عاهرًا، وساد كليب بن وائل وكان ظلومًا، وساد عُيَينة وكان مُحَمَّقًا، ولم يَسُد قطُّ كذاب، فصلح السؤْدُدُ مع الفقر والحداثة والبخل والعهر والظلم والحمق، ولم يصلح مع الكَذِب، لأن الكذِبَ يعمّ الأخلاقَ كلَّها بالفساد.

(١) هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد، كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية، قتل في معركة بدر سنة ٢ هـ. «الأعلام ٤/ ٢٠٠».

وقال يحيىٰ بنُ خالد: رأيت شِرِّيبَ خمر نَزَع[١]، ولصًّا أقلَع، وصاحبَ فواحشَ رجع، ولم أرَ كذّابًا رجع.

ويقال: الكذبُ مِفتاح كُلّ كبيرة، والخمر جِمَاعُ كلِّ شَرٍّ.

وقيل: لا تَأمننَّ مَنْ يكذِبُ لك أَنْ يَكذبَ عليك.

وقيل: الكَذِبُ والنفاقُ والحسدُ أثافِيّ الذّلّ.

وقال ابنُ عباس: حقيقٌ على الله أن لا يرفعَ لِلكاذبِ درجةً، ولا يُثَبِّتَ له حجةً. وقال سليمانُ بن سَعدٍ: لو صحِبني رجلٌ وقال: لا تشترِطْ عليَّ إلا شرطًا واحدًا لقلت: لا تكذِبني.

وقال أبو حيان التَّوحِيديّ[٢]: الكذب شِعارٌ خَلَق، ومَوْرِدٌ رَنْق[٣]، وأدبٌ سيِّءٌ، وعادةٌ فاحشةٌ، وقلّ مَن استرسلَ فيه إلا ألِفَه، وقلَّ من ألفه إلا أتلفَه.

وقال غيرُه: الكَذِبِ أوضعُ الرذائلِ خطةً، وأجمعُها للمذمَّة والمحطَّة، وأكبرُها ذُلّا في الدنيا، وأكثرُها خزيًا في الآخرة، وهو من أعظمِ علاماتِ النفاقِ، وأقوى الدلائلِ على دناءة الأخلاق والأعرَاقِ، لا يُؤتَمن حاملُه على حال، ولا يُصدَّق إذا قال.

وقيل: لكل شيءٍ آفةٌ، والكذب آفةُ النطقِ.

وقال بعضُ الكرماء: لو لم أَدَعِ الكَذِبَ تَأثُّمًا، لتركته تكرُّمًا.

وقال أرسطاطاليس: فُضِّلَ الناطقُ على الأخرسِ بالنطق، وزَين النطقَ الصدقُ، فإذا كانَ الناطقُ كاذبًا، فالأخرس خيرٌ منه.

وقال بعض الحكماء لولده: يا بُنَيَّ إياك والكذبَ، فإنه يُزْرِي بقائلِه، وإنْ كان شريفًا في أصله، ويُذِلُّه وإن كان عزيزًا في أهله.

---

(١) نزع: كفّ.

(٢) أبو حيان التوحيدي: علي بن محمد بن العباس، شب في بغداد ثم انتقل إلى شيراز، فالري، صحب ابن العميد والصاحب بن عباد، فلم يحمد ولاءهما، ووشي به إلى الوزير المهلبي فطلبه، فاستتر منه ومات في استتاره وهو كان ولد في شيراز أو نيسابور، فيلسوف متصوف نعته ياقوت بشيخ الصوفية وفيسلوف الأدباء، له كتب كثيرة منها: المقابسات والبصائر والذخائر والإشارات الإلٰهية والإمتاع والمؤانسة، ولد نحو سنة ٣١٠ هـ ـ ٩٢٢ م. وتوفي نحو ٤١٤ هـ. «معجم الأدباء ١٥/ ٥ ـ ١٩».

(٣) رنق: الرنق: تراب في الماء من القذى ونحوه، ماء رنق: كدِرٌ. «لسان العرب ١٠/ ١٢٧».

وقال الأحنفُ بن قيس(١): اثنانِ لا يجتمعان: الكذبُ والمروءَةُ.

وقال بزُرجُمهِر: الكاذبُ والميتُ سواء، لأن فضيلة النطقِ الصدقُ، فإذا لم يُوثق بكلامهِ بطُلَت حياته.

وقال معاويةُ يومًا للأحْنف: أتكذِبُ؟ فقال: واللهِ ما كَذِبتُ مُذ علمتُ أن الكذبَ شَيْنٌ.

وقيل: لا يجوزُ للرجل أن يكذِب لصلاح نفسه، فما عجز الصدقُ عن إصلاحه كان الكذبُ أولى بفساده. قال بعض الشعراء: [من البسيط]

ما أحسنَ الصدقَ والمغبوطُ قائلُه   وأقبحَ الكِذْبَ عند اللهِ والناسِ

وقالوا: احذرُ مصاحبةَ الكذّاب، فإن اضطُرِرتَ إليها فلا تصدّقه ولا تعلمْهُ أنك كذبتَه، فينتقل عن مودّته، ولا ينتقل عن كذِبه.

وقال هُرمس: اجتنب مصاحبةَ الكذاب، فإنك لستَ منه على شيء يُتَحصَّل، وإنما أنت معه على مثل السَّرَاب يلمَعُ ولا ينفَع.

وقيل: الكذَّاب شرٌّ من النَّمّام، فإن الكذّاب يختلقُ عليك، والنَّمامَ ينقلُ عنك. قال شاعر: [من البسيط]

إنّ النَّمُومَ أُغطّي دونه خَبَري   وليس لي حيلةٌ في مفْتَري الكَذِبِ

وقال آخر: [من مجزوء الكامل المرفّل]

لي حيلةٌ فيمن يَنُمْ   وليس في الكذَّاب حِيلَهْ
من كان يخلُق ما يقو   لُ فحيلتي فيه قليلَهْ

ووصف أعرابيّ كذابًا فقال: كَذبهُ مثل عُطاسه، لا يُمكِنه ردّه.

وقال بعض الأعراب: عجِبتُ من الكذّاب المُشِيدِ بكَذِبه، وإنما هو يدلُّ الناسَ على عيبه، ويتعرّضُ للعِقّاب من ربّه، فالآثامُ له عادة، والأخبار عنه متضادّة، إن قال حقًّا لم يُصَدَّقْ، وإن أراد خيرًا لم يُوفّقْ، فهو الجاني على نفسه بفعاله، والدّالُّ على

(١) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حُصين المرّي، أبو بحر، سيّد تميم، وأحد العظماء الدّهاة الفصحاء الشجعان، يضرب به المثل في الحلم، شهد صفّين مع عليّ عليه السلام مات سنة ٧٢ هـ. «ا لأعلام ١/ ٢٧٦».

فضيحتها بمقاله، فما صحّ من صدقه نُسِب إلى غيره، وما صحّ من كذب غيره نُسِب إليه.

ويقال: الكذبُ جِمَاعُ النفاقِ، وعِمَادُ مساوىءِ الأخلاقِ، عارٌ لازمٌ، وذلّ دائمٌ، يخيفُ صاحبه نفسَه وهو آمن، ويكشف سِتْر الحَسَب عن لُؤْمه الكامن، وقال بعض الشعراء: [من البسيط]

لا يكذبُ المرءُ إلا من مَهَانتِهِ أو عادةِ السوء أو من قِلّة الوَرَعِ

وقال الأصمَعِيّ: قيل لرجلٍ معروف بالكذب، هل صدقتَ؟ قال: أخاف أن أقول: «لا» فأصدق. وآفةُ الكذبِ النسيانُ. قال شاعر: [من الطويل]

ومن آفةِ الكذّابِ نسيانُ كِذْبِهِ وتلقاه ذَا دَهْيٍ إذا كان كاذبا

وقال عليّ بن اللّحام شاعر اليتيمة: [من مجزوء الرّمل]

تكذِب الكِذْبةَ يومًا ثم تنساها قريبا
كن ذَكُورًا يا أبا يحـ ـيىٰ إذا كنت كَذُوبا

وقال أبو تمّام: [من البسيط]

يا أكثرَ الناس وعدًا حَشْوُه خلفٌ وأكثر الناسِ قولًا حَشْوُه كَذبُ

وقال أحمدُ بنُ محمّد بن عبد ربّه: [من البسيط]

صحيةٌ أُفْنِيتْ «لَيْتٌ» بها و«عَسَى» عُنوانُها راحةُ الراجي إذا يَئِسَا
وَعْدٌ له هاجِسٌ في القلب قد بَرِمتْ أحشاءُ صدرِي به من طول ما هَجَسا
يراعةٌ غَرَّني منها وَمِيضُ سنًا حتى مددت إليها الكفَّ مُقْتَبِسا
فصادفَتْ حَجَرًا لو كنتَ تضرِبُه من لُؤْمه بِعصًا موسى لمَا انْبَجَسَا

وقال آخر: [من الكامل]

وتقولُ لي قولًا أظنُّك صادقًا فأجِيءُ من طمعٍ إليك وأذهبُ
فإذا اجتمعتُ أنا وأنتَ بمجلسٍ قالوا مُسَيْلِمةَ وهذا أشْعَبُ[(١)]

(١) أشعب: أشعب بن جبير، المعروف بالطامع، ويُقال له ابن أم حميدة، ويكنىٰ أبا العلاء وأبا القاسم، ظريف من أهل المدينة، كان مولى لعبد الله بن الزبير، تأدب وروى الحديث وكان يجيد الغناء، يضرب المثل بطمعه، عاش عمرًا طويلًا، أدرك زمن عثمان وسكن المدينة في=

ذكر ما قيل في الغدر والخيانة

قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: الآية ٢٥].

ورُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أمَّنَ رجلًا ثم قتله وجبت له النار وإن كان المقتولُ كافرًا» وعنه ﷺ أنه قال: «إذا جمع الله الأوّلين والآخرين رُفِع لكل غَادِرٍ لِواءٌ وقيل: هذه غَدْرة فلان».

وقالوا: مَن نقضَ عهده، ومنع رِفْده، فلا خيرَ عنده.

وقالوا: الغالبُ بالغدر مغلوبٌ، والناكثُ للعهد ممقوتٌ مخذولُ.

وقالوا: من علامات النّفاق، نقضُ العهدِ والميثاق.

وقالوا: لا عذرَ في الغدر، والعذرُ يصلح في كل المواطن، ولا عذرَ لغادرٍ ولا خائن.

وفي بعض الكتب المنزّلة: إن مما تُعَجَّل عقوبتُهُ من الذنوبِ ولا يؤخرُ: الإحسان يُكْفَر، والذّمة تُخْفَر. قال شاعر: [من الكامل]

أَخْلِقْ بمن رَضِيَ الخيانةَ شِيمةً ... أن لا يُرَى إلا صريعَ حوادثِ
ما زالتِ الأرزاءُ تُلحِقُ بؤسَها ... أبدًا بغادرِ ذمَّةٍ أو ناكثِ

وقالوا: الغَدْر ضامن العَثْرة، قاطع ليد النُّصرة.

ويقال: مَن تعدّى على جاره، دَلَّ على لُؤْمِ نِجَارِه.

وذكر أن عيسى صلوات الله عليه مرَّ برجل وهو يُطارِد حيَّةً وهي تقول له: والله لئن لم تذهبْ عنّي، لأنفخَنَّ عليك نفخةً أُقَطِّعك بها قِطَعًا، فمضى عيسى عليه السلام في شأنه، ثم عاد فرأى الحية في جُونَة الرجلِ محبوسة، فقال لها: ويحك! أين ما كنت تقولين؟ قالت: يا روح الله، إنه حلف لي وغَدَر، وإنّ سُمَّ غدره أَقْتَلُ له من سُمِّي.

= أيامه، وقدم بغداد في أيام المنصور العباسي، وتوفي بالمدينة سنة ١٥٤ هـ - ٧٧١ م. «الزركلي ١/ ٣٣٢».

ذكر أخبار أهل الغَدْر وغَدرَاتهم المشهورة

أعرف الناس في الغدر آل الأشعث بن قيس بن معديكرب، وقد عدّت لهم غَدَرَات، فمنها: غدر قيس بن معديكرب بمراد، وكان بينهم عهد أن لا يغزوهم إلى انقضاء شهر رجب، فوافاهم قبل الأَمَد بِكِنْدَة، وجعل يحمل عليهم ويقول: [من الرّجز]

أقسمت لا أَنْزلُ حتَّى يُهْزَمُوا   أنا ابن معد يكربِ فاستسلِمُوا

* فارسُ هَيْجا ورئيسٌ مِضْدَمُ *

فَقُتِل قيس بن معديكرب وارتد الأشعث عن الإسلام. وغدر الأشعث ببني الحارث بن كعب، وكان قد غزاهم فأَسَرُوه، ففدى نفسه بمائتي بعير، فأعطاهم مائة وبقي عليه مائة، فلم يُؤَدّها، وجاء الإسلام فهدَم ما كان في الجاهليّة.

وغدر محمد بن الأشعث بن قيس بمسلم بن عَقِيل بن أبي طالب، وغدر أيضًا بأهل طَبَرَسْتَان[1] وكان عُبَيد الله بن زياد ولّاه إياها، فصالح أهلها على أن لا يدخلها ورحل عنهم، ثم عاد إليهم غادرًا، فأخذوا عليه الشّعاب، وقتلوا ابنه أبا بكر.

وغدر عبد الرحمٰن بن محمد بن الأشعث بالحّجاج لما ولّاه خُرَاسَان، وخرج عليه وادعى الخلافة، وكان بينهم من الوقائع ما نذكره في التاريخ في أخبار الحجاج إن شاء الله تعالى، وكانت الدائرةُ على عبد الرحمٰن، وكلّهم ورِثُوا الغدر عن معديكرب، فإنه غدرُ مَهْرَة، وكان بينه وبينهم عهدٌ إلى أجل، فغزاهم ناقضًا لعهدهم، فقتلوه وبَقرُوا بطنه وملؤوه بالحصا.

وغدرت ابنة الضَّيْزَن بن معاوية بأبيها صاحب الحصن ودلّت سابور على طريق فتحه، ففتحه وقتل أباها وتزوّجها، ثم قتلها. وقد ذكرنا ذلك في الجزء الأوّل من هذا الكتاب في المباني. ومن ذلك ما فعله النعمان بِسِنمَّار[2]، وقد ذكرناه أيضًا في خبر بناء الخَوَرْنَق.

---

(١) طبرستان: معناها بالفارسية «ناحية الطير» طَبَر: الطير، واستان: الموضع أو الناحية، وهي بلدان واسعة كثيرة وهي المعروفة بمازندران، وهي بين الري وقومُس وبلاد الديلم والجبل. «معجم البلدان ٤/ ١٣».

(٢) سنمار: بناء رومي الأصل قال أصحاب الأخبار إنه بنى للنعمان بن امرىء القيس قصر الخورنق قرب الكوفة، ولما أعلم سنمار النعمان أن هناك آجرة في القصر إذا سحبت منه تهاوى، رماه من أعلى القصر لئلا يغدر به في يوم من الأيام، وضربت العرب به المثل «جزاه جزاء سنمار». =

وممن اشتُهر بالغدر عمرو بن جُرموز: غدر بالزّبير بن العوّام[١]، وقتله بوادي السباع، ونذكر ذلك إن شاء الله تعالى في حرب الجمل.

ومن الغدر الشنيع ما فعله عَضَل والقَارَة، رُوِيَ أنه قدم على رسول الله ﷺ بعد أُحُد رهط من عَضَل والقارة، فقالوا: يا رسول الله إن فينا إسلامًا وخيرًا فابعثْ معنا نفرًا من أصحابك يفقّهوننا في الدِّين، ويُقرئوننا القرآن، ويعلّموننا شرائع الإسلام، فبعث معهم رسول الله ﷺ سبعةَ نفرٍ من أصحابه، وهم مَرْثَد بن أبي مرثد الغَنَوِيّ، وخالد بن البُكَيْر حليف بني عدِيّ بن كعب، وعاصم بن ثابت بن أبي الأَقْلَح أخو بني عمرو بن عوف، وخُبَيب بن عدِيّ أخو بني جَحْجَبِي بن كُلْفة بن عمرو بن عَوْف، وزيد بن الدَّثِنَة أخو بني بَيَاضَة بن عامر، وعبد الله بن طارق، ومُعَتِّب بن عُبَيد أخو عبد الله لأُمّه، وأَمَّر عليهم مَرْثَد بن أبي مرثد، وقيل أَمَّر عليهم عاصمًا، فخرجوا مع القوم، حتى إذا كانوا على الرجيع: ـ ماء لهذيل ـ غدروا بهم واستصرخوا عليهم هديلًا، فلم يرعِ القوم وهم في رحالهم إلّا الرجال في أيديهم السيوف، فأخذوا أسيافَهم ليقاتلوا القوم، فقالوا: إنا والله ما نُريد قتْلَكم، ولكنا نريد أن نُصيبَ بكم شيئًا من أهل مكةَ، فأما مرثدُ وخالدُ وعاصمُ ومُعتِّب فقالوا: والله ما نقبلُ من مشركٍ عهدًا ولا عَقْدًا، فقاتَلوا حتى قُتلوا، وأما زيد وخُبَيْب وعبد الله فلانوا ورغبوا في الحياة، وأعطوا بأيديهم، فأسروهم وخرجوا بهم إلى مكة ليَبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بمَرّ الظَّهْران، انتزع عبد الله بن طارق يده من القِرَان[٢]، ثم أخَذ سيفه واستأخَر عن القوم، فرَمَوْهُ بالحجارة حتى قتَلوه، وقَدِمُوا بخبيب وزيد إلى مكة فباعوهُما فابتاع خبيبًا حُجْر بنُ أبي إهاب التميميّ حليف بني نوفل لعُقْبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ليَقْتله بالحارث، وأما زيد بن الدَّثِنَة فابتاعه صَفْوانُ بنَ أميّة ليقتله بأمية بن خَلَف، ورُوِيَ أن خُبيبًا لما حصل عند بنات الحارث استعارَ من إحداهن موسى يستحدّ بها فما راع المرأةَ إلا صبيّ لها يَدرُج، وخُبيب قد أجلس الصبيَّ على فَخِذه، والموسى في يده، فصاحت المرأة، فقال خُبيب: أتحسَبين أني أقتله؟ إن الغدْر ليس من شأننا، فقالت المرأة: ما رأيت بعدُ أسيرًا قطّ

= «الأعلام للزركلي ٣/ ١٤٢».

(١) الزبير بن عوام: (٢٨ ق.هـ ـ ٣٦ هـ = ٥٩٤ ـ ٦٥٦م) القرشي أبو عبد الله، الصحابي الشجاع، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو ابن عمة النبي ﷺ أسلم وله ١٢ سنة، وشهد بدرًا وأحدًا وغيرهما، كان موسرًا جدًّا، قتل يوم الجمل، له ٣٨ حديثًا. «الأعلام للزركلي ٣/ ٤٣».

(٢) القران: النبل المستوية من عمل رجل واحد، ويقال للقوم إذا تناضلوا، اذكروا القران، أي والوا بين سهمين سهمين. «لسان العرب ١٣/ ٣٣٩».

خيرًا من خُبيب، لقد رأيتُه وما بمكَّة من ثمرة، وإن في يده قطْفًا من عنب يأكله، إن كان إلا رزقًا رزقه الله خبيبًا، ولما خُرج بخُبيب من الحرم ليقتلوه، قال: ذَروني أصلّي ركعَتين، ثم قال: لولا أن يقال: جزع لزِدْت، وما أبالي على أي شِقّيَّ كان مصرعي، وهذه القصَّةُ نذكرها إن شاء الله تعالى بما هو أبسطُ من هذا في السّيرة النبويّة في سيرة مَرْثَد إلى الرجيع.

قيل: أغار خَيْثَمَة بن مالك الجُعْفِيّ على حيّ من بني القَيْن فاستاقَ منهم إبلًا فلحِقوه ليَستَنقذوها منه، فلم يطمَعوا فيه، ثم ذكَر يدًا كانت لبعضهم عنده، فَخلّى عما كان في يده، وولّى منصَرفًا، فنادوه وقالوا: إن المفازة أمامَك، ولا مَاءَ معك، وقد فعلت جميلًا، فأنزلْ ولك الذِّمام والحِبَاء[1] فنزَل فلما اطمأنّ وسكنَ، واستمكَنوا منه غدَروا به فقتلوه، ففي ذلك تقول عَمْرة ابنتُه: [من الطويل]

غدَرتم بمنْ لو كان ساعةَ غدركم ... بكفّيه مفتوقُ الغرارين قاضبُ[2]
لذادَكمُ عنه بضربٍ كأنّه ... سهام المنايا كلّهن صوائِبُ

وتَلاحى بنو مَقْرون بن عمرو بن محارب، وبنو جَهْم بن مُرّة بن محارب، على ماءٍ لهم فغلبتهم بنو مقرون فظَهرت عليهم، وكان في بني جَهْم شيخٌ له تجرِبة وسِنّ، فلما رأى ظهورهم، قال: يا بني مقرون، نحن بنو أب واحد، فلِم نتَفاني؟ هلمّوا إلى الصلح، ولكم عهْدُ الله تعالى وميثاقُه وذمّة آبائنا، أن لا نهيجكم أبدًا ولا نزاحكمم في هذا الماء، فأجابتهم بنو مقرون إلى ذلك، فلما اطمأنوا ووضعوا السلاح عدَا عليهم بنو جهم فنالوا منهم منالًا عظيمًا، وقتلوا جماعة من أشرافهم، ففي ذلك يقول أبو ظَفَر الحارثيّ: [من البسيط]

هلّا غدَرتم بمقرونٍ وأسرتِه ... والبِيضُ مُصْلَتةٌ والحرب تَستعرُ
لما اطمأنوا وقد شاموا في سيوفهمُ ... ثُرْتم إليهم وغُرُّ الغدر مشتهرُ[3]

---

(١) الحِباء: ما يحبو به الرجل صاحبه ويكرمه به، والحِباء: العطاء. وحباه كذا: إذا أعطاه. «لسان العرب ١٤/ ١٦٢».

(٢) الغرار: حد الرمح والسيف والسهم، والغراران: شفرتا السيف وكل شيء له حد، فمدُّه غراره والجمع أغرة. «لسان العرب ٥/ ١٦». قاضب: القضب: القطع، والقاضب: القاطع. «لسان العرب ١/ ٦٧٨».

(٣) شام: انشام الرجل: إذا صار منظورًا إليه، وشام الشيء: أدخله، وشام السيف، إذا سله وأغمده. «لسان العرب ١٢/ ٣٣٠».

غدرتموهُم بأَيمان مؤكدةٍ والوِرْدُ من بعده للغادر الصَّدَرُ[(١)]

هذا ما قيل في الغدر.

وأما الخيانة، فقد نهى الله تعالى عنها فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: الآية ٢٧].

ورُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا إيمانَ لِمن لا أمانةَ له ولا دينَ لمن لا عهدَ له».

وقيل: مَن ضيّع الأمانةَ، ورَضِيَ بالخيانة، فقد بَرِىء من الدِّيانة.

وقال حكيم: لو علم مُضيِّعُ الأمانَة ما في النّكث والخيانَة، لقصَّر عنهما عِنَانَه.

وقالوا: من خان مانَ[(٢)]، ومن مان هان، وتبرّأ من الإحسان.

قيل دخل شَهْر بنُ حَوْشَب[(٣)] وهو من جِلّة القرّاء وأصحاب الحديث على معاوية، وبين يديه خرائطُ فيها مال، قد جمعت لتوضع في بيت المال، فقعَد على خريطة منها، وأخذها، ومعاوية ينظرُ إليه، فلما رُفعت الخرائط، فُقِدَ من عددها خريطة، فأعلم الخازنُ بذلك معاويةَ، فقال: هي محسوبة لك فلا تسألْ عن آخذها، ففيه يقول بعض الشعراء: [من الطويل]

لقد باع شَهْرٌ دِينه بخَريطةٍ فَمن يأمَن القرّاءَ بعدك يا شهرُ؟

وقال المنصور لعامل بلغه عنه خيانتُه: يا عدوَّ الله، وعدوَّ أمير المؤمنين، وعدوّ المسلمين، أكلتَ مالَ الله، وخُنتَ خليفةَ الله، فقال: يا أمير المؤمنين، نحن عيالُ الله، وأنت خليفةُ الله، والمالُ مالُ الله، فمن أين نأكل إذًا، فضحك وأطلقه، وأمر أن لا يُوَلّى عملًا بعدها.

---

(١) الورد: هنا: هو ورود القوم، والموردة الطريق من الماء. «لسان العرب ٣/ ٤٥٦».

(٢) مان: المين: الكذب، ومان الرجل أهله: كفاهم وأنفق عليهم وعيالهم. «لسان العرب ١٣/ ٤٢٥».

(٣) شهر بن حوشب: (٢٠ ـ ١٠٠ هـ = ٦٤١ ـ ٧١٨ م) شهر بن حوشب الأشعري، فقيه قارىء، من رجال الحديث، شامي الأصل، سكن العراق وكان يتزيا بزي الجند، ولي بيت المال مدة، وهو متروك الحديث. «الأعلام للزركلي ٣/ ١٧٨».

وسرق رجل في مجلس أَنو شَرْوان جامًا[1] من ذهب وهو يراه، فتفقده الشرابيّ، فقال: والله لا يخرج أحد حتى يُفتَّش، فقال له أنو شَرْوان: لا تتعرّضْ لأحدٍ، فقد أخذه من لا يردّه، ورآه من لا يَنُمُّ عليه.

وحُكي أنّ بعض التُّجار أودع عند قاضٍ بمَعَرّة النعمان[2] وديعةً، وغاب مدّةً فلما رجع، طالب بها، فأنكرها القاضي، فتشفع إليه برؤساء بلده في ردّها، فما زالوا به حتى أقرّ بها، وادّعى أنها سُرقت من حرْزه، فاستحلفه المُودع فحلف، فقال ابن الدُّوَيدة في ذلك: [من الكامل]

لا يَصدقُ القاضي الخَؤونُ إذا ادّعى ... عدمَ الوديعة من حصين المودعِ
إن قال قد ضاعت فيصدقُ أنّها ... ضاعت ولكنْ منك يعني لو تَعِي!
أو قال قد وقعت فَيَصْدُقُ أنّها ... وقعت ولكنْ منه أحسنَ مَوْقع

وقال ابن الحجاج: [من الوافر]

وأدعوهُمْ إلى القاضي عساهُمْ ... إذا وقَع اليمينُ يُحَلِّفوني
وأَضيعُ ما يكون الحقّ عندي ... إذا عَزَم الغريمُ على اليمين

ذكر ما قيل في الكِبْر والعُجْب

قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: الآية ٢٣]. وقال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزُمَر: الآية ٧٢]. وقال: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزُمَر: الآية ٦٠]. وقال: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: الآية ٣٥]. وقال: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٦].

وناهيك بهذا زجرًا.

---

(١) الجام: الكأس والإناء.
(٢) معرّة النعمان: المعرّة: الشدّة، والنعمان: هو النّعمان بن بشير، صحابيٌّ اجتاز بها فمات له ولد فدفنه وأقام عليه فسمّيت به، وفي جانب سورها من قبل البلد قبر يوشع بن نون عليه السلام، وهي مدينة من أعمال حمص بين حلب وحماه قديمة ومشهورة. «انظر معجم البلدان ٥/١٥٦».

وقال رسول الله ﷺ: «لا يدخُل الجنةَ، من في قلبه حَبّةٌ من خَرْدَلٍ من كِبْر». وقال ﷺ: «من تَعظَّم في نفسه، واختال في مِشْيتِه لقى الله عزّ وجلّ وهو عليه غضبان». وقال ﷺ: «من جَرَّ ثَوبَه خُيَلاء لم ينْظُرِ اللهُ إليه».

ورُوِيَ: أن عبد الله بنَ سَلّام، مرّ بالسوق يحمل حُزْمة حطب، فقيل له: أليس قد أغناك اللهُ عن هذا؟ قال: بلى! ولكني أردت أنْ أقمعَ به الكبْر، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبّة من كِبر».

وقال عمر بنُ الخطاب رضي الله عنه: ما وجد أحدٌ في نفسه كبْرًا إلا من مَهانة يجِدُها في نفسه.

وقالوا: مَنْ قَلّ لُبُّه، كثر عُجْبُه.

وقالوا: عُجب المرء بنفسه، أحدُ حسّاد عقلِه.

وقال أردَشِير بن بابَك: ما الكِبْر إلا فضل حُمْقٍ لم يدر صاحبُه أن يَضَعُه فصرفه إلى الكِبْر.

ومن كلام لابن المعتزّ: لما عرَف أهلُ التقصيرِ حالَهم، عند أهل الكمال استعانوا بالكِبر لِيُعظِّم صغيرًا، ويُرفعَ حقيرًا، وليس بفاعل.

وقال أكثَمُ بنُ صَيْفِيّ: من أصاب حظًّا من دنياه، فأصاره ذلك إلى كِبْرٍ وتَرَفُع، فقد علم أنه نال فوق ما يستحقّ، ومن أقام على حالهِ فقد علم أنه نال ما يستحقّ، ومن تواضع وغادر الكِبْر، فقد علم أنه نال دون ما يستحقّ.

وقال عليّ رضي الله عنه: عجِبتُ للمتكبرِ الذي كان بالأمس نطفةً، وهو غدًا جِيفةً.

وقيل: مرّ بعضُ أولاد المُهَلَّب بمالك بن دينار[1] وهو يَخْطِر، فقال له: يا بُنَيّ، لو خَفَّضت بعض هذه الخُيَلاء! ألم يكن أحسنَ بك من هذه الشّهرة التي قد شَهَرْتَ بها نفسَكَ؟ فقال له الفتى: أو ما تعرفُ من أنا؟ قال: بلى! والله أعرِفُك معرفةً جيّدةً، أوّلك نطفةُ مَذِره، وآخرك جيفة قَذِره، وأنت بين ذلك حامل عَذِره[2] فأرخى الفتى أذنيه وكفّ مما كان يفعله، وطأطأ رأسه، ومضى مسترسِلًا.

(١) مالك بن دينار: البصري، أبو يحيىٰ، من رواة الحديث، كان ورعًا يأكل من كسبه، ويكتب المصاحف بالأجرة، توفي بالبصرة سنة ١٣١ هـ ـ ٧٤٨ م. «الأعلام للزركلي ٥/ ٢٦٠».

(٢) عذره: التعذير في الأمر: التقصير، وعذّر في الأمر: قصر بعد جهد. «لسان العرب ٤/ ٥٤٦».

وقال الواقِديّ(١): دخل الفضْل بنُ يحيىٰ ذاتَ يوم على أبيه وهو يَتَبَختر في مِشْيته، فقال له يحيىٰ: يا أبا عبد الله، إن البخلَ والجهلَ مع التواضع، أزينُ بالرجل من الكِبْرِ مع السخاء والعلم؛ فيا لها من حسنة غطَّتْ على عيْبَيْن عظيمين، ويا لها مِن سيِّئة غطَّت على حسنَتَيْن كبيرتين، ثم أومأ إليه بالجلوس وقال: احفظْه يا عبد الله، فإنه أدبٌ كبيرٌ أخذناه عن العلماء.

ومن الكِبْر المستهجَن ما رُوِيَ: أن وائل بنَ حُجْر(٢) أتى النبي ﷺ، فأقطعه أرضًا، وقال لمعاوية: اعرضْ هذه الأرضَ عليه واكْتبها له، فخرج مع وائل في هاجرة شاوية(٣)، ومشى خلف ناقته، وقال له: أَردفنِي على عَجُز راحلتك، فقال: لست من أرداف الملوك، قال: فأعطني نعْلَيْك، فقال: ما بخلٌ يمنعني يابن أبي سُفيان، ولكن أكرهُ أن يبلُغ أقْيال(٤) اليمن أنك لبست نَعْلي، ولكن امش في ظل ناقتي، فحسبُك بها شرفًا. وقيل: إن وائلًا أدركَ زمن معاوية ودخل عليه فأقعده معه على السرير وحدّثه.

والعرب تجعل جَذِيمة الأبرش الغاية في الكِبْر، ورُوِيَ: أنه كان لا ينادمُ أحدًا ترفُّعًا وكبرًا، ويقول: إنما ينادمني الفَرْقَدان. ومنه قول متمّم: [من الطويل]

* وكنّا كنَدْمانَيْ جَذِيمة حِقْبَةً *

قيل: إنما أراد الفَرْقدين، لا كما ذكره الرواة أنهما مالك وعَقِيل.

وقيل: كان أبو ثَوابة أقبحَ الناس كِبْرًا، رُوِيَ: أنّه قال لغلامه اسقني ماءً، فقال: نعم، قال: إنما يقول: «نعم» من يقدر على أن يقول: «لا» وأمر بضربه، ودعا

---

(١) الواقدي: هو محمد بن عمر بن واقد السّهمي، أبو عبد الله من أقدم المؤرّخين في الإسلام، ومن أشهرهم ومن حُفّاظ الحديث له مؤلّفات عديدة مات سنة ٢٠٧ هـ. «الأعلام للزركلي ٦/ ٣١١».

(٢) وائل بن حُجْر: الحضرمي القحطاني، أبو هنيدة، من أقيال حضرموت، وكان أبوه من ملوكهم، وفد على النبي ﷺ فرحب به واستعمله على أقيال من حضرموت، وأقطعه أرضًا، شارك في الفتوح ونزل الكوفة، وزار معاوية لما ولي الخلافة فأجلسه معه على السرير. استقر في الكوفة وروى عن النبي أحاديث. توفي سنة ٥٠ هـ ـ ٦٧٠ م. «الأعلام للزركلي ٨/ ١٠٦».

(٣) هاجرة شاوية: شمس حارة.

(٤) أقيال: ملوك باليمن دون الملك الأعظم، واحدهم قيل، يكون ملكًا على قومه، وسمي الملك «قيلًا» لأنه إذا قال قولًا نفذ قوله. «لسان العرب ١١/ ٥٧٦».

أكّارًا[١] فكلّمه، فلما فرَغَ دعا بماء، وتمضمض استقذارًا لمخاطبته. قال عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَة بن مسعود[٢]: [من الطويل]

ولا تعجبا أن تُؤتَيا فتُكَلَّما فما حُشيَ الأقوامُ شرًّا من الكبرِ

قال الجاحظ: المذكورون بالكبر من قريش، بنو مَخْزوم، وبنو أميَّةَ، ومن العرب، بنو جَعْفَر بن كلاب، وبنو زُرارة بن عُدَس، وأما الأكاسرة فكانوا لا يَعدّون الناسَ إلا عبيدًا، وأنفسَهم إلا أربابًا، والكِبرُ في الأجناس الذليلةِ أرسخُ، ولكن القلّةَ والذّلةَ مانعتان من ظهور كبرهم، ومن قدَر من الوضعاء أدنى قُدرة، ظهر من كبره ما لا خَفاءَ به، ولم أر ذا كبر قطّ علا مَنْ دونه، إلا وهو يَذلّ لمن فوقه بمقدار ذلك ووزنه.

قال: أما بنو مخزوم، وبنو أمية، وبنو جعفر بن كلاب، واختصاصهم بالتِّيه، فأنهم أبطَرَهم ما وجدوا لأنفسهم من الفضيلة، ولو كان في قُوَى عقولهم فضلٌ عن قُوَى دواعي الحَمِيَّة فيهم، لكانوا كبني هاشم في تواضعهم وإنصافهم مَنْ دونهم. وقال أبو الوليد الأعرابيّ: [من الطويل]

ولستُ بتيَّاهٍ إذا كنتُ مُثْرِيا ولكنه خُلْقِي إذا كنت مُعْدِما
وأن الذي يُعطَى من المال ثَرْوةً إذا كان نذلَ الوالدين تعظّما

ومن المتكبرين، عُمَارةُ بن حمزة[٣]، حُكِي عنه: أنه دخل على المهديّ، فلما استقر به الجلوس، قام رجل كان المهديّ قد أعدّه له ليتَهكّم به، فقال: مظلومٌ يا أمير المؤمنين، قال: مَنْ ظلمك؟ قال: عُمَارة غصبني ضَيْعتي، وذكر ضَيْعة من أحسن ضياع عُمَارة وأكثرها خَرَاجًا، فقال المهديّ لعُمَارة: قم فاجلس مع خَصْمِك، فقال: يا أمير المؤمنين، ما هو لي بخَصْم، إن كانت الضّيعةُ له، فلستُ أنازعه فيها، وإن

---

(١) الأكّار: الحرّاث ـ ويقال أكرت الأرض: أي حفرتها. والأُكر: الحفر في الأرض. «لسان العرب ٤/٢٦».

(٢) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: الهذلي، أبو عبد الله، مفتي المدينة، وأحد الفقهاء السبعة فيها، من أعلام التابعين، له شعر جيد، وهو مؤدب عمر بن عبد العزيز، كان ثقة عالمًا فقيهًا، ذهب بصره ومات بالمدينة سنة ٩٨ هـ ـ ٧١٦ م. «الأعلام للزركلي ٤/١٩٥».

(٣) عمارة بن حمزة بن ميمون، كاتب، من الولاة الأجواد الشعراء الصدور، كان المنصور والمهدي العباسيان يرفعان قدره، وكان من الدهاة، وجمع له بين ولاية البصرة وفارس والأهواز واليمامة والبحرين، له في الكرم أخبار عجيبة، وفيه تيه شديد، له ديوان رسائل ورسالة الخميس، توفي سنة ١٩٩ هـ ـ ٨١٤ م. «الأعلام للزركلي ٥/٣٦».

كانت لي فقد وهبتُها له، ولا أقومُ من مجلسٍ شرّفني به أميرُ المؤمنين، فلما انصرف المجلسُ، سأل عُمارة عن صفة الرجل، وما كان لباسُه، وأين كان موضع جلوسه، وكان من تِيهه أنه إذا أخطأ يمرّ على خطئه تكبرًا عن الرجوع ويقول: نقضٌ وإبرامٌ في ساعة واحدة، الخطأ أهون منه.

ومنهم من أهلكه الكبر وأذلّه. كان خالد بن عبد الله بن يَزيدَ بن أسد القَسْرِيّ أميرًا على العراق، وبلغ من هشام بن عبد الملك محلّا رفيعًا، فأفسد أمره العُجبُ والكِبْرُ، وأدناه إلى الهَلَكَة، وعُذّب حتى مات، وذلك أنه كان إذا ذُكِر هشام عنده، قال: ابن الحمقاء! فسمِعها رجل من أهل الشام، فقال لهشام: إنّ هذا البَطِرَ الأَشِرَ الكافرَ لنعمتك ونعمةِ أبيك وإخوتك، يذكرك بأسوأ الذّكر، قال: لعله يقول: الأحولُ، قال: لا، ولكنّه يقول: ما لا تلتقي به الشّفتانِ، قال: لعله يقول: ابن الحمقاء، فأمسك الشاميّ، فقال هشام قد بلغني كلّ ذلك عنه؛ وكان خالد يقول: والله ما إمارةُ العراق مما تشرّفني، فبلغ ذلك هشامًا، فكتب إليه: بلغني أنك يابن النصرانية تقول: إن إمارة العراق لا تُشرّفُكَ وأنت دَعِيٌّ بجيلة القليلة الذليلة، والله إني لأظنّ أن أول من يأتيك صيفيّ بن قيس فيشدّ يدَك إلى عُنقِك، قال خالد بن صفوان بن الأهتم: لم تزل أفعال خالد حتى عزله هشام وعذّبه، وقتل ابنه يزيدَ بن خالد، فرأيت في رجله شَرِيطًا قد شدّه به الصّبيان يجرّونه، فدخلت إلى هشام يومًا، فحدّثته فأطلت، فتنفّس، وقال: يا خالد! كان أحبّ إليَّ قُرْبًا وألذّ عندي حديثًا منك، يعني خالدَ القَسْريّ، قال: فانتهزتُها ورجوت أن أشفعُ فتكون لي عند خالد يدًا، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما يمنعك من استئنافِ الصّنيعة، فقد أدّبتَه بما فَرطَ منه، فقال: هيهاتَ! إن خالدًا أوجَفَ فأعجَفَ[1]، وأدلّ فأملّ، وأفرط في الإساءة، فأفرطنا في المكافأة، فَحلِمَ الأديم[2]، ونغِل[3] الجُرْح، وبلَغَ السَّيْلُ الزُّبى، والحزام الطُّبْيينِ، ولم يبق فيه مستصلَح، ولا للصّنيعة عنده موضع، عُدْ إلى حديثك.

---

(١) أعجف: عجف نفسه عن الطعام: حبسها عنه وهو له مشتهٍ ليؤثر به غيره ـ ونصل أعجف: أي رقيق، وأعجفه: هزله، وأرض عجفاء: مهزولة. «لسان العرب ٩/ ٢٣٤».

(٢) الأديم: أديم كل شيء: ظاهر جلده، وأدمة الأرض: وجهها ـ وأديم الليل: ظلمته، وأديم النهار: بياضه. «لسان العرب ١٢/ ٩ و١٠».

(٣) نغل: نغل الجرح: فسد، وفيه شيء من نغل: أي فساد ـ والنغل في الأساس: ولد الزنية، والأنثى نغلة ـ والنغل: الإفساد بين القوم والنميمة. «لسان العرب ١١/ ٦٧٠».

ومنهم: مَن أفرط به الكبر إلى الكفر، حُكِي: أن سعيد بن زُرارة مرّت به امرأة فقالت له: يا عبدَ الله، كيف الطريقُ إلى مكان كذا؟ فقال لها: أَمِثلي يكون مِن عَبِيد الله.

ومنهم: عُبَيْد الله بن زياد بن ظَبْيان[1]، قال له رجل من قومه وقد رأى منه ما أعجبه: كثّر الله فينا مثلَك، فقال: لقد كلّفتم الله شططًا.

ومن أشعار المتكبّرين التيّاهين قول بعضهم: [من الكامل]

* أتيه على جِنّ البلاد وإِنْسِها *

الأبيات، وقد تقدّمت في الحَمْقَى.

وقال آخر: [من الخفيف]

أَلْقِني في لَظىً فإنْ أحرقَتْني ... فتيقَّنْ أنْ لستُ بالياقوتِ
صنَعَ النسجَ كلُّ مَنْ حاك لكنْ ... ليس داودُ فيه كالعنكبوتِ

قال ابن حُبَارة الحرّانيّ المنجنيقيّ يردّ عليه: [من الخفيف]

أيّها المدّعي الفَخَارَ دعِ الفَخْـ ... ـرَ لِذي الكِبْرياءِ والجبرُوتِ
نسجُ داودَ لم يُفِد ليلةَ الغا ... رِ وكان الفخارُ للعنكبوتِ
وبقاءُ السَّمَنْدِ في لَهَبِ النا ... رِ مُزيلٌ فضيلةَ الياقوتِ
وكذاك النّعامُ يلتقمُ الجمـ ... ـرَ وما الْجَمرُ للنّعام بقُوتِ

ومما هُجيَ به أهلُ التكبّر، قول جُعيفران يهجو سعيد بنَ مُسلم بن قُتَيبة: [من السّريع]

أمَّ سعيدٍ لِم ولدتيهِ ... ملوَّثًا بالكِبْر والتّيهِ؟
ليتكِ إذ جئتِ به هكذا ... حين خَرَيتيه أكلتيهِ

(١) عبيد الله بن زياد بن ظبيان: أبو مطر، فاتك من الشجعان، كان مقربًا من عبد الملك بن مروان، وهو الذي قتل مصعبًا بن الزبير وحمل رأسه إلى عبد الملك، ثم خرج على الحجاج مع ابن الجارود، فلما قتل ابن الجارود انصرف إلى عُمان ولجأ ابن الجلندي الأزدي، فخافه هذا، فدس له السم في بطيخة فمات سنة ٧٥ هـ - ٦٩٤ م. «الأعلام للزركلي ٤/١٩٣».

ذكر ما قيل في الحرص والطمع

قال الله عزّ وجلّ لنبيّه ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: الآية ١٣١].

وقال رسول الله ﷺ: «أربعٌ من الشقاء الخ... عُدّ منها الحرص والأمل»

وقال: ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم فأفسداها أشدّ من حرص المرء على المال».

وقال: «يشيب ابنُ آدم وتشبّ منه اثنتان: «الحرص على المال، والحرص على العمر»

وقال: «إيّاكم والطمعَ فإنه الفقر الحاضر».

ومن كلام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: الطمعُ مُورِد غير مُصْدِر، وضامن غير وفيّ، وكلما عَظُم قدر الشيء المتنافَس فيه، عظمت الرّزيةُ لفقده، والأمانيّ تُعمِي البصائرَ. أزرى بنفسه من استشعر الطمع، واستولت عليه الأمانيّ.

وقال بعضهم: الحرصُ ينقص من قدر الإنسان، ولا يزيد في رزقه.

وقال قُتَيبة: إن الحريص استعجل الذِّلة، قبل إدراك البغية.

وقيل: لا راحةَ لَحرِيصٍ، ولا غِنَى لِذِي طَمَع.

وقيل: إن كَعْبًا لَقِيَ عبد الله بن سلام، فقال: يابن سلام، مَنْ أربابُ العلمِ؟

قال: الذين يعملون به، قال: ما أذهب العلم من قلوب العلماء بعد إذْ عَلِموه ووعوه؟ قال: الطمَعُ، وشَرَهُ النفس، وطلبُ الحوائجِ إلى الناس. قال الأَصْمَعِيّ: سمعتُ أعرابيًا يقول: عجبتُ للحريص المستكبِر، المستقِلّ لكثير ما في يده، المستكْثِر لقليل ما في يد غيره، حتّى طلب الفضل، بذهاب الأصل، فركِبَ مفاوز البراري، ولُجَجَ البِحار، معرِّضًا نفسَه للممات، ومالَه للآفاتِ، ناظرًا إلى من سَلِم، غيرَ معتبر بمن عدِم.

قال يزيد بن الحَكَم الثَّقَفِيّ(١): [من الطويل]

رأيتُ السّخِيَّ النفسِ، يأتيه رِزقُه ... هنيئًا، ولا يُعطَى على الحِرْصِ جامِعُ
وكلُّ حريصٍ لن يُجَاوزَ رزقه ... وكم من مُوفّى رزقه وهو وَادِعُ

---

(١) يزيد بن الحكم الثقفي: شاعر عالي الطبقة، من أعيان العصر الأموي، من أهل الطائف، سكن البصرة وولاه الحجاج كورة فارس، ثم عزله قبل أن يذهب إليها، فانصرف إلى سليمان بن عبد الملك فأجرى له ما يعدل عمالة فارس، توفي نحو سنة ١٠٥ هـ - نحو ٧٢٣ م. «الأعلام للزركلي ٨/ ١٨١».

وقالوا: مصارعُ الألبابِ تحت ظلالِ الطمع. ويقال: [من مجزوء الرّجز]

الحرُّ عبدٌ ما طَمِع والعبدُ حرٌّ ما قَنِع

وقالوا: أخرِج الطمعَ من قلبك، تَحلّ القيدَ من رجلك. وقال عمرو بن مالك الحارثيّ(١): [من البسيط]

الحِرْصُ للنفسِ فقرٌ والقُنُوعُ غِنًى والنَّفسُ إن قَنِعتْ بالقوت يُجزيها
والنفسُ لو أن ما في الأرض حِيزَلها ما كان إن هِي لم تَقْنَعْ بكافيها

وقال ابن هَرْمة(٢): [من الطويل]

وفي اليأس عن بعض المطامِعِ رَاحةٌ ويا رُبَّ خُسْرٍ أدركتْه المطامِعُ

وقال هَدْبة بن خَشْرم(٣): [من الطويل]

وبعضُ رَجَاءِ المرءِ ما ليس نَائِلًا عَنَاءٌ وبعضُ اليأسِ أعفى وأرْوَحُ

وقال مُكْنِف بن معاوية التيميّ: [من المتقارب]

ترى المرءَ يأمُلُ ما لا يرى ومن دون ذلك ريبُ الأَجَلْ
وكم آيسٍ قد أتاه الرَّجَاءُ وذِي طَمَعٍ قد لواه الأَمَلْ

وقال آخر: [من السّريع]

طَمِعتَ فيما وعدتْك المنى وليس فيما وَعَدتْ مَطْمَعُ
وثِقْتَ بالباطل من قولها وليس حقًّا كلُّ ما تسمعُ
وإنما مَوْعِدُها بارِقٌ في كل حين خُلَّبٌ يَلْمَعُ

---

(١) عمرو بن مالك الحارثي: يبدو أنه عمرو بن مالك بن ضبيعة، من قيس بن ثعلبة، شاعر جاهلي قديم. ومن شعره: ومن يفتقر في قومه يحمد الغنى وإن كان فيهم ماجد العم مخولًا. «الزركلي ٥/ ٨٥».

(٢) ابن هرمة: هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر الكناني القرشي، أبو إسحٰق شاعر غزل من سكان المدينة، وهو آخر الشعراء الذين يحتجّ بشعرهم، من مخضرمي الدولة الأموية والعباسية. «انظر الأعلام ١/ ٥٠».

(٣) هو هدبة بن خشرم العذري، شاعر فصيح مرتجل، من أهل بادية الحجاز كنيته أبو عمير، وكان راوية الحطيئة مات نحو سنة ٥٠ هـ. «الأعلام ٨/ ٧٨».

ويضرب المثل في الطمع «بأشعب». قيل له: ما بلغ من طمعك؟ فقال للقائل له: لم تقلْ هذا إلا وفي نفسك خيرٌ تصنعه بي؛ وقيل: إنه لم يمت شريفٌ قطّ من أهل المدينة إلا استعدَى أشعبُ على وصِيِّه أو وارثه وقال له: احلف أنه لم يُوصِ لي بشيء قبل موته؛ ووقف على رجل يعمل طبقًا من الخَيزُران، فقال له: وسِّعْه قليلًا، قال الخيزرانيّ: كأنك تريد أن تشتريَه؟ قال: لا، ولكن ربما يشتريه بعض الأشراف فيَهْدِي إليّ فيه شيئًا؛ وسأله سالم بن عبد الله بن عُمَرَ رضي الله عنه عن طمعه، قال: قلت لصبيان مرةً: اذهبوا، هذا سالم قد فَتحَ بيت صدَقَة عمر حتى يُطعِمكم تمرًا، فلما أحضروا ظننت أنه كما قلت لهم، فعدوْتُ في إثرهم؛ وقيل له: ماذا بلغ من طمعك؟ قال: أرى دخان جاري فأثْرُدُ(١) عليه؛ وقيل له أيضًا: ما بلغ من طمعك؟ قال: ما رأيت عَرُوسًا بالمدينة تُزَفّ إلا كنست بيتي ورششته طمعًا أن تُزَفَّ إليَّ؛ وقيل له: هل رأيتَ أطمع منك؟ قال: نعم، كلب أُم حَوْمَل، تبعني فرسخين، وأنا أمضغ كُنْدُرًا(٢)، ولقد حسدته على ذلك.

ذكر ما قيل في الوَعْدِ والمَطْل

رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «العِدَة دَيْن».

وقال بعض القُرشيِّين: من خاف الكذبَ، أقلَّ من المواعيد.

وقيل: أمران لا يسلمان من الكذب: كثرةُ المواعيدِ، وشدّةُ الاعتذارِ.

وقالوا: خُلْفُ الوعدِ، خُلُقُ الوَغْدِ.

وقال المهلّب لبنيه: يَا بنيّ، إذا غدا عليكم الرجل أو راح مُسَلِّمًا، فكفى بذلك تقاضيًا.

قال الشاعر: [من الطويل]

أروحَ لتسليم عليك وأَغْتدِي ... فحسبُك بالتسليم مني تقاضيا

كفى بِطِلاب المرءِ ما لا ينالُه ... عَنَاءً وباليأسِ المصرّحِ ناهيا

وقيل: الوعدُ إذا لم يشفَعْه إنجاز يُحقِّقُه، كان كلفظٍ لا معنى له، وجسمٍ لا رُوح فيه. وقالوا: الخلفُ ألأمُ من البخل، لأنه من لم يفعل المعروف، لزمه ذمُّ

(١) ثَرَدَ الخبز: فتّه.

(٢) الكُنْدُرا: ضرب من العلك وهو اللبان الذكر.

اللؤم، وذمُّ الخلف، وذمّ العجز. قال بعض الشعراء: [من الطويل]

وعدتَ فأكذبتَ المواعيدَ جاهدًا وأقلعتَ إقلاع الجَهَام بلا وَبْلِ[١]
وأجرَرْتَ لي حَبْلًا طويلًا تَبِعتُه ولم أدرِ أن اليأس في طَرَف الحبل

وقال أبو تمّام: [من الطويل]

وما نفعُ من قد مات بالأمس صاديًا إذا ما سماءُ اليوم طال انهِمَارُهَا
وما العُرْفُ بالتَّسويف إلّا كَخَلَّةٍ تسلَّيتَ عنها حين شَطَّ مَزَارُهَا

والعرب تضرب المثل بمواعيد عُرقوب، وكان رجلًا من العماليق وله في ذلك حكايات، فمنها: أنه أتاه أخٌ له، يسأله شيئًا، فقال له عرقوب: إذا أطلعَتْ هذه النخلة فلك طَلْعُها، فلما أطلعت، أتاه الرجل للعدَة، فقال: دعْها حتى تصير بلَحًا، فلما أبلحت، أتاه، فقال: دعْها حتى تصيرَ زَهْوًا، فلما أزهت، قال: دعْها حتى تصير رُطَبًا، فلما أرطبت، قال: دعْها حتى تصيرَ تمرًا، فلما أتمرت، عمد إليها عرقوب، فجذَّها ولم يعطِ أخاه منها شيئًا.

وفيه يقول الأشجعيّ: [من الطويل]

وعدْتَ وكان الخُلفُ منك سجيّةً مواعيدَ عُرقوب أخاه بيثربِ

وقال كعب بن زُهَير بن أبي سُلْمى: [من البسيط]

كانت مواعيدُ عُرْقوب لها مثلًا وما مواعيدُها إلّا الأباطيلُ[٢]

وقال السِّكِّيت للمهديّ: يا أميرَ المؤمنين، لو كان الوعد يُستنزل بالإهمالِ والسكون، لشكرتكَ القلوبُ بالضمير، ولنظرَتْ إلى فضلك العيون بالأوهام، فقال المهديّ: هذا جزاءُ التفريطِ فيما يكسب الأجر، ويدخر الشكر، وأمر بقضاء حاجته.

وقال أعرابيّ: العُذْرُ الجميلُ، أحسنُ من المَطْلِ الطويلِ، فإن أردت الإنعامَ فأنجِحْ، وإن تعذّرتِ الحاجةُ فأفصِح.

وقال بعض كُرَماء العرب: لأنْ أموتَ عَطَشًا، أحبُّ إليّ من أن أُخلِف مَوْعدًا.

---

(١) أقلع: كفّ، والجهام: الغيم الأسود، والوبل: الماء والمطر المتساقط.
(٢) عرقوب: رجل يضرب به المثل بالمماطلة.

وقالوا: من وَعَد فأخلف، لزِمتْهُ ثلاثُ مذمّات: ذمُّ اللُّؤم، وذمُّ الخُلْفِ، وذمُّ الكذبِ؛ وقال بعض الشعراء: [من الطويل]

ولا خيرَ في وَعْدٍ إذا كان كاذبًا ... ولا خيرَ في قولٍ إذا لم يكن فِعْلُ

فإن تُجْمَع الآفاتُ فالبخلُ شرُّها ... وشَرٌّ من البخل المواعيدُ والمَطْلُ

قال بعض الأعراب: فلان له مواعيدُ عواقِبُها المَطْلُ، وثِمَارُها الخُلْفُ، ومحصولُها اليأسُ.

وقال آخر: فلانٌ له وعدُ مُطْمِع، ومَطْلٌ مُؤْيِس، وأنت منه أبدًا بين يأس وطمع، فلا بَذْلٌ مُرِيح، ولا مَنْعٌ صَرِيح.

وقال الثعالبيّ: أوّلُ من أخلف المواعيدَ ولم يَفِ بشيء منها: إسماعيلُ بن صُبيّح كاتبُ الرشيد، وما كان الرؤساء يعرفون قبله المواعيد الكاذبة.

ذكر ما قيل في العِيّ والحَصَر

قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الزّخرُف: الآية ١٨]، وقال تعالى إخبارًا عن فرعون عند افتخاره على موسى بالبيان: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ [الزّخرُف: الآية ٥٢]. قال أهل التفسير: إن موسى عليه السلام لما سمع هذا القول قال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طـه: الآيات ٢٥ - ٢٨] الآية، فقال الله تعالى: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: الآية ٣٦].

وقيل: حدّ العِيّ معنًى قصير، يَحْويه لفظٌ طويل. وقال أَكْثَمُ بن صَيْفِيّ: هو أن تتكلَّمَ فوق ما تقتضيه حاجتُك. وقالوا: الفقيرُ الناطقُ، أغنى من الغنيّ الساكتِ.

وقال كسرى: الصَّمْتُ خيرٌ من عِيِّ الكلام.

وقالوا: فُضِّلَ الإنسانُ على ما عداه من الحيوان بالبيان، فإذا نطق ولم يُفْصِح عاد بَهِيمًا.

وقالوا: العِيُّ داءٌ دواؤُه الخَرَسُ. ومن علامات العِيّ الاستعانة، وهيَ أن ترى المخاطَب إذا كلَّ لسانهُ عند مَقاطِع كلامه، يقول للمخاطب: اسمعْ منّي، أو سمعت لي، وافهمْ عني، وأشباه ذلك.

ومنهم من يقول: قولي كذا، أعني به كذا، ولا يريد التفسير، ولكنه يعيد كلامه بصيغة أخرى تكون غير مراده الأوّل ليفهم عنه.

ومن عيوب اللسان، التَّمْتَمَةُ، والفَأْفَأَةُ، والعُقْلة، والحُبْسَةُ، واللَّفَفُ، والرُّتَّةُ، والغَمْغَمة، والطَّمْطَمة، واللُّكْنَةُ، والغُنَّة، واللُّثْغَة، فالتمتمة، قال الأَصْمَعِيّ: إذا تَعْتَع في التاء فهو تَمْتَام، وإذا ردّد في الفاء فهو فَأْفاء، قال الراجز: [من الرجز]

لـيـس بـفَـأْفَـاءٍ ولا تـمـتـامِ ولا كثيرِ الهُجْرِ في الكلامِ

والعُقْلة: التواءُ اللسانِ عند الكلام؛ والحُبْسَةُ: تعذّرُ النطقِ، ولم تبلغْ حدّ الفأفاء ولا التمتام، ويقال: إنها تعرض أوّل الكلام، فإذا مرّ فيه انقطعت. واللّففُ: إدخالُ بعض الكلام في بعض؛ قال الراجز: [من الرجز]

كـأَنَّ فـيـه لـفَـفًـا إذا نَـطَـقْ من طول تَحْبِيسٍ وهَمٍّ وأَرَقْ(١)

والرُّتَّةُ: اتصالُ بعضِ الكلام ببعض دون إفادة؛ والغمغمة: أن تسمعَ الصوتَ ولا يتبيّنُ لك تقطيعُ الحروف، ولا تفهم معناه؛ والطمطمة: أن يكون الكلامُ شبيهًا بكلامِ العجم، وهي حِمْيريّة، وقالوا: هي إبدال الطاء بالتاء لأنهما من مخرج واحد، فيقول: السُّلتان والشَّيتَان، وأشباه ذلك، قيل: وكانت في لسان زياد بن سَلْمَى، وكان خطيبًا شاعرًا كاتبًا؛ واللُّكْنَةُ: إدخال بعض حروف العرب في حروف العجم، وتشترك فيها اللغة التركية والنبطيّة، وهي إبدالُ الهاء حاءً، وانقلابُ العينِ همزة، وكانت في لسان عُبَيد الله بن زياد، وصُهَيب الروميّ(٢) صاحب رسول الله ﷺ. وقيل: إن مولًى لزياد، قال له: أيها الأمير، أَحْدوا لنا هَمارَ وَهْشٍ: يريد: أهدوا لنا حمارَ وحشٍ، فلم يفهم زياد عنه، وقال: ويلك! ماذا تقول؟ قال: أحدوا لنا أَيْرًا: يريد عَيْرًا، فقال زياد: أرجعْنا إلى الأول فهو خيرٌ؛ والغُنَّة: أن يشربَ الصوتَ

(١) اللّفف: التخليط والإكثار.

(٢) صهيب الرومي: (٣٢ ق.هـ ـ ٣٨ هـ = ٥٩٢ ـ ٦٥٩ م) صهيب بن سنان بن مالك، صحابي من أرمى العرب سهمًا، وله بأس، وهو أحد السابقين إلى الإسلام، كان أبوه من أشراف الجاهليين، وكانت منازل قومه في أرض الموصل، على شط الفرات، وبها ولد صهيب، وسبته الروم في إغارة لها، فنشأ بينهم، ثم اشتراه منهم أحد بني كلب وقدم به مكة، فابتاعه عبد الله بن جدعان ثم أعتقه، فأقام بمكة يحترف التجارة، إلى أن ظهر الإسلام فأسلم، شهدًا بدرًا وأُحدًا والمشاهد كلها. له ٣٠٧ أحاديث. توفي في المدينة وكان يعرف بصهيب الرومي. «الأعلام للزركلي ٣/ ٢١٠».

الخَيْشُومُ[١]؛ والخُنَّةُ: ضرب منها؛ والترخيم: حذف بعض الكلمة لتعذّر النطق بها؛ واللُّثْغَة: إبدال ستة حروف بغيرها، وهي الهمزة والراء والسين والقاف والكاف واللام، فالتي تعرض للهمزة، فهي إبدالها عينًا، فإذا أراد أن يقول: أنت، قال: عَنْتَ وهي مستعملة في لسان التَّكْرُور، وأما التي تعرض في الراء، فهي ستة أحرف، فمنهم من يجعلها غينًا معجمة فيقول (غُمَغ): يريد عُمَر، وهي غالبة على لسان أهل دمشق، وإذا اجتمعت الراء والغين في كلمة كقولهم: رغيف، قال: (غريف)، وفَغَرْت بمكانِ فرغت: فيبدلون كلّ حرف بالآخر، قيل: وكانت في لسان محمد بن شَبِيب الخارجيّ، وواصل بن عَطَاء المعتزليّ[٢]، وكان لاقتداره على الكلام، وغزارة مادته، يتجنبُ النطقَ بها، وفيه يقول الشاعر من أبيات: [من البسيط]

ويجعلُ البُرَّ قَمْحًا في تصرُّفه ... وجانبَ الرّاء حتى احتال للشَّعَرِ

ولم يُطِقْ مَطَرًا والقولُ يعجلُه ... فعاد بالغَيْث إشفاقًا من المَطَرِ

ومنهم من يجعلها عينًا مهملة، فيقول في أزرق: أزعق، وهي في لسان عوامّ أهل دِمَشق، ومنهم من يجعلها ياءً، فيقول في عُمَر: عُمَى، ومنهم من يبدلها بالظاء أخت الطاء، ومنهم من يبدلها همزة، فإذا أراد أن يقول: رأيت، قال: أَأَيْتُ، وأما التي تعرض للسين، فإنهم يبدلونها ثاء، فيقولون: بثم الله، ويُثْرة الله: إذا أرادوا بسم الله، ويُسرة الله، أو أشباه ذلك، وهي مستحسنة في الجواري والغلمان. قال الشاعر: [من الوافر]

وأهيف كالهلالِ شكوتُ وَجْدي ... إليه لِحُسْنِه وأطلتُ بَثِّي[٣]

وقلتُ له فدتْك النفسُ صِلْنِي ... تجزْ فيَّ الثوابَ فقال بَثِّي

وأما التي تعرض للقاف، فإن صاحبها يجعل القاف طاءً، فإذا أراد أن يقولَ: قال، وقلت، نطق: بِطالَ، وطُلْتُ، وهي نبطيّة، وكانت في لسان أبي مُسْلم صاحب

---

(١) الخيشوم: الأنف، والخياشيم: غراضيف في أقصى الأنف بينه وبين الدماغ، وقيل هي عروق في باطن الأنف، والخشم: كسر الخيشوم ـ وخياشيم الجبال: أنوفها. «لسان العرب ١٢/ ١٧٨».

(٢) هو واصل بن عطاء الغزّال، رأس المعتزلة، ومن أئمّة البلغاء والمتكلّمين له تصانيف عدّة مات سنة ١٣١ هـ. «الأعلام ٨/ ١٠٨».

(٣) الأهيف: الضّامر.

الدعوة، وعُبَيد الله بن زياد؛ ومنهم من يجعلَها كافًا فيقول: كَال وكُلْت؛ وأمّا التي تعرض للكاف، فمنهم من يجعلها همزة، فيقول: أَأَف، ومنهم من يبدلها تاء، فيقول: تَانَ، إذا أراد: كان، وأما التي تعرض في اللام، فمنهم من يبدلها ياءً، فيقول: اعتَيَيْتُ، بمعنى: اعتللت، ويقول في جمَل: جمى، وإذا أقسم بالله، يقول: ويَّاه، ومنهم من يبدل الخاء المعجمة حاءً مهملة، فيقول في خوخ: حُوح، وتُستحسن في الغِلْمان والجواري، ومنهم من يبدل الجيم ضادًا، فإذا اجتمع لأحد في كلمة جيم وضاد، مثل ضجر، ونضج، قال: جضر، ونجض. والحمد لله وحدَه!

كمل الجزء الثالث

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

يتلوه إن شاء الله تعالى في أوّل الجزء الرابع منه:

«الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثاني

في المجون والنوادر والفكاهات والملح»

والحمد لله وحده

وصلّى الله على سيّدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا

وحسبنا الله ونعم الوكيل

المصادر والمراجع

١ ـ آدم متنر، **الحضارة الإسلامية**، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٢ ـ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، دار صادر ـ بيروت.

٣ ـ ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، دار الثقافة ـ بيروت.

٤ ـ ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، دار صادر ـ بيروت.

٥ ـ ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، دار إحياء العلوم ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٦ ـ ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر ـ بيروت.

٧ ـ ابن النّديم، **الفهرست**، دار المعرفة ـ بيروت.

٨ ـ ابن هانىء الأندلسي، **ديوانه**، دار صادر ـ بيروت.

٩ ـ أبو جعفر النّحاس، **شرح القصائد المشهورات**، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٠ ـ أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، دار الثقافة ـ بيروت.

١١ ـ أبو منصور الثعالبي، **اليتيمة**، دار الفكر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٢ ـ حسان بن ثابت، **ديوانه**، دار صادر ـ بيروت.

١٣ ـ خير الدّين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين ـ بيروت.

١٤ ـ الشريف الرّضي، **ديوانه**، دار بيروت للطباعة ـ بيروت.

١٥ ـ الشهرستاني، **الملل والنحل**، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٦ ـ القلقشندي، **صبح الأعشى**، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٧ ـ محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٨ ـ محمد بن يوسف الكندي، **ولاة مصر**، دار صادر ـ بيروت.

١٩ ـ محمود مصطفى، **إعجام الأعلام**، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٠ ـ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر ـ بيروت.

٢١ ـ ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

فهرس المحتويات

القسم الثاني
من الفن الثاني في الأمثال المشهورة عن رسول الله ﷺ، وعن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، والمشهور من أمثال العرب، وأوابد العرب، وأخبار الكهنة، والزّجر، والفأل، والطّيرة، والفراسة، والذكاء، والكنايات، والتعريض، والأحاجي، والألغاز

القسمُ الثالث

من الفنّ الثاني في المدح، والهجو، والمجون، والفُكاهات، والمُلَح، والخمر، والمُعاقرة، والنّدْمَان، والقِيان، ووصف آلات الطّرب